الأنجليز في السلم والحرب

لما فكرنا فى إصدار هذا العدد من الهلال كان رائدنا فى هذا التفكير أن نجلو لقراء العربية حياة الشعب الانجليزى الذى يحمل اليوم علم الدفاع عن الديموقراطية ، ويقف موقف البسالة أمام أعدائه على الرغم من سقوط حليفته فرنسا فى الميدان ، فقد كان هذا الموقف المشرف الذى وقفه وحده فى أحرج الأوقات دليلا بليغاً على قوة هذا الشعب وسلامة بنائه ، فأثار ذلك رغبة الكثيرين فى تعرف طباعه، ودراسة نظمه ، وقد اقترنت هذه الرغبة فى الأيام الاخيرة بهذا النصر العظيم الذى حازته بريطانيا فى شرق أفريقا وفى البحر الأبيض المتوسط ، بعد فترة شعر فيها البعض بالتردد والقلق ، فجاء هذا النصر مؤكداً لما امتاز به الانجليز فى تاريخهم الحربى من الحكمة والتروى المقرونين باليقظة ، وانتهاز الفرص ، والفوز بأحسن النتائج

قال أحد الكتاب الانجليز : « إن اليقظة الدائمة هى ثمن الحرية ، ويستطيع الشعب الانجليزى أن يفخر بأنه كان — وما يزال — دائم السهر على حريته ، وأنه لا يدخر وسعاً فى مساعدة الشعوب الأخرى فى حصولها على حريتها »

وقد كشفت الحرب الحديثة عن هذه الحقيقة ، وبرهنت على أن علاقة انجلترا بمصر وسائر بلاد العروبة علاقة الصديق الذى يود الخير لاصدقائه فى ظلال الحرية والديمقراطية ، كما برهنت على فوائد التعاون بين مصر وبريطانيا ، ووطدت دعائم المودة والثقة بين البلدين ، فاطمأن المصريون الى تأييدها ، وأقبلوا على مساعدتها فى قضيتها العادلة ، كما أقبلوا على مضاعفة العناية بثقافتها وأسرار عظمتها ، وقد كتب الكثيرون من الغربيين عن حياة الشعب الانجليزى وأنظمته السياسية والاجتماعية ، ولم يكتب عنها فى اللغة العربية إلا القليل ، فبقيت حياة الانجليز وأنظمتهم وأغراضهم وعلاقاتهم بغيرهم غامضة عند الكثيرين من أبناء الشرق العربى

لذلك أردنا بهذا العدد الممتاز أن نميط اللثام لقراء العربية عن تربية الانجليز وأنظمتهم الديمقراطية . وتوخينا أن نتناول كل ناحية من نواحى حياتهم تناولا ميسوراً ، ولكنه يعطى صورة صحيحة لهذا الشعب العظيم

الهلال

الأيمان الوطنى

فى الشعب الانجليزى

بقلم حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

إيمان الانجليز بوطنهم هو سر عظمتهم وانتصارهم فى الحروب

يتطلع العالم من شتى نواحيه الى الشعب البريطانى فى الوقت الحاضر باعجاب أى إعجاب. ويزيد الناس إعجاباً أنهم منذ أشهر كانوا ينظرون الى انجلترا وكأنما قضت المقادير عليها بالزوال كمركز لأعظم امبراطورية فى العالم ، بل قضت عليها بالزوال كأمة عزيزة الجانب بين أمم الأرض جميعاً . ألم يكن الكثيرون فى أواخر شهر يوليو الماضى يتناقلون ما نسب الى هتلر من أنه سيتناول الشاى فى لندن يوم ١٥ أغسطس ويظنون هذا الكلام أمراً لا مفر منه ؟ ! فأية معجزة هذه المعجزة التى جعلت انجلترا تصمد لكل الضربات التى وجهت لها ، وتخرج من موقف المدافع عن العرين الى موقف المهاجم يسير النصر فى ركابه ، وتجرى أمامه فرق الأسرى من الأعداء لا تبتغى غير النجاة من الموت !

وليس إعجاب العالم بانجلترا اليوم إلا صورة من إعجاب العالم بالشعب البريطانى فى مواقف ما أشبهها بموقفه فى الظروف الأخيرة . لقد تخطت انجلترا فى الحرب الكبرى الماضية ساعات بلغت غاية الدقة . وقد كان الناس فى سنوات ١٩١٦ الى ما بعد منتصف ١٩١٨ يحسبون أن النسر الالمانى قد انقض على الأسد البريطانى ، فلم يبق له فى الحياة مطمعاً ، مع ذلك صمدت بريطانيا حتى حالفها النصر ، ثم كان فى يدها تقرير مصائر الشعوب والدول ، وكانت وزارة الخارجية البريطانية هى التى توجه سياسة العالم الوجهة التى تراها

ومن قبل ذلك كان موقف انجلترا فى حروبها مع نابليون أشبه شىء بهذين الموقفين .

كان نابليون قد غزا كل دول أوربا بجيوشه وقد دانت له في غير أوربا ممالك شتى ولم يبق عليه إلا أن يخضع انجلترا . وعلى الرغم من هذه القوة التي بهرت العالم ومن انتصارات الامبراطور على أوربا كلها أقامت انجلترا على عداوته وعلى حربه حتى انتهى به المصير الى الأسر في سانت هيلانة

ما السر في هذه المواقف التي وقفتها انجلترة ، وهل لغيرها من الدول وسيلة الى التأسي بها ؟ أما الأسوة فأمر أدع للقارىء أن يستنتجه مما سأذكره عن السر الذي يطوع لانجلترا أن تقف هذه المواقف . فأما هذا السر فيرجع الى طبيعة الخلق الانجليزي . هذا الخلق الذي صيغ من حياة الجزيرة البريطانية في عزلتها وفي اضطرار أبنائها الى خوض غمار الموت فوق الماء غير مبالين ولا هيابين ، والى ايمانهم بأن مرجعهم الى هذه الجزيرة وان بعدوا عنها الى أقصى بقاع الأرض . هذا الايمان بأرض الوطن ، وهذه المغامرة التي تسترخص الحياة ولا تقيم لها كبير وزن هي التي تجعل الرجل الانجليزي محباً للمرح كحبه للعزلة ، شديد الثقة بنفسه ، شديد التضامن ، الى ذلك ، مع بني وطنه ، قوي العقيدة في أنه حيث وجد وجد هذا الوطن، و وجد على الأقل علم هذا الوطن

هذه الأمور التي أذكرها ليست ثمرة تفكير وصل اليه الانجليزي ، بل هي نتيجة هذه البيئة ، بيئة الجزيرة ، وهي لذلك غريزية فيه . لهذا كان لايستطيع أن يتصور لنفسه وجوداً الا بحرية الجزيرة ، ولا يتصور لنفسه رضاء إلا برضاء الجزيرة . هي عنده كبيت النمل ، لا يرتاب في أن هدم هذا البيت قضاء على حياته ، ولا يفهم أن أرض الله واسعة اذا لم تكن سعتها لتنتهي الى هذا البيت والى رخائه وطمأنينته

هذا التصور الغريزي للحياة في نفس الانجليزي يدعوه الى أن يبذل كل مجهود ، والى أن يبذل حياته وما هو أغلى من الحياة قبل أن يدور بخلده أن الجزيرة يمكن أن تصاب بسوء

إذا أمكن لشعب أن تتولد فيه غريزة كهذه الغريزة ، واذا أمكن لبيئة أن تنشىء مثل هذه الغريزة في نفوس الذين يقيمون بها ، كان التأسي بالشعب البريطاني أمراً ميسوراً ، وكان من السهل إقامة الادب والثقافة اللذين يقويان هذه الغريزة . ولا إخالني بحاجة الى الاجابة على مبلغ إمكان هذا الامر ، ففي مقدور كل إنسان أن يجيب عليه بشيء من التروي ومن الدرس

محمد حسين هيكل

التعاون المصرى الانجليزى وفوائده

بقلم حضرة صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا

التعاون بين الانسان قديم قضت به حاجاته الاجتماعية والعمرانية من أقدم العصور فى أبسط صوره ، فحين كانت الجماعات الانسانية فى أول نشأتها قام التعاون بين الأفراد فى مجال محدود يتناسب مع أساليب العيش الفطرى ودواعى الحياة البسيطة ، فلما اتسع العمران وتعددت المصالح وتنوعت أسباب العيش سايرها التعاون ونما بنموها فتعاونت الأسرة ثم القبيلة إلى أن شمل جماعات الدول واتسع مجاله فتناول الحرب والسلم والمنافع المادية والأدبية من زراعة وتجارة واقتصاد واجتماع وثقافة . وقد كان للتطورات الحديثة الماثلة فى وسائل المواصلات والنقل ، من استخدام السكك الحديدية والبواخر الكبرى والطائرات والسيارات والبرق والأثير ، أثر كبير فى تطور العلاقات بين الامم مما قرب المسافات البعيدة واختصر من الزمن فأصبح الاتصال بين الأمم وتبادل المنافع والافكار سهلا ميسوراً ، واشتبكت المصالح وكثر التنافس بين الأمم حتى لم يعد فى وسع أمة أن تبقى بمعزل عن الحياة الدولية

ولقد اتصلت مصر بهذه الحياة منذ زمن بعيد ، ولكن اتصالها بالامم الاوربية قد أخذ فى النمو والازدياد من عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير مصلح مصر الاول الذى وضع أساس حضارتها الحديثة ، وترسم خطواته أبناؤه وأحفاده العظماء

وقد كانت بريطانيا العظمى احدى الدول التى جرت مصائر الامور بأن تتصل مصر بها أكثر مما اتصلت بغيرها من نصف قرن فتعاونت الامتان تعاوناً تناول كثيراً من شؤونهما الحيوية

وقد كان أجلى مظاهر هذا التعاون فى السنين الاخيرة معاهدة الصداقة والتحالف التى تمت بين الامتين فى سنة ١٩٣٦ ،ومن تحصيل الحاصل أن نتحدث عن فوائد هذه المعاهدة التى قبلتها الجبهة الوطنية والامة ممثلة فى مجلسى نوابها وشيوخها ، ونفذتها الامتان أثناء الحرب الحاضرة تنفيذاً صادقا . ولا ريب انه كان لهذه المعاهدة أثر بعيد فى إيجاد الثقة المتبادلة والتعاون المثمر ، وسيكون لها فى المستقبل أثر أبعد فى تحقيق المصالح المشتركة بين الامتين لا من الوجهة

السياسية فحسب بل من وجوه عدة اقتصادية وثقافية

وقد كان ارتباط الامتين وتعاونهما فى المسائل الاقتصادية قائماً فعلا قبل معاهدة الصداقة التحالف ، فكانت بريطانيا أكبر مشتر للقطن المصرى وهو عماد الثروة الزراعية . وكانت مصر تستورد كثيراً من البضائع والمصنوعات الأنجليزية وللتجارة البريطانية مركز حسن بها

وكان من أثر التعاون الذى نما بين الامتين بعد المعاهدة أن أقدمت بريطانيا على شراء محصول القطن المصرى هذا العام ، فكان لعملها أطيب الاثر عند المصريين الذين لمسوا فيه رهاناً على الفائدة العظيمة التى تنجم عن التعاون معها فى الشدة والرخاء على السواء

وفى مجال الثقافة كان التعاون بين مصر وبريطانيا عظيم الاثر . فقد فتحت مصر للعلماء بوابها فنقبوا عن آثارها القديمة وكشفوا عن حقائق تاريخية كانت مجهولة ووضعوا فى تاريخ مصر القديم المؤلفات النافعة التى أظهرت حضارتها القديمة وفضلها على الانسانية فى العلوم والفنون

وقد ساهمت بريطانيا من جهتها فى نهضة مصر التعليمية . فاللغة الأنجليزية تدرس فيها من خمسين سنة ونيف ، مما يسر لكثير من المصريين أن يتزودوا من أسباب العلوم الحديثة والحضارة الاوربية . وذهبت بعوث شتى الى جامعاتها فنالت حظاً عظيماً من التعليم العالى فى الطب والهندسة والفنون والآداب . وأمدتنا بأساتذتها لتدريس اللغة الأنجليزية فى المدارس والعلوم العالية فى جامعة فؤاد الاول

وقد مكن ذلك للمصريين من أن يتعرفوا الحياة الانجليزية ويتفهموا الروح الأنجليزى ويدرسوا أساليبهم فى التربية والتعليم ، وهى أساليب امتازت ببث روح الاستقلال والاعتماد على النفس فى نفوس الناشئة ، وتهيئة الوسائل التى تكفل لهم اكتشاف حقائق الحياة بأنفسهم وتعودهم مواجهة المشقات والمصاعب فى شجاعة وإقدام

وقد كان لهذا التعاون الثقافى شأن كبير فى تقريب الافهام واتحاد وجهة النظر فى بعض المسائل التى تهم البلدين

هذه نواح من التعاون بين الامتين وما أفادته البلاد منه . وانا لنرجو أن يكون فيه ما يحقق أمانى مصر من استكمال استقلالها ومجدها فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الاول

شريف صبرى

الخلق الرياضي
في الشعب الانجليزي

بقلم حضرة صاحب المعالي أحمد حسنين باشا

رئيس ديوان جلالة الملك

الاخلاق هي الاساس الاول لحياة الفرد ـ الالعاب الرياضية هي طريق رياضة النفس على الاخلاق الكاملة ـ العلم الرياضي الذي ابتكره الانجليز ـ دستور الالعاب الرياضية عندهم ـ شعورهم بتقديس الواجب وتقديرهم لقيمة التبعة ـ خطأ البلاد الاخرى في فهم الالعاب الرياضية عند الانجليز

للانجليز في الأخلاق رأي يكادون ينفردون به ، ومذهب يكاد يكون الطابع البين في حياتهم ، المميز لهم بين سائر الأمم والشعوب . ذلك أن الاخلاق هي الأساس الأول لحياة الفرد ، ومن ثم هي الدعامة الكبرى لكيان المجتمع . ولعل هذه القضية النفسية هي الدين الاجتماعي الذي يؤمن به الانجليز جميعاً ، لا فارق لهم فيه بين ابن المدينة وابن الريف ، ولا خلاف عليه بين ساكن القصر وساكن الكوخ ، ولا تتشعب فيه مذاهب وآراء بين انجليزي وانجليزي ، في أي زمان ولا في أي مكان . ولذلك هم يحلون الأخلاق المحل الأول في اعتباراتهم الخاصة والعامة . ثم يجيء بعد ذلك دور العلم والثقافة والمعارف . وانهم لشديدو التمسك بأهداب هذا الدين الاجتماعي ، حتى أنه ليقضي الموت الادبي الذي يستحيل البعث منه على كل من تسوء سمعته ويتلوث اسمه ويمنى بالانحطاط الخلقي لسبب من الأسباب.

وقد ساهم الانجليز مع غيرهم من أبناء الأمم الغربية المتمدينة ببذل نصيب موفور في إنشاء الكتب التي تبحث في أصول الأخلاق ، وتحدد مقاييسها ، وتتوسل السبل التي تؤدي إلى بثها في النفوس وغرسها في الصدور وتضمن لها التمكن والنمو حتى يتاح للانسانية ـ وهي

سائرة قدماً فى طريق الرقى - أن تزدهر فيها عوامل الخير وتضمحل عوامل الشر بفضل ما يشيع أبناؤها فى جوانبها من رسالات الأخلاق ويشترون من صفات رفيعة ومثل عليا . وقد يكون من السهل أن تضع كتابا فى فن من الفنون ، لكنه من الصعب أن تحقق ما جئت به من نظريات وآراء . ولعله من أصعب الأشياء استحداث الأساليب المجدية لتهذيب الطبائع ، والرياضة على الفضائل ، وتلقين أصول الأخلاق ، لأنها أعباء وفروض وتكاليف يثقل حملها على النفس ، والنفس مجبولة على الأخذ باللين السهل من الاسباب والأشياء

ولما كان الانجليز قوماً ذوى نظر ايجابى ، وفلسفة عملية ، فقد رأوا أن خير طريق وأثمرها يتمرن فيها النشء على التخلق بالاخلاق التى صورتها آدابهم التقليدية ، وأوصت بها مثلهم العليا ، وآمنوا بأنها هى الغذاء الروحى لتكوين الرجل الكامل ، الرجل الذى تودع بين يديه - فى المستقبل - أمانة مصيرها وتبعة وجودها ، الرجل الذى تناهى اليه أحلامها فى المجد والسيادة والعظمة . رأى الانجليز أن أجدى طريقة وأضمنها لرياضة النشء على الصفات الاخلاقية الكاملة هى « ميدان الألعاب الرياضية »

فى هذا الميدان يمتن الخلق ويصقل ، فى هذا الميدان يتعلم النشء جوانب الرجولة الحقة فى الرجل الكامل، ويلقن الصفات الخلقية التى تجدر بأن تكون بعض مقومات الفرد القوى المحترم للامة القوية المحترمة ، فى هذا الميدان وما هو بميدان اللهو المبتذل ، كما لا يزال ينظر اليه كثير من الناس ، يتمرن النشء على ضبط النفس واستعمال الفكر واستخدام الحيلة الشريفة واتزان الاعصاب ومعرفة الطريقة العملية لتنمية قواه المعنوية وتوجيهها الوجهة المثلى، وفى ميدان التهيؤ يروض النشء البرىء نفسه على كبح رغائبه ، والحد من نزواته ، وتحديد غرضه ، والايمان بقيمة الصبر فى أثناء الكفاح والجلد على تحمل المشاق ، والتواضع حين ينتصر ، فلا يزهى بنفسه ولا يغتر . والاعتداد بهذه النفس حتى لا ييأس اذ يغلب ، وحتى يحلم ذلك الحلم الجميل الذهبى بالغد الذى ينتصر فيه ، وتلك هى الطريقة العملية لخلق الأمل وتمجيده . وان شبيبة تلشأ وفى نفوسها الكبيرة أمل كبير لا يمكن أن يعرف لها اليأس سبيلا يوما من الايام . والشباب الآمل عنوان الأمة المفلحة ، والشباب اليائس مظهر الامة الفاشلة . فى هذا الميدان - الشبيه بحقل تدريبى للنفوس والاخلاق - يتعلم النشء الطاعة والنظام والدقة التامة فى التفكير والتنفيذ على السواء ، والتماس النصر الشريف من الطريق الشريف . أجل ، فى هذا الميدان

الرياضي تتأثر النفوس بتلك الفضائل الخلقية جميعاً من غير دراسة مقررة ولا منهج معين فضلا عما يعود على الاجسام من فوائد ، فهى تصح بدناً ، وترشق مظهراً ، وتتناسب أعضاء ، وتستقيم عوداً ، وتتخذ شكلا محبباً مقبولا

اختار الانجليز إذن الألعاب الرياضية سبيلا عملياً لتلقين الاخلاق العالية والسمو بمستوى النشء الروحى والأدبى وجعلوا منها على مر الايام علماً جديداً ، ضمنوه الاصول والقواعد الاخلاقية الرفيعة التى تفعل فعلها السحرى فى نفس الناشىء الصغير ، ولا تزال تنمو بعد ذلك وتزدهر كلما شب وكبر ، حتى إذا صار رجلا ، ورأى نفسه يخوض غمار الحياة عرف كيف يعمل ليعيش محترماً شريفاً ، وكيف يعمل ليجعل من بيئته بيئة محترمة شريفة ، وكيف يعمل ليجعل من بلاده بلاداً محترمة شريفة . وانه لا مناص له عن أن يعمل لكل تلك المثل الرفيعة والغايات العليا . فان ما ألهمه فى ميدان اللعب وهو صغير من أنبل المشاعر وما لقنه من أطهر الصفات لكفيل بأن يدفعه الى ذلك دفعاً باحساس غريزى ان لم يكن عن تفكير وتدبير . كشأنه فى ذلك أيام صباه حين كان يزاول اللعب فى ميادين الرياضة ، إذ كان ينفق ـ أولا ـ كل ما يملك من جهد وحيلة حتى ينتصر فريق فصله ، وكان ينفق ـ ثانياً ـ كل ما يملك من جهد وحيلة لكى ينتصر الفريق الذى يتضمن فصله ! وكان ينفق ـ ثالثاً ـ كل ما يملك من جهد وحيلة لكى ينتصر فريق مدرسته

ليس من عجب إذن اذا كان الانجليزى من أشد الناس إحساساً بقدسية الواجب وتقديراً لقيمة التبعة . فهذا الاحساس القوى والذى يملأ نفسه بواجبه وتبعته فى الظروف الحرجة والمواقف الجسام . كأن يختار مثلا ليمثل بلاده فى شأن حيوى ، أو سياسى هام ، أو ليدافع عن حقوقها ومصالحها ، كأنه جندى باسل أمين ، هذا الاحساس القوى المتسامى النبيل ليس جديداً عليه أو عارضاً له إذ أنه اعتاده منذ زمان . فهو هو بعينه الذى تعود عليه أيام صباه أيام كان يمثل كليته أو جامعته فى ملاعب الرياضة

والحق لقد وفق الانجليز فى ابتكار هذا « العلم الرياضى » ، كما أنهم وفقوا فى طريقة تلقينه أحسن توفيق ، فهو علم سهل المأخذ ، محبب المظهر ، يميل اليه الصبى بفطرته ، وهو يدرك كل فوائده ومزاياه ، من طريق طبيعى لطيف بعيد عن جو الفصل المدرسى ، وما يشعر به التلميذ بين جدرانه من عنت الدرس وجهد التحصيل

يتلخص دستور الالعاب الرياضية عند الانجليز فى كلمتين اثنتين هما : "Fair Play" ولئن لم أخطىء فى ترجمتهما فهما «اللعب العادل» . وقد نستغرب هذا الاصطلاح لاننا لم نألف الاخذ بالمناهج الرياضية ، كما أخذوا هم منذ أجيال عدة ، تلك المناهج التى تؤدى الى التخلق بالاخلاق الفاضلة ، وأكاد أقرر أن حياة الانجليز العملية والاجتماعية إنما تقوم ـ من جميع نواحيها ـ على منطق هذا الاصطلاح الفنى ، و بوحى من معناه الاخلاقى السامى . فاللعب ـ كما هو معروف ـ حركة ، وأداء ، وعمل ، والصفات التى تكون اللاعب الكامل ، هى بعينها الصفات التى تكون الرجل الكامل ، فاللعب ينظم علاقة اللاعب بفريقه ، كما أنه ينظم علاقته بخصمه . وفى ميدان اللعب ينمحى الفرد أمام الفريق ، وينمحى الفريق أمام الغاية الكبرى من اللعب ، ولكن ليس معنى ذلك فناء الشخصيات اللاعبة بل أن معناه تحديد عمل هذه الشخصية ، وتنظيم خطاها ، وتعيين وظيفتها ، فاللعب المنظم يخلق أحسن الفرص ، و يهيء أنسب الظروف لاظهار مقدرة اللاعب، ذلك لانه يجعل عمله ومجهوده مشتبكا اشتباكا وثيقاً مع عمل فريقه ومجهوده ، وفى هذا أيضاً تصوير دقيق لاصدق مظهر من مظاهر التعاون

ونحن فى هذه الحياة التى نسعى فى مناكبها متلمسين سبل العيش فيها على خير ما يكون إنما نستخدم صفات اللاعب ، ونتبع طرائقه فى سبيل تحقيق أغراضه المتشعبة ، ومن هنا كان الانجليزى حين يبلغ أشده ، ويعتمد على ذراعه فى كسب عيشه فى معترك الحياة الصاخب أقرب الناس الى المثال الكامل للرجل الكامل ، لانه يرى نفسه إذ ذاك مزوداً بعدة مستكملة من الاخلاق القويمة عارفا طرق استعمالها حسب الظروف والاحوال لا يعوزه أن يتعلمها من جديد أو أن يلقن مبادئها مرة أخرى لانه سبق أن استقرت أصولها فى نفسه وهو صغير في ملعب المدرسة ومرن عليها ـ الى حد ما ـ مراناً عملياً وهو فى تلك السن المبكرة التى تصلح فيها النفس لتلقى كل درس ، والتأثر بكل عامل والتطبع بما يعرض لها من الصور والاشياء . وما ميادين الحياة إلا ملاعب للرجال . وما الرجال ـ فى الحق ـ الا لاعبون كبار

من أقوال الانجليز فى الدلالة على مدى تقديرهم للروح الرياضى على اعتبار أنها مبعث الاخلاق القويمة فى النفوس ـ وهو قول حق ـ ان معركة « ووترلو » ـ تلك المعركة التى كانت خاتمة حياة نابليون السياسية والحربية ـ قد خيض غمارها على ملاعب ايتون . وهم انما يقصدون بذلك ، الى أن الفضل الاكبر فيها كان للصفات الخلقية المتينة التى كونت

الضباط الانجليز الذين وقفوا فى وجه نابليون وقفة الابطال الشجعان . وهؤلاء الضباط كانوا يوماً من أبناء كلية « ايتون » الذين تلقوا فى ملاعبها وهم أحداث الصفات الاخلاقية العليا للرجل الكامل والاسرار النفسية للبطولة الحقة ، والذين وقفوا بعد أن وكلت اليهم مقاليد الجيش وأودع فى ذممهم شرف انجلترا فى ادراك نصر مظفر رفع من شأن بلادهم وأضفى على العلم الانجليزى عظمة وهيبة

ولقد أخطأت البلاد التى أخذت عن الانجليز حبهم للألعاب الرياضية ومزاولتهم لها على أنها طريقة آلية لتنمية الجسم وتقويته وصقله ، فلم تكن هذه غاية غايات الانجليز منها حين اعتبروها علماً مقدماً على كل علم ، وحين صارت ـ من بعد ـ تقليداً قومياً لها فى أنفس الشعب القيمة الرفيعة والحرمة العزيزة . فقد اصطلح العرف عند أولئك الانجليز على أن النجاح فى الالعاب الرياضية والوصول فيها الى حد البطولة اعا يعوزه ركن من أهم الاركان ليكون ناجحاً معترفاً به ، وذلك هو الركن الاخلاقى . فاذا انتفى هذا العنصر ، أو ضعف فى البطل الرياضى الانجليزى المتفوق ، فقد قل مقياس نجاحه ، وضؤلت قيمته بل قد لا تكون لهذه القيمة شأن ولا خير

ان طالب العلم فى جامعة اكسفورد أو كمبردج ليعتز جد الاعتزاز اذا ما اختارته جامعته لتمثيلها فى لعبة من اللعب الرياضية . وليس من عجب أن يخالجه ـ وهو الذى يمثل نحواً من ثلاثة آلاف طالب أو يزيد ـ شعور خفى ببطولته الرياضية لتفوقه فى هذه اللعبة على أقرانه أجمعين ، لكن هذا الانتخاب الاجماعى لا يكفى لتمتع الطالب بشرف المباراة ، اذا أعوزه جانب ظاهر أو خفى من جوانب الرجولة الحقة ، ولا يتردد المسئولون عن الأمر عن التضحية به ، والتخلية بينه وبين النزول الى ميدان اللعب مهما كان تفوقه الرياضى والثقة التامة بانتصاره

ولعل من المناسب أن أورد هنا قصتين قصيرتين لتوضيح هذه المسألة وبيان خطرها وقيمتها عند القوم ، إحداهما خاصة بعداء عالمى ، والأخرى خاصة بى :

فقد حدث فى مباريات الألعاب الأولمبية بمدينة استكهولم فى سنة ١٩١٦ ، أن كان من بين أفراد فريق للألعاب الرياضية عداء ماهر ملأت شهرته الأسماع وأشهر الصحف لما أبدى فى فنه من تفوق بعد تفوق . وكان مزمعا بالطبع أن تشترك هذه الفرقة فى المباراة الدولية ،

وكان مقدراً كذلك أن يأتى هذا العداء بنتائج ترفع من ذكر فرقته و بلاده على السواء . وكان محتما على أعضاء هذا الفريق أن يكونوا فى مخادعهم فى تمام الساعة العاشرة ليلا ، ولكن اتفق أن تأخر هذا العداء فى إحدى الليالى نصف ساعة عن الموعد المقرر للنوم ، فما كان من رئيس الفرقة الا أن أعاده الى بلاده فوراً على ظهر أول باخرة أبحرت اليها

وقد اتفق أنى لما كنت ملتحقا بالفريق الثانى بكرة القدم بكليتى با كسفورد ، أن استقرت الكرة يوما بين قدمى وأنا قريب من المرمى ، فأوعز الىّ رئيس الفرقة ألا أمس الكرة وأن أدعها لزميلى الذى كان عن يمينى ، فلم أفعل ، وصوبتُ الكرة نحو المرمى ، ولكنها لم تصب الهدف ، وفى أثناء فترة الاستراحة أقبل رئيس الفرقة علىّ ، وأخبرنى بأنى أخطأت فى عدم الاستماع اليه ، ولفتنى الى ألا أخالف أمره مرة أخرى . واتفق – فى أثناء الشوط الثانى – أن استقرت الكرة ثانية بين قدمي فى اللحظة التى كنت أواجه فيها الهدف ، فأوعز الىّ الرئيس – كما فعل أول مرة – أن أتركها لزميلٍ آخر ، فلم أستمع لرأيه وضربت الكرة ضربة موفقة ، فأصابت الهدف ، وفرحت أيما فرح ، وكنت اذ ذاك مرشحا لأن أنتقل من الفريق الثانى الى الفريق الأول للكلية ، وقدرت أنى لاشك مدرك هذه الترقية ، وخاصة بعد أن أصبت الهدف ونصرت فريقى ، ولكن شد ما كان تعجبي واندهاشي حين نادانى الرئيس بعد انتهاء اللعب ، وأخبرنى بأنه يأسف أولا لعدم اطاعتى للأمر فى كلتا الحالين ، و يأسف ثانيا لأن يرى نفسه مضطراً للاستغناء عنى حتى فى الفريق الثانى . فجادلته محتجا بأنى فى المرة الثانية أصبت المرمى ، وكنت السبب فى انتصار الفريق . فقال لى فى صوت هادىء متزن : « قد يكون الانتصار رغبتنا الشديدة فى اللعب ولكن قبل ذلك يجىء النظام »

و بعد ، فهذا بعض آثار الرياضة فى تكوين الخلق الانجليزى ، وصقل نفوس الانجليز ، وتغذية أعصابهم . ولهذا فليس من العجب أن تواجه انجلترا الحرب الحاضرة بمثل ما تواجهها به من ثبات وعزيمة وأمل وثيق فى النصر ، وما الى ذلك من مثل توحى بها أخلاق متسامية ، وتشعها أعصاب من حديد ، ليس من عجب أن تواجه انجلترا الحرب الحاضرة بمثل هذا الروح المبتسم القوى ، وفي نفس أبنائها التراث الأخلاقى الذى ورثته من ميادين الألعاب

أحمد حسنين

الأنجليز والحرب

بقلم الدكتور حافظ عفيفى باشا

الانجليز أمة سلام لا أمة حرب

هذه حقيقة قد تبدو غريبة لبعض الناس ولكن من يقرأ تاريخ انجلترا القديم والحديث بامعان تظهر له هذه الحقيقة واضحة

فالانجليز أمة لا جيش لها . لها أسطول قوى منيع ، ولكن الاساطيل كانت دائما أداة دفاع لا أداة هجوم . وهى لا تصبح أداة هجوم الا اذا كان وراءها جيش كبير تستطيع أن تحميه وأن تنقله الى أى مكان

وليس معنى هذا أن الانجليز يخشون الحرب أو يترددون فى القتال متى أكرهوا عليه . فلقد خاضت انجلترا قديما وحديثا حروبا كثيرة متلاحقة وخرجت من أكثرها منتصرة فى النهاية

خاضت هذه الحروب وهى فى جميع الاحوال على غير استعداد لها

فلقد حاربت أسبانيا يوم كانت أسبانيا أقوى دول أوروبا

وحاربت فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر اللامع

وحاربت فرنسا فى عهد نابليون يوم كان نابليون سيد أوروبا كلها

وحاربت غليوم الثانى

وهى تحارب الآن هتلر وموسولينى

دخلت كل هذه الحروب وهى غير مستعدة لها . فقد حاربت فيها جميعها بجيوش من المتطوعين . كانوا يتطوعون لهذه الحروب بعد اعلانها . وكانوا يدربون والحرب قائمة . وكانت تصنع لهم الآلات الحربية ونار الحرب مشتعلة . وكان أعداؤها فى جميع الاحوال يعلنون عليها الحرب بعد استعدادهم التام لخوض غمارها وبعد اتمامهم جميع التدابير التى تكفل نجاحهم فيها ولذلك كان النصر حليفهم فى أولها كما كانوا يصابون بالفشل والهزيمة فى آخرها

والسبب فى هذا أن الانجليز — كما قدمت — يكرهون الحرب فيعملون كل ما فى استطاعتهم لمنعها . فاذا ما فشلوا وألزموا بها إلزاماً دخلوها مقتنعين بأنهم لا دخل لهم فى اشعال نارها ، وأنه

لا سبيل الى اسماع صوت العقل الى أعدائهم الا بكسب هذه الحرب وانزال الهزيمة بهؤلاء الاعداء

ولذلك فهم بقدر ما يبذلون من جهد لمنع الحرب لا يقفون بعد ذلك عند أى حد من التضحية فى سبيل الغلبة والانتصار

ولقد رأينا بأعيننا الدليل على ما قدمت فى السياسة التى اتبعتها انجلترا مع خصومها الحاليين فى السنوات العشر الاخيرة

فلقد قامت فى هذه المدة بمجهود جبارة فى سبيل نشر السلام ومنع الحرب فى أوروبا بجميع الوسائل

فمنذ سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٦ حاولت محاولات مختلفة لأجل تحديد السلاح فى العالم وأرادت أن تجمع الدول العظمى على تحديد سلاح كل منها الى الحد الذى لا يسمح لها بالاعتداء على الآخرين . وعقدت لذلك مؤتمر تحديد التسليح فى جنيف الذى استمر مجتمع سنوات عديدة دون جدوى ولا فائدة محسوسة

وفى طول هذه المدة قررت الحكومة الانجليزية ـ لتعطى دليلا صادقاً على حسن نيتها ولتضرب مثالا قد يحتذيه غيرها ـ أن تبطل فى هذه الفترة أى بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٦ كل تسليح ، حتى لقد انخفضت ميزانية وزارة البحرية والحربية الى مستواها قبل سنة ١٩١٤ ، وكانت تعلم علم اليقين أن الدول الاخرى مستمرة فى التسلح بخطوات واسعة

وطالما كتب الكتاب الانجليز وخطب خطباؤهم فى مجلس العموم عن الخطر الذى يهدد انجلترا من وراء اتباع هذه السياسة التى لم تبدأ انجلترا بتغييرها الا منذ سنة ١٩٣٦ بعد أن فشل مؤتمر التسلح فشلا ذريعاً ، وبعد أن ذهبت ألمانيا وايطاليا فى سبيل زيادة تسليحهما شوطاً بعيداً

ونحن نعرف جميعاً المجهود الشاق المستمر الذى بذله المستر تشمبرلين لآخر لحظة فى سبيل منع هذه الحرب ، ونعرف كيف فشلت كل هذه المساعى ، وكيف ذهبت كل هذه الجهود أدراج الرياح . ولكننا نعلم أيضاً أن الانجليز دخلوا الحرب هذه المرة وهم مطمئنون أن ساستهم لم يقصروا فى واجبهم من السعى فى منعها كما ثبت لهم أنه لا مفر من خوضهم غمارها

هذا هو السر فيما نراه الآن من تلك المقاومة المجيدة التى يبديها الانجليز فى جزيرتهم وفى كل بحار العالم . وهذا هو السبب الذى يفسر لنا تلك المعجزة ـ معجزة مقاومة انجلترا أمام أعداء يفوقونهم عدة وعدداً

حافظ عفيفى



لأمير الشعراء أحمد شوقي بك

وصف المرحوم أمير الشعراء أحمد بك شوقي

الانجليز وشاعرهم الخالد في هذه القصيدة العصماء

أعلى الممالك ما كرسيه الماء   وما دعامته (١) بالحق شماء
يا جيرة «التمس» حلاكم أبوتكم   ما لم يطوق به الأبناء آباء
ملك يطاول ملك الشمس، عزته   في الغرب باذخة في الشرق قعساء (٢)
تأوي الحقيقة منه والحقوق الى   ركن بناه من الأخلاق بناء
أعلاه بالنظر العالي ونطقه   بحائط الرأي أشياخ أجلاء
وحاطه بالقنا فتيان مملكة   في السلم زهر ربى في الروع أرزاء
يستصرخون ويرجى فضل نجدتهم   كأنهم عرب في الدهر عرباء (٣)
ودولة لا يراها الظن من سعة   ولا وراء مداها فيه علياء
عصماء لا سبب الرحمن مطرح   فيها ولا رحم الانسان قطعاء
تلك «الجزائر» كانت تحتهم ركنا   وراءهن لباغي الصيد عنقاء (٤)
وكان ودهم الصافي ونصرتهم   للمسلمين وراعيهم كما شاءوا

***

دستورهم عجب الدنيا وشاعرهم   يد على خلقه لله بيضاء
ما أنجبت مثل «شكسبير» حاضرة   ولا نمت من كريم الطير غناء (٥)
نالت به وحده «انكلترا» شرفا   ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاء (٦)
لم تكشف النفس لولاه ولا بليت (٧)   لها سرائر لا تحصى وأهواء
شعر من النسق الأعلى يؤيده   من جانب الله إلهام وإيحاء

---

(١) الدعامة أو الدعام: عماد البيت (٢) قعساء: أي ثابتة (٣) العرباء من العرب: الصرحاء الخلص
(٤) طائر معروف الاسم مجهول الجسم (٥) الروضة الكثيرة العشب (٦) الجوزاء: برج في السماء
(٧) امتحنت

من كل بيت كآى الله تسكنه ... حقيقة من خيال الشعر غراء (١)
وكل معنى كعيسى فى محاسنه ... جاءت به من بنات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهر جامعة ... كلاهما فيـــه إضحاك وإبكاء
مهما تمثـــل ترى الدنيا ممثلة ... أو تتل فهى من الانجيل أجزاء

***

يا صاحب العصر الخالى ألا خبر ... عن عالم الموت يرويه الألباء (٢)
أما الحياة فأمر قد وصفت لنا ... فهل لما بعد تمثيل وإدناء (٣)
بمن أماتك قل لى : كيف جمجمة ... غبراء فى ظلمات الأرض جوفاء (٤)
كانت سماء بيان غير مقلعة (٥) ... شؤبوبها (٦) عسل صاف وصهباء
فأصبحت كأصيص (٧) غير مفتقد ... جفتـــه ريحانة للشعر فيحاء
وكيف بات لسان لم يدع غرضاً ... ولم تفته من الباغين عوراء (٨)
عفا فأمسى ذنابى عقرب بليت ... وسمها فى عروق الظلم مشاء
وما الذى صنعت أيدى البلى بيد ... لها الى الغيب بالأقلام إيماء ؟
فى كل أنملة منها اذا انبجست (٩) ... برق ورعد وأرواح وأنواء
أمست من الدود مثل الدود فى جدث ... قفازها فيه حصباء (١٠) وبوغاء (١١)
وأين تحت الثرى قلب جوانبه ... كأنهن لوادى الحق أرجاء ؟
تصغى الى دقه أذن البيان كما ... الى النواقيس للرهبان إصغاء
لئن تمشى البلى تحت التراب به ... لا يؤكل الليث الا وهو أشلاء (١٢)

***

والناس صنفان موتى فى حياتهم ... وآخرون ببطن الأرض أحياء
تأبى المواهب فالأحيـــاء بينهم ... لا يستوون ولا الأموات أكفاء
يا واصف الدم يجري ههنا وهنا ... قم انظر الدم فهو اليوم دأماء (١٣)
لاموك فى جعلك الانسان ذئبَ دم ... واليوم تبدو لهم من ذاك أشياء
وقيل أكثرَ ذكرَ القتل ، ثم أتوا ... ما لم تسعه خيالات وأنباء
كانوا الذئاب وكان الجهل داءهمو ... واليوم علمهمُ الراقى هو الداء

---

(١) ناصعة (٢) الالباء : العقلاء جمع لبيب (٣) أدنى الشيء : قربه اليه (٤) جوفاء فارغة (٥) ذاهبة (٦) شؤبوبها : الشؤبوب الدفعة من المطر (٧) الأصيص : نصف الجرة يزرع فيها الرياحين (٨) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة (٩) انبجس أى انفجرت (١٠) الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة (١١) البوغاء : ماثور من الغبار ودقاق التراب (١٢) أشلاء : واحدها شلو : العضو والجسد من كل شيء (١٣) الدأماء : البحر

لؤم الحياة مشى فى الناس قاطبة كما مشى آدم فيهم وحواء
قم أيد الحق فى الدنيا أليس له كتيبة منك تحت الأرض خرساء
وأين صوت تميد الراسيات له كما تمايد يوم النار سيناء (١)
وأين ماضية فى الظلم قاضية وأين نافذة فى البغى نجلاء
أيترك الأرض جانوها وليس لها صحيفة منك فى الجانين سوداء
تأوى اليها الأيامى (٢) فهى تعزية ويستريح اليتامى فهى تأساء (٣)

ليس عندى غير الدماء . !

« أريد أن اقول لمجلس العموم ـ كما قلت للذين اشتركوا فى هذه الحكومة ـ أن ليس عندى غير الدماء ، والاجهاد ، والعرق المتصبب ، والدموع . . فأمامنا تجربة من اخطر التجارب . وأمامنا شهور عديدة وأيام مديدة كلها كفاح وآلام . .

« ولقد تسألوننى عن برنامجنا السياسى فأقول ان برنامجنا هو مواصلة الحرب فى البحر والبر والهواء ، بكل ما فينا من بسالة وبكل ما يهبنا الله من قوة . مواصلة الحرب ضد استبداد غشوم لاحد لطغيانه فى عالم الظلام ، وهو المثل المفجع للاجرام الانسانى . . هذا هو برنامجنا السياسى . .

« فاذا سألتم عن اغراضنا اجبتكم بكلمة واحدة انها النصر . . النصر بأى ثمن . . النصر برغم كل هذا الارهاب . . النصر مهما يطل طريقه وتكتنفه الصعاب . فبدون هذا النصر لا حياة لنا ولا بقاء . . نعم لا بقاء للامبراطورية البريطانية ، ولا لكل ما تقف الامبراطورية البريطانية رمزا له ومثالا ، ولا لوحى كل هذه القرون ونداءها الازلى بأن الانسانية يجب ان تتابع سيرها نحو اهدافها . .

« ولقد تسلمت زمام الامر بكل انشراح وأمل ، وكلى ثقة بان قضيتنا لن تعدم نصيرا بين الناس ، وأحسبنى الآن محقا فى طلب المعونة منكم جميعا ، لذلك اهيب بكم أن هبوا الى الامام بقوتنا المتحدة ! »

ونستون تشرشل

(١) يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طور سيناء (٢) أيامى : جمع أيم للمرأة التى تفقد زوجها أو الرجل الذى يفقد امرأته (٣) تعزية وتسلية

العاب الانجليز

يكاد الانجليز يحتكرون اختراع اهم الالعاب المنتشرة فى مختلف انحاء العالم . بل من هذه ما لا يذكر الا ويتبادر الى الذهن اصلها الانجليزى . فكرة القدم ، والكريكت ، والتنس ، والملاكمة، والجولف ، والبولو ، والهوكى ، وسباقات الخيل والكلاب والزوارق ، والعاب القوى ، والسباحة وغيرها ، ان لم ترجع فى اصلها الى انجلترا فقد وجدت منها ميدانا تتقدم فيه وتنال اهتمام الجماهير بها . والانجليز شعب رياضى ، يعشق الالعاب الرياضية ويتخذها سبيلا عمليا لتلقين الاخلاق العالية ورياضة النشء على صفات الرجولة الكاملة . فقل ان تجد بين الانجليز من لا يمارس ضربا من ضروب الرياضة أو يهوى مشاهدتها والاهتمام بها

واذا أراد المرء دليلا على ذلك فليتصفح إحدى الجرائد الانجليزية ليجد ان اخبار الالعاب الرياضية والتعليقات عليها وعلى نتائجها تحتل مكانا كبيرا منها قد يزيد فى كثير من الاحيان عن المكان الذى تخصصه الصحف للانباء السياسية أو المحلية

وعلى هذه الصفحة والصفحات الثلاث التالية ننشر بعض انواع الرياضة الذائعة فى انجلترا ، والتى يقبل الانجليز على مشاهدة مبارياتها ويهتمون جد الاهتمام بنتائجها



دحرجة الكرة

هذه لعبة انجليزية قل أن تمارس خارج انجلترا ، وهى لعبة شائعة بين كبار السن من الرجال والسيدات على السواء . وميدان هذه اللعبة فضاء فسيح مستوى السطح مكسو بالعشب الأخضر يقف المتبارون والمتباريات كما ترى فى هذه الصورة ، فى أحد طرفيه ويدحرجون كرات من الخشب المصقول الناعم على العشب

الانجليز في الشرق العربي

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الانجليز حلفاء طبيعيون للشرق العربي ،

لان الشرق العربي حليف طبيعي للانجليز

للشرق العربي غاية واحدة ينبغي أن تتجه اليها شعوبه جميعاً ، وهي الاستقلال في مظهره السياسي ، والاستقلال في مزاياه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

ومهما يكن من بأس الدولة المستقلة فهي لا تستغني عن حليف ، ولن تضمن استقلالها بمفردها في مضطرب المطامع الدولية

والحليف الطبيعي للدولة المستقلة هو الحليف الذي يستطيع أن يحقق مصالحه السياسية والحربية دون أن يضطر الى المساس باستقلالها والعدوان على حريتها

ولا يتوافر هذا الشرط في قوم كما يتوافر في الانجليز

فهم الحلفاء الطبيعيون لبلاد الشرق العربي بأسره ، لأسباب متعددة لا لسبب واحد

فمن تلك الأسباب أنهم يؤمنون بالديمقراطية ومبادىء تقرير المصير خلافاً للدول التي تنكر الديمقراطية حتى على أبناء جنسها ، وتنكر حق الشعوب الصغيرة أو الشعوب العزلاء في تقرير مصيرها

ومن تلك الاسباب أن مصالحهم لا تضطرهم اضطراراً الى استعباد الامم العربية ، ولا توجب عليهم أن يسلبوا خيراتها ويقمعوا أبناءها

ومن تلك الاسباب أنهم فضلا عن ايمانهم بالديمقراطية قد اختبروا في دولتهم الواسعة أساليب التعاون بين الشعوب الحرة على بعد ما يفصلها من فوارق المكان والجنس والعقيدة ، فأصبحوا أقدر من غيرهم على التعاون بينهم و بين الشعوب التي لا تدخل في نطاق تلك الدولة ولا تريد الدخول فيه



الجولف

هى لعبة الطبقة الراقية والمقتدرين ، لما تتطلب من نفقات . ويمارسها الأنجليز رجالا ونساء . ويتطلب الجولف مساحة كبيرة من الأرض لذلك تكثر نواديه فى الريف والضواحى حيث يمكن أن يقوم ناد وسط أرض فسيحة تصلح لهذه اللعبة



الهوكى

وهذه لعبة انجليزية أخرى تجد أنصاراً عديدين ويخصص لها موسم فى كل عام . وتنتشر هذه اللعبة على وجه الخصوص فى المدارس حيث يقبل عليها الفتيان والفتيات.وينقسم اللاعبون إلى فريقين يحاول كل منهما توجيه الكرة إلى داخل شبكة الفريق الآخر



لعبة الرجبى

هى نوع من لعبة كرة القدم . وتختلف فيها الكرة عن الكرة العادية فى الشكل فهى مستطيلة غير منتظمة التكور . وتعد هذه اللعبة من « أخشن » الألعاب الانجليزية إذ يسمح فيها للاعب أن يعوق منافسه القابض على الكرة بيديه أو كتفيه ومحاولة إسقاطه على الأرض وأخذ الكرة منه . وتعد « الرجبى » من أهم الألعاب التى يتتبع الانجليز تتائج مبارياتها باهتمام ، بعد كرة القدم العادية والكريكيت

ومن تلك الأسباب أن مواصلات البحار فى أيديهم ، وأن سكك التجارة ترتبط بتلك المواصلات أيما ارتباط . ولا تتوافر هذه الأسباب كلها ــ وغيرها مما لا حاجة بنا إلى إحصائه ــ كما تتوافر فى الدولة الانجليزية

فالذين يخالفون هذا الرأى عليهم أن يثبتوا أحد شيئين : أولهما أن الشرق العربى يستغنى عن صداقة دولة قوية ، وثانيهما أن هناك صداقة للشرق العربى خيراً من الصداقة الانجليزية عند ما يقع النزاع بين الانجليز وخصومهم المناقضين لهم فى نظم الحكم والاجتماع

فأما أن الشرق العربى يستغنى عن الصداقة الدولية فهذا من لغو الكلام الذى لا يستحق الاطالة فى تفنيده ، لأن ثروة الشرق العربى كلها فى عشرين سنة لا تكفى لتزويده بالسلاح الذى يقف به منفردا فى معترك المطامع السياسية ، ولن تنام المطامع عنه خلال تلك السنين لو صح أنه يستوفى نصيبه من السلاح بعد انقضائها ، وهو مع ذلك فرض غير صحيح

وأما أن هناك صداقة للشرق العربى خيراً من الصداقة الانجليزية فالمفاضلة هنا تقوم بين الانجليز فى جانب ودولة من ثلاث دول فى الجانب الآخر ، وهى روسيا الشيوعية ، والمانيا النازية وايطاليا الفاشية ، وكل هاته الدول لا تترك الشرقيين أحراراً ولا تدارى نية التعرض لهم فى أصول الحكم وعقائد الدين وقواعد الاجتماع ، وهى عدا هذا متنازعة فيما بينها لا يأمن بعضها عادية بعض ولا تستقر هى ولا من يحالفها على حال

وقد يأتى اليوم الذى تهاجم فيه العراق أو ممالك البحر الأحمر أو مصر أو سورية فلا تبالى المانيا ــ مثلا ــ أن تتركها وشأنها ولا ترى ضرورة حيوية تلجئها الى الدفاع عنها ، وربما زادت على ذلك فأخذت أبناء تلك البلاد الى حيث يدفعون الخطر عن أماكن أخرى هى أولى فى نظر الالمان بالصيانة والدفاع ، ولو الى حين

فاذا كنا لا نقول ان الانجليز هم الحلفاء الوحيدون للشرق العربى فليس فى وسعنا أن نجهل أن شروط المحالفة الطبيعية لا تتوافر لأمة أخرى كما تتوافر لهم ، على حسب الأوضاع السياسية والجغرافية التى نشاهدها الآن

فهم فى الشرق العربى حلفاء طبيعيون

وضمان هذا التحالف أنهم يحتاجون الى الشرق العربى كما يحتاج الشرق العربى اليهم ، وأنهم يستفيدون فى هذا المضمار كما يفيدون



كرة القدم

هي ولا شك اللعبة الانجليزية التي تنال أعظم إقبال واهتمام من الجمهور. ويحترف هذه اللعبة عدد كبير من اللاعبين تستخدمهم نوادي الكرة بمرتبات قد تصل إلى ثمانية جنيهات في الاسبوع أو تزيد ، وقد يبيع أحد النوادي لاعبه لناد آخر – أي يقبل نقله اليه – بمبلغ يصل في بعض الاحيان إلى ١٠٠٠٠ جنيه ويبلغ عدد من يشاهد هذه اللعبة في لندن أسبوعيا – بعد ظهر يوم السبت – مئات الالوف ، إذ تحوي العاصمة عدة نواد يؤم كلا منها عشرات الالوف من المشاهدين . ويتراوح أجر الدخول من نصف الشلن (قرشان ونصف) إلى خمسة شلنات (نحو ٢٥ قرشا) في المباريات الاسبوعية . أما مباريات الكأس السنوية فتتضاعف رسوم الدخول كما يتضاعف عدد المشاهدين في ملعب « ومبلي » الذي تقام فيه المباراة النهائية – حيث التقطت هذه الصورة – فيبلغ حوالي ١٥٠٠٠٠ متفرج

لما نشبت الحرب الحاضرة قال بعض الكتاب ان سورية والعراق ومصر تحمى الهند وهو قول صحيح ولكنه شق واحد من قولين صحيحين

أما القول الآخر فهو أن الهند كذلك تحمى تلك البلاد ، وأن الاستعداد لدفع الخطر عن الهند هو الذى أقام حول تلك البلاد قوة يخشاها الطامع المغير ، ولو لم تكن الهند وراء الشرق العربى لوقف الشرق العربى وحده فى وجه المطامع المحدقة بأقوامه ، ولا يقول أحد أنه حين ينفرد بنفسه يكون أقوى على الدفاع مما هو الآن

ويشمل قولنا هذا أمماً أخرى غير الأمم العربية فى الشرق الأدنى : يشمل الترك والفرس والأفغان ، لأنهم يستفيدون من موقع الهند وراءهم كما يفيدونها أو يفيدون معها بريطانيا العظمى ، وليس فى طاقتهم أن يواجهوا التهديد وحدهم اذا هددتهم روسيا أو المانيا ونظروا خلفهم فلم يجدوا هنالك من يحمي ظهورهم ويحرس طريقهم ويبادلهم معونة بمعونة وتشجيعاً بتشجيع

* * *

على أننا لا ننسى الهند ونحن شرقيون نرجو لها الاستقلال والحرية الدستورية ولا نقصر هذا الرجاء على بلادنا العربية

فاذا سأل سائل : ما هو الحائل بين أهل الهند وبين الاستقلال والدستور فمن الواجب أن نستحضر فى أذهاننا العوامل الداخلية كما نستحضر العوامل الخارجية ، أو العوامل التى ترجع إلى وجود الانجليز فى تلك الاقطار

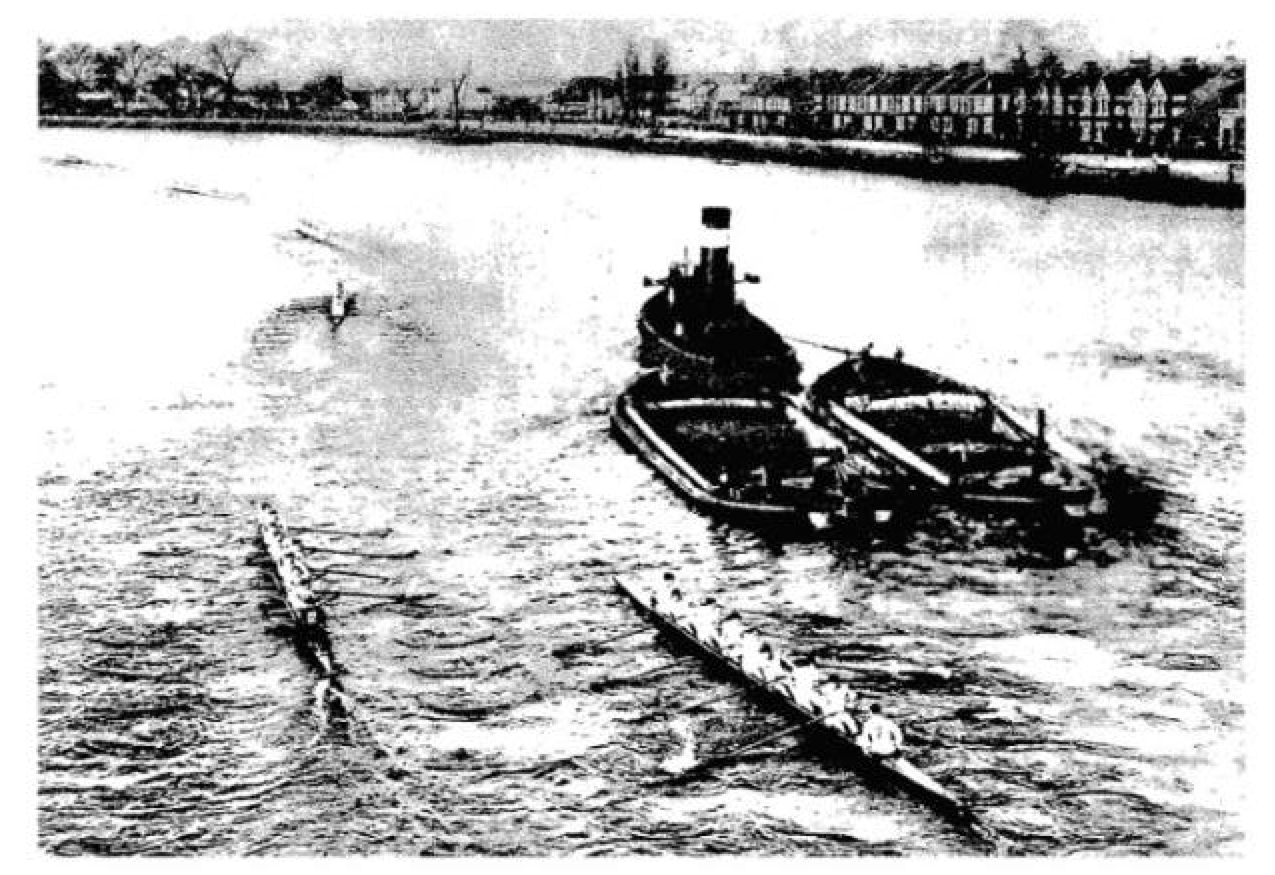
ففى الهند أمراء وطنيون يرفضون أن تخضع أماراتهم لنتيجة الانتخاب الذى يجرى فى الاقطار الهندية بأسرها

وفيها من أربعين الى ستين مليوناً منبوذين مجردين من الكرامة والرعاية لا يروقهم أن يسلموا زمامهم لمن يراهم بحكم عقيدته الدينية نجاسة يعافها ويتقى ملامستها

وفيهم ثمانون مليوناً مسلمون هم الكثرة فى بعض الأقاليم فلا يرضيهم أن يصبحوا قلة ضائعة فى جملة الأقاليم

وفيها أرجاء مترامية لا تربط بينها لغة ولا عقيدة ولا وحدة فى المصالح الزراعية أو الصناعية ، بحيث يجتمع مئات من الهنديين ولا يتفاهمون بلسان هندى واحد ، أو يثوبون الى

سباق الزوارق



التجذيف رياضة محببة إلى نفوس الأنجليز ، وسباقات زوارق التجذيف من المباريات التي يتشوق الجمهور لمشاهدتها . وأشهر السباقات السنوية هو السباق بين فريقى جامعتى اوكسفورد وكامبردج وسباق « الربطة الزرقاء » لبطولة نهر التيمز . ويقام السباق الأول فى نهر التيمز ويشاهده سكان لندن وزائروها وسكان ضواحيها وينقسمون فى هذا اليوم إلى فريقين يحبذ كل منهما فريق إحدى الجامعتين . أما السباق الثانى — ويقام فى نهر التيمز أيضاً — فتشترك فيه عدة فرق كما ترى فى هذه الصورة التى تضم سبع فرق وقد وقفت الجماهير على شاطىء النهر تشاهد السباق

شريعة واحدة فى الزواج والمعاملات ، أو قانون واحد يتكفل بمصلحة أهل الجنوب كما يتكفل بمصلحة أهل الشمال

فليست العوامل الخارجية هى العقبة الأولى والأخيرة فى سبيل الاستقلال والدستور ، ولعلها فى أحوال كثيرة تكبح الشر الذى ينجم عن اصطدام العوامل الداخلية ولا تزال تكبحه حتى يزول أو يستقيم على سنن الوفاق والتوفيق

لهذا وأشباهه أيقنا من اللحظة الأولى عند احتدام النزاع بين الدول أن الأمة الانجليزية هى الحليف الطبيعى للبلاد العربية وللبلاد الشرقية على التعميم

ويوم كانت المسألة قبل النزاع الدولى الحاضر خلافاً بين مصر وبريطانيا العظمى كنا بالبداهة الى جانب مصر حتى اللحظة الأخيرة ، ولم نكن لحظة واحدة الى جانب بريطانيا العظمى

ولكن الخلاف الآن بين بريطانيا العظمى وألمانيا ، أو بين بريطانيا العظمى وايطاليا ، أو بين بريطانيا العظمى وروسيا الحمراء . فن الاساءة الى مصر والشرق العربى أن ننضوى الى النازيين أو الفاشيين أو الشيوعيين . ولم ؟ لم ينضوى الشرق الى تلك الجوانب إلا أن يكون من خدام النازية أو الفاشية أو الشيوعية وليس من خدام الأمم الشرقية ؟

فخصوم الانجليز لا ينشرون الحرية اذا تغلبوا ، ولا يكتمون حاجتهم الى خيرات البلاد الأخرى ، ولا تجمع بينهم وبين العرب مصلحة مشتركة ، ولا يعتبرون الخطر على بلاد العرب خطراً حيوياً على بلادهم ، ولا يعرفون من أساليب التعاون بين الشعوب الحرة ما عرفته الدولة التى يتعاون فيها الكنديون بأمريكا الشمالية ، والبوير بأفريقيا الجنوبية ، وشعوب أستراليا وزيلاندة الجديدة فى بحارهم السحيقة

ومن أجل ذلك يقع التفاضل بينهم وبين الأمة الانجليزية فلا يرجحهم أحد من أبناء الشرق العربى بمرجح صريح معقول ، لأن المرجحات الصريحة المعقولة كلها تناقض هذا الجانب أشد المناقضة

وانما القول الفصل فى هذا الأمر أن الانجليز حلفاء طبيعيون للشرق العربى لأن الشرق العربى حليف طبيعى للانجليز ، فهم يستفيدون من صداقته وهو يستفيد من صداقتهم ، واستقلال بلاده وغرضهم الجوهرى فى السياسة العالمية لا يتعارضان ، وهذا ضمان أوثق من كل ضمان

عباس محمود العقاد

أوجه الشبه وأوجه الخلاف
بين الانجليز والاميركان

بقلم الدكتور أمير بقطر

من المبادىء العلمية المسلم بها أن الناس لا يتكلمون عن أوجه الخلاف بين شيئين ما لم تكن أوجه الشبه بينهما أهم وأبرز ، أو بتعبير آخر ، مالم يكن الشيئان من نوع واحد . فمن الحمق مثلا ان تتكلم عن وجوه الشبه والخلاف بين سكان زنجبار ، وشعب اسوج ، فى حين انه يسوغ لنا البحث عن هذه الوجوه بين أمتى اسوج ونروج أو بين زنجبار وسومطرة . ومن الحمق أن نوازن بين حزب الوفد وجماعة الهلال الاحمر ، فى حين اننا نستطيع ان نوازن بين حزبى الوفد والاحرار الدستوريين ، أو بين جماعتى الهلال والصليب الاحمرين

والانجليز والاميركان مهما تعددت أوجه الخلاف بينهما ، وتباينت أساليب حياتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية ، فانهم انجلوسكسون قبل كل شىء ، بالرغم ممن هاجر الى اميركا من مختلف السلالات والامم . فقد اندمجت هذه الامم دما ومبدأ وثقافة وحياة عامة بالانجلوسكسونية بطريقتين : احداهما بيولوجية وهى ما يسميه علماء الاحياء التمثيل (Assimilation) والاخرى صناعية وهى ما يسمونه هناك (Americanization) ، وذلك بوسائل علمية اجتماعية يسمونها الغلاية (Melting pot) وهو اسم على مسمى حقيقة ، فعلاوة على ان الانجليز والاميركان من سلالة واحدة أو من سلالات متقاربة قد هضمتها السلالة الاصلية فانهما ينطقان بلغة واحدة ، ويعتنقان مبادىء ديمقراطية واحدة ، ويحرصان على مثل عليا واحدة ، ويتغلغل فى دمائهما « البيوريتانزم » ذلك المبدأ الدينى الذى هو أساس الخلق الانجلوسكسونى ودعامة الاسرة والتربية ، حتى بين الذين لا دين لهم فى البلدين

وبالرغم من هذا التقارب الشديد ، فانهما يختلفان فى كثير من أساليب الحياة حتى يخيل الى من لا يعرفهما أن أوجه الشبه بينهما بعيدة أو معدومة . فلا يزال الانجليز يسمون الاميركان « أبناء عمنا الريفيين » ، ولا يزال الاميركان ينظرون الى الانجليز نظرة سيدة حديثة الزى الى سيدة أخرى جليلة القدر ترتدى فستانا يرجع الى عهد فكتوريا أو دكنز . وأحيانا يصعب على الواحد أن يفهم الآخر ، حتى قال ظريف : « ان الانجليز شعب غريب الاطوار يحاول الاميركان فهمه بغير جدوى ، وان الاميركان شعب غريب الاطوار لايحاول الانجليز فهمه بتاتا »

المرح والتفاؤل

وأول ما يبدو من أوجه الخلاف بين الشعبين ما يتصف به الاميركان من المرح والتفاؤل، ويعزى ذلك الى ان الاميركى حديث فى تاريخه ، شاب فى مزاجه ، فتى فى نفسه وروحه، كما ان أميركا فتاة فى تاريخها ونهضتها • وينتج من ذلك ان الاميركى أقل انتقادا للاشياء من الانجليزى • فالاول عند وقوع نظره على شىء جديد أو بلد أو منشآت لم يسبق له عهد بها ، يبحث عما فيها من حسن أو جمال فيمتدحه ، ويبالغ فى التحدث عنه والاعجاب به ، وهو يفعل ذلك عن اخلاص وحسن طوية • أما الثانى فأول ما يبحث عنه فى هذه الاشياء عيوبها ووجوه النقص فيها ، وهو أيضا يفعل ذلك عن اخلاص وحسن طوية • ولست أنسى فى كل مرة رحلت فيها الى أميركا عظم دهشة الاستاذ الذى كان يرافق الطلبة الاجانب فى زيارتهم لاهم المؤسسات الاميركية من ميل هؤلاء الطلبة الى التنقيب عن أتفه العيوب لنقدها أكثر منهم الى الاعجاب بأظهر محاسنها • ومن مظاهر هذه الروح الفتية عند الاميركى انه اذا ارتدى أحدهم زيا مبتكرا ، لا تمضى أيام حتى ترى المصانع قد أخرجت منه الملايين فأقبل الملايين على شرائه ، فى حين ان الانجليزى يبحث عن الزى الذى لم يهتد اليه سواه ، ويتجنب ما أصبح منه متاعا مشاعا بين الجماهير • ومن مظاهر هذه الروح المرحة الفتية ، ان الاميركى رغم انه كالانجليزى صريح يكره اللف والدوران، ويجنح الى التعبير عن رأيه بأسلوب مباشر لا غموض فيه ، فانه رقيق فى تعبيره وأسلوبه، بعكس الانجليزى فانه جاف متجاف ، وذلك لمبالغته فى الحرص على الصراحة وتأدية المعنى بأخصر طريق

وأذكر لذلك مثالين من مشاهداتى • فى آخر مرة كنت فيها فى أميركا بعثت الى أولى الشأن خطابا رجوت فيه مد الفترة التى سمح لى البقاء فيها هناك ستة أشهر أخرى ، فجاءنى كتاب رقيق بالايجاب ، وقد ختم بهذه العبارة •• « ونرجو لكم رغد العيش وطيب الاقامة فى خلال غربتكم القصيرة فى بلادنا •• » • وفى أوائل سنة ١٩٣٩ بعثت بمثل هذا الرجاء الى أولى الامر فى انجلترا فجاءنى الجواب المستقيم فى سطرين وهما حرفيا كالآتى : « ان وزير الدولة لا يرغب فى الاعتراض على مد أجل اقامتكم الخ » • وقد ذكرنى هذا الخطاب بخطاب كنت بعثت به الى ناظر مدرسة ثانوية منذ سنوات ، أسأله فيه عن درجات أحد الطلبة فجاءنى الرد التالى : « بالاشارة الى خطابكم •• نفيدكم ان الدرجات أرسلت لوالد الطالب المذكور •• » وليس ثمة من شك ان هذه الخشونة فى التعبير لا تنم عن سوء نية ، انما هى « بيروقراطية » أمينة مخلصة للتقاليد لا غير • والمثال الثانى ان الانجليز يقسون على الجمهور فى الحدائق العامة بقولهم « وكل من يقطف الزهور يقع تحت طائلة المحاكمة » فى حين ان الاميركان يتكلمون بلغة الزهور فيضعون لوحة وسط الزهور عليها هذه العبارة : « نريد أن نعيش أو نرجو أن تبقوا على حياتنا » •

وتتجلى هذه الروح الفنية فى القرى التى تنشأ حديثا ، حيث تقرأ فى طرق السيارات البديعة التى تؤدى إلى هذه القرى هذه العبارة « مرحى مرحى • أنظروا كيف تنمو » وعند خروج السيارات من القرية تقرأ هذه العبارة على لوحة كبيرة الحجم « كرروا الزيارة لبلدتنا »

التحدث عن البارزين

وهناك ظاهرة يتفق فيها الانجليز والاميركان بين عامة الشعب وحديثى النعمة منهم ، وهى الثرثرة (Gossip) أو التحدث عن البارزين من الرجال والنساء وحياتهم الاجتماعية، العامة والخاصة ، عن زواجهم وطلاقهم وغرامهم والجنايات التى تمت بصلة اليهم ، ويقرأون ذلك فى الصحف والمجلات ، وعلى الاخص « الصفراء »(١) أو نصف المحترمة منها ، كنيوز أوف ذى ورلد ، وديلى مرور فى انجلترا ، وديلى نيوز وبالى هو فى أميركا ؛ ففى هذه الصحف والمجلات وأمثالها يقبل عامة الشعب على كل ما يكتب عن الارستقراط من الفضائح ويلتهمونه التهاما ، كما يقبلون على الاخبار المتصلة بالمسائل الجنسية والحوادث النسائية • ولا شك ان هذه الظاهرة عامة فى جميع البلدان ، ومنها مصر فى السنوات الاخيرة ، اذ ان هذه نتيجة طبيعية للغرائز الاساسية التى لم تصقلها التربية بعد الا فى حدود ضيقة • على ان هذه الظاهرة أبرز منها فى انجلترا وأميركا منها فى أى بلد آخر ، حتى فى فرنسا ، اذ ان هذه الاخيرة لا تتمادى فى تتبع الحوادث الجارية بين كبار الرجال والنساء ، فى الصحف والمجلات ، ولكنها تعالج المسائل الجنسية معالجة غير علمية تثير الشهوات (Erotic) كموضوعات قائمة بذاتها ، لا اتصال لها بأشخاص معلومين

بيد ان هناك فرقا كبيرا بين الانجليز والاميركان فى هذا الشأن • فالاميركى يقرأ هذه الاشياء ، وينقلها الى أصدقائه كأنها دراما أو كوميديا أو حلم أو خيال • فقد تستمع سيدة أميركية الى خبر من هذه الاخبار يقصه عليها السائق ، ولا يعنى بصحته أو عدم صحته ، اذ ان كلا منهما متفرج لا غير • فحكاية الطلاق التى ترويها صحيفة « صفراء » عن أحد أصحاب الملايين الذى هام بكوكب من كواكب هوليود فتزوج منها ثم طلقها ، أو قتلها رميا بالرصاص لعلاقة بينها وبين المخرج ـ هذه الاحدوثة بجميع مفاجآتها عند الاميركى كأحدوثة جيش من المريخ يحتمل أن يغزو أميركا سواء بسواء • أما الانجليزى فينظر الى هذه الاخبار والاحاديث نظرة جدية ، ولكنه اذا قابل صاحب الفضيحة يتظاهر انه لم يسمع عنها شيئا ، وذلك على النقيض من الاميركى • وقد يدهش القارىء كيف ان أمة راقية يعنى أهلوها بمثل هذه السفاسف • والجواب بسيط جدا ، ما الذى يهم تلك الفتاة الشقراء التى تهرع الى صالون التجميل من تلك العناوين الضخمة التى تملأ

(١) الجرائد « الصفراء » فى عرف الانجليز والاميركان هى التى تعنى بالاجرام والحوادث الجنسية والتحدث بالتفصيل عن الطبقات الارستقراطية وحياتهم الخاصة ، ونبش الاحاديث المتصلة بالاعراض

الصحف المحترمة عن وصول أمبراطور كمبوديا الى بورت سعيد أو تحالف العراق مع ايران ، وهي لا تدرى ، ولا يهمها أن تدرى مواقع هذه البلاد على الخريطة ؟

الدين أساس المعاملات

ويتفق الاميركان والانجليز في جعل الدين أساسا لمعاملاتهم وحياتهم اليومية كما قلنا ، وان كانوا ممن لا تطأ أقدامهم كنيسة ، أو لا ينتمون الى أى مذهب من المذاهب . وفي هذا كله تناقض غريب أسوة بجميع البلدان في العالم . فالاميركي ديمقراطي ، ومع ذلك يبهره أن يتعرف الى أوربي يحمل لقب « دوق » أو « كونت » أو « أمير » . والمبادىء الدينية لا تتفق والتحدث عن المسائل الجنسية . ومن المعلوم ان الديمقراطية في انجلترا سياسية أكثر منها اجتماعية ، في حين انها في أميركا سياسية واجتماعية معا . فليس من الغرابة في شيء أن يكون للارستقراطية والالقاب الضخمة أهمية في انجلترا ، ولكن من المتناقضات أن يولع بها الاميركي . ففي كل عام يسافر الى انجلترا عدد يذكر من أغنياء أميركا خصوصا حديثي النعمة ويتوسلون بأموالهم الى سيدة كبيرة حتى تتمكن بناتهن العذارى بوساطة هذه السيدة من التشرف بمقابلة جلالة الملكة فيطلق عليهن اسم (١) (Debutante) وهو أخص ما تتمناه الفتاة في حياتها . وكثيرا ما تشير المجلات الثرثارة الى مثل هذه الحوادث في عبارات تهكمية مضحكة لاذعة . وقد قرأت من هذا القبيل مرة ان مستر فلان تاجر السمك الثرى المعروف ، أولم وليمة فاخرة دامت الى صباح اليوم التالى وتدفقت فيها الشمبانيا من زجاجاتها كأنها شلالات نياغرا ، ودعى اليها كبار رجال المفوضيات الدبلوماسية وفي مقدمتهم سفراء سيام وزنجبار وكوردوفان ونيام نيام وأتيوبياء وأذكر رسما مضحكا لاحد القديسين يضع يده على ساق كونتيس عارية ، وأحد عامة الشعب يقول له غاضبا : « ابعد يدك عن ساق هذه الكونتيسة الجميلة » وقد أشير في هذا الرسم الى ثلاثة أشياء اشتهر بها العامة من الاميركان وهي الدين (في القديس) ، والالقاب (في الكونتيس) والمسائل الجنسية (...) . وقد اكتشف اللورد نورثكليف في انجلترا هذه الظاهرة فجعل كل جرائده لذوى العقول البسيطة ما عدا لندن تيمس ، وكذلك فعل هرست في أميركا وصحفه يقرؤها واحد من كل أربعة من السكان

المبالغة في النظام

ومن أوجه الخلاف بين الانجليز والاميركان ، المبالغة في الدقة فيما يتعلق بالنظام

(١) في يوم معلوم تحدده ملكة انجلترا تقدم اليها بنات الاشراف في سن الزواج (من ١٨ سنة) ويطلق على من تنال هذا الشرف العظيم اسم (Debutante) ولا تستطيع تقديمها الا سيدة سبق أن نالت هذا الشرف في صباها . وتتهافت الصحف والمجلات على رسم هؤلاء الفتيات بثيابهن الفاخرة كل عام

والتنظيم عند الاميركيين ، حتى اذا أقيمت حفلة أو وليمة استعدوا لها استعدادا كاملا ، وسبقوا فيها الحوادث فعنوا فيها بكل صغيرة وكبيرة ، بتعيين لجنة لها رئيس وأعضاء لتزيين المكان ، وأخرى لاعداد السندويتش والحلوى أو قائمة الطعام ، وأخرى لتذاكر الدعوة ، وغيرها للاستقبال ، الخ الخ بحيث لا يتركون شاردة أو واردة للصدفة ، فتسير الحفلة أو الوليمة سيرا ذاتيا « أوتوماتيك » تتجلى فيه روعة النظام والتنظيم • أما الانجليز فيعيبون ذلك الخلق أو هذه الخطة لانها لا تحسب حسابا للذكاء ، وتفرض ان البشر آلات مسخرة لا تسير الا بمحركات • وهذا ما يفسر لنا عدم الاستعداد للحرب وسبق الحوادث باعداد العدة لها ، اذ ان من مبادئهم المشهورة « لنعبر القنطرة عندما نأتى اليها » ، اعتمادا على ذكائهم ووثوقا بذواتهم ، نرى هذه الظاهرة جليا فى حفلات الفريقين وولائمهم ولانستطيع ايثار هذه على تلك ، اذ ان لكل منها محاسنها وعيوبها • ومن الحفلات الرائعة التى لن أنسى وصفها فى الصحف الاميركية ، وليمة أقيمت لولى عهد انجلترا (قبل أن يتولى الملك بقليل وهو الذى تنازل عن العرش لاخيه الملك الحالى) فى جزيرة جميكا المتصلة بنيويورك وقد بلغت نفقاتها مليون دولار وحضرها أكثر من عشرة آلاف ، ولكن الحوادث جرت فيها بسهولة كأن العدد لم يتجاوز العشرة ، وقد مثل فيها بطريقة فنية كهربائية شروق الشمس بعد نصف الليل فخيل الى الحاضرين ان الشمس أشرقت حقيقة• وبمناسبة هذه الوليمة أقول انه تأسس على أثرها ناد فى نيويورك أطلق عليه اسم « نادى الذين هزوا أيديهم بيد البرنس أوف ويلز » ولا يقبل فيه الا هؤلاء • وهذا دليل آخر على ما أشرت اليه سابقا من حب الالقاب

الامتزاج الاجتماعى

ومن أهم أوجه الخلاف المعروفة بين الانجليزى والاميركى ، ان الاول لا يسهل عليه الامتزاج بالناس اجتماعيا كالاميركي ومن الامثال المعروفة ان كل انجليزى جزيرة قائمة بذاتها كما ان بريطانيا جزيرة قائمة بذاتها • ولعل هذا هو السر فى ان الاميركى أكثر تفاؤلا من الانجليزى • فالطالب الاميركى اذا فشل فى الامتحان لا تجد على وجهه أثرا للكآبة أو الانفعال ، فالامتحان عنده كلعبة « البردج » أو كرة القدم ، اذا خسرها اليوم فلا بد أن يربحها غدا • وما يقال عن الطالب يقال عن التاجر الذى يخسر أو يفلس ، فانه يقابل ذلك بابتسامة عريضة لانه شديد التفاؤل والوثوق بالنفس بيد ان كلا من الانجليزى والاميركى مبذر ، مسرف ، مولع بالرياضة والرقص والسينما والمسرح الى درجة الجنون • ولكنه لا يفعل ذلك لمجرد اللهو أو قتل الوقت ، وانما لانه يجد فى الاولى تقوية للبدن وفى الثانية ضرورة اجتماعية وفى غير ذلك تهذيب وترويح للنفس • فتجد رجل العمل من كبار الاميركيين مثلا يحاسب الناس بكل دقيقة من وقته ، ويحرص على الزمن حرصه على المال ، ويركب القطار الارضى الذى يقف على يمين الرصيف لانه

سريع « اكسبريس » ثم ينزل منه بعد دقائق ويأخذ القطار الذى على اليسار وتسأله عن السبب فيقول لك انه بهذه العملية قد وفر دقيقة واحدة • ومع ذلك فانه وهو جالس فى مكتبه يملى الرسائل على سكرتيرة على اليمين وأخرى على اليسار ويتحدث بايجاز مخل وسرعة فائقة الى من يطلبه فى أجهزة التليفون الاربعة التى أمامه ، فانك تسمعه فجأة يقول لمحدثيه فى الجهة الاخرى من الخط : « جولف ، نعم لنلعب من ٤ الى ٧ مساء ولنتناول العشاء فى فندق « ولدورف » ولنرقص فى حفلة جونستون » ، وبذلك يوفر دقائقه ويشتغل كالمجنون ، ولكنه يبذر الساعات فى اللعب واللهو

أمن الغريب اذن أن نجد الرواية الواحدة تمثل سنوات فى أميركا وانجلترا ، وان يؤم السينما من الانجليز كل أسبوع فى لندن وحدها ستة ملايين ويؤم المسارح نصف مليون وأن يكون الحال كذلك فى نيويورك مضروبا فى رقم لا أذكره الآن بالضبط ؟

جنون السرعة

وجنون السرعة الذى أومأت اليه فى الفقرة السابقة ظاهرة يشاهدها السائح فى شمالى أوربا ، ولذا يدهش سكان تلك الانحاء من البطء فى مصر فى السير والبيع والشراء ، ويقولون ان المصرى حتى من الطبقة المثقفة يسير فى الشارع وهو يجر نفسه جرا فلا تدرى أهو يقصد مكانا معلوما أو يتلكأ على غير هدى للنزهة • الا ان السرعة فى اميركا يخيل الى من لا يعرف تلك البلاد انها جنون لا شك فيه • فسائق الترام (وهو الكمسارى فى الوقت عينه) تراه وهو منهمك فى وقف العربة وفتح الابواب « اتوماتيكيا » ، يراك تخرج ريالا من جيبك لتدفع قرشا ثمن التذكرة وانت واقف على الرصيف ، فيخرج من صندوقه الباقى بسرعة البرق ، فلا تكاد تطأ قدمك السلم حتى يكون الباقى فى يدك من غير انذار • واذا تأخرت لحظة كما فعلت أنا المرة الاولى ، دفعك الى الداخل ، اذ أن وراءك طابور يتأهب للركوب

وباعة الجرائد فى الشوارع يدفعون الجريدة تحت ابطك بينما تكون يدك اليمنى فى جيب السترة (شتاء) واليسرى تقذف الثمن قذفا ، وويل لك اذا لم تراع السرعة المعهودة

والانجليزى لا يقضى وقتا طويلا فى تناول طعام الغداء لانه يريد العودة الى عمله بسرعة ، الا ان الاميركى يفوقه فى ذلك بمراحل ، اذ يوجد بالمطاعم التى من نوع « الاميركان » كجروبى فى مصر وعليها لوحات بخط بارز بها « الاكلة فى دقيقة » • وكل هذا ناتج عن خوفهم من ضياع الزمن ، وحرص يقرب للهستريا • أضرب لذلك مثلا ، وهو اننى كنت ارافق زملائى فى الجامعة الى أحد هذه المطاعم الصغيرة للغداء ، وبعد ذلك نجد أنه لم يبق على المحاضرة سوى خمس دقائق ، كنت أوثر ان أجلس فى خلالها فى قاعة المحاضرة الى ان تفوت هذه الفترة القصيرة • غير أن الطلبة يهرعون الى المصعد الى الطبقة العاشرة فيأخذون كتابا من الرفوف المفتوحة ويجلسون لتصفح ما تيسر منها ثم

يعودون الى المصعد فيهبطون الى الطبقة التي بها غرفة المحاضرة ..

ودعيت مرة الى حفلة مسائية بالملابس الرسمية فوقفت فى طريقى الى هناك على باب « المكوجى » الذى كان يتعهد ملابسى بالغسل والكى ورجوته ان يكوى لى منديلا حريريا ابيض حالا ، فرفض ذلك رفضا باتا بدعوى ان الموظفين المختصين بكى المناديل قد انتهوا من العمل وخرجوا ، وعبثا حاولت ان يقوم بهذه المهمة الموظفون الباقون لانهم مختصون بكى القمصان فقط

أفعل التفضيل

والاميركى أشد شغفا بأفعل التفضيل من الانجليزى فهو يعنى بأن يكون فى اميركا أعلى ناطحة سحاب فى العالم ، وأوسع طريق للسيارات واطوله ، وأسرع طيارة ، وأغنى رجل ، وأكثر الكواكب شهرة ، وامتن قاطرة ، واكثر الاشياء فخامة . فالمعاهد العلمية الاميركية من المدارس الاولية الى الجامعة أكثر فخامة فى المعمار والاثاث ، وأكثر عددا فى المكتبات وعدد الكتب ، منها فى انجلترا . والصحف فى لندن تمتاز بالتواضع والبساطة فجميعها تقريبا فى فليت ستريت ومنعطفاتها ، وجميع البنايات فى هذا الشارع بعيدة عن الفخامة اذا استثنينا بناء « ديلى اكسبرس » أما التيمس فتوجد بالقرب من شارع فكتوريا . وفى غير الفخامة يمكن ان يقال ان أردأ صحيفة اميركية أشد رداءة من أردأ صحيفة انجليزية ، الا أن افضل صحيفة اميركية أحسن من أحسن صحيفة انجليزية . ومن الغريب ان لندن تيمس تشبه نيويورك تيمس كل الشبه تقريبا اذ ان كلا منهما مرآة الحكومة المركزية ، وكلا منهما تقرأ على مائدة الافطار ، على ان الاميركى يقرأ جريدته فى خلال الاكل حرصا على الزمن ، وصحيفة نيويورك تيمس تبلغ ١٤٠ صفحة فى اليوم العادى و٢٥٠ صفحة يوم الاحد

اللامركزية

ولعل الانجليزى أشد اختلافا عن الاميركى فيما هو أشد تشابها به ، وأعنى بهذا « اللامركزية » وتعدد القوانين بتعدد الولايات ، والحرية فى كل ولاية او مقاطعة . فهذه الحرية وتلك المركزية تحدها سلطة الحكومة المركزية بعض الشىء فى انجلترا ، ولكنها تكاد تكون مطلقة فى اميركا . فاذا كثرت العصابات المسلحة لسرقة البنوك فى نيويورك عجزت حكومة واشنطون عن التدخل فى امرها لان ولاية نيويورك ترجع فى شئونها الى مجلس تلك الولاية وحاكمها العام ومركزه فى عاصمة هذه الولاية وهى بلدة صغيرة اسمها (Albany) . والتعليم لا يمكن توحيده فى جميع الولايات التسع والاربعين فى اميركا ، لانه لا يوجد وزير للمعارف ولا وزارة ، ولذلك اذا سأل القارىء عن نظام التعليم هناك أجيب انه يوجد نحو ١٥ الف نظام ، وهذا عدد الوحدات الصغيرة التى تتألف منها

كل ولاية ومقاطعة • والتدخل الوحيد الذى للسلطة المركزية فى واشنطون الحق فيه (غير السياسة الخارجية) هو انه اذا صدر حكم نهائى فى قضية ما فى احدى الولايات وكان هذا الحكم مخالفا للدستور جاز عرضه على محكمة الاستئناف العليا فى واشنطون اذا طلب ذلك أحد الخصمين • وينتج عن ذلك ان الاميركان أشد ولعا بكثرة القوانين كما انهم أشد شغفا بكسرها ، ويرجع هذا الولع الى المبالغة فى التنظيم الذى سبق فأومأنا اليه ، مثال ذلك ان حكومة احدى المقاطعات تحدد طول الرقعة البيضاء التى تغطى بها الاسرة فى الفنادق ، وتضطر سائق السيارة ان يقف وقوفا تاما عند كل تقاطع للسكك الحديدية ينظر يمينا ثم يسارا ثم يحرك محرك السيارة ويستأنف السير ، وان كان موقنا انه لاتوجد قطارات فى تلك الساعة أو بعدها بساعات ، وعلى سائق السيارة ان يسير بسرعة معلومة فى ولاية ، على ان يغير هذه السرعة كلما مر بأخرى ، لان لكل ولاية قوانينها الخاصة

وقد بنى أحدهم مرة بطريق الصدفة منزلا فى زاوية بحيث تقع بعض النوافذ فيه على ولاية والبعض على ولاية ثانية وأخرى على ثالثة ، فكان كلما ارتكب أحد ابنائه مخالفة ، كالقاء أوراق أو صيد عصفور ، حوكم بمقتضى قوانين كل ولاية على حدتها ، ويحدث ان كل ولاية تدعى اختصاصها فيحدث تناقض فى الاحكام ، ويرفع النزاع الى المحكمة العليا حتى تقرر هذه اذا كانت المحكمة المختصة هى التى أطلق منها العيار ، أو التى وقع فيها العصفور • ومن القوانين المضحكة التى صدرت مرة فى احدى الولايات انه اذا التقى قطاران للسكة الحديدية ، وجب أن يقفا وقوفا تاما ، ولا يجوز لاحدهما أن يشرع فى القيام قبل قيام الثانى (ويرى القارىء ان الجزء الاخير مستحيل تنفيذه) • ومن أغرب قوانين ولاية كنزاس ان من يتسبب فى حادثة سيارة توضع صورته وصورة سيارته أمام السيارة المهشمة ومن قتل أو جرح فيها ثم توضع هذه الصور فى قاعة خاصة أقاموها لهذا الغرض اسمها قاعة الخزى « Hall of Shame »

التربية والتعليم

ولا يتسع المقام للكلام عن التربية والتعليم بتفصيل ، الا اننى استطيع ان اقول بايجاز ان وجه الاتفاق فى البلدين ان كلا منهما يضع التربية الخلقية فى مقدمة كل شىء • فالادارة المدرسية والبنايات والمناهج وأساليب التدريس وهيئات التدريس كلها ترمى الى هذه الغاية قبل كل شىء • على ان هذه العناية لا يقصد بها تدريس علم الاخلاق وحسب ، اذ ان الكثير من معاهد التعليم لا توجد بها مادة دراسية تسمى الاخلاق ، ولكن المقصود مراعاة المبادىء الاخلاقية من جميع النواحى المدرسية والادارية • والاساتذة هم عادة المثل التى يحتذى بها

أما وجوه الخلاف فكثيرة • منها انه لا يوجد فى اميركا نظام موحد كما ذكرنا بل آلاف من الانظمة ، وان كان لا ينقصها التجانس فى القواعد الاساسية • ومنها ان التعليم

الابتدائى والثانوى والعالى فى اميركا مفتوحة أبوابه لمن يريد ولمن تمكنه قدرته الذهنية فى حين ان فى انجلترا لا ينطبق هذا القول الا على التعليم الابتدائى ـ اذا استثنينا المنح العلمية التى يجعلها الانجليز فى متناول الفائقين من الطلبة • ففى اميركا يوجد ٥ ملايين طالب فى مرحلة التعليم الثانوى وحده ، أى ثلاثة امثال انجلترا بنسبة عدد السكان • وقد يدهش القارىء اذا علم ان هذا العدد يساوى مجموع طلبة المدارس الثانوية فى العالم بأسره • وكذا التعليم الجامعى فانه يوجد طالب جامعى لكل ١٢٥ فرد فى أميركا فى مقابل ١ الى ٦٠٠ فى انجلترا • وفى حين ان المدارس المخصصة للاشراف فى انجلترا كايتون وهرو هى فخر الانجليز ، فان مثلها فى أميركا عرضة لشديد النقد لانها لا تتفق ومبادىء الديمقراطية

وتعليم المرأة فى اميركا يكاد يعادل تعليم الرجل ، بل ان عدد البنات فى المدارس الثانوية يزيد على عدد البنين ، وقد كان عدد الاناث فى جامعة كلومبيا فى نيويورك ٢٥ الفا مقابل ٢٠ ألفا فقط من الذكور فى آخر سنة كنت بها • وهذا القول لا ينطبق على انجلترا أو أية بلاد أخرى الا فى مرحلة التعليم الابتدائى

ومن اوجه الخلاف ان المناهج فى اميركا مرنة فيستطيع الطالب ان يختار منها المواد او المجموعات التى تتفق وميوله وكفايته كما يراها الخبراء ولذا يقال ان المناهج فى انجلترا كالمطاعم التى تقدم للآكلين (Table d'hôte) فى حين انها فى أميركا كالتى تقدم (A la carte) ومنها ان الاميركيين مولعون بالتجارب والانظمة الجديدة والتغيير فى الاساليب والمناهج ولذا يطلقون على المناهج الاميركية (Loose-leaf) اشارة الى الكراسة التى تستطيع ان تخرج منها ما تريد من الاوراق وتستعيضها بغيرها بدون اتلاف الكراسة • أما فى انجلترا فلا يؤخذ بنظام الا بعد ان يثبت نجاحه فى بلاد أخرى بعدة سنوات

والتعليم فى أميركا عملى كما يتضح مما يأتى : اذا أراد أحدهم التقدم لعمل أو وظيفة يسأل فى فرنسا : « ما هى شهاداتك ؟ » وفى المانيا : «ما هى معلوماتك ؟» وفى انجلترا : « ما هى الاخلاق والاوصاف التى تمتاز بها ؟ » وفى اميركا : « ماذا تستطيع ان تعمل ؟» وتظهر هذه الفروق فى الاعمال التجارية فاذا أراد « قومسيونجى » فى انجلترا ان يعلن عن نوع من الاحذية عند التجار بادر التاجر بقوله ان المصنع الذى يتولى اخراج هذا الحذاء تأسس منذ مئتى عام ، اما فى اميركا فى هذه الحالة فيخرج حذاء مقطوعا الى شطرين استدلالا على متانة المواد المصنوع منها

والاميركى يخالف الانجليزى فى انه ينظر الى الرياضة نظرة جدية فيهمه ان يتغلب على خصمه وعشرات الالوف من المتفرجين يهمهم ان يروا أحد الفريقين منتصرا • وحدث مرة ان الحكم قرر ان اللعب سجال فرموه بزجاجات الكازوزا • أما الانجليزى فينظر اليها كرياضة للجسم والنفس والاخلاق غالبا أو مغلوبا

امير بقطر

هذا بحث مفيد وطريف وهو يحلل أخلاق الأنجليز ومزاياهم وحياتهم الاجتماعية بطريقة مبتكرة ، فقد اخترنا طائفة من نوابغ المصريين الذين تثقفوا بالثقافة الانجليزية ، وخالطوا الانجليز فى بلادهم ليتحدثوا عن حياة هذا الشعب الديمقراطى العريق ، وعما استفادوه منه . وفى كلمة كل منهم لون خاص من ألوان التحليل ، وأسلوب ممتاز جديد

ماذا أفدت من الانجليز

للاساتذة : محمد كامل سليم بك ـ الدكتور احمد زكى بك ـ الدكتور ابراهيم رشاد بك ـ الاستاذ أمين كحيل بك ـ محمود تيمور بك

كلمة محمد كامل سليم بك

السكرتير العام لمجلس الوزراء

« . . حياتى فى نواحيها الثلاث قد استفادت اعظم فائدة ، وتأثرت أبلغ التأثر بفضل الثقافة الانجليزية ومخالطة الانجليز فى بلادهم وخارج بلادهم . . »

فى طليعة ما أفدته من حياتى بين الانجليز ألا يتحدث الانسان عن نفسه ولا عن شؤونه الخاصة . ذلك لانه ان فعل وقع فى أحد محظورين : اما أن يمدح نفسه ويعلى شأنه عن مستواه الحقيقى ، فيثقل ظله على السامعين . واما أن يقدح فى نفسه ويكشف عيوبها ، فتهوى مكانته وهو يرجو النصفة والاحترام بين الناس أجمعين . والآن تطالبنى مجلة الهلال بأن أجرى الحديث فى هذه الدائرة المحرمة . فماذا عسانى أن أفعل ؟ كانت الاستجابة الاولى من ناحيتى أدنى الى الاحجام والاعتذار منها الى الاقدام والقبول ، ولكنى عدت الى نفسى أسائلها : ألا من سبيل ؟ أليس فى طريقة العرض وأسلوبه ما قد يخفف وقعه فى النفس فيسلم الكاتب من المحظورين ؟ بلى ، ولكل مجتهد نصيب . اذن فلأكتب وأمرى لله . فقد يكون فى الكتابة بعض الفائدة لبعض القارئين

حياة الانسان ذات نواح شتى أهمها ثلاث : الناحية الجسمانية ، والناحية العقلية ، والناحية النفسية . اذا نمت هذه النواحى ونضجت وانتظمت جرت الامور فيها مجرى الطبيعة السليمة ، والفهم المستقيم ، والأداء الحسن ، وعاش صاحبها عيشة حافلة كاملة ، واذا اختلت احداها فلم تنضج ولم تنتظم اضطرب باقيها ، وتعثر صاحبها ، وكانت حياته عرجاء شوهاء ، لا متعة فيها ولا استقرار

نمو الجسم ونضجه : من شأن الطبيعة وفعل الايام والاعوام

ونمو العقل ونضجه : من شأن المعلم والمؤلف وفعل العلوم والآداب

ونمو العواطف ونضجها : من شأن البيئة والمربى وفعل الفنون والدراسات النفسية

ومظاهر نمو الجسم ونضجه ـ زوال طراوة الطفولة عند سن الرشد ، والقدرة على المقاومة ، وظهور القوة المثمرة وتدفق ينابيعها المحيية

ومظاهر نمو العقل ونضجه ـ القدرة على التفكير المستقل بعد ان استكمل العقل غذاءه ، من شتى العلوم والآداب وتجارب الحياة وهضم الغذاء ومثله تمثيلا • ثم الفهم الواضح لاغراض المرء من حياته وتحديد أهدافه والسعى اليها بلا ذبذبة ولا استسلام للمقادير تجرى فى أعنتها

ومظاهر نمو العواطف ونضجها ـ الاعتدال والاتزان والقـدرة على احتمال النقد والاستفادة من كل ناصح أو ناقد من غير برم وانقباض • أو غضب وحقد وانتقام • ثم القدرة كذلك على احتمال المدح والثناء • من غير تيه ولا زهو ولا غرور ولا خيلاء

والآن وقد أوضحت المعالم كما أراها وعينت الحدود ، أنتقل من التعميم الى التخصيص خشية الاطالة والاملال،ولأعترف على الفور ومن غير تحفظ بأن حياتى فى نواحيها الثلاث قد استفادت أعظم فائدة وتأثرت أبلغ التأثر بفضل الثقافة الانجليزية ومخالطة الانجليز فى بلادهم • واتخذت طابعا خاصا لم تزده الايام الا ثباتا ووضوحا ، ونفعا لنفسى ولغيرى

فقد لقيت هؤلاء القوم بجسم نما فى غير قوة وازدهار ، ونضج ، أو كان من النضج قاب قوسين أو أدنى • وبعقل بلغ منتصف الطريق أو كاد • وعواطف ، كالعواصف ، لا سلطان لى عليها ،ولها على كل السلطان • فكانت حياة متخاذلة النواحى ، تصبح وتمسى فى غير نظام وانسجام ، وتسير من غير ضوابط ، فى قلق وطموح • فماذا كان من أثر الحياة بين الانجليز فى كل ناحية من هذه النواحى الثلاث ؟

فى الناحية الجسمانية : عاملان أثرا فيها تأثيرا بليغا :

الاول ـ الالعاب الرياضية فى الهواء الطلق • فقد أغرمت ببعضها وأقبلت عليه فى غبطة وبشر • فانتعش فى جسمى ما كان ذابلا ، ونشط منه ما كان خاملا ، واستيقظ ما كان راقدا ، وازدهر ما كان خامدا

الثانى نظرية العلاج عن طريق الطبيعة لا بواسطة العقاقير ، وهى نظرية نفعتنى وآمنت بنفعها ايمانا رسخ فى نفسى كأقوى ما يكون الايمان • وهى تقضى بأن أكثر الدواء المصنوع لا خير فيه ، ويجب تفاديه ، لانه فى الأغلب والاعم انما يعالج الاعراض ويزيلها • فيبقى المرض كامنا مختفيا الى حين • ثم يعود فيظهر بنفس الاعراض أو بأعراض أخرى • فالحذر كل الحذر من أكثر العقاقير المعروضة فى الاسواق كعلاجات مزعومة لطائفة كثيرة من الامراض ، وهى فى الواقع لا تشفى مريضا ، بل تمرض السليم لو تعاطاها • والخير كل الخير فى الاعتماد على الطبيعة وأفاعيلها ، ووسائلها : الحمية والراحة ثم التغذية الملائمة،

وقوامها الفواكه الناضجة والخضراوات • والامتناع التام عن اللحوم فى حالات المرض والتعب الشديد

وفى الامثال الانجليزية « ان أكثر الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم » • وفى الحق ان الناس ليفرطون في تناول الطعام فيمرضون ، فاذا مرضوا لم يمتنعوا بل استمروا سادرين في الاكل المنوع وهما منهم بأن ذلك يعينهم على مقاومة الضعف والمرض • وهى خزعبلات وأوهام ، تنطوى على الموت الزؤام

وفى الناحية العقلية : وجدت للانجليز وجهات ونظرات تستحق العناية والاقتباس ، فاقتبستها وحرصت على اتباعها فنفعتنى نفعا عظيما وأثمرت أطيب الثمرات • فنظرتهم الى الحياة بصفة عامة نظرة عملية نافذة تدرك المصلحة الحقيقية وتقبل عليها • وتعنى بشؤون الحاضر والمستقبل ، والانتفاع بعبر الماضى القريب والبعيد ، وتدين بالنشاط والأمل والعمل ، ولا تعرف الركود واليأس والكسل : هى نظرة تحمل صاحبها على التفكير فى خير مايلائمه ويلائم الجماعة • فيعرف ما يريد ، ثم يرسم خطة الوصول الى ما يريد ، ثم ينفذ بالعزم الصادق هذه الخطة من غير تسخط أو تردد أو تململ ، فاذا ثبت بالتجربة ان العقبات أكبر من أن تذلل ، وان النجاح مستحيل معها ، عدلت خطة السير فى شجاعة وحزم ، وظل التمسك بالغاية المنشودة قويا لا يتزعزع

ثم نظرتهم الى الشؤون العامة نظرة وطنية صميمة يضحى فى سبيلها بالمصلحة الحزبية عن طيب خاطر ، ويضحى كذلك بالمصلحة الفردية عن طواعية ومن غير اكراه • وهم فى هذا مثل رائع فى الخضوع للنظام وفى القدرة على التنظيم وتعبئة القوى للمصلحة العامة • وبينما ترى المصرى يقول : « فعلت هذا ارضاء لضميرى ولكن النتيجة ما تكون ، لن تسمع أبدا من انجليزى قولا كهذا • وانما تراه يتساءل : « ما هى الطريقة للوصول الى أحسن نتيجة ؟ » ذلك لان « الضمير » فى نظره كالرأى تماما قد يخطىء وقد يصيب • وأما النتيجة فهى وحدها المقياس الصحيح لقيمة الاعمال وأهميتها على أن تكون الوسيلة شريفة نزيهة

ثم ان طريقة الانجليز فى المناقشات طريقة جديرة بالاشادة والتنويه والاحتذاء لانها تتبع خططا من شأنها أن تحميها من الانحدار الى حمأة المهاترة العقيمة وويلات المخاصمة السوداء • اذ يعتقد الجميع ان أول مظهر من مظاهر الثقافة الصحيحة أن يكون العقل من المرونة بحيث يستطيع أن يهتم بوجهة نظر الطرف الآخر الذى يعارض أو يشاكس • وأن يتفهم بواعثه ومراميه ، فيسهل بعد ذلك اقناعه أو على الاقل مقابلته فى منتصف الطريق • وعلى هذا الاساس تحل المشاكل فيما بينهم ، وبينهم وبين غيرهم فى غير صعوبة وعسر • أما التعنت والعناد والمكابرة فهى فى نظرهم أدلة على السخف وضيق الافق ونقص الثقافة ، أكثر من دلالتها على رعاية المبادىء والكرامة وقوة الارادة

بقيت الآن الناحية النفسية : ناحية العواطف والاخلاق • وهى أعظم وأخطر من

باقي النواحي على الاطلاق . وهنا يجب أن أبرز حقيقتين من الخير ذكرهما وعدم نسيانهما : الاولى ان الانسان يعيش بعواطفه وأخلاقه أكثر مما يعيش بعلمه وعقله . والثانية ان نمو الجسم والعقل ونضجهما لا يستلزمان نمو العواطف ونضجها . وكثيرا ما تظل العواطف صبيانية غير ناضجة عند الكثيرين من المتعلمين ، والرجال العموميين . وتكون النتيجة شقاء لهم ، ووبالا على بيئاتهم وأوطانهم

ومظاهر العواطف الصبيانية كثيرة أخص بالذكر منها في هذا المقام ما أرى له في الحياة أثرا خطيرا ، وثمرا مرا : كالحياء الشديد والاستكانة والميل الى التملق أو التوقح ، والغطرسة والانانية الصارخة وحب الظهور ، والانقباض لخاطر طارىء أو لمكروه لم يقع بعد وربما لا يقع ، والحزن الشديد والفرح المستفيض لكلمة قيلت ذما أو مدحا ، والهلع عند الخيبة ، والميل الى الثرثرة والزهو والخيلاء عند ادراك حالة مستطابة لم تكن منتظرة ، والبكاء والعويل عند الصدمات ، وذهاب النفس حسرات ، على ما فات ومات

وان أكثر من يقولون لك « جرحت احساسي » أو أهنت كرامتي » انما يعيشون بعواطف صبيانية لم تنضج بعد

تلك كلها مظاهر لايزيلها نضج العقل وحده ما دامت العواطف لم تنم ولم تنضج، وسر عظمة الانجليز فيما أعتقد (أو فيما أراني أميل الى اعتقاده) انما هو في نضج عواطفهم ومتانة أخلاقهم التي لولا ذلك النضج ما بلغت هذه المتانة . ولأذكر بايجاز أبرز ما عرفته فيهم وما أفدته منهم في هذه الناحية :

الاول ـ ضبط النفس وهدوءها ، ويتجلى ذلك في القدرة على الجام الاهواء بلجامين : من صبر واعتدال . واخفاء العواطف بلثامين ، من حرص وكتمان

الثاني ـ الخضوع للنظام عن رغبة أكيدة . بل عن ميل وعقيدة مع حب التعاون والتآزر والقدرة على التنظيم

الثالث ـ الثقة بالنفس والثبات الذي لا يعرف اليأس وأوجه الموت كوالح

من هذه المزايا الكبرى تتفرع فضائل أخرى لولا خشية الاطالة لتحدثت عنها . وهي أظهر ما تكون فيهم في أوقات الشدة منها في أوقات الرخاء

ولقد أكبرت كل ذلك فيهم كل الاكبار . وجعلته موضوع نظري ودرسي . ومصدر احتذائي واقتباسي . وعلى منواله أخذت أنسج أردية نفسي . وأسلك سبل الحياة مدرعا بما أفدت ، متحصنا بما كسبت . وأخيرا (وليس هذا أقل أهمية مما سلف) استفدت من الانجليز خصلة مريحة مسعدة ، اذ تعلمت كيف أجد في كثير من نواحي الحياة ومظاهرها ما يدعو الى التسلية ويثير الضحك والابتسام من غير أن يكون في ذلك شيء من لذع السخرية والازراء . ولا سعادة في الحياة بغير القدرة على هذا النوع من الضحك والابتسام

محمد كامل سليم

كلمة الدكتور احمد زكى بك

مدير مصلحة الكيمياء

«.. تعلمت في انجلترا العمل وقدسيته ، العمل الكامل الشامل الذى يتجه اليه المرء بقلبه تماً لقوته ، واداء لواجب حياته ..»

كنت فى القطار انتظر تحركه . وكان مقعدى فيه وثيرا ، ومس هوائه وجهى ويدى دافئا لذيذا . وزاد فى لذاذته تلك النظرات التى كنت ألقيها عبر النوافذ المغلقة لاستشرف ما وراءها فيحجبه عنى بخار متكاثف على زجاجها يحدث عما وراءه من برد قارس شديد . ومددت يدى امسح زجاجها فتبينت فى الضباب السائد اشباح الرائحين والغادين من رجال ونساء وعمال يسيرون فى اختلاط وزئاط فى هذا الجو المعتم البليل ، وقد زاد البرد فى وزن ملابسهم كما زاد فى سرعة خطاهم . وكان الوقت ضحى ومع هذا أنارت المصابيح فى سماء المحطة الفسيحة . وجاءت فتيات حسناوات فى ملابس واحدة تشق طريقها بين الناس ، وتجر أمامها عربات خفيفة عليها الفناجين البيضاء والفطائر ، وقد تصاعد بخار الشاى من أباريقه فسطعت نفحاته فى العين بأحسن مما تسطع فى الانوف . وصفر الصافر فتحرك القطار فمشى دبيبا ، ثم خببا ، ثم انطلق مسرعا الى العراء الواسع فلم يبلغه الا بعد حين طويل . فقلت : الى اللقاء يا لندن ، لقاء غريب ما سلم حتى ودع . غريب أشعت فى نفسه الاجلال والاكبار لا الحب والهيام ، فحب المدن غير حب العذارى ، لا تقتل فيه النظرة العابرة الاولى

ومضت بنا فى القطار الساعة تلو الساعة ونحن نتجه شمالا الى الريف . وأخذت أبحث عن هذا الريف فيما انكشف من الافق فلم أجد شجرة قائمة أو عود نبت يهتز . ووجدت الطبيعة قد تعرت من كل شيء ، والارض قد نزلت عليها عناصر الاجواء القاسية كما ينزل الجراد فمسحتها مسحا من كل أخضر ، فتراءت واحدة اللون سوداء تقسمها أسيجة كثيرة متلاقية كرقعة الشطرنج ، تقوم عليها لتحرس غير محروس وتخفر شيئا غير موجود . فكانت كأرض عاد وثمود . وانتصف النهار واكتهل ولم تظهر للشمس شعاعة . وخيم الظلام عصرا فحسبت بالساعة خللا . فقلت فى نفسى هذا بلد القحط والبرد والظلام لا يعيش فيه وخوم كسلان

وعشت فى هذا البلد ما يقرب من عقد من الزمان لم أر فيه مظهر الفاقة المدقعة أبدا لانى لم أر مظهر الكسل الفاحش أبدا . فالبيت تزوره فى الصباح فلا تجد فيه غير ربته ومن هم دون سن العمل وسن المدرسة من أطفالها اناثا وذكورا . وهكذا تجده بعد الظهر الى السادسة أو السابعة فالعمل يمتد هناك طويلا . ومن أجل هذا كانت وجبة الطعام الكبرى هى وجبة المساء

وقلما تجد فى البيت خادمة الا ان يكون البيت كبيرا أو صاحبه من ذوى الثراء ، لان

الخادمات أجورهن عالية ، فلو طبق عليهن « كدر » الحكومة المصرية لكن في الدرجة الثامنة وكلفتهن أعلى ، فهن لا ينمن تحت المناضد ولا يأكلن الفضلات ، ولهن كرامات ، وساعات للعمل محدودات يملأنها بالعمل المتواصل . والمرأة التى تعمل فى نظافة منزلها فى الصباح هى التى تشترى الطعام من السوق ولو كانت لها خادمة وخادمات ، وهى التى تتزين فى المساء فتجد فى وجهها نضرة العمل وصبا النشاط ولو لم تكن بذات صباه . والنساء لم تترك الحركة لاجسامهن فرصة يتراكم الشحم فيها أطباقا ، فهن نحيفات تطبعا ثم طبعا . والمرأة تطلب العمل اذا بلغت سنه كما يطلبه الرجل ولو كانت فى غير حاجة لان العمل عندها بعض الحياة ، ولان مجالاته مدارس الحياة الاخرى والكبرى . ولان العمل له ثمن ، والمال يشترى به استقلال النفس وكرامتها ، والمرأة هناك تعلمت فيما تعلمت الاستقلال والانفة ، فهى لا يخطر لها ببال ان أخاها يعولها ، فكفاه بحياته حملا . وكما شاع العمل فى البيت ، شاع فى الحقل وفى المصنع وفى المصارف وفى الشركات وفى دور الحكومة . وشاع فوق الارض وتحتها فى المناجم ، وعلى اليابسة وفى الماء

فهذا ما تعلمته فى هذا البلد الكبير . بل هو أجل ما تعلمته : العمل وقدسيته . العمل الكامل الشامل الذى يتجه اليه المرء بقلبه ثمنا لقوته وأداء لواجب حياته . العمل الذى يستغرق اكثر ساعات النهار . العمل الذى لا يأذن فى العام الا باجازة تتراوح بين الاسبوعين والاربعة . العمل الذى يشترك فيه من السكان الجنسان،فيصبح به انتاج الامة انتاجين ، وثروتها ثروتين . العمل الذى لا يطلب الكفاف ، بل ما وراء الكفاف ليرتفع بالعيش عن مستوى البهائم . العمل الذى اساسه « ذل من قنع وعز من طمع » . العمل الذى يقوم به صاحبه دفاعا عن أسرته فى تنافس الاسر ، ودفاعا عن امته فى تنافس الامم. العمل الذى هو مطمح الرجولة والانوثة على السواء ، مطمع الانسان الذى يستكمل به كونه ويؤدى به رسالته فى هذا الوجود على انبهام الغاية واحتجاب الغيب

والعمل الكثير المتلاحق على هذه الصورة العامة لا بد له من النظام ، فتعلمنا الى جانب العمل النظام . تعلمناه فى المنزل ، متابعة لاهل المنزل فى قيامهم وقعودهم وطعامهم وخروجهم ودخولهم . وتعلمناه فى الجامعة ، مسايرة لاهل الجامعة فى الدرس والرياضة والحفلات . وفى الملاهى تعلمنا الوقوف على الابواب فى الطوابير ووقف فيها معنا الكبير والصغير . وتعلمنا وقوفها عند أعتاب الترامات ومواقف السيارات ونوافذ التذاكر فى المحطات . والبيئة المنتظمة ينتظم من يدخل فيها غصبا خشية أن تفوته القافلة ، ثم يصبح الغصب عادة سهلة . ومع النظام تعلمنا قراءة الساعات ، نقرأ عقاربها الكبرى بمثل ما نقرأ عقاربها الصغرى ، ونعنى بالدقائق عنايتنا بالساعات ، وذلك فى تقدير الزمن وانفاقه وفى تحديد المواعيد والبر بها

والعمل يقتضى حسن المعاملة ، فتعلمنا حسن المعاملة وآداب اللياقة . فالاحسان يشكر ولو جاء من خادم يؤجر . والاساءة يعتذر عنها ولو الى أفاق فقير . ولكل كتاب جواب

ولو الى مصلحة حكومية أو ادارة بوليسية • والنساء والاطفال تتقدم الرجال ، ولا يزحم رجل رجلا الا اعتذر • وشاعت الامانة نسبيا كأحسن ما تشيع فى أمة فسهلت المعاملات. ذهبت مرة الى البنك فاستبدلت شيكا بمال ، ولما انصرفت وجدت أنى أخذت دون ما استحققت ، فعدت الى الصراف وطلبت اليه عد ما لديه • فنظر الى بتفرس ثم اعطانى الفرق دون ان يعد وقال : « سأعد فى وقت أفرغ من هذا » • وفى الصباح التالى جاءنى خطاب يؤكد صحة دعواى ويتضمن اعتذارا • وبعد هذا بسنوات صرفت شيكا كبيرا فى مصرف لا أعرفه • وبعد شهرين لحقنى خطاب من هذا المصرف كان يتابعنى فى رحلتى ، وفيه ان الصراف أخطأ فأعطانى مائة جنيه وخمسة بدل المائة • فمما تعودته من أمانة القوم لم يخالجنى الشك دقيقة فى صدق الرجل ، الا أن يكون أخطأ على غير عمد • فارسلت له الخمسة الجنيهات ، وكل ما سألته ان يعيد التحقيق ويزيد التدقيق • فجاءنى منه الشكر والتوكيد • واغتبطت نفسى أشد اغتباط بأداء أمانة لرجل لم يكن له على فيها من سلطان

وساعد على حسن المعاملة تقارب ما بين الافهام فى بلد ديمقراطى عمه التعليم • والتعليم يعرف المرء قدر نفسه وقدر غيره ، فهو لا يبالغ فى تناسيها • والتعليم اذا عم واستمر الاحقاب ساوى بين الطبقات من الوجهات الاقتصادية تساويا كبيرا • وعلى هذا التساوى ، أو ان شئت التقارب فى الماديات ، والتقارب فى العقليات ، تقوم الديمقراطيات،والا فهى دكتاتوريات متشعبة الرؤوس تتزيى بزى الديمقراطية لانه زى جميل خداع يسهل على الطغاة قيادة الامور • ففى هذا البلد الذى نصف صغرت الطبقة الفقيرة الجاهلة التى ينعتونها بالدنيا صغرا نسبيا كبيرا•وصغرت الطبقة الغنية صغرا نسبيا كثيرا•وتضخمت الطبقات المتوسطة تضخما عظيما كما تتضخم نواة الخلية فتملؤها • فعلى هذه النواة الضخمة ، على هذه القاعدة العريضة قام صرح الحكم وصرح النظام وصرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فلم يكن من المستطاع الا أن يكون صرحا شعبيا دستوريا • وكان على ضخامته فيه اتزان لاتساع قاعدته ، فلم يخشوا عليه العوادى • وأمنوا عليه فلم يعنوا بوصفه وتحديده بألوف المواد ومئات القوانين،حتى القوانين التى تصفه اختاروا لها الثوب الفضفاض الذى يتسع لآراء كثيرة مما تحتمله الرؤوس العاقلة فى الظروف المتغيرة الكثيرة • وقد يجدون فى هذا الصرح الضخم على الزمن تصدعا فلا يرتاعون له ، وانما يجمعون له المعاول والفؤوس ليصلحوه فى تؤدة على أسلوب الزمان الجديد بما لا يتنافر كثيرا مع الاسلوب العام للبناء القديم • ويسهل عليهم اصلاحه لانهم هم بانوه

وأثرت هذه النظم الديمقراطية فى أساليب المعاش العادية مما يراه الغريب فيهم كل يوم • فبواب الجامعة يتقدم الى مدير الجامعة ويخاطبه كما يخاطب أخاه الا شيئا من التأدب يسيرا • وليس من الضرورى أن يقف له أو يلتفت اليه ان كان مشغولا • وليس من الضرورى أن يقرأ الساعة كل دقيقة يترقب حضوره • بل هو لا يدرى أحضر أم لم

يحضر . والشرطى فى الشارع يتحرك الى ضابطه على جانب الطريق فى تلك السرعة البطيئة الوائقة التي يتحرك بها الى أي غاية كانت ، ثم هما يتحادثان فى أدب متبادل فلا تكاد تدرى لولا الثياب فى أيهما تقع الرآسة . والوزراء ومن دون الوزراء يستخدمون أرجلهم فى المشى ، ويمشون بين الناس فى الطرقات حتى ولو لم تتعطل سياراتهم.ركبت مرة تراما تحت الارض ، فلما اتخذت مكانى وأخذت أقرأ صحيفتى على العادة لمحت أمامى رجلا ليس وجهه بغريب . فتفرست فيه فاذا به « رمزى مكدونالد » . ونظرت فى الركاب حولى متشوقا الى علم ما يصنعون برئيس وزرائهم ، فلم أجد فيهم من صنع شيئا ، الا نظرة واحدة يختلسها الراكب من وراء صحيفته ، ثم هو يستمر فى القراءة فلا يقطعها عليه قاطع . والرجل الكبير لم يظهر عليه انه فى موقف غريب ، بل لم يظهر عليه انه يحس ما حوله ، فقد كانت عيناه تنم عن تفكير بعيد . وتغلغلت الديمقراطية فيهم حتى دخلت الى قصورهم . كنا مرة فى الجامعة ، فى محاضرة ، فلم ندر الا فى آخرها ان الملكة كانت حاضرة ، دخلت اليها من الخلف فى سكون لم يشعر به أحد . وحيتها الوطنية الصارخة عند الانتهاء دقائق . ثم امتزجت بالطلبة امتزاجا كان فيه وقار الامومة وحب البنوة . وفى يوم من الايام كنت أسير فى بعض الريف ، ومعى ابنتى طفلة صغيرة ، ولم يكد يكون فى الطريق الهادىء غيرنا . وبينما نحن فى حديث للدعابة خفيف ، صرخت الطفلة صرخة مدوية : « هذا الملك » ونظرت فاذا بالملك الشيخ قد بلغته الصرخة فخلع قبعته وحنى لها رأسه باسما

ان حديث هذه البلاد حديث طويل ، وما أفدته منها عديد كثير . وحسبى منها سنوات قاربت العشر قضيتها بين الحقيقة والخيال ، بين اليقظة والاحلام . وهى أحلام برئت منها على أثر دقة عنيفة دقها رجل على رأسى . جاءتنى هذه الدقة وأنا على الباخرة أهم بالنزول الى أرض بلدى . وجاءتنى من الوراء فلفت خلفى ، فاذا بالدقة من صندوق عظيم يحمله حمال . ووجدت الحمال يزعق فى وجهى : « أأنت أعمى؟أعيناك مفتوحة ؟ ألا ترى ؟ » . فقلت فى نفسى : « لا والله لم تكن مفتوحة ، ولكنها فتحت الآن » . ومضى الآن على عودتى سنوات وسنوات ، ولا أزال أحسب ان الصناديق لا تزال تدق رؤوس الرجال ، وتدقها من الخلف

احمد زكى

كلمة الدكتور ابراهيم رشاد بك

مدير مصلحة التعاون

« ..ولست أقدر أن أحدد ما اقتبس الخلق بين الانجليز، ويكن أن أقول ان لها الاثر الاكبر فى تكوينى وتوجيهى . »

اقمت فى انجلترا عشر سنوات وأنا فى مقتبل العمر ، فكان لذلك اكبر الاثر فى تكوينى العلمى والخلقى وفيما اخترته لنفسى بعد ذلك من وجهة وعمل خصوصا أنى اثناء مقامى فى تلك البلاد كنت لا اقنع بالدراسة فى الجامعات ، بل اختلط بمختلف الاوساط ، وأعيش مع القوم كأنى واحد منهم ، وأهرع فى اجازاتى الى الريف الانجليزى ، لأنعم بجماله وهدوئه وأقف فيه على الخلق الانجليزى الصميم

ومن العسير على هنا أن احصى فى اسطر معدودة كل ما أفدته من مقامى تلك السنين الطوال فى انجلترا ، فان ذلك يستدعى كتابة بحوث طويلة عن الانجليز وطباعهم واخلاقهم وميزاتهم الاجتماعية ، ولكنى سأحاول قدر الامكان ان أشير الى ما استفدته منهم اشارات عامة موجزة .

من الوجهة العلمية

طريقة الانجليز فى البحث معروفة فانها تقوم على ان يستخدم الباحث فكره ، ويعتمد على ذكائه Common Sense فى كل ما يعرض له من مسائل فلا يتلقى نظرية كأنها قضية مسلمة ، بل يناقشها حتى يدرك وجهة الصواب فيها . وفى الوقت نفسه لا يستهين برأى غيره لا لشىء سوى انه يخالف رأيه ، فلعله هو المخطىء ، وذلك الرأى المخالف هو كبد الصواب

على انى أفدت الى جانب هذه القاعدة الاساسية فى البحث والنقد قواعد ارشدنى اليها استاذى البروفسور Fay وكان قد عهد الى فى أن أعد له الطبعة الجديدة لكتاب من كتبه الاقتصادية وتلك القواعد هى :

ا ـ الدقة والامانة فى البحث

ب ـ عدم كتابة عبارة الا اذا كانت واضحة اولا فى ذهن الكاتب

ج ـ جعل العبارة على قدر المعنى وعدم استخدام الفاظ تحتمل معنيين

د ـ جمع مادة البحث عن ثلاث طرق :

١ ـ الاطلاع على ما كتبه الباحثون فى الموضوع

٢ ـ مقابلة اصحاب الآراء فى هذا الموضوع ومناقشتهم فيه

٣ ـ دراسة أحوال الفئات التى يعنيها الموضوع والوقوف على حاجاتها

من الوجهة الخلقية

ان من يزور انجلترا يسترعى انتباهه اول وهلة كلمتان هما Thank you أى شكرا و Sorry أى آسف أو « عفوا » . ولهاتين الكلمتين معنى متأصل فى اعماق الخلق الانجليزى ، فالفرد منهم لا يتهاون فى اداء الشكر عند وجوبه ولا يتردد فى الاعتذار اذا هفا . وهكذا جبلوا على خلتين : الاعتراف بالفضل والرجوع عن الخطأ . وقد يسرت لهم هاتان الخلتان علاقاتهم مع بعضهم البعض ومع العالم الخارجى ، ولست ابالغ اذا قلت ان لهما أيضا أكبر الأثر فى تكوين تاريخ بلادهم وتأسيس امبراطوريتهم

ويتصل بذلك أيضا ما يلمسه فيهم — وما قد يأخذه عنهم — من يعاشرهم،من طول الأناة وسعة الصدر والمبادرة الى الصفح . فالانجليزى ليس سريع الغضب ، واذا غضب فلسبب وجيه ، على ان غضبه قل أن يخرجه عن طوره . وهو واسع الصدر يتقبل النقد ولو كان قاسيا . ولا يكن حقدا أو يضمر رغبة فى الانتقام ، بل يرتاح الى العفو وتطمئن به نفسه

ومن الأمثلة التى يصح أن أوردها هنا على سعة الصدر عند الانجليز ما يتعلق بكتابى مصرى فى ايرلندا، An Egyptian in Ireland الذى يعد من اقسى ما كتب ضدهم فقد كتبته فيما بين سنتى ١٩١٦ و١٩١٩ وهما سنتان بارزتان فى تاريخ الجهاد الوطنى فى ايرلندا ومصر على التوالى . وقد بلغت فيهما السياسة الاستعمارية منتهاها — كما وصلت الحركة الوطنية فى البلدين الى ذروتها ، فكان طبيعيا ان يكون كتاب مصرى عاش برهة فى ايرلندا قاسيا على الانجليز

مرت الأعوام وانتهى الكفاح بين مصر وانجلترا ، وبدأ عهد جديد من التفاهم ، توجته معاهدة التحالف والصداقة بينهما . فكان أول ما فكرت فيه مع بعض رفاقى من المصريين والانجليز هو تأسيس « الاتحاد المصرى الانجليزى » ليقوم بدوره فى هذا المجال . ولما طلب الى بعض كبار الانجليز ان أهدى كتاب « مصرى فى ايرلندا » الى مكتبة الاتحاد اعتذرت قائلا ان آدابنا القومية لا تسمح بان اهدى الى الانجليز كتابا هاجمتهم فيه بعنف ، غير أنهم انذرونى بلطف أن يقدموا كتابى من لدنهم الى المكتبة اذا أنا لم أقدمه . وفى هذا دليل على مبلغ القوم من التسامح

اما ثبات الانجليز حيال الملمات ، واما مغالبتهم للصعاب والعقبات ، واما مثابرتهم على متابعة غاية يعتقدونها حقا وصوابا ، ومعالجتهم الحل بعد الحل وعدم يأسهم من النجاح قط — كل ذلك أصبح حقيقة شائعة فى الحرب الحاضرة على الخصوص . وقد آنسته كله حين عشت بين ظهرانيهم ، وآمل ان أكون قد اكتسبت ولو قليلا منه

من الوجهة الاجتماعية

أحب الاشياء الى الرجل الانجليزى شيئان : بيته ورياضته • فاما تعلقه ببيته فقد جعل الاسرة الانجليزية خلية سليمة لشعب سليم • واما تشبثه برياضة يمارسها فى وقت فراغه فان له أكبر الاثر فى صحته وتكوين خلقه الشخصى والاجتماعى • والواقع ان الحياة الشخصية القائمة على هاتين الدعامتين ــ الرياضة والبيت ــ تضمن الاعداد الصحيح للحياة

والانجليزى معروف باعتداده بنفسه سواء أكان كبير المقام أم صغيره • ولعل هذا الخلق هو الذى حقق المساواة الصحيحة فى انجلترا ، وجعل منها أول دولة ديموقراطية فى العالم • ومهما يبلغ الانجليزى من علو المكانة أو من الارستقراطية الاثيلة ، فانه لا يتكبر على سواد الشعب ، بل يهبط الى مستواه لرفعه ونفعه • وترى السيدات الارستقراطيات يدخلن بيوت الفلاحات ويزرن المستشفيات ويواسين المرضى • كل ذلك دون ان يفقد الرجال أو النساء مزاياهم الارستقراطية • وقد عبر شاعرهم كبلنج عن ذلك احسن تعبير فى قصيدته « اذا » التى وضعها لنصح النشء الانجليزى اذ قال :

If you can talk with crowds and keep your virtue
Or walk with kings — nor lose the common touch.

وقد ترجم المرحوم عثمان الهمشرى هذين البيتين فيما يلى :

اذا انت خالطت الجماهير صائنا فضائلك العليا ولم تتلوث
اذا انت سايرت الملوك محافظا لطابعك الشعبى كالمتشبث

وهذا العطف المتأصل فى نفوس الاغنياء والكبراء على الطبقات الفقيرة هو الذى جعل انجلترا نموذجا للدول الاخرى فى قوانين الفقراء ، وفى اعانة المتعطلين وفى التأمين الاجتماعى بانواعه • وكذلك فى الهيئات والمنشآت الاهلية كالمستشفيات والمدارس والمعاهد التى تعيش من التبرعات والاكتتابات•وليس عجيبا أن تنشأ الحركة التعاونية كذلك فى تلك البلاد بفضل رائدها الاول روبرت اون Robert Owen ثم بفضل رواد روتشديل • وهذه الحركة اذا بدأت بعطف القوى على الضعفاء أو بر الغنى بالفقراء، فسرعان ما استقرت على أساس من اعتماد هؤلاء على انفسهم وهكذا ثبتت على خلق متين يعد ايضا من مزايا الانجليز

والحق يقال ان هذه الناحية من النواحى العامة فى انجلترا قد بهرتنى واخذت بمجامع لبى ، حتى اذا عدت الى مصر كرست حياتى للتعاون والدعوة اليه ونشره فى البلاد منذ سنة ١٩٢٠ الى اليوم والغد ان شاء الله .

ولقد كنت منذ نعومة اظفارى أحب الريف وارتاح الى الاقامة فيه • غير ان ذلك قد رسخ فى نفسى وزاد منذ شهدت تعلق الانجليز بالريف وحرصهم على الانتساب الى

(البقية على صفحة ٣٣٢)

تطور السياسة الداخلية فى بريطانيا منذ الحرب العظمى

بقلم الاستاذ محمد رفعت بك

المراقب العام للتعليم الثانوى

هناك تواريخ معينة يذكرها التاريخ كمعالم تدل على بدء نهضات جديدة أو حدوث تطورات خطيرة توشك أن تغير مجرى الحوادث أو تفتح للعالم عهدا جديدا وتطبع الاجيال القادمة بطابع يميزها عن غيرها بما تستحدثه من آراء ونظم وطرائق يمتد أثرها تدريجا حتى تعم العالم المتمدين • ولا يزال سقوط روما فى يد قبائل الالمان المتبربرة سنة ٤٧٦ م ، وفتح الاتراك للقسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ ، أو كشف امريكا سنة ١٤٩٢ ، وقيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ، من أمثلة هذه التواريخ التى تعتبر نهاية عصور آفلة طويت صفحاتها ومقدمة لعصور جديدة آذنت بالدخول .

ومن هذه التواريخ سنة ١٩١٧ المتداخلة فى سنة ١٩١٨ التى بها انتهت الحرب العالمية الاولى • ففى تلك السنة كانت الحرب قد وصلت الى أقصى شدتها وعوامل الظلام واليأس تكاد تطغى على العالم وتصيب بالفشل صفوف الحلفاء الذين كانوا يحاربون فى أرض فرنسا من أجل الحرية والديمقراطية • وبينما الناس بعد قتال وتناحر دام ثلاث سنوات مبتئسون لسماع أخبار الثورة فى روسيا وانهزام ايطاليا فى « كابورتو » وارتداد الحلفاء أمام هجوم الالمان فى فرنسا ، اذا بشعاع من الامل ينبعث من العالم الجديد فيضىء الطريق أمام العالم القديم ويفتح آفاقا جديدة لانقاذ الانسانية ونصرة الحلفاء ، ففى ابريل سنة ١٩١٧ دخلت امريكا الحرب ضد ألمانيا ، وأخذت قواتها ومواردها الحربية والمالية تتدفق عبر الاطلنطيق معززة جانب الحلفاء • وفى مارس سنة ١٩١٨ توحدت القيادة فى الحرب بزعامة الجنرال فوش القائد الفرنسى ، وكانت هذه الوحدة من أهم الاسباب التى أدت الى النصر • وفى يناير سنة ١٩١٨ أعلن الرئيس ولسون نقطه الاربع عشرة التى طالع بها الحلفاء والاعداء والناس جميعا ، فكانت انجيلا وهدى للناس وفرقانا بين الحاضر المظلم بويلاته والمستقبل اللامع بما بشر به الرئيس من مبادىء تقرير المصير وحرية البحار والتجارة وخفض التسليح وتشاور الامم كبيرها وصغيرها وضمان السلامة للجميع .

ثم سرعان ما قامت الثورة فى صفوف الالمان وتخاذلت قواتهم فأعلنت الهدنة فى الساعة الحادية عشرة من يوم الاثنين ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وكأنه قد نفخ فى الصور ودقت

ساعة البعث والنشور فذهل الناس فى لندن ولم يصدقوا فى أول الأمر ، ثم ما لبثوا أن انسلوا من بيوتهم وأعمالهم الى الشوارع شيبا وشبانا نساء ورجالا ألوفا مؤلفة متراصين مهللين وكأنهم أرادوا أن يعوضوا صمتهم وابتئاسهم طوال سنى الحرب فكانت صيحتهم للنصر مدوية متجاوبة • وعلى عكس ذلك كان الجنود فى الخنادق فى ذلك اليوم المشهود ، اذ تبدل فجأة قصف المدافع ودوى القنابل وأزيز الطيارات مما استسلموا له واستمسكوا به طوال السنين الاربع ، وغشيت ميادين القتال موجة من السكون والصمت لا عهد للمحاربين بهما من قبل ، فعرف الجميع ان طاحون الحرب قد وقفت رحاها وان السائمة التى كانت تعمل فى الطاحون ستزاح عن عينيها الغمامة وتساق قريبا الى مذاودها ومنازلها. لذلك كان ابتهاج الجند المحاربين يوم الهدنة سلبيا صامتا لا يقل فى روعته عن صيحة لندن العالية

ومن ذلك التاريخ دخلت البلاد فى طور جديد له المظاهر الآتية :

١ - الديمقراطية الجديدة

ليس كالموت شىء الا الحرب يسوى بين الافراد ويزيل الفروق بين الطبقات ، وماذا عساه أن تكون نتيجة الحياة فى الخنادق شهورا بل سنين الا أن تصهر العناصر المختلفة التى تتكون منها طبقات الجنود المحاربة وتدمجها بعضها ببعض ، فلا تلبث ارستوقراطية المال والجاه أن تعفر بأديم الفقر والعوز وتنتظم فى الصفوف مع عامة الناس فوق صعيد واحد لا فارق ولا كلفة فيه حيث لايعصمهم جميعا من نوازل الحرب لقب أو علم أوسلطان

فاذا ذكرنا ان الخدمة فى الجيش الانجليزى لم تكن اجبارية ، وان الجيش كان يتألف من المتطوعين من جميع الطبقات ، أدركنا أهمية هذا التحول وأدركنا أيضا فداحة الخسارة التى منيت بها بريطانيا من جراء الحرب اذ فقدت زهرة شبابها من أحسن العناصر وهم الذين كانت تدخرهم لمستقبل أيامها ، لانه لا يقبل على التطوع عادة الا كبار النفوس من الشبان ذوى الخلق المتين • وانا لنرى أثر هذه الخسارة فى صنف الرجال الذين اضطلعوا بالاعمال فى انجلترا بعد الحرب فكانوا جميعا من رجال العهد الماضى وندر بينهم نوابغ الشبان الاكفاء

وكانت نتيجة الخدمة العسكرية فى الجيش أن فطن العائدون من الحرب الى ما ينطوى عليه عنصر الجماعة من تضامن وقوة ، وانهم اذا أحسنوا استخدامها أمكنهم أن ينالوا من الحكام أو أصحاب رءوس الاموال ما يبتغون من غير حاجة الى تحمل ابطاء التشريع البرلمانى

هذا الى ان طول عهد الناس بالحرب وفقد مليون من الانفس عدا الجرحى والمنكوبين فى أجسامهم أو عقولهم قد أدى الى استهتار الناس بالحياة وجعلهم يستهينون بالموت ازاء ما اعتبروه ظلما وغمطا لحقوق الجماعة ومصلحتها

لذلك نرى من أهم مظاهر العهد الذى تلا الحرب زيادة أعضاء نقابات العمال فى انجلترا وارتفاع عددها من مليونين قبل الحرب الى ستة ملايين ونصف بعده ، ونرى اتساع نطاق الاضرابات فى مختلف الصناعات حتى وصل الى درجة تعطيل مصالح الناس الضرورية واعلان الاضراب العام فى ٢ مايو سنة ١٩٢٦

٢ ـ التطور الاقتصادى وأثره

عاش الناس أثناء الحرب جادين عاملين كل بحسب طاقته منتفعين بملايين الجنيهات التى كانت تنفقها الحكومة كل يوم لمواصلة الحرب ، فزال بذلك كل أثر للبطالة ، وطبيعى أن ترتفع الأسعار والاجور طوعا لكثرة النقود المتداولة ، فلما وقفت الحرب تعطلت معها المصانع التى كانت تعمل ليل نهار لتموين الجيوش لحاجاتها ، واضطرت الحكومة أن تقتصد فى النفقات لتفى بجزء مما تجمع عليها من ديون بلغت ٧٠٠٠ مليون من الجنيهات

ولما قلت النقود المتداولة انخفضت الأسعار واضطرت أصحاب رءوس الأموال الى تخفيض أجور العمال وتقليل عدد العاملين منهم ، فكثر المتعطلون ومعظمهم من الرجال الذين سرحتهم الحكومة من الجيش بعد الحرب • وتبرم القوم بالحكومات التى تسعد الناس فى أيام الحرب وتعجز عن اسعادهم فى أيام السلم

وفى مقدمة الصناعات التى تأثرت عقب الحرب ما كان منها مرتبطا بحاجات الجيوش ، كصناعة الصلب والحديد واستخراج الفحم ، وبناء السفن ، والاعمال الكيميائية ، أما الانتعاش الذى صادف الزراعة فى اثناء الحرب فقد تحول الى شبه افلاس بسبب فتح الأسواق للمحصولات والواردات من الخارج ، مما اضطر معه أصحاب الاراضى الى تركها أو بيعها

ويكفى للدلالة على ما وصلت اليه حالة العطل والانتاج فى البلاد ، ان مقدار ما صدرته انجلترا من الحديد فى سنة ١٩٢٧ بلغ ٢٧١ر٩٤٤ طنا مع انها كانت تصدر ٢٦٢ر٩٤٥ طنا فى سنة ١٩١٣ ، وانها صدرت من أثواب القطن فى سنة ١٩٢٧ ٤٠٠٠ مليون ياردة فى حين انها كانت تصدر فى سنة ١٩١٣ ٧٠٠٠ مليون ياردة تقريبا

وقد أدى هذا الكساد الشامل فى التجارة والصناعة والزراعة الى احداث تطور خطير فى السياسة العامة التى سارت عليها البلاد منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وهى سياسة حرية التجارة ؛ اذ أصبح من أيسر الحلول لانعاش الحالة أن توضع الضرائب الجمركية على الواردات • وبذلك ينفسح المجال أمام المحصولات والمصنوعات المحلية

وكانت الحرب قد ساعدت على اقامة مصنوعات وطنية جديدة ، كعمل السيارات والمصنوعات الكيميائية والكهربائية ، وصار لزاما على الحكومة أن تحميها من خطر المنافسة الخارجية والا تعرضت للضياع

زد الى ذلك ان الحرب قد علمت الدول درسا فى الاقتصاد الوطنى ودربتها على أن تكفى حاجاتها بنفسها حتى لا تقع تحت رحمة الغير . لذلك عملت جميع الدول على اقامة الحواجز الجمركية فى وجه التجارة الخارجية ، وأصبح التيار فى انجلترا جارفا نحو حماية التجارة والتحول نهائيا عن مبدأ حرية التجارة الذى كافح حزب الاحرار فى سبيلها كفاحا مجيدا فى القرن الماضى . وسنرى كيف أدى هذا التحول الى انحلال حزب الاحرار وتفوق حزب العمال

٣ ـ ظهور المرأة فى الميدان السياسى

ومن أهم مميزات الديمقراطية الجديدة ظهور المرأة فى الميدان السياسى بعد الحرب ، وكان طبيعيا أن تستجيب الحكومة والبلاد لمطالب النساء بعد أن لبين نداء الوطن منذ بدء الحرب ، فحولن مكاتب الدعاية السياسية الى مكاتب لتشغيل النساء فى الاعمال الخاصة بالحرب ، فتقدم منهن عشرات الالوف للعمل فى التمريض والمستشفيات وانتاج الذخائر ، وأخذن أماكن الرجال فى فلاحة الارض ومصانع الذخيرة وفى قيادة السيارات والمركبات ، وتألفت منهن كتائب للطيران وللعمل فى ميادين القتال مما أثار اعجاب الناس جميعا

لذلك لم يكن غريبا أن تعمل الحكومة على تحرير النساء سياسيا فأصدرت فى سنة ١٩١٨ قبل نهاية الحرب قانونا بمنح النساء حق الانتخاب بشروط مالية معينة

ولما انتهت الحرب نص ميثاق عصبة الامم ـ وكان جزءا من معاهدات الصلح جميعها ـ على ان جميع الوظائف فى السياسة مفتوحة للنساء مثل الرجال ، كما نص على ان النساء يتقاضين كالرجال أجورا متساوية ما دامت المرأة تقوم بأعمال متساوية فى القيمة كالرجل

وكانت الحرب قد علمت النساء دروسا مفيدة فى الاستقلال والاعتماد على النفس ، فبدأن يخرجن عن طوق المنزل وعن نطاق الاسرة ، وحطمن قيود الماضى وتقاليده فأقبلن بكثرة على التعليم العالى والتخصص للمهن الحرة ، واندمجن فى الحياة العامة بدرجة دعت الحكومة فى سنة ١٩٢٨ الى اصدار قانون مساواة النساء للرجال فصار لكل امرأة فى سن الحادية والعشرين حق التصويت والانتخاب للبرلمان

ولا شك ان اشتراك النساء فى الحياة السياسية العامة قد أكسب الديمقراطية الجديدة عنصرا نزيها فطر على الرحمة والصبر ومقت الظلم وأساليب العنف ، كما ان اندماجهن مع الناخبين من الرجال قد لطف من غلوائهم وكسر حدتهم فى وقت كان الشعور فيه بالغا أشده ضد الحكومات وأصحاب رءوس الاموال

٤ ـ تفوق حزب العمال

وبزيادة العناصر الديمقراطية بين الناخبين تقوى حزب العمال وأعلن صراحة برنامجه

السياسى ، الذى يقضى بأن تسيطر الدولة على موارد الانتاج ووسائل التبادل والتوزيع . وكانت الحكومة فى أثناء الحرب قد سيطرت على وسائل النقل مثل السكك الحديدية والبواخر التجارية وعلى انتاج الفحم وعلى التموين وبعض مواد الغذاء . وكان العمال ينتظرون استمرار هذه السياسة بعد الحرب حتى تقل البطالة بين العمال وتجرى الثروة فى أيدى الناس كما كانت فى أيام الحروب ، وكانوا ينتظرون أن تقوم الحكومة بانجاز وعودها للناس عامة بتحسين أحوال معاشهم وانشاء المساكن الصحية لهم وزيادة العناية بالاطفال والعجزة . ولكن الحكومة لم تف الا بجزء يسير من هذه الوعود

ولذلك جاهر حزب العمال بمبدأ تحويل موارد الثروة من أيدى الشركات وأصحاب رؤوس الاموال الى الدولة . ولما انقسم رجال حزب الاحرار على أنفسهم بسبب سياسة حماية التجارة ، انضم الموافقون منهم الى المحافظين ، وانضم المعارضون الى حزب المعارضة القوى وهو حزب العمال . وبذلك زاد عدد النواب من حزب العمال زيادة مطردة ، فبلغ عدد نوابه فى سنة ١٩٢٢ ١٤٢ عضوا ، ولم يكن له فى انتخاب سنة ١٩١٨ سوى ٦١ عضوا . وفى انتخاب سنة ١٩٢٣ صار له ١٩١ عضوا وبذا أصبح الطريق ممهدا لتولى الوزارة فى يناير سنة ١٩٢٤

وعلى ذلك عادت السياسة البرلمانية التقليدية الى مجراها القديم محصورة بين حزبين كبيرين يتناوبان الحكم ، حزب المحافظين وحزب العمال بدلا من حزبى « التورى » و « الهوج » أو المحافظين والاحرار

ويعتبر تولى العمال الحكم فى بريطانيا حادثا فذا فى تاريخها السياسى ، اذ رفع الى كراسى الحكم اناسا من صميم العمال ومن ابناء الطبقات الوسطى والفقيرة الذين كافحوا وجاهدوا بعرق جبينهم لكسب قوتهم وتثقيف عقولهم ، وما فتئوا يعملون وينهضون حتى أتتهم الوزارة مختارة ولم يكونوا فى نظر الناس يصلحون لها ، بل منهم من خشى ان يحدث العمال فى الادارة الحكومية وفى نظم الحكم انقلابا لا قبل بالبلاد به . حتى اذا تبوأ وزراء العمال مراكزهم وأحسوا بالتبعة تثقل كاهلهم وبالمسئولية تلقى على اكتافهم وباغلال التقاليد فى أيديهم ، وجدهم الناس سياسيين معقولين ومعتدلين كأكثر المحافظين بله الاحرار حذرا وتدبرا للامور

على انه يجب ان يقال ان العمال فى دورى حكمهم لم تكن لهم الاكثرية المطلقة فى البرلمان ، بل كان اعتمادهم على أصوات النواب الاحرار ولا يزال الحكم على سياسة العمال بيد المستقبل

٥ ـ جماعة الأمم البريطانية الحرة

والى جانب هذه التطورات فى الداخل تطورت العلاقات بين انجلترا وبين ممتلكاتها

المستقلة ، ففى اثناء الحرب ساهمت هذه الممتلكات بكل ما تستطيع من رجال ومال • وكان طبيعيا أن تعترف بريطانيا بهذا الجميل، فدعت فى يونيه سنة ١٩١٧ الجنرال سمطس Smuts رئيس وزارة جنوب افريقية ليكون عضوا فى وزارة الحرب • ولما انتهت الحرب جعلت لكل من كندا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقية والهند مكانا فى مؤتمر الصلح ، كما اقترحت قبولهم جميعا اعضاء فى الجمعية العمومية لعصبة الامم • واكتفت انجلترا بنفسها فى مجلس العصبة ممثلة للامبراطورية البريطانية

واجتمعت بعد ذلك مؤتمرات تمثل الامبراطورية البريطانية • وكان أهمها مؤتمر سنة ١٩٢٦ ، وفيه تكونت نواة جماعة الامم البريطانية الحرة التى اعترف بها رسميا فى قانون وستمنستر سنة ١٩٣١ • وبمقتضى هذا القانون أصبحت الأملاك المذكورة مستقلة وعلى قدم المساواة مع بريطانيا ، فصار لها حق التمثيل السياسى أمام الدول الاخرى ، وأصبحت برلماناتها لا البرلمان الانجليزى صاحبة السيادة، فوزاراتها وبرلماناتها هى التى تقرر الدخول فى الحرب ان شاءت أو التزام الحياد ، كما فعلت فى الحرب الحاضرة اذ قررت حكومة جنوب افريقية وايرلنده التزام الحياد • وبدت للناس مرونة النظم السياسية الانجليزية على الرغم من التناقض الظاهر فى بعض النواحى كأن يكون الملك فى انجلترا فى حرب مع المانيا بينما الملك فى ايرلنده او فى جنوب افريقية على الحياد مع نفسه !

وقد ظفرت ايرلنده فى سنة ١٩٣٧ بسلطات اوسع من نظام استقلال الاملاك ، اذ ليس بايرلنده حاكم عام ينوب فيها عن الملك كما فى الاملاك الاخرى بل بها رئيس منتخب يقوم مقام الملك

اتجاهات السياسة العامة

كان لويد جورج على رأس الحكومة الائتلافية عند انتهاء الحرب ، واليه يرجع معظم الفضل فى قيادة السفينة الى شاطىء السلام والنصر • فلما انتهت الحرب ـ وكان البرلمان قد ظل قائما منذ سنة ١٩١٠ ـ رأى لويد جورج ان يستغل الظرف فيدعو الشعب الى انتخابات عامة • وكان من أهم ما وعد به الناخبين محاكمة المسئولين عن الحرب ومطالبة الاعداء بدفع تعويضات كافية وتحسين حال العمال ومساكنهم بدرجة تليق « بالابطال الذين كسبوا الحرب » وما كادت الانتخابات تنتهى بفوز المؤتلفين بزعامة لويد جورج فوزا ساحقا حتى سافر الى مؤتمر الصلح فى باريس ومعه ثلاثة من أهم الوزراء ، وترك الحكومة فى انجلترا تعانى أزمات عدة كان فى مقدمتها ان حزب « السن فين » الايرلندى ـ وهو الحزب الجمهورى المتطرف ـ قد فاز بانتخاب ٧٣ عضوا فى الانتخابات الاخيرة ، غير أن الاعضاء بدلا من الجلوس فى مقاعدهم فى البرلمان الانجليزى اقسموا الا يذهبوا اليه وأنشأوا فى «دبلن» برلمانا جمهوريا • وبدأ نوع من حرب العصابات بين جنود «السن فين» والانجليز

ثم تورطت الحكومة مع الاغريق فساعدتهم ضد تركيا ، كما ساعدت الروس البيض ضد البلشفيك خوفا من انتشار مبادىء البلشفة • وكان نصيب هذا التدخل من جانب بريطانيا فشلا ذريعا أدى الى استقالة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ ، واسفرت الانتخابات العامة فى تلك السنة عن فوز المحافظين بزعامة بونارلو أولا ثم بزعامة بلدوين من بعده

ولما شرعت الوزارة فى تنفيذ سياسة حماية التجارة لجأ بلدوين الى الشعب فى السنة التالية فنال المحافظون الاكثرية ، ولكنها لم تكن مطلقة كما كانت اولا ، فتمكن العمال مع الاحرار من هزيمة الحكومة فى اول انعقاد البرلمان وتألفت وزارة العمال فى يناير سنة ١٩٢٤ بزعامة رمزى مكدونلد فسارت فى سياستها الداخلية بحذر • اما فى سياستها الخارجية فجنحت نحو روسيا وكادت تتفق معها تجاريا وتعطيها سلفة لولا ان الناس كانوا لا يزالون متخوفين من الدعاية البلشفية ، فانهزمت الحكومة فى اكتوبر سنة ١٩٢٤

ووقعت الانتخابات العامة ـ وخشى بعضهم ان يعود العمال الى الحكم وتعود معهم العلاقات مع البلشفيك ، فأذاعوا قبل الانتخابات حكاية خطاب زينوفيف Zinoviev وفحواها ان هناك مؤامرة تدبرها روسيا مع ممثليها فى انجلترا لدعوة العمال فى بريطانيا الى احداث الشغب وقبول المبادىء البلشفية • وكانت النتيجة انتصار المحافظين انتصارا حاسما ، اذ نالوا ٤١٣ مقعدا مقابل ١٥١ للعمال و٤٠ للاحرار ، وبذلك عاد المحافظون الى الحكم بزعامة بلدوين ونفذوا سياسة الحماية

وكانت فترة الحكم بين سنتى ١٩٢٤ ، ١٩٢٩ من اكثر العهود استقرارا وأقلها اضطرابا، ومن أجداها على الناس والانسانية عامة • ففى تلك الحقبة من الزمن انتشر استعمال السيارات وزاد اهتمام الناس بالحياة الريفية ، فاضطرت الحكومة الى العناية بالطرق العامة • واخترع اللاسلكى والاذاعة وتقدمت صناعة السينما وقل عدد المتعطلين نوعا ، وبدا للناس ان الامور قد استقرت بعد اضطرابها عقب الحرب وخاصة بعد دخول المانيا عصبة الأمم سنة ١٩٢٦

وكانت الانتخابات فى انجلترا فى سنة ١٩٢٩ قد اتت باكثرية غير مطلقة للعمال فتولوا الحكم لثانى مرة • ولما حلت الازمة المالية سنة ١٩٢٩ وواجهت البلاد مشكلة الجنيه الاسترلينى وهل تبقى انجلترا كما كانت محافظة على عيار الذهب لعملتها ، اضطر ماكدنلد رئيس وزارة العمال الى تأليف حكومة وطنية تمثل جميع الاحزاب فى سنة ١٩٣١ • وفى انتخابات سنة ١٩٣٥ اعاد الناخبون الحكومة الوطنية باغلبية كبيرة اذ نال المحافظون ٣٧٥ مقعدا والعمال ١٦٨ و٦٤ للاحزاب الاخرى ، فبقيت الحكومة وطنية يغلب عليها طابع المحافظين الى الآن

والحكومات الانجليزية مهما اختلفت أحزابها وتغيرت ألوانها السياسية تسير على نهج يراد به فى السياسة الداخلية نصرة الديمقراطية من غير تطرف أو عنف او ازعاج للتقاليد

وتقوية الاسطول بجميع اسلحته ، اذ يعتبرون القوة البحرية الدعامة الاولى لمناعة بريطانيا وحمايتها ولذلك تراهم حريصين على ان يكون لبريطانيا اقوى اسطول فى العالم ، ولا يتساهلون فى هذا المضمار الا للاملاك المستقلة وللولايات المتحدة . وقد اعترفت لها انجلترا سنة ١٩٣٥ بمساواتها لها فى حاجتها الى القوة البحرية

غير ان البحار والمحيطات التى تحصنت وراءها انجلترا فى الماضى لم تعد الآن فوق متناول الاختراعات الحديثة التى جعلت من بحر الظلمات نفسه خندقا مائيا يعبره الطائر فى نفس الزمن الذى كانوا يعبرون فيه القناة الانجليزية الضيقة بين انجلترا وفرنسا . لذلك اضطرت انجلترا أخيرا كما ستضطر امريكا الى ترك سياسة العزلة التى لم تعد منيعة كما كان يظن . وكما عالجت انجلترا مشكلاتها الداخلية بتأليف الحكومات الوطنية التى تضم جميع الاحزاب ، كذلك ستعالج المشكلات الدولية بتأليف حكومات او مجالس تضم جميع الدول وفى مقدمتها امريكا . وحينئذ تكون الحدود التى تفصل بين الدول اقوى من ان تنال منها الاساطيل او الدبابات او قاذفات القنابل . حينئذ تكون الحدود بينها هى حدود « القانون » وكفى به حارسا للامن والعدل والسلام

محمد رفعت

وداع الحرية

« قد يكون تناقضا ان تعلن هذه الحرب باسم الحرية وحقوق الانسان ، ثم تقتضينا حالة الحرب تسليم الكثير من حرياتنا العزيزة وحقوقنا لأجل معلوم . . فمجلس العموم قد وافق فى الايام الاخيرة على عشرات القوانين التى تسلم للسلطة التنفيذية أثمن حرياتنا التقليدية وأعزها علينا . على اننا مطمئنون الى ان هذه الحريات قد سلمت لأياد لن تعبث بها ، ولن تستغلها لاغراض حزبية ولا طائفية ، بل تحرسها وترعاها . ونحن نتطلع بأمل وعزم اكيد الى اليوم الذى ترد فيه الينا حريتنا وحقوقنا ، والذى نتقاسمها فيه مع الشعوب التى حرمت من مثل هذه النعمة »

ونستون تشرشل



٦٫٠٠٠٫٠٠٠ امرأة يعملن فى الانتاج الحربى والاقتصادى

تقوم السيدات البريطانيات اليوم بدور هام فى الحرب ، فهن يعملن فى المصانع الحربية وغيرها ، ويقبلن على عملهن المرهق بسرور فى سبيل الوطن . وقد بلغ عدد النساء المشتغلات فى نواحى العمل التى لها اتصال بالانتاج الحربى والاقتصادى مايزيد على ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ امرأة ، وينتظر أن يصل العدد إلى ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ حتى يصل الانتاج إلى الحد المطلوب لضمان التفوق البريطانى . وترى فى هذه الصورة سيدتين من العاملات فى المصانع الحربية وقد حملت إحداهما بعض بنادق المشاة والأخرى أحد مدافع « برن » السريعة الطلقات

نصيب المرأة الأنجليزية

من الحرب الحاضرة

بقلم الآنسة أسماء فهمى
وكيلة معهد التربية للمعلمات

المرأة الانجليزية ـ كالرجل الانجليزى ـ نشأت على محبة الحرية ، ودربت على الثبات على المبدا ، والثقة بالنفس ، وملئت نفسها بحرارة الوطنية وقداسة التضحية

قديما كان نصيب المرأة ضئيلا فى الحروب ، فكانت تكتفى فى أغلب الحالات باثارة حماسة الرجال للطعان باظهار تقديسها لاعمال البطولة والذود عن الاوطان ، كما كانت تقوم بتضميد الجراح فى بعض الاحيان • وبما ان المرأة بقيت بعيدة عن ميدان المخاطر الى حد كبير ، ولم يكن لها غير هذا الحظ اليسير من الحروب ، فقد اختص الرجل دون المرأة بصفات البطولة والتضحية والشجاعة والقوة • وعلى هذا الاساس حصل على حقوق وامتيازات أكدت سيادته على المرأة • وهكذا كانت الحرب قديما من أهم العوامل فى اضعاف مركز النساء فى أكثر الانحاء

ولكن الحروب الحديثة ، بخلاف الحروب قديما ، فتحت المجال لمساهمة المرأة فيها مساهمة جدية • وقد ظهر أثر هذا الانتقال فى الحرب الكبرى الماضية • وكان للمرأة الانجليزية بصفة خاصة أثر بعيد فيها ، فالمرأة الانجليزية تمتاز بالاقدام وتقدير المسئولية والروح الوطنية العالية • وقد أقبلت عشرات الالوف من النساء للتطوع فى ميادين العمل المختلفة المتصلة بالحرب • وقمن بأعمال كانت حتى ذاك الوقت مقصورة على الرجال • ولقد ادت تلك المساهمة الناجحة الى اضعاف الفروق بين الجنسين والى حصول النساء على حقوق جديدة ، اهمها حق التمثيل النيابى الذى حصلت عليه المرأة الانجليزية بعد الحرب مباشرة ، كما تخلصت من كثير من القيود والتقاليد البالية التى كانت تحد من حريتها وتحول دون مساواتها بالرجل

النساء المجندات

أقبلت المرأة الانجليزية بحماسة وهمة لا نظير لها على اداء واجبها ، فتقدم ألوف من النساء للانتظام في سلك الجندية والانضمام إلى القوات الجوية والبحرية . وهذا فريق من المنخرطات في سلك الجيش الاقليمي يتعاون على دفع إحدى سيارات النقل التي انغرست عجلاتها

يعملن لتدفئة البحارة والجنود



ومن الانجليزيات فريق لا يقل عمله أهمية عن عمل المتطوعات في الجندية والعاملات في المصانع . فقد تكونت في مختلف أنحاء انجلترا « فصول » تعمل المنخرطات فيها في صنع الملابس للبحارة والجنود . وهذه فتاة من أولئك المتطوعات وقد أنجزت عمل نوع من القفازات الصوفية وقد لبسته لتجرب مبلغ الدفء الذي يبعثه في اليدين

اما الحرب الحالية فقد فتحت بلا شك اكبر ميدان لمساهمة المرأة فى الشئون العامة ولاختبار قوة احتمالها ومدى استعدادها للتضحية . فلم تتعرض الامبراطورية البريطانية فى جميع مراحل تاريخها لحرب اشد هولا واعظم خطرا من الحرب الحاضرة ، ولم تشعر بريطانيا بحاجة اشد من حاجتها اليوم الى شحذ جميع الهمم واستخدام جهود جميع ابنائها رجالا ونساء لمنازلة عدو تناهى فى القوة وتفوق فى العدد والعدة

وهكذا وقع على عاتق المرأة الانجليزية فى هذه الحرب الطاحنة عبء لم تتحمل مثله من قبل ، كما اصبحت عرضة لملاقاة اشد المتاعب والاهوال مما يربو فى بعض الاحوال على متاعب الرجال . ولكن المرأة اقبلت بحماسة وهمة لا نظير لهما لاداء واجبها نحو وطنها ، فتقدم الوف من النساء للانتظام فى سلك الجندية كجنود احتياطيين للاشتراك فى المحافظة على الامن الداخلى وقت الحاجة ، وللقيام بأعمال الطبخ والنظافة والامور الادارية المرتبطة بالجيش فى الأحوال العادية . كما قد انضم الى القوات الجوية والبحرية فرق من النساء من بين سن ١٨ ـ ٤٣ سنة ، وكلهن يتلقين تدريبا كاملا ويرتدين الزى الحربى ، وان كانت أعمالهن تنحصر فى النواحى الكتابية وأمور التغذية والملابس والشئون الصحية . كما انضم عدد كبير من النساء الى فرق المطافىء ، فبلغ عدد من تطوعن فى لندن وحدها لهذا العمل ٥٠٠٠ امرأة ، الا انهن لا يقمن بعمليات الاطفاء بالذات . أما عدد النساء اللاتى يشتغلن بقيادة سيارات الاسعاف فى الغارات الجوية فلا يقل عن ٤٠٫٠٠٠ امرأة ، هذا بينما بلغ عدد المتقدمات للعمل فى الحقول والصناعات الزراعية ٢٠٫٠٠٠ امرأة ولقد بلغ عدد الاحتياطى من الممرضات المتطوعات ٩٥٫٠٠٠ ممرضة فوق العدد المسجل للخدمة بالفعل وهو لا يقل عن ٧٠٫٠٠٠ ممرضة . هذا بالاضافة الى ما يزيد على ٥٠٠٫٠٠٠ امرأة يشتغلن فى نواحى الاسعاف واعمال الوقاية ، وتنظيم نقل الاطفال الى الجهات البعيدة عن الخطر ، وعمل الملابس الصوفية للجنود ، وتوزيع الطعام فى المخابىء وانشاء أندية للامهات المهاجرات للريف ، الى غير ذلك من الاعمال الكثيرة الهامة التى لا يمكن حصرها فى هذه العجالة . اما عدد النساء المشتغلات فى نواحى العمل الاخرى التى لها اتصال بالانتاج الحربى والاقتصادى فلا يقل عن ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ امرأة ، وينتظر ان يصل هذا الى ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ حتى يصل الانتاج الى الحد المطلوب لضمان التفوق البريطانى

ويبين لنا ذلك أهمية الدور الذى تلعبه المرأة الانجليزية فى الحرب الحاضرة وعظم العبء الذى تتحمله ، خصوصا اذا علمنا ان المرأة تؤدى كل ما يعهد اليها بكفاءة نادرة ، نظرا لما يدفعها من روح الوطنية الصادقة التى تمتاز بها المرأة الانجليزية ، ونتيجة للخبرة الواسعة التى اكتسبتها فى ميادين العمل المختلفة التى كانت تساهم فيها قبل الحرب الحاضرة . ولو لم تقبل المرأة على تلك الميادين ، وتشترك فى واجبات الدفاع والوقاية والانتاج والادارة والتنظيم بتلك الهمة الفريدة ، لتضاعفت المصاعب التى تواجه الامة البريطانية . فالمرأة التى لا تساهم فى شئون الدفاع والانتاج فى مثل تلك الظروف هى

بائعات

وهذه صورة صيفية . فقد كان عدد باعة « المثلجات » من الرجال فى لندن زهاء ٧٠٠٠ بائع التحق منهم بالجندية نحو ٤٠٠٠ رجل . فظهرت الفتيات فى شوارع لندن فى الصيف الماضى بدلا من الرجال يركبن « التريسيكل » ويبعن « المثلجات » للجمهور



الفتيات « المفرحات »

ولقد تطوع من الانجليزيات زهاء ٢٠,٠٠٠ امرأة للعمل بدل الرجال فى الحقول والصناعات الزراعية . فمنهن من تحرث الأرض ، ومنهن من تصنع الزبد والجبن، ومنهن من ترعى الاغنام وتجز أصوافها . وقد التقطت هذه الصورة لفتاة من تلك الفئة الاخيرة وهى تجر نعجة من القطيع الى مكان جز الصوف حيث تقوم زميلاتها بعملية الجز

عضو أشل ، فظروف الحرب ليست كأوقات السلم التى يكتفى فيها من المرأة بانجاب الاطفال والعناية بشئون الدار ، بل لا بد ان تكون على استعداد لان تجند فى صفوف المدافعين العاملين فوق وظيفتها الاصلية

على ان المرأة الانجليزية لا تساهم فحسب فى ميادين الخدمة العامة كما بينا ، وانما هى تتحمل فوق ذلك من الآلام وتواجه من المخاطر مثل ما يواجه الجندى فى الميدان فى حالات كثيرة . فقد قضت الغارات الجوية المروعة ان تفرق بين الطفل وامه ، فارسل الاطفال الى بلاد فى قارات تفصل بينها وبين القارة الاوربية المحيطات ومئات الاميال حتى يكونوا فى مأمن من تلك الاهوال أو الى جهات فى قلب الريف وبين الجبال . والام المسكينة تكون فى تلك الحالة بالضرورة بين نارين ، فهى لا تجرؤ على استبقاء اطفالها فى المدن بجانبها خوفا من قذائف الموت التى تمطرها بها الطائرات ليل نهار ، وهى ان ارسلت ابناءها بعيدا عن الاخطار تشقى لفراقهم وتخشى ان ينساها اطفالها بمرور الزمن فلا يعرفونها اذا قدر لهم اللقاء . هذا الى جانب ما تصاب به المرأة فى دارها ومصدر رزقها ، فكثير من النساء قد اصبحن بغير مأوى بعد ان دمرت القنابل دورهن الهادئة الجميلة كما دمرت المصانع والحوانيت التى كانت مورد رزق لكثير من النساء العاملات . ويزيد من متاعب المرأة فى اكثر انحاء الجزر البريطانية انها تضطر الى قضاء الليل بأكمله فى المخابىء العامة او الخاصة بل قد تضطر الى قضاء جزء كبير من النهار ايضا فى تلك الكهوف الباردة المعتمة حيث لا تتوافر بالضرورة اغلب وسائل الراحة . ثم لا ننس ايضا ما تلاقيه المرأة من صعوبات فى تنظيم معيشتها بعد ارتفاع الاسعار ارتفاعا كبيرا ، وتحديد كميات الطعام والوقود بحيث لا تكاد تسد الحاجات

والواقع ان الكثيرات من اولئك النسوة اصبحن يحسدن الجنود فى الميدان . فالجندى وان تعرض للمخاطر فى كل وقت الا ان حياته مملوءة جدة ونشاطا ، ثم هو يمنى نفسه بالانقضاض على العدو فى اية لحظة ، فاما ان يحظى بأكاليل النصر ويذوق لذة الفوز ، واما ان يسقط فى ميدان الشرف فيموت مطمئنا ، لانه يعلم ان اسمه سيدون فى صفحة الخلود . اما المرأة فلا يلمع فى افق وحدتها أو جهادها بريق هذا المجد . وهى لا تطمع ان يكلل جبينها بغار الفوز والانتصار أو ان تحصل على أوسمة ونياشين اسوة بغيرها من المجاهدين من الرجال . ولكن المرأة بالرغم من ذلك ومن صعوبة العبء الذى تضطلع به لا تشكو ، بل هى تقابل متاعبها الجمة بانشراح واطمئنان . وان أخبار الحرب لتشير فى مناسبات كثيرة الى تلك الروح السامية ورباطة الجأش النادرة اللتين تمتاز بهما المرأة الانجليزية فى جهادها الطويل ، وان من يعرف الخلق الانجليزى والتربية الانجليزية ليضمن استمرار ذلك الاحتمال حتى تفوز الامة بالانتصار . فقد نشأت المرأة الانجليزية كالرجل الانجليزى على محبة الحرية ، ودربت على الثبات على المبدأ والثقة بالنفس ، وملئت نفسها



« ساعية » متأنقة

تستخدم المصالح الحكومية والشركات والبيوتات التجارية والمالية وغيرها في انجلترا آلافا من الفتيان في وظائف السعاة . ولما كان الفريق الأكبر من هؤلاء الفتيان قد التحق بالقوات الجوية والبرية والبحرية أو بمصانع السلاح والذخيرة ، فقد أقبلت الفتيات على القيام بعمل السعاة . وهاهي إحداهن تستخرج الرسالة من حقيبتها عند وصولها الى إحدى المصالح الحكومية في لندن

« كماريات أوتوبيس »

وهذا فريق من الفتيات اللواتي حللن محل الرجال في الخدمات العامة ، وقد ارتدين جميعاً ثياب « كماريات الاوتوبيس » وحملن دفاتر التذاكر وعلقن « الشنط » بالاكتاف قبيل خروجهن من مستودع السيارات الى عملهن اليومي

بحرارة الوطنية وقداسة التضحية • وبفضل هذه التربية اصبحت كالرجل الانجليزى لا تزيدها المخاطر الا عنادا وصلابة

ولقد كان للمرأة الانجليزية فى التاريخ صفحات من العظمة والبطولة • فهى كملكة اثارت حماسة الشجعان وجلبت المجد والفخار لبلادها حتى لقد سمى عهدان من أمجد عهود انجلترا باسمى ملكتين من ملكاتها هما اليصابات وفكتوريا ، وكزوجة أو كام كان لها أثر كبير فى استعمار الجهات النائية الموحشة فقد سارت فى طليعة المستعمرين بقدم ثابتة وشجاعة فائقة • كل ذلك يفسر ثباتها وصلابتها فى اشد المواقف حرجا ويملأ النفس اطمئنانا الى مستقبلها • واذا جاز لنا ان نقيس على الماضى ونتنبأ بالمستقبل ، فان لدينا ما يحمل على القول بأن اشتراك المرأة الانجليزية فى الحرب الحالية وتحملها كل مخاطر الحرب بجلد وثبات سيجعلها أهلا للحصول على حقوق جديدة بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ويفتح امامها باب الاشتراك بصفة جدية فى وضع اسس جديدة للسلم وبقائه وتنظيم العلاقات الودية بين الشعوب ، ولربما كانت المرأة اقدر من الرجل على تحقيق ذلك الامل الذى حاول الساسة طوال السنين دون جدوى تحقيقه ولكنهم فشلوا المرة بعد الاخرى ، لان الاثرة والميل الى التملك والسيطرة لديهم كانا أقوى من الميل الى تحقيق الالفة والوئام بين البلاد • فالمرأة أكثر استعدادا للتضحية واقوى نزعة للعطف والرحمة والسلم ، فليس هناك أقدر على الرحمة والخير من الأم

أسماء فهمى

من كلام الانجليز

Look not mournfully into the past,
Wisely improve the present,
It comes not back again,
It is thine.
Go forth to meet the shadowy future,
Without fear, and with a manly heart.

وترجمتها :

لا تنظر باكتئاب الى الماضى ـ انه لن يعود
واحرص على تحسين حاضرك ـ فانه لك
وقابل المستقبل المجهول بنفس قوية وقلب شجاع

وهذه الحكمة تقابل البيت العربى المشهور :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

الوطنية كما يفهمها الانجليز

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

كنت أسائل نفسى دائماً ترى ما هو السر فى إقدام قوم على التضحية فى سبيل ما تواضعوا أن يدعوه وطناً وفى استهتار قوم بالأمر أو التلكؤ عنه ودع عنك هذه الجيوش المنظمة التى تهلك دفاعاً عن أوطانها فانها يسيرها فى معظم الأحوال نظام عسكرى صارم يوجهها الى ما يختار من القبلات أو تستهويها زعامة تستغل شعوراً تتوارثه الاجيال وهو خليط من حب الأرض أو تعلق بأبوة أو بنوة أو عقيدة دينية

فالوطنية أو حب الأوطان ليس هذا بل قد تكون كل هذا وشىء آخر تزيد عليه

فما هى الوطنية ؟ . وما هو الوطن ؟

أأرض ذات حدود ومعالم تضم قوما من أبناء آدم فيدينون لها بالحب . ولماذا الحب ؟

وما بال القوم الذين تكون أرضهم تبعاً لدولة هى دولتهم اليوم ثم لدولة أخرى تكون دولتهم غداً

هل نعامل عاطفتهم ــ من حب ومن كره ــ معاملتنا شقة من الارض تقيم عليها فواصل الحدود وترمز اليها بالأعلام والرايات

وقد يستسيغ المرء جامعة يقوم بناؤها على عقيدة دينية لأنها فى معظم الأحوال تنشأ عن ظن بأن القوم وقد اعتنقوا مذهباً واحداً موحى به من الله ، أصبحوا أبناء الله وأنه أقامهم وكلاء فى الأرض عنه وأنهم مكلفون بفضائه يدخلون الناس فى مذهبهم فتوحد هذه العاطفة بين أشتات المعتقدين بها وتبعدهم عن المخالفين لها فينشأ الكره لهؤلاء والحب للمتحالفين ، كأن العطف أو الحب بين بعض من أبناء آدم والبعض الآخر لا يكون على أتمه إلا اذا تناول مقتاً للآخرين الكافرين بما تدين به الجماعة الأخرى

والا كيف نعلل الحروب والاضطهاد والظلم الذى أثارته الاختلافات الدينية فى تاريخ الانسانية . على حين نرى الأديان تأمر بالمعروف وبالعدل وبالرحمة ؟

ثم انكمشت البشرية من جامعات فكرية الى جماعات تضمها أرض فظنوا ان جامعة الوطن أجدى وأنفع

فاستبدل القوم بالوطنية كل جامعة غيرها

فكانت الحروب والويلات التى نشأت عن حب الاوطان شراً من تلك التى أثارها حب الله

ذلك لأن ابن آدم يأبى أن يبرهن على مقدار حبه إلا باظهار مقدار كرهه

فهو يؤثر بحبه من يرى فيه عائدة خير ويخص بكرهه من يرى فيه مشاركا أو منازعاً فى نفس أسباب الخير

فلنأخذ الوطنية التى تواضع الناس عليها ولننظر اليها كما هى

وهل يدان لها بالولاء ظالمة أو مظلومة ؟

واذا كان الانجليز فى مقدمة الشعوب التى أدركت معنى الحياة فكيف يفهمون وطنيتهم إنها فى جوهرها قائمة على فكرة « العائلة » . فالبيت هو أول حجر يقام عليه الوطن وعلاقة الأبوين بالأبناء يجب أن تكون شعاراً ينسج الوطن على منواله

إن كثيراً من القواعد الذهبية التى يضعها الناس موضع الآيات المنزلة ليست فى الواقع إلا أدوات زينة تضعها فى بيتك موضع النظر أو موضعاً يسد فراغاً ولكنك لا تستطيع الاستمتاع بها فى الحياة العملية

أو هي من جوامع الكلم يخاطب بها المثل الأعلى فى ابن آدم فيسمع الخطاب فاذا جاء دور تنفيذه تقاعس لأن العائدة عليه فى حياته تناقض المبدأ فى ذاته . ومنطق الحكمة اذا اصطدم بمنطق الحياة اندحر وباء بالفشل فالحياة هى الآمرة الناهية مهما تحاول النفاق فيها أو الدوران حولها

حق الأبوة على الأبناء واضح مقرر

وعلى الابن أن يكرم أباه ويحب أمه

فاذا كان الأبوان قاسيين تجردا من الرحمة والرفق بالابن واستعملاه لما ربهما دون فائدته ، فهل تجب عليه محبتهما أو البر بهما

إن أنت أوجبت الأمر حبراً على ورق أو قانونا على لسان وشفة فانك لن تستطيع الوصول به الى القلب

إنه عند ما يجد الجد يترك الابن أبويه ويضرب بالمبدأ عرض الحائط لأن الرابطة الحقيقية قد انعدمت فانهدم الأساس

واذا ضم بلد قوماً شماميط فاستبد كبيرهم بصغيرهم واستأثرت الأكثرية بالأقلية وأساءت اليها وحرمتها مما تستمتع هى به فهل يجب على الأقلية حب هذا البلد ؟ وإن أوجبها اللفظ فهل تجد الى القلب سبيلا ؟

إن الوطن لبيت كبير

والوطنية علاقة وهمية لا يثبتها إلا العدل والمنفعة للجميع

فاذا آثر أب فى بيته أحد أبنائه على الأبناء الآخرين ، عقه الابن المفضول وهجر البيت الى لا رجعة

وللملكة التى لا ترعى أبناءها جميعهم رعاية واحدة لا يحق لها لقاء الاخلاص من الأبناء المهضومى العدل

والانجليز قوم فهموا الحياة وأخذوها ولبسوها كما هى لا كما يجب أن تكون

والحياة معقدة مركبة . فيها المادة وفيها الروح . وفيها الفضيلة ومثلها العليا وفيها الرذيلة ومساويها . فيها الشعر والخيال وفيها العلم الطبيعى والكيمياء . فيها القوة وفيها الضعف

فهنيئاً لمن يستطيع أن يجمع ما تناقض من الحياة فى كيانه إنه الرجل الكامل حقاً

وأما هذا الذى يتجرد عن أشياء ويتخصص بشىء واحد فانه الرجل الذى يثقل عليك ظله مهما سمت فضائله

لذلك آثر الناس شكسبير على كل شعراء الدنيا لأنه جمع «الحياة» فى أشخاصه وكان «إنساناً» إنه لم يحاول أن يكون ملاكا ، ولم يقنع أن يكون شيطاناً

والشعب الانجليزى فى نظرنا يحتل فى العالم مكاناً هو أقرب مكان الى ما أشرنا اليه . فهو لا يطمع بالكمال ولكنه يأخذ متاعه من الحياة كيفما يجيء وحسبما يستطيع

فهو ليس بالذكى الذى يحاول أن يسمو فيسيء الى نفسه ويسيء الى العالم

وهو ليس بالبليد يلتصق بالدنيا ولا ينظر الا الى المادة انما هو مزيج عادى من البشرية أدرك سر الحياة وأنها أدنى الى الانسان اذا فهم ما حوته من تناقض مما تكون اذا حاول أن يكيفها على عقله

وهذا هو سر نجاحهم حيث فشلت الشعوب الأخرى

الانجليزى يحب انجلترا طالما وجد فيها حريته وعيشه ولكنها لن تساوى عنده قلامة ظفر اذا ظلمته وأجاعته

ألا ترى أنه اضطهد فيما مضى وصودر فى عقيدته الدينية والسياسية أى فى حريته فهجر الجزيرة ويمم أميركا فأقام فيها مستعمرة انجليزية حتى اذا بدا للقوم فى انجلترا أن يعدوا اليه ظلمهم ويفرضوا عليه ضرائب لا يد له فيها أبى واستكبر وثار وكانت الولايات المتحدة الأميركية

وهو اذا رحل الى كندا أو أستراليا أو جنوب أفريقيا وأنشأ بيته وحكومته كان جل همه أن يعيش مستقلا عن أمه لا يقبل منها تدخلا فى شؤونه

فاذا مسها الضر هب الى نجدتها عن إيمان وعن نخوة . وعن سعى وراء منفعته المادية . وعن دفاع عن ميراثه الأدبى المجيد

فوطنيته ليست خيالية . انها نفعية مادية وروحية . فهى اذاً صادقة لا رياء فيها

فهم لا يتغنون بالوطن ويزدهون بالوطن انما يعشقون بيوتهم ويؤثرونها على كل مقام آخر

فوطنيتهم ملموسة محسوسة بعيدة عن الخيال وعن الوهم . تترجمها أعمالهم وتنبو عنها

ألفاظهم . لأنها جزء من طبيعتهم فاذا خدموها لم يفتخروا ولم يطلبوا شكراً . لاعتبارهم ما يفعلون واجباً ولا شكر على واجب

ولقد أدرك القوم فى هذه الجزيرة المعتصمة بحبل الحرية أن الحياة لا تستقيم مع الاضطهاد ومع الاستئثار فجعلوا قاعدتهم المساواة فى تحمل الأعباء وتلقى الحقوق فبعد أن كانوا قوماً متعصبين لدينهم اذا بهم يطلقون للكاثوليك ثم لليهود كل أسباب المتاع فى الوطن الانجليزى فوصلوا الى ما هم عليه الآن من قوة وتضامن

فلا يشعر البريطانى بفوارق تفضل بريطانياً عن آخر فى كل الأمور السياسية

وسوف نرى بعد هذه الحرب زوال الفوارق الاجتماعية التقليدية أيضاً

وليس ما وصلوا اليه من تقرير هذه الأسس القوية نتيجة بحوث فقهية أو مبادىء فلسفية انما هى فائدة عادت من بعد تجربة . انها تنفيذ لمبدأ الأخذ والعطاء بين الناس . فاذا أحببت أن تكسب يجب أن تغنى غيرك

حبذا لو فهم الناس حقيقة هذه المبادىء الوطنية اذن لجعلوها قاعدة الحياة العملية ونبذوا الألفاظ الجوفاء

على أن الاقلاع عن ظاهر الأمور والأخذ ببواطن الجد ليس بالشىء السهل المنال

فقرع الأسماع بالكلام عن الوطنية وادعاء احتكار الوطنية واتهام الغير بالمروق من الوطنية والتغنى فى الصباح والمساء بالوطنية واقامة فروضها من غناء وصياح وأعلام تنشر وخطب تلقى — كل هذا رخيص لا يقتضى صاحبه شيئاً من البذل

وأما الذود عن الوطنية بالسكوت وبالتضحية وبايثار المجموع على المنفعة الشخصية . وأما جعل الوطنية شيئاً طبيعياً يستنشق المرء شذاها كما يستنشق الهواء حتى يكاد لا يشعر بوجودها كما لا يشعر القوي الصحيح بوجود أعضاء جسمه الداخلية ، فهذا شىء يستدعى متانة فى الاخلاق وترفعاً عن الظاهر كبذلك العون لأب لك أو لأخ فانك تستتر ولا تباهى وأما الى الغير فلا تجعله فى الخفاء إلا قليلا

حتى كدنا نحكم على الوطنية الصادقة من الكاذبة من هذه القشور التى تسد علينا الطريق . هل هى مقيمة لا تبرح أم يستطاع معها الوصول الى اللباب

فاذا قلنا إن الانجليز يضربون للناس أمثلة فيما يجب أن تكون عليه الوطنية فلا نقوله مدحاً لهم أو حباً فيهم انما نقرر الأمر كما هو وكما يجب أن يكون ونزعم أن هؤلاء القوم أخذوا منه نصيبهم كاملا لم يجارهم فيه قوم آخرون

وقد لا يكونون هم أنفسهم قد بلغوا الغاية منه ولكنهم أبصروا الطريق وساروا عليها

وليس فى ذلك بدع ، فهذه سليقتهم قد تكون أوجدتها جغرافية البلاد وقد يكون سببها

اختلاط الدم والعناصر فى هذه الجزيرة أدى الى نشوء قوم هم ما نراه عليهم منذ أكثر من قرنين

فكما أن الفلسفة اليونانية القديمة شحذت الفكر الانساني ورفعته الى أعلى درجات التهذيب فجعلته خيالا أو سعياً وراء خيال بغية الوصول الى الكمال فلم توفق الى أن جاءت الفلسفة الانجليزية مع مؤسسها فرنسيس باكون فوضعت قواعد أخرى للحياة غير هذه الفلسفة المطلقة المقصور أمرها على الفكر ، وضعت أسس الفلسفة العلمية العملية الآخذة بنتائج الامور لا بمقدماتها فحسب

فالانجليزى إذا حاول إصلاح قضاء دب فيه الفساد بعوامل الرشوة مثلا لم يضع قانون ارشاد ومواعظ ومبادىء أدبية فقط بل تعدى الأمر فرفه على القاضى وأكثر له دخله فمنع عنه تسرب العامل الأصلى للفساد

وقس على ما ذكر جميع العوامل التى تجمع هذا التصور الذى ندعوه وطنية

فأدى التوسع فى تنفيذ مبدأ منطق الحياة دون منطق الالفاظ أن جعل الوطن منزلا تستقر فيه الراحة المادية أولا ذريعة الى استقرار الشعور بالحب

فانه يبدأ الانسان أن يعيش ثم يخطر له أن يتفلسف بعد ذاك

وتفرع عن هذا أن حببوا البيت لجميع سكانه لا ينظر فيه الى اختلاف العنصر أو الدين أو وجود أكثرية أو أقلية الا ما كان عالقاً بالشئون السياسية الادارية

لذلك نرى فى غير انجلترا مشكلات لا تحصى بعثها اضطهاد الاكثرية للاقلية أو حرمان الأقلية من حقوق الاكثرية ولو عقل الناس وراعوا الحقيقة دون النعرات العاطفية لآمنوا بان العطا أشرف من الأخذ وأن شريكك فى الملك له ما لك لا يميزك عليه اعتبار

والا فكيف نطلب إخلاصاً من قوم لا يشعرون بالحب ؟ أو كيف نرجو تماماً فى الأعباء إذا كانت المنافع قد جار أهلها فى توزيعها

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

انه عند ما يدرك الناس ان الوطنية وحب الوطن شيء مادى أساسه لقاء الخير والاستمتاع به فى بقعة من فضاء الله وانه لهذا السبب يخلق فى القلوب حباً وتعلقا وإيثاراً ، عند ذاك يزول مابين أهل الوطن الواحد من فوارق وعند ذاك يرتفع هذا الوطن الى السماكين لاجماع كل الأبناء على التضحية فى سبيله

وأما أن نفرض الالفاظ على فريق ويستأثر فريق آخر بالمعاني ، فغير مؤد الى صراط الوطنية المستقيم

سامى الجريديني

احكمي يا بريطانيا

للشاعر الانجليزى جمس تومسون

ألف هذا النشيد القومى المشهور الشاعر الانجليزى James Thomson
جمس تومسون أحد شعراء القرن الثامن عشر فى انجلترا

حينما قُمنا إلى هذا الوُجودْ نعمُرُ الأرضَ ونَبني في القِفارْ
هتفَتْ في الأوجِ أملاكُ السُّعودِ بابتهاجٍ في البرايا وافتخارْ :
(أحكُمي يا بريطانيا وسُودِي واملأى الأرضَ جلالاً والبحارْ)
(إنّ أبناءكِ أبناءُ الأسُودِ ليُمْ الحرّيةُ دينٌ وفخارْ)
نحنُ للطّاغينَ قومٌ لا نلينْ لا ، ولا للظّلمِ نُدعى خاضعينْ
نعشقُ المجدَ ، ونعلو الآخرينْ بنِضالٍ وثَباتٍ واقتدارْ
(أحكمي يا بريطانيا ...)
كلما اشتدّتْ تصاريفُ الزّمانْ فبريطانيا صَبُورٌ كالزّمانْ
ثم تبدُو في ميادينِ الطعانْ بحماسٍ لا يبارَى وانتصارْ
(أحكمي يا بريطانيا ...)
كلُّ طاغٍ مُستبدٍ في البلادْ لم يجدْ فيكِ سوى قومٍ شِدادْ
قدْ أثارَ العزْمَ فيهم والجلادْ وتردّى في البلايا والخسارْ
(أحكمي يا بريطانيا ...)
يا بريطانيا لكِ الريفُ الجميلْ ولكِ المجدُ التّجاريُّ الأثيلْ
أنتِ قطبُ الأرضِ والدُّنيا تجولْ حولَ شطآنكِ يا كنزَ النُّضارْ
(أحكمي يا بريطانيا ...)
وعروسُ الشِّعرِ تهفُو للجمالْ في حمى التّاميزِ يحميهِ الرجالْ
تاجكِ المحبوبُ معدومُ المثالْ يا ابنةَ العلياءِ ويا أمَّ البحارْ
(أحكمي يا بريطانيا ...)

(عن الأصل الانجليزى) طاهر الطناحى

جهود بريطانيا فى الحرب الحاضرة

فى البر والبحر والجو

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

قد تكون جهود انكلترا البرية فى هذه الحرب حتى الآن أقل من جهودها البحرية والجوية ، ولكن الذى لا شك فيه هو ان استعداد انكلترا البرى فى هذه الحرب لا يقل فى ضخامته وأهميته عن استعدادها فى البحر والجو ، وبينما دخلت انكلترا فى بداية الحرب الكبرى الى جانب فرنسا بجيش لا يزيد على مائة وخمسين ألفا ، ودون أن تكون الخدمة العسكرية قد تقررت فيها بعد ، اذا بها تواجه الحرب الحالية بجيش بربى على المليون وبقرار الخدمة العسكرية الاجبارية ، وقد وصل عدد الجيش البريطانى الآن فى الجزر البريطانية وحدها نحو مليونين ، وهذا الجيش الضخم الذى لم يسبق أن حشدت بريطانيا فى تاريخها جيشا فى ضخامته واستعداده ، يقف الآن متحفزا للدفاع عن بريطانيا العظمى ضد أى خطر محتمل من جانب جيوش الغزو الالمانية التى تواجهه فى الشاطىء الآخر من بحر الشمال ، واذا ذكرنا كيف تطورت فنون الحرب اليوم ، وغلبت عليها الصفة الميكانيكية ، وسرعة الحركة ، وأصبحت تتطلب من العتاد والسلاح والسيارات المدرعة أضعاف ما كانت تتطلبه فى الحرب الماضية ، أدركنا فداحة الجهود التى يقتضيها حشد مثل هذا العدد الضخم وتجهيزه وفق مطالب الحرب الحديثة

فى البر

وكانت فاتحة جهود انكلترا البرية فى هذه الحرب حملتها الى النرويج فى ابريل الماضى لمعاونة النرويجيين على مقاومة الغزو الالمانى ، وقد كانت حملة شاقة امتزجت فيها الحرب البرية بالحرب البحرية ، واقترنت بأخطار ومغامرات جمة . ومع ان الانكليز استطاعوا آخر الامر أن يحققوا بغيتهم بالاستيلاء على ثغر نارفيك ، وقطع طريق الالمان نحو الشمال ، فانهم آثروا الانسحاب من النرويج بعد أن اقتنعوا بعقم الجهود التى تبذل فى هذا الميدان

وبادرت انكلترا حينما تحولت المعارك الى هولندة والبلجيك فى أوائل مايو بارسال النجدات الى هذه الساحة ، كما تحركت جنودها المرابطة فى فرنسا والتى أرسلت اليها منذ بداية الحرب الى جانب الجنود الفرنسية لدفع الغزو الالمانى ، وقد بلغت الحملة البريطانية فى هذا الميدان زهاء نصف مليون جندى ، وأبلى البريطانيون فى معارك الفلاندر ، وفى

جبهة آراس خير بلاء ، ولما وقعت الكارثة وسلم الجيش البلجيكي وشطرت قوات الحلفاء ، وحصر الانكليز في الفلاندر بين الالمان والبحر ، أبدى الانكليز ضروبا رائعة من البسالة واستطاعوا بعد جهود ومعارك هائلة أن يحققوا معجزة الانسحاب من دنكرك ، ومع ان الحملة الانكليزية فقدت في هذا الانسحاب معظم عتادها وسلاحها ، فانها لم تخسر من الرجال سوى خمسة وثلاثين ألفا • وبالرغم من تطور المعارك على هذا النحو السيء فان انكلترا حاولت أن تستمر على امداد فرنسا بالجند من ثغر الهافر وغيره ، ولم تكف عن هذه المحاولة الا حينما سقطت باريس • وانهارت خطط الدفاع الفرنسي في كل مكان

وقامت الجيوش البريطانية في ميادين الشرق الادنى بجهود موفقة لتحطيم العدوان الايطالي ، وكانت ايطاليا جريا على سياستها المأثورة من انتهاز الفرص ، قد دخلت الحرب في العاشر من يونيه ، حينما بدا انهيار فرنسا واضحا في الافق ، وهي تضطرم بأحلام أمبراطورية ضخمة ، وكانت مصر ووادي النيل كله مطمح أمانيها وأنظارها ، وكانت تؤمل أن يؤدي انهيار فرنسا وتخليها عن مؤازرة انكلترا في شمال افريقية وشرقيها الى انهيار خطط الدفاع البريطانية في هذه الميادين • وحينما انسحبت القوات البريطانية من كلا ومن بربرة وزيلع في الصومال البريطاني ، اعتقد الايطاليون ان طلائع النصر قد بدت دانية القطوف ، واقتحم المارشال جراسياني الحدود المصرية ، وتوغل في الصحراء الغربية في منطقة تركت دون دفاع حتى سيدي براني ، وصور الدوتشي وصورت صحفه للشعب الايطالي هذا الزحف بأنه نصر باهر تم بعد معارك طاحنة • ثم كان اعتداء ايطاليا الاحمق على اليونان ، ومبادرة الانكليز الى معاونتها في البر والبحر والجو معاونة فعالة منتجة ، وهنا انكشفت قوات الدوتشي وبدا عجزها الفاضح ونكبت في البر والبحر ، وانقلبت من الهجوم الصاخب الى التراجع المزري • وظهرت حقيقة طالما نجحت الدعاية الايطالية في اخفائها ، وهي ان قوى الفاشستية لا يعتد بها ، ولا يخشى بأسها، وانتهزت القيادة البريطانية في الشرق الادنى هذه الفترة النفيسة الدقيقة التي انهارت فيها آمال ايطاليا وخبت قواها المعنوية ، فقامت القوات البريطانية بضربتها الباهرة في الصحراء الغربية ، وانتزعت سيدي براني من يد المارشال جراسياني ، واحتوت على جميع عتاده وسلاحه ومؤنه التي لبث يكدسها مدى ثلاثة أشهر ، ومزقت القوات الايطالية شر ممزق ووقع في الاسر منها عشرات الالوف فارتدت على عجل ، حتى طهرت منها الاراضي المصرية كلها ، وهي الآن تقف وراء الحدود اللوبية تدافع دفاع اليأس بعد أن كان يملؤها الغرور ، ويبسم لها الامل الخلب في الاحتواء على تراث الفراعنة والاستيلاء على وادي النيل

في البحر

تلك هي الجهود الحربية البرية التي استطاعت بريطانيا العظمى أن تبذلها حتى اليوم في مختلف ميادين القتال • بيد انه مهما كانت هذه الجهود من الاهمية والتأثير في سير الحرب ،

فانها لا يمكن أن تضارع جهود انكلترا فى البحر • ذلك انه لم يسبق فى تاريخ انكلترا البحرى الحافل أن ألقى على عاتقها فى حرب من الحروب حتى ولا فى الحرب الكبرى ، مثل هذه الاعباء الفادحة والمهام الخطيرة التى تضطلع بها البحرية الانكليزية اليوم

لقد كان البحر دائما ميدان انكلترا الاول ، ومع انها لم تكن تحجم عن خوض المعارك البرية فان المعارك البحرية كانت سبيلها الى النصر فى معظم الاحداث والخطوب الكبيرة التى واجهتها ، فقد مهد انتصار نلسون فى موقعة أبى قير البحرية مثلا الى تحطيم مشاريع نابليون فى الشرق ومهد انتصاره فى معركة « طرف الغار » الى تحطيم قوى فرنسا البحرية وحبوط المحاولة التى قام بها نابليون لمحاصرة انكلترا • ولم تكن آثار هذه الانتصارات البحرية بعيدة عن التمهيد الى انتصار الانكليز فى واترلو • وقد كان لسيطرة انكلترا على طرق البحار فى الحرب الكبرى أعظم أثر فى تجويع ألمانيا وهزيمتها ، ومن المنتظر أن يكون لتفوق انكلترا البحرى مثل هذا الاثر فى الحرب الحاضرة

دخلت انكلترا الحرب ، وهى معتمدة على مساعدة الأسطول الفرنسى فى مواجهة عدوها الذى لا يرحم ولا يتأثر فى حربه بأى اعتبار من الاعتبارات الدولية أو الانسانية ولكنها اضطرت منذ انهيار فرنسا أن تحمل هذا العبء وحدها • فعلى الأسطول البريطانى وحده اليوم أن يحكم حلقات الحصار البحرى على ألمانيا والقارة ، وأن يكفل حرية المواصلات البحرية وسلامتها بين بريطانيا وأنحاء الامبراطورية وان يسهر على الدفاع عن الجزر البريطانية • وان يشترك فى الاعمال الحربية التى تتطلب معاونته فى سائر الميادين

بدأت انكلترا جهودها فى الحرب الحاضرة بفرض الحصار البحرى على ألمانيا ، وقطع مواصلاتها البحرية مع سائر العالم ، واستطاع الاسطول البريطانى بعد أشهر قلائل أن يطهر جميع البحار من السفن الالمانية اما بأسرها أو ارغامها على اغراق نفسها ، وأرغم الأسطول الالمانى على أن يلزم قواعده فى البلطيق.ولم تخرج منه سوى وحدات مفردة لتقوم الى جانب الغواصات الالمانية بالعمل على قطع طرق البحار بوسائل أقرب الى القرصنة منها الى الحرب البحرية المشروعة

وكانت أول معركة بحرية حقيقية وقعت بين الالمان والانكليز هى معركة لابلاتا التى اشتبكت فيها بعض الوحدات البريطانية الخفيفة مع البارجة الالمانية « جراف شبى » فى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ فى عرض الاطلانطيق أمام مياه أورجواى ، ومع ان البارجة الالمانية كانت متفوقة من حيث السرعة والتسليح فانها اضطرت الى الفرار بعد معركة حامية ، ولجأت الى ثغر مونتفديو فى مصب نهر لابلاتا فطاردتها الوحدات البريطانية ولبثت فى انتظارها بالمرصاد ، ولكنها لم تعد خيفة الهزيمة والاسر وآثرت أن تغرق نفسها حيث لجأت وانتحر قائدها الكابتن لانجسدورف بعد ذلك بأيام قلائل

وكانت هذه المعركة الاولى نذيرا لالمانيا بأنها لا تستطيع أن تؤمل نصرا بحريا ضد الأسطول الانكليزى فى معارك مكشوفة ، وان آمالها فى البحر يجب أن تبقى مركزة فى

حرب الغواصات الغادرة ، وقد تأيدت هذه الحقيقة مرة أخرى فى ابريل سنة ١٩٤٠ فى مياه النرويج حيث حطمت الوحدات البحرية البريطانية عددا كبيرا من النسافات الالمانية فى مياه نارفيك بعد معركة عنيفة وأصيب الاسطول الالمانى من جراء ذلك ومن جراء ما فقده من وحداته الاخرى فى مياه النرويج الجنوبية بضربة شديدة قضت عليه بأن يلزم قواعده حتى اليوم

وسوف يذكر التاريخ دائما معركة دنكرك ، وما قامت به البحرية البريطانية فيها من جهود جبارة لنقل الجيش الانكليزى المنسحب الى الشواطىء الانكليزية وقد أنقذ الجيش الانكليزى من السحق وعار التسليم بهذه المعجزة البحرية بالرغم مما قام به سلاح الطيران الالمانى ليل نهار من اطلاق نيرانه المتواصلة على الجيش المنسحب وعلى السفن التى حشدت لحمله . وقد أثبتت معركة دنكرك حقيقة كان يحيق الشك بها ، وهى ان الاسطول لايزال محتفظا بمقدرته الدفاعية والهجومية بالرغم من تطور الحرب الجوية ، وان الخطر الذى يواجهه من الهجوم الجوى ليس عظيما بقدر ما يزعم الالمان

ولما انهارت قوى فرنسا وسلمت لعدوها الظافر ألقت انكلترا نفسها فى أشد المآزق فقد كان على الاسطول الفرنسى وفقا لشروط الهدنة أن يسير الى موانىء ألمانية أو ايطالية وكان مصيره غامضا ، ولم يك ثمة شك فى ان هتلر كان يتطلع الى الاستيلاء عليه ليستخدمه ضد انكلترا . وهنا اعتزمت انكلترا أمرها أمام الخطر الداهم وفى يوم ٤ يوليه قامت بضربتها البحرية الباهرة التى قضت على هذا الخطر فى مهده فاستولت على سفن الاسطول الفرنسى التى كانت راسية فى الموانىء الانكليزية وهاجم أسطولها فى البحر الابيض المتوسط الاسطول الفرنسى الراسى فى وهران وفيه أعظم الوحدات البحرية الفرنسية بعد انذار بالتسليم لم يقبل وأغرق عدة منها وعطل البعض الآخر ، ولم تنج منه سوى وحدات قليلة فرت الى طولون ، وفى نفس اليوم أنذرت السفن الحربية الفرنسية الراسية فى مياه الاسكندرية بمثل هذا الانذار ، فآثرت التسليم وانضمت الى الاسطول البريطانى وعطل الانكليز فى نفس الوقت بارجة فرنسية كبرى راسية فى ثغر داكار ، وأخرى كانت راسية فى جزيرة مارتنيك ، ولم يلحق الاسطول البريطانى فى جميع هذه العمليات البحرية الخطيرة خسارة ما

ولما زجت ايطاليا بنفسها الى غمار الحرب كان يظن ان الاسطول الايطالى الفتى بوحداته العديدة المحدثة وغواصاته الكثيرة ، قوة يخشى بأسها ولكن لم تمض أسابيع حتى ظهر عجزه المشين ، فقد كانت الوحدات الايطالية تولى الادبار كلما لاحت لها السفن البريطانية فى الافق ولم تثبت الوحدات الايطالية فى أى لقاء عرض لها ، بل أغرقت منها عدة فى معارك أبدى الاسطول الانكليزى فيها تفوقه الواضح ، ثم كانت ضربة تارانت التى قامت بها طائرات الاسطول البريطانى وعطلت بوارجه الكبرى فى مرافئها ، هذا عدا المعاونة القيمة التى أسداها الاسطول البريطانى للجيش اليونانى بضرب الموانىء الالبانية ،

وللقوات البريطانية فى مصر بضرب جميع القواعد الايطالية على الشاطىء ضربا شديدا

ولنا أن نتصور بعد ذلك كله ما يبذله الاسطول البريطانى من جهود جبارة لاحكام حلقات الحصار البحرى لالمانيا ، وحماية السفن التجارية البريطانية والمتحالفة فى عرض البحار ، ومقاومة عدوان الغواصات الالمانية وفتكها المتواصل بالسفن التجارية ، وما تبذله البحرية التجارية البريطانية فوق ذلك من جهود جبارة لنقل الجند والسلاح والذخائر والمؤن والمواد الاولية الى الجزر البريطانية بلا انقطاع ، ونقل موارد الامبراطورية من مختلف انحائها الى بريطانيا العظمى أو غيرها من ميادين القتال ، وما تبذله أخيرا لحمل الصادرات الانكليزية ومنتجات انكلترا الصناعية الى سائر الاقطار التى تتجر مع انجلترا فى القارات الخمس

فى الجو

يأتى بعد ذلك دور سلاح الطيران البريطانى . ولسلاح الطيران فى الحرب الحاضرة أعظم شأن . وقد ادركت المانيا هذه الحقيقة قبل نشوب الحرب بمدة طويلة ، وانشأت لها اسطولا جويا عظيما ، ولكن انكلترا دخلت الحرب وهى ابعد ما تكون عن استكمال اهبتها الجوية ، بيد انها استطاعت خلال العام الاول من الحرب بمضاعفة انتاجها الخاص وانتاج الامبراطورية وبما أتيح لها شراؤه من الطائرات الامريكية ان تنشىء لها قوة جوية عظيمة وهى ما زالت فى ذلك دون المانيا من الناحية العددية ولكن سلاح الطيران البريطانى بذل بالرغم من هذا النقص فى معركة فرنسا جهودا تدعو الى الاعجاب واستطاع ان يؤخر توغل الالمان وقتا ، وان يعاون فى تعطيل القوات الالمانية المصفحة . ولما بدأ الالمان غاراتهم الجوية الكبرى على انكلترا فى اغسطس ظهر سلاح الطيران البريطانى فى ذروة قوته وبراعته ، واستطاع فى المعارك الجوية الهائلة التى نشبت فى سماء بريطانيا خلال شهرى اغسطس وسبتمبر ان يسقط مئات الطائرات الالمانية ، وان ينزل بسلاح الطيران الالمانى ضربات شديدة ، وان يرغم الالمان على الاقلاع عن هذه الغارات الضخمة التى كلفتهم غاليا فى الطائرات والطيارين

وقد كان لثبات سلاح الطيران البريطانى وانتصاره فى معارك اغسطس وسبتمبر اثر عميق فى تطور مجرى الحرب ، فقد اثبت بصورة واضحة مناعة الدفاع الجوى عن انكلترا وان غزوها من الجو صعب بعد ان اثبت الاسطول بدوره ان غزوها من البحر محاولة مستحيلة وربما كانت هذه الحقيقة هى أعظم عامل فى فشل مشاريع الغزو الالمانية لانكلترا فى الوقت الحاضر على الاقل كذلك كانت لمناعة الدفاع الجوى البريطانى أعظم أثر فى امريكا حيث اقنع حكومتها وشعبها بان بريطانيا العظمى التى تعتبر خط الدفاع الاول عن امريكا ، تستطيع ان تصمد فى وجه العدوان الالمانى وانه يجب لذلك ان تضاعف امريكا جهودها فى معاونتها وامدادها بكل ما وسعت من المواد الاولية والسلاح ، وقد ظهرت

نتائج هذه السياسة فى عقد الاتفاق الامريكى البريطانى بتنسيق الدفاع المشترك عن شواطىء امريكا وتأجير بريطانيا لبعض قواعدها البحرية فى تلك المنطقة لامريكا وحصولها مقابل ذلك على خمسين مدمرة امريكية كانت عونا ذا شأن للاسطول البريطانى

ولا ننسى من جهة أخرى ما كان للغارات التى ينظمها سلاح الطيران البريطانى بلا انقطاع على قواعد المانيا الصناعية ومراكز انتاجها الحربى ، وعلى مطاراتها وعواصمها ثم على موانىء الغزو الالمانى من أثر قوى فى اضطراب انتاج المانيا الحربى ، وفى تحطيم مشاريع هتلر لغزو بريطانيا ، وفى اضعاف قوى الشعب الالمانى المعنوية

كذلك لا ننسى ما كان لسلاح الطيران البريطانى من أثر حاسم فى معاونة اليونان على رد الغزو الايطالى وهزيمة الايطاليين ، وكذلك ما كان له من اثر فى معارك الصحراء الغربية وتمزيق قوى المارشال جراسيانى وتحطيم معدات العدو وقواعده وحصونه

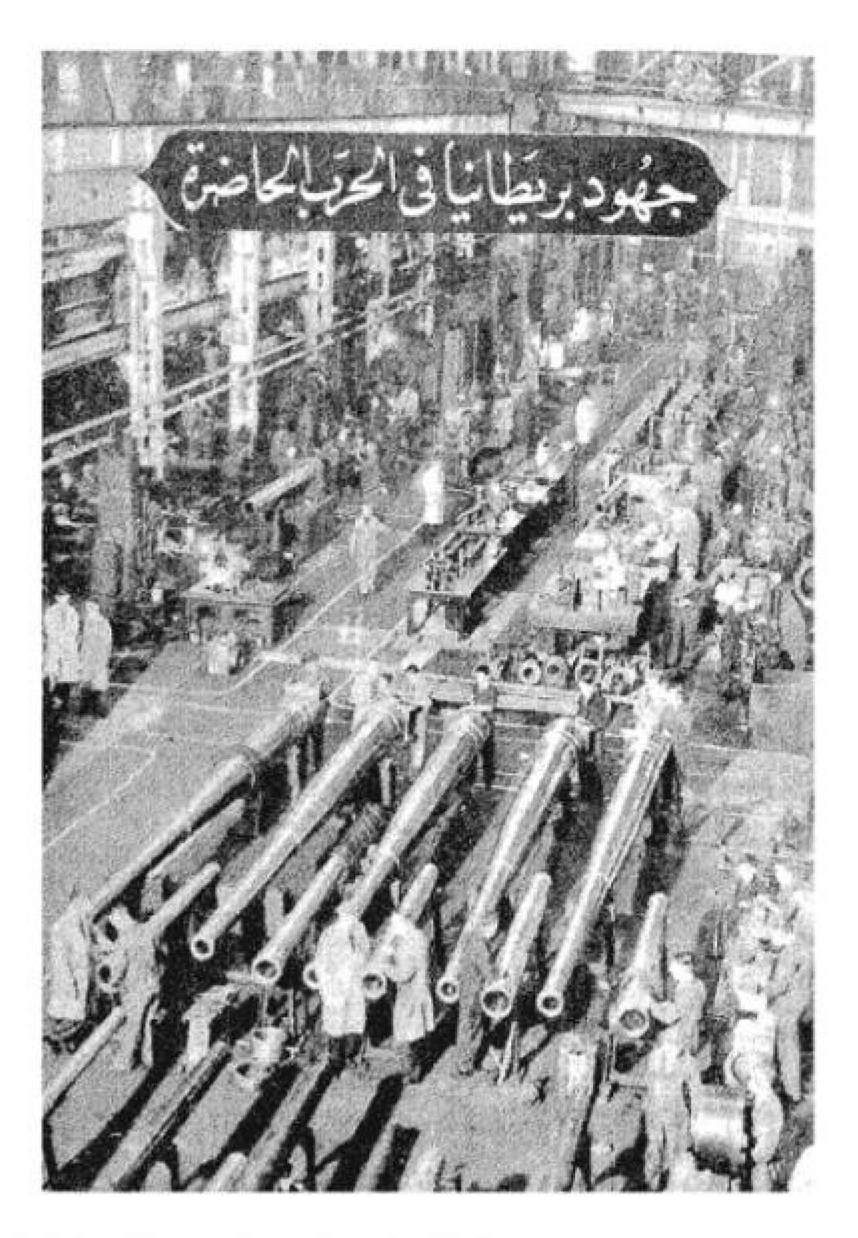
يضاف الى ذلك كله ما يبديه سلاح الطيران البريطانى فى جميع المعارك التى تشتبك فيها ، وجميع الغارات التى يقوم بها ، من البراعة الفنية ومن تفوق فى اصابة الاهداف ، وفى نوع الطائرات ومتانتها ، وقد ظهرت هذه المزايا جميعا فى جميع المعارك الجوية الكبرى التى اشتبك فيها مع الالمان والايطاليين وفى جميع الغارات التى نظمها على المانيا وايطاليا وذلك بالرغم من تفوق الاعداء عليه فى العدد

***

لقد ظهرت اهمية التعاون بين القوات البرية والبحرية والجوية فى جميع الاعمال الحربية الكبرى ، ومهما كانت قوى المانيا فى البر والجو فانه تنقصها القوى البحرية الملائمة، ونقص هذا العنصر يحدث ثغرة بارزة فى قواها لم توفق حتى اليوم الى سدها ، وليس عمل الغواصات سوى عمل سلبى لا يقوم مقام العمل الايجابى اما انكلترا فهى بالعكس تجمع بين القوى الثلاث البرية والبحرية والجوية ، فى تناسق له خطره فى جميع المشاريع الهجومية والدفاعية

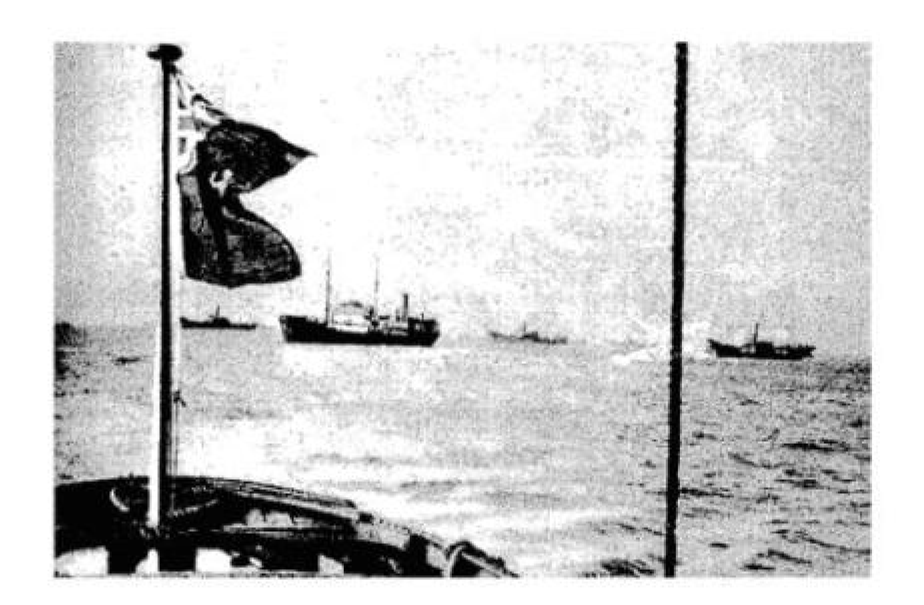
ان هتلر ما زال يعتد بقواه البرية المدرعة التى قضت على فرنسا . ولكن معارك اغسطس وسبتمبر الجوية كانت نذيرا بان ضربة فرنسا لم تكن اكثر من انتصار محلى وانه اذا أراد ان يكسب الحرب فعليه ان يكسب معركة بريطانيا قبل كل شىء ، وهذه أمنية يلوح تعذرها يوما بعد يوم خصوصا بعد ان انهارت قوى الفاشستية فى البر والبحر واصبح لزاما على المانيا بعد ان هزمت ايطاليا فى معركة الامبراطورية البريطانية ان تضطلع وحدها باعباء الحرب فى جميع الميادين التى ترى ان تناجز فيها بريطانيا العظمى

محمد عبد الله عنان



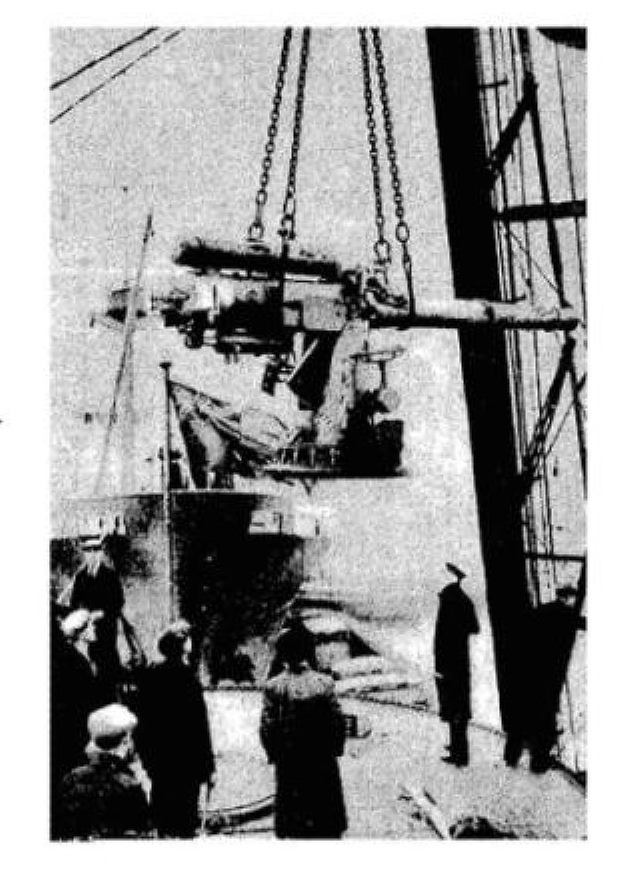
مضاعفة الانتاج الحربى

حبت المصانع البريطانية منذ نشوب الحرب تضاعف إنتاجها لتوفير ما تحتاج اليه الحرب الحديثة من عتاد وسلاح وسيارات مدرعة وطائرات . ولقد تطلب ذلك جهوداً جبارة احتملتها المصانع والصناع على السواء . وترى هنا جانباً من أحد مصانع السلاح الكبرى فى بريطانيا حيث تصنع المدافع الضخمة البعيدة المدى التى تلزم سفن الاسطول البريطانى . وفى أمثال هذه المصانع لا ينقطع العمل ليل نهار ، فهو مستمر طوال ساعات اليوم الأربع والعشرين



القوافل البحرية

اتبعت بريطانيا نظام القوافل البحرية منذ بداية الحرب للقضاء على خطر الغواصات وسفن الاسطول الالماني التي قد تخرج منفردة الى البحار لاقتناص السفن التجارية. وها هي احدى القوافل تسير في حراسة بعض سفن الاسطول

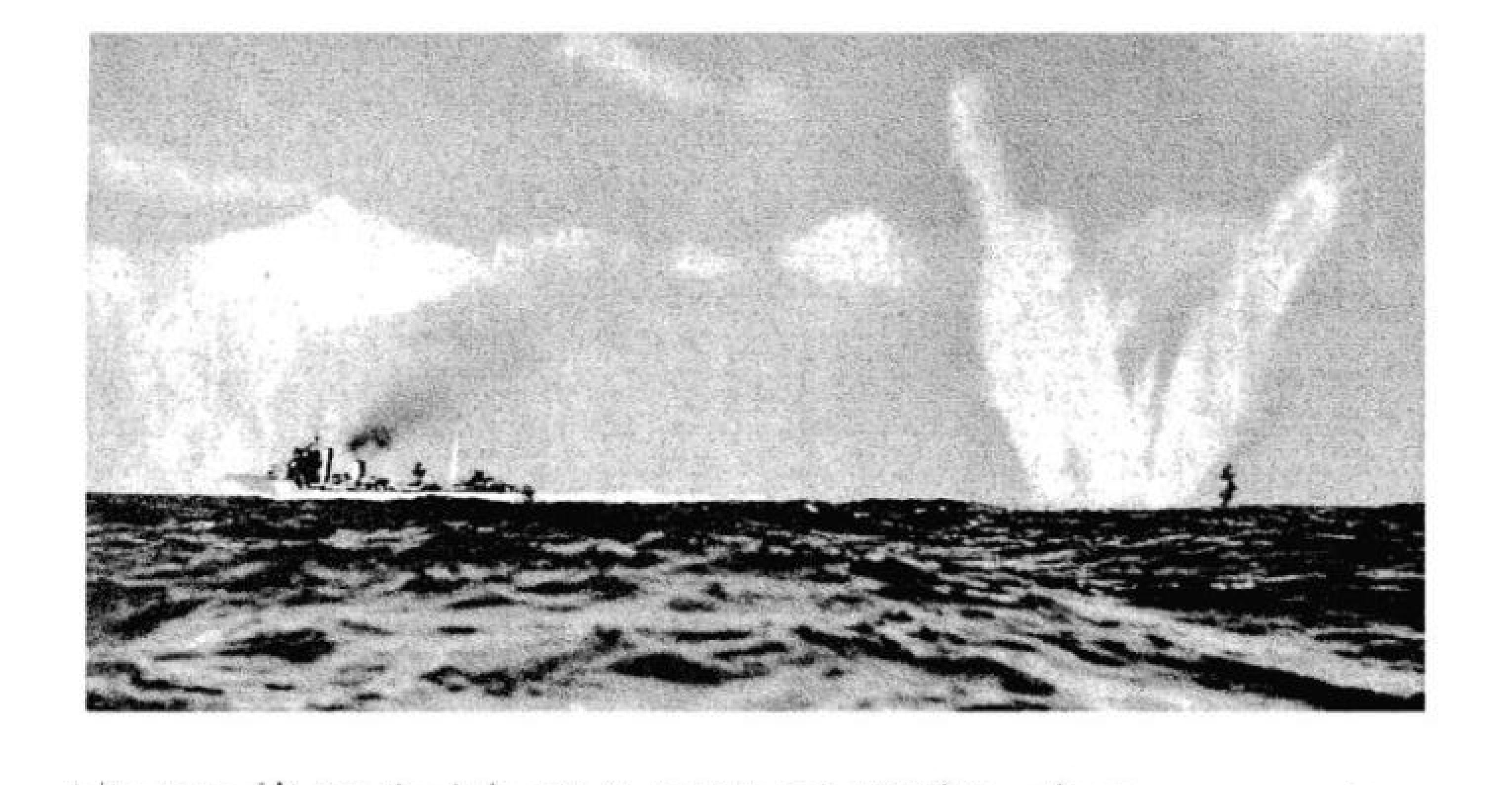


تسليح السفن التجارية

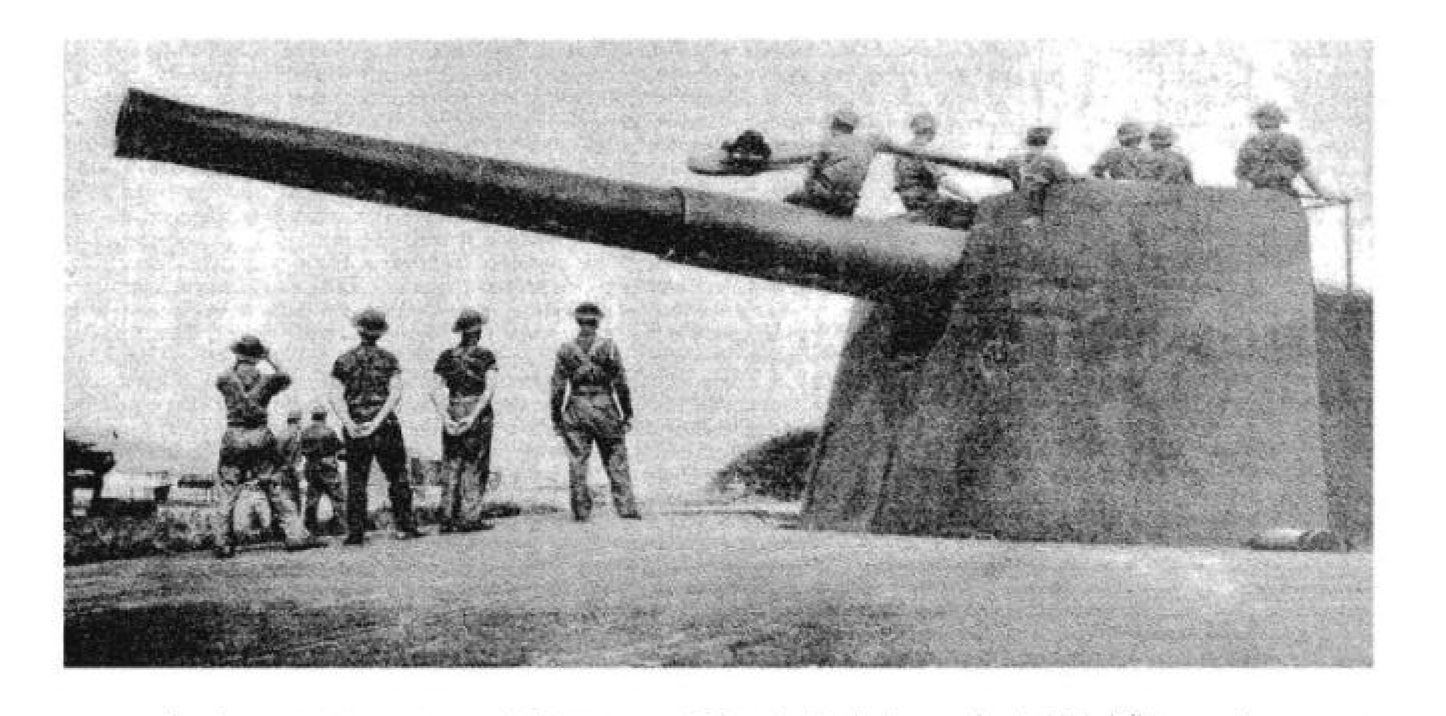
ما كادت الحرب تنشب حتى بادرت الغواصات الالمانية الى مهاجمة السفن التجارية لمحاولة قطع المواصلات بين بريطانيا ومختلف انحاء العالم. ولقد تولى الاسطول مقاومة الغواصات، وزادت بريطانيا الى ذلك تسليح سفنها التجارية بالمدافع البحرية المتوسطة الحجم. وها هو ذا احد تلك المدافع في اثناء انزاله الى مكانه من احدى السفن



مضاعفة الجيوش البرية في الحرب الكبرى الماضية دخلت بريطانيا الحرب إلى جانب فرنسا بجيش لا يزيد على ١٥٠٠٠٠ جندي ودون أن تكون الخدمة العسكرية الاجبارية قد تقررت فيها بعد. ولكنها واجهت الحرب الحالية منذ البداية بجيش يربو على المليون وبقرار الخدمة العسكرية الاجبارية . ولم يلبث هذا الجيش أن تضاعف بما انضم اليه من رجال الممتلكات الحرة والمستعمرات التي أسرعت تلبي النداء وتشترك في الدفاع عن قضية الديموقراطية ، فبلغ عدد الجنود في بريطانيا وحدها نحو مليونين . وهذه فرقة من جنود « الماوري » النيوزيلنديين في أثناء تدريبها بعد أن انضمت إلى قوات الامبراطورية البريطانية



تطهير البحار من الغواصات البحر دائماً هو ميدان انجلترا الاول ، فمنذ اللحظة الاولى خاض الاسطول البريطاني الحرب الحاضرة بكل ما أوتي من قوة ففرض الحصار البحري على ألمانيا وقطع مواصلاتها البحرية مع سائر العالم ، وأرغم الاسطول الالماني على أن يلازم قواعده بعد ما أنزله به من خسائر ، وأخذ في تطهير البحار من الغواصات الالمانية — ثم الايطالية — حتى قضى على الجزء الاكبر من غواصات العدو . وترى في هذه الصورة إحدى المدمرات البريطانية — التي يرجع اليها أكبر الفضل في محاربة الغواصات والقضاء عليها — وهي تشق مياه المحيط بعد أن أسقطت فيها إحدى قذائف الاعماق لتقضي على غواصة ألمانية



زيادة وسائل الدفاع وبعد انهيار فرنسا راح هتلر يهدد بغزو الجزر البريطانية ، فما كان من بريطانيا إلا أن أسرعت بزيادة وسائل الدفاع عن الجزر فأعدت لكل احتمال عدته ، فتكونت فيها الفرق الكثيرة من الحرس الاهلي لصد الغزاة والقضاء على محاولات نزول الجنود بالباراشوت ، وأضافت إلى قوات الدفاع الساحلية عدداً وفيراً من المدافع الضخمة البعيدة المدى لترد سفن الغزاة وتفرقها إذا هي حاولت الاقتراب من الشواطيء البريطانية . وهذا أحد تلك المدافع المنتشرة على السواحل البريطانية وقد حلقت على مقربة منه إحدى الطائرات المائية الضخمة التابعة للدفاع الساحلي



استكمال قوة السلاح الجوى

دخلت بريطانيا الحرب الحاضرة وهى أبعد ما تكون عن استكمال أهبتها الجوية ، ولكنها استطاعت مضاعفة انتاجها الخاص وإنتاج الامبراطوريه واستيراد العدد الوفير من الطائرات من أمريكا ، وأخذت تكيل الضربات الأليمة لألمانيا وايطاليا على السواء بغارات شديدة على المواني، والأهداف العسكرية والمصانع وغيرها ، كما أظهر سلاح الطيران البريطاني قوته الجبارة في الدفاع باسقاط مئات الطائرات الألمانية التي أغارت على الجزر البريطانية .
وهذه أربع من طائرات « ولنجتون » القاذفة للقنابل وهى تبدأ رحلتها البعيدة من انجلترا الى ألمانيا



الدفاع عن لندن

لما عجز الألمان عن غزو الجزائر البريطانية لكثرة ما أصيبوا به من خسائر على يد الأسطول البريطاني وسلاح الطيران الملكي ، أخذوا في إرسال الأفواج من طائراتهم لتدمير العاصمة الأنجليزية وإزالتها من الوجود « على حد قولهم » . بيد أن لندن صمدت للغارات الجوية وأخذت المدفعية المضادة للطائرات ترسل ستراً من نيرانها تحول دون اقتراب الطائرات الألمانية أو إصابتها الأهداف بدقة ، بينما راحت طائرات المطاردة البريطانية تسقط الكثير من الطائرات المغيرة . وقد التقطت هذه الصورة على مقربة من إحدى بطاريات المدافع المضادة للطائرات في منطقة لندن في أثناء إطلاقها نيرانها الحامية بانتظام على بعض الطائرات المغيرة



تحطيم العدوان الإيطالي

وقد سكتت بريطانيا على العدوان الإيطالي حيناً ، فتركت القوات الإيطالية تحتل الصومال البريطاني وبعض المراكز الأمامية على حدود كينيا حتى بات الإيطاليون يعتقدون أن ملامح النصر قد بدت دانية القطوف فتقدم المارشال جرازياني الحدود المصرية وتوغل في الصحراء الغربية في منطقة تركت دون دفاع حتى سيدي براني . وفجأة قامت القوات البريطانية بضربتها الباهرة في الصحراء الغربية فانتزعت سيدي براني وبقبق والسلوم ثم استمرت في هجومها وراء الحدود المصرية فاستولت على حصن كابوتزو وميناء البردية وحاصرت ميناء طبرق . وهذا أحد مباني البردية وقد هدمت بعض جدرانه القنابل البريطانية ووقف الى جانبه جندي بريطاني بعد سقوط المدينة في أيدي البريطانيين

المدرسة الانجليزية فى الفن

بقلم الاستاذ محمد حسن

مراقب الفنون الجميلة المساعد بوزارة المعارف
ومدير المدرسة العليا للفنون الجميلة بالقاهرة

الفن الانجليزى ، مرآة مجلوة صادقة تجلو لنا طبيعة القوم التى تجمع بين الارستقراطية ، والبساطة . وصحة البدن ، ورقة العاطفة ، والروح الرياضيــــة ، والروح الدينية

قبل ان نعرض للكلام على مذاهب الفن عند الانجليز وطرائق تعبيرهم ، أحب ان أسوق إلى القراء واقعة لى ألمستنى حقيقة المدرسة الانجليزية فى لحظة ، ويا لها لحظة رجتنى رجة عنيفـة لا أنساها مدى حياتى

هبطت انجلترا عام ١٩١٧ موفداً فى بعثة ، وكنت أول فرقتى بمدرسة الفنون الجميلة المصرية وكنت فوق ذلك قد اشتغلت بالتدريس ما يقرب من ستة أعوام ، فلا غرو إذا تقدمت الى مرسم الاستاذ الانجليزى وأنا معتد بنفسى مزهو بهذه المزايا . فلما مثلت أمامه بادرنى فى برود وجفوة

— ماذا تريد ؟

فقلت فى نفسى مدهوشاً ، أوليس فى هيئتى ما ينم عن مواهبي الفنية ، وهب الأمر كذلك ، أليس فيما أحمل من الأدوات ما ينبيء عن الغرض من مجيئي !

وغالكت نفسى وأجبت :

— يا سيدى الاستاذ انى أقصدك لدراسة الطبيعة الحية ، وقد بلغت الى هذه الدراسة بعد أن تأسست وقطعت مراحل الدراسات التمهيدية

فلم يمهلنى ، وأخذ يناقشنى مناقشة عسيرة أشبه بالتحقيق الدقيق مع متهم . وأخيراً أظهر التساهل وأبدى استعداده لاختبارى ليطلع على مبلغ أهليتى للدراسة عليه

وغنى عن البيان أن هذا الاستقبال لم يعجبنى وأننى وجدت غضاضة فى طريقة كلامـــه



« فلاتفورد ميل » على نهر ستور – للرسام ج . كونستابل

ومناقشته . على أنني وطدت عزمي على سحق غطرسته واستنزاله من سماء كبريائه . فقررت تأدية الاختبار بكل ما أملك من اقتدار ، حتى يجد الأستاذ نفسه مضطراً إلى الندم والاعتذار وتصبح تلمذتي له من دواعي الشرف والفخار ، وليعلم انني اذا كنت قدمت لحضور الفن عليه فما ذلك إلا عملا بما ندبت له كعضو بعثة ، إذ أنني في حقيقة الحال غني عن الارشاد منه وممن على شاكلته

على هذه النية دخلت المرسم ، ووضعت أدواتي ونصبت لوحتي ، ثم أقبلت على العمل بحماسة عظيمة ، وقبل انقضاء ثلاث ساعات كنت قد انتهيت من رسم النموذج على أكمل وجه رسمي ، في حين كان طلبة الأستاذ لا يزالون في البداية لم ينجزوا إلا الجزء اليسير ، وجعلت أنتظر عودة الأستاذ فارغ الصبر حتى خيل الي أنه تباطأ متعمداً ، وخطر لي أنه لابد قد علم من أحد الطلاب بآية الفن التي أتيت بها في ساعات معدودات ، فمنعه الغل والخجل أن يطالعها الا آخر النهار وفي عجلة الانصراف . وأخيراً حضر ، ولمحته يتقدم إلى ناحيتي ، ولكنه كان فيما تفرسته يتكلف الهدوء ، فهذه هيئته ما برحت هي هي ، ووقف الأستاذ خلفي متأملا في لوحتي – أو قل آيتي : فعولت إمعانا في النكاية به وإخجاله ألا ألتفت اليه إلا بعد انقضاء وقت كاف يتحسر فيه على تسرعه في الحكم عليّ وجفوة لقائه لي . وطالت وقفته خلفي وأنا أمد يدي من حين لآخر الى الصورة ثم أقبضها دون أن أمسها إعجاباً بها ، لأنها في الحق ليست في حاجة الى شيء . اللهم إلا زغة تحمل



بعد الزواج بقليل - للرسام ويليام هوجرث

فيها على الرؤس الى أحد المتاحف ، وانقضت لحظة بعد لحظة والموقف على حاله لم يتغير ، والاستاذ لا يزال يمعن النظر فى تحفتى ، وأنا غاض النظر عنه . لقد قضى الرجل أكثر مما يجب للاستمتاع بها فما باله ؟ إنه الخجل يعقد لسانه ، انه أدرك الآن مبلغ خطئه فى حق ، ولكن ، كل . كل إنسان معرض للخطأ والعصمة لله . وشعرت من نفسى بالاشفاق عليه والرغبة فى مصافاته وتهوين الأمر ، فالتفت اليه مبتسما ابتسامة تجمع بين معنى الانتصار والصفح ولا تخلو فى الوقت نفسه من التنبيه إلى عدم الوقوع مرة أخرى فى مثل هذا الاستخفاف بأقدار الناس . وما كدت أفعل حتى زعق الاستاذ بصوت صريع قوى « Very bad » وهى أشبه بقولنا « زى الزفت »

صدمة شديدة لم أفق منها ، ومفاجأة قاسية جرت فى أمرها . أهو الاصرار والعناد المعروفان فى الخلق الانجليزى ؟ أهى الغيرة والحسد ؟ .. وتصبب العرق البارد من جبينى على إثر هذه الضربة القاضية التى يسميها هؤلاء الجفاة القساة فى لغة الملاكمة « Knock out » وكيف يمكن أن يحكم على مثلى أنا بلفظ « ردىء جداً » مع انى ما كنت لأرضى منه حتى بلفظ « not bad » « مش بطال »

ولأول مرة فى حياتى رأيت رجلا انجليزيا متهيجاً ، فان الاستاذ عمد الى لوحتى فى حركة عصبية جداً فنزعها وأدارها على الوجه الآخر وأخذ يخط عليها بقوة يميناً وشمالا وعلواً وسفلا خطوطا فوق خطوط حتى لم تعد العين تستبين منها شكلا وهو يغمغم فى أثنائها كلمات غريبة

متقطعة : « هكذا ترسم هنا ، دراسة التصوير ليست أمراً هيناً ، الفن للفن ، لا نسمح بالتهويش مطلقاً ، تعمق فى الدرس ، تأمل أكثر مما تعمل ، ابحث وراء الحركة . . . »

كلمات اعتبرتها مجرد كلمات جوفاء. أهذه هى المدرسة الانجليزية وهذا هو الفن الانجليزى ؟ ابحث عن الحركة ! ! وما لهؤلاء القوم والفن ؟ وهل يمكن أن يشعروا بالفن ويقدرونه فى مثل جو بلادهم المظلم . ثم ما يدرينى أن ما صدر عن الاستاذ ان هو الا التعصب على كل ما هو أجنبى

حملت عدتى وأدواتى، وخرجت لا ألوى على شىء ، مصمماً ألا أعود بعدها ، ناقماً على الانجليز وعلى مدرستهم وعلى جو بلادهم

وحل المساء فهدأت معه بعض الشىء ، وخيم الليل فكنت أكثر هدوءاً . وأقبلت على نفسى مفكراً وجعلت أقلب الأمور على وجوهها فى تعقل وروية . فاستقر رأيى فى آخر الأمر على العودة الى مرسم الاستاذ ، وذلك على الاقل تمضية لمدة البعثة ، واذا كنت لن أفيد منه شيئاً فانى لن أخسر شيئاً . على أن قرارى لم يمنع ترددى فى اليوم التالى حين اقتربت من المرسم . ولكننى غالبت نفسى ودخلت ، فاستقبلنى الاستاذ مصبحاً عليّ بلطف لم أتوقعه ، وتحدث معى طويلا واستطرد الكلام الى دراستى فقال إنه على يقين جازم بأن أستاذى الذى درست عليه فى مصر لا بد أن يكون من الايطاليين أو الفرنسيين . فامتعضت من استخفافه ولم أتمالك أن توجهت بنظرى الى جدران المرسم المزدانة بطائفة من التماثيل والصور لكبار الفنانين الاعلام من الطليان والفرنسيين وغيرهم . والظاهر أن التفاتتى هذه لم تفته ، فانه أخذ يشرح لى على هذه النماذج عظمة الفن الايطالى والفرنسى قديماً ، ثم انثنى يحمل على بعض المشتغلين منهم بالفنون فى الوقت الحاضر وينتقدهم مر الانتقاد ويرميهم بأنهم لا يخلصون للفن حق الاخلاص ، فدراستهم له سطحية لا تعمق فيها ، يقنعون منها بالقسط اليسير ولا يلبثون أن يهجروا الدرس الى كسب الرزق . وهو يعتبر هذه الفئة خطرة شديدة الخطر لأن بضاعتها مزجاة رخيصة تروج لها بالدعاية والتهويش فتستهوى مع الاسف سواد الجمهور وأدعياء الفن

اضطررت بحكم الحال الى الصمت والامتثال ، ولو أنى فى دخيلة نفسى حكمت عليه بالتحامل غاية التحامل

ثم تهيأت لرسم لوحة جديدة

ولكن كيف أرسم ؟ أعلى طريقتى التى لم ترقه ؟ طبعاً لا . فان ما جرى فيه الكفاية وفوق الكفاية . اذن يجب أن أتبع طريقته . ولكن من أين لى ذلك وأنا أجهلها . وليس بالمطلب اليسير الانتقال من طريقة الى أخرى الا بعد تأمل طويل واستيعاب

وجعل الوقت يمر بى ثقيل الخطى ، وتراءت لى ذكرى المقابلة الاولى ماثلة أمامى قائمة . فلم

جرؤ أن أخط على اللوحة خطا واحداً . نخطر لى أن أرقب زملائى وهم يرسمون لعلى أجد في ذلك ما يعثنى ، ولـكن ارتبا كى بقى كما هو. وأخيراً عولت على انتظار عودة الاستاذ والاصغاء الى انتقاداته على كل منهم . وكان ذلك مفيداً لى نوعا ما ، حتى وصل الاستاذ فى جولته الى واحد منهم ، فاذا به يحتد وينتقد عمله بشدة ، ثم جلس مكان الطالب وتناول القلم ، وفى ناحية من الورقة خط له خطوطا من قبيل الارشاد ، فحملقت مبهوتا ، واتجهت بكل حواسى أراقبه وهو يرسم ، وما كان أسعدنى بهذه اللحظة القيمة . خطوات مقدورة مدروسة ، يتبع بعضها البعض فى



« الغلام الأزرق » جوناثان بوتول – للرسام جينسبرو

انسجام مدهش ، فلا تعدو الخطوة مكانها ولا تسبق وقتها . عندئذ حمدت الله أن عدت . وشعرت بطمأنينة لاحد لها وشرف كبير للتلمذة على أستاذ عظيم . وحاولت بكل ما أملك من قوة وإرادة متابعته والاخلاص له

وبعد أن قضيت في الدراسة على الاستاذ ما يقرب من ستة أشهر مشمولا بعطفه وعنايته ، وقف ذات يوم أمام احدى لوحاتى فترة طويلة يدقق النظر فيها وهو هادىء هدوءه فى أول مقابلة . فتوجست ، وخيل الىّ أن المنظر الاليم سيتكرر بعينه . ثم التفت الى وجعل يحدق فى عينى بنظره الثاقب ، وفجأة مد يده الى . فرفعت يدى كمن يدفع الاذى ، ولـكنه أمسك بها وشد عليها قائلا : « أهنئك » . . وكنت لا أزال أرتجف ، فتمتم قلبي : « الله يسامحك » .

وأخيرا نطق لسانى فرحا : « أشكرك يا سيدى »

هذه التجربة بما فيها من فكاهة ومرارة علمتنى من أوجز طريق الطابع الذى يتميز به الانجليز فى خلقهم وفى فنهم . فهم جادون ، يؤثرون التعمق والتدقيق ، ولا يجرون وراء الشذوذ والاغراب . وهم محافظون ، يتطورون ولكنهم لا يثورون . وهم لا يأنفون الاستفادة من تجارب الاجنبى حتى اذا استوعبوها وجنوا خير ما فيها استغنوا عن غيرهم بأنفسهم

وفيما يلى تفصيل ذلك :

لم يظهر للانجليز مذهب فى فن التصوير قبل القرن الثامن عشر . وليس معنى هذا أنه لم تكن عندهم فنون ، وانما كانت آثارهم فى العمارة والتماثيل مأخوذة عن الفن الرومانى ثم الفن القوطى ثم خليطا بين الفنين . وكان الملوك والاشراف يستقدمون من القارة الاوروبية أشهر المصورين وأذيعهم صيتا أمثال هولبين Holbein وأنطونيو مورو Antonio Moro وروبنز Rubens وفانديك Van Dyck وغيرهم لتصويرهم وتصوير ذويهم وأحبابهم وتزيين قصورهم المنيفة ومغانيهم الفاخرة

الطفل صاموئيل – للرسام جوشوا رينولدز

وأما الفن الانجليزى من حيث هو تعبير عن نفس الامة الانجليزية وحياتها ونظرتها للاشياء وحكمها على الأمور فقد ظهر أول ما ظهر فى القرن الثامن عشر فى صور وليم هوجرث William Hogarth وهى صور أخلاقية ينتقد فيها آداب العصر ، وهى أشبه بمواعظ يعرضها فى سلسلة من الوقائع متتابعة تنتهى بفوز الاخيار أو على الاقل بعقاب الاشرار . وسواء أكانت هذه الصور ذات قيمة فنية عاليه أم غير عالية ، فانها لاقت عند الجمهور قبولا عظيما لأنها صادفت هواه وجاءت معبرة عن خلقه ، وأشهرها « زواج هذه الأيام » « The Mariage à la mode » وهى مجموعة من ست لوحات . وله الى جانب هذه الاهاجى المصورة صور شاهدة بالبراعة والأستاذية فى التصوير فى مقدمتها بائعة الجمبرى « Shrimps-Girl »

وقد ظهر فى زمن صاحب الاخلاق مصوران يصغرانه فى السن ، ولكنهما أقرب الى التصوير بمعناه الصحيح وهما جوشوا رونولدز Joshua Reynolds وتوماس جينسبورو Thomas Gainsborough وليس بين المصورين من هم أشد منهما تشابها فى الظاهر واختلافا



لورى هاملتون – للرسام جورج رومنى

فى الصميم . فأحدهما وهو رينولد تلقى التصوير على أساتذته وقام برحلة دراسية فى ايطاليا ومر فى عودته بباريس ، وقد اجتمع له من ذلك سعة اطلاع وتحصيل تشهد بهما محاضراته التى ألقاها حين تولى منصب المدير للاكاديمية الملكية (وهو أول من تولى هذا المنصب) وسائر كتاباته ومختلف تعليقاته .

أما الثانى وهو جينبورو فقد تلقى دروسه عن الطبيعة وعليها تتلمذ ، ولم يعرف معهداً فى جباه غير الحقول والغابات التى تكتنف قريته ، يفتح قلبه لمؤثراتها وتتشرب نفسه معانيها

والسير جوشوا رينولد يقبل على التصوير وفى ذهنه النماذج العليا والآيات الخالدة لأئمة المصورين السابقين ، ومن ثمة تذكرنا هذه اللمحة أو تلك فى صوره بلمحة فى هذا الاثر أو ذاك من آثار هؤلاء الاساتذة . وهو قدير على الاستفادة من استعاراته والتأليف بينها واخراجها فى وحدة هو صاحبها وذو الفضل فيها . وبالجملة فان نبوغه الفنى قد أفاده بإرادته ، فهو قبل الشروع فى الصورة يدبر لها التدبيرات ويضع النظريات

أما جينبورو فان نبوغه الفنى مرجعه الاكبر الى السليقة ، كما تتفتح أكمام الزهرة وكما تستحيل الزهرة إلى ثمرة . وهو لا يدين للقواعد والنظريات على العكس من رينولد . ولقد أورد هذا فى إحدى محاضراته فى الاكاديمية نظرية عن اللون الازرق ذهب فيها إلى أن هـذا اللون لا يصلح أن يكون فى الصورة اللون الاساسى الغالب ، كما أورد نظريته القائلة بأن الشيات القوية فى الالوان يجب أن تكون فى وسط الصورة دون أطرافها . فكان الجواب على هذا ان أخرج جينبورو آيتـه المشهورة « الغلام الازرق » وهى فيما عدا البنيقة وحواشى الاكمام ملونة من أعلاها إلى أدناها باللون الأزرق كما أن اللون على أشده فى الاطراف دون الوسط

على أن للسير رينولد براعة فنانى البندقية فى التلوين ، وقلما يوجد له نظير فى إبرازه النضارة الجسمانية فى صوره للغوانى الانجليزيات من طبقة العلية المتعمات . أما جنسبورو فانه يفرغ على نسائه ورجاله شيئاً من سحر العاطفة كما يفيض على مناظر الطبيعة مسحة من الشجو والأسى

وحسبنا أن نضيف الى هذين المصورين ثالثاً هو جورج رومنى George Romney . وقد عكف كالعابد معظم حياته على تصوير « إما هاملتون » ذات العلاقة المعروفة بالأميرال نلسون بطل

الطرف الأغر (ترفلجار) فأخرج أكثر من خمسين لوحة لها فى هيئة ربات الاغريق المأثورة فى أساطيرهم

فلما أن أظل القرن التاسع عشر طالعنا علمان من أعلام المناظر الطبيعية وهما كونستابل John Constable وجوزيف ترنر Joseph Turner

وكان كونستابل ممن لا يستعبدون أنفسهم للاوضاع والقواعد المصطلح عليها ، وإنما يصدر عن طبعه . والفنانون من هذا النوع يلاقون أشد العنت فى شق طريقهم ، ويصح القول بأن كونستابل هو منشىء المدرسة الحديثة للمناظر الطبيعية وذلك أنه لم يجعل له إماماً غير الطبيعة متخذاً حقائقها الحرفية أساساً لآياته الفنية . وفن كونستابل فيه جزالة وغزارة وقوة عازمة وحدة إحساس . وكانت عناصر الطبيعة تهزه هزاً ويستهويه من الأشياء ما فيه من حياة

أما ترنر فكان همه الاكبر وحلمه الجرىء أن ينقل على اللوحة النور ، النور الذى اجتلاه فى رحلته إلى القارة الاوربية . فهو لا يفتأ يبحث عن هذا النور فى سماء الشمال ويتتبع جهاد الأشعة ومحاولاتها المتعددة الاشكال وراء ضباب لندن

ولقـــد قامت فى انجلترا فى أواخر القرن التاسع عشر حركة تناهض التصوير الذى تسوده الرخاوة والذى لا قوام له على الاطلاق ولا سند له من الواقع ، كما أنها تطالب من ناحية أخرى بحق فن التصوير فى إبراز المعانى الروحانية . وقد اتخذت هذه الحركة اسم « ما قبل رفاييل » « Preraphaelism » تمجيداً للفن الطبيعى الذى ظهر فى فجر النهضة فى لوحات فنانى النهضـة الاوائل قبل رفاييل . وكان القائم على هذه الحركة جبرائيل روستى Gabriel Rossetti وهو يتوخى إظهار العواطف أو صوراً دقيقة عن الحقيقة معروضة فى جو من الحلم والاحساس الشديد . وقد انضوى الى هذه الحركة ميليه Nillais ، بيرن Burne ، هنت Hunt ، وتس Watts وغيرهم . وطريقة هذه المدرسة الفنية الجديدة عظيمة الملاءمة لعرض الاساطير وكل ما فيه إشارة رمزية ومعنى صوفى . وإن الشاهد لآثار هذه المدرسـة ليشعر أن هؤلاء الفنانين مستغرقون فى إحساس غامض جميل كاحساس المتدينة المتصوفين

وأخيراً طرأت فى أيامنا هذه حركات لا عداد لنزعاتها تدل على فردية جامحة ، ولا تعبر عن نفسية الامة . ونحن نضرب الآن صفحاً عن ذكرها ، ونقف هنا اكتفاء بما أوردناه ، لان المقام ليس مقام إفاضة وتفصيل ، وإنما هو عرض وبيان لما يتميز به الفن الانجليزى . ويتضح مما أسلفنا أن الفن الانجليزى مرآة مجلوة صادقة تجلو لنا طبيعة القوم التى تجمع بين الارستقراطية والبساطة، وصحة البدن ورقة العاطفة ، والروح الرياضية ، والروح الدينية

محمد حسن

لندن: بنك العالم

بقلم الأستاذ على الجريتلى

مدرس ادارة الاعمال بكلية التجارة

موقع لندن الجغرافى وأهميته فى الناحية المالية – لندن مركز التمويل التجارى الدولى – بنك انجلترا بنك مركزى – بنوك لندن الكبرى – سياسة البنوك الانجليزية فى القروض – بيوت القبول وبنوك الخصم

منذ ألف والتر باجوت كتابه المشهور « لومبارد ستريت » الذى وصف فيه النظام المصرفى الانجليزى بالتفصيل ، كتب الكثير من الاقتصاديين مشيدين بذكر الخدمات التى تؤديها « الستى » – أى حى المال فى لندن – للتجارة الدولية والاستثمار العالمى ، وقد حاولت بعض البلاد الاخرى منافسة لندن واجلائها عن مركزها الممتاز كبنك العالم ، بحجة ان الوقت الحاضر يتطلب أنظمة جديدة تختلف عن الانظمة الموجودة فى لندن ، الا ان هذه المساعى لم تكن ناجحة ، اذ برهنت « الستى » على قابلية كبيرة للتطور ، ومجاراة الظروف المتغيرة ، وهذه المرونة التى تتمتع بها معظم الانظمة الانجليزية الاخرى هى التى مكنت البنوك من اجتياز فترة الذعر المالى التى حلت بالعالم بعد سنة ١٩٣٠ ، دون أن يتوقف بنك واحد عن دفع ودائعه أو أداء تعهداته بالكامل ، بينما أفلس عدد من البيوت المالية الاوربية والامريكية مما اضطر الحكومات الى التدخل وفرض رقابة دقيقة على النظم المصرفية وضمان ودائع الجمهور أو التأمين عليها – وسنأتى فى هذا المقال على وصف موجز « للستى » ذاكرين الخواص التى أدت الى عظمتها والعيوب التى يأخذها عليها النقاد

موقع لندن وأهميته فى الناحية المالية

ولكى نفهم سر عظمة لندن المالية فى التطور الحديث يجب أن نذكر ما لمركزها الجغرافى من الاهمية ، كمركز طبيعى هام لتصريف منتجات أوربا وكسوق لمبادلتها بمحاصلات الشرق والامريكتين – وتعد لندن من أكبر موانىء العالم ، ولذا نجد بها عددا كبيرا من بورصات البضائع التى تتجر فى المحاصيل الزراعية والمعادن . كما انها مركز كبير لشركات الملاحة البحرية التى تملك أسطولا تجاريا تبلغ حمولته ثلث مجموع

حمولة السفن التي تمخر عباب البحار ، وتدر على انجلترا دخلا سنويا يتراوح بين ٩٠ و١٠٠ مليون جنيه . فضلا عن ان بها شركات التأمين البحرى المشهورة « لويدز » التى تؤمن جانبا كبيرا من سفن العالم وتجارته الخارجية

وفى الفترة التى اصطلح المؤرخون على تسميتها « بالانقلاب الصناعى » ، وخصوصا حوالى منتصف القرن التاسع عشر زادت ثروة الجزر البريطانية زيادة كبرى بسبب زيادة الانتاج بعد استخدام الآلات والقوى المحركة على نطاق واسع . هذا التوسع الهائل الذى جعل انجلترا مصنع العالم ساعد على توفر رؤوس الاموال فيها ، وكان لتفاوت توزيع الثروة وتركزها في أيد قليلة أثر كبير فى ازدياد الادخار ، اذ من المعروف ان نسبة ادخار الشخص تزداد باطراد كلما ازداد دخله عن حد معين . ونظرا لان المقدرة الشرائية للجماهير كانت منخفضة نوعا ما ، وخصوصا قبل الاصلاح المالى وفرض الضرائب التصاعدية على الدخل والتركات ، تدفقت رؤوس الاموال للاستثمار فى الخارج وخصوصا فى بلاد الامبراطورية والامريكتين . فكانت لندن فى القرن التاسع عشر كعبة يقصدها رجال الاعمال للحصول على الاموال اللازمة للاستثمار فى البلاد الجديدة ، ولم يتردد المستثمرون فى مواجهة الاخطار رغم بعد المسافة

وبمقارنة تاريخ الاستثمار الخارجي الانجليزى بالاستثمار الفرنسى ، نجد ان المدخرين الفرنسيين كانوا يفضلون الاستثمار فى أوربا واذا ما جازفوا بعيدا منها كانوا حذرين وقصروا اهتمامهم على المشاريع الزراعية أو التى تمت الى الارض بصلة ، كالتسليف والرهن العقارى ، ففى مصر مثلا نجد ان بنوك التسليف العقارى الكبرى معظمها مؤسس برؤوس أموال فرنسية ، فى حين ان الانجليز كانوا يستثمرون فى التعدين والصناعة ومشاريع النقل والتسليف التجارى . وقد أفادت انجلترا من هذه الحركة فائدة كبرى ، اذ ان معظم القروض كان يصرف فى شراء البضائع والآلات الانجليزية ، كما ان تقدم الزراعة فى البلاد الجديدة عاد بالخير على شركات الاستثمار وضمن لانجلترا الحصول على المواد الخام اللازمة لصناعتها النامية وعلى المواد الغذائية اللازمة لاطعام سكانها الذين قصروا اهتمامهم على الانتاج الصناعى والتجارة ـ وقد بلغت قيمة رؤوس الاموال المستثمرة فى الخارج ٤٠٠٠ مليون جنيه فى سنة ١٩١٤ ، ولم تتغير قيمتها كثيرا بعد ذلك بسبب اضطراب الحالة الدولية وانعدام الثقة التى هى اساس التعامل المالى . ونصف هذا المبلغ مستثمر فى الامبراطورية ، والنصف الآخر مستثمر فى أوربا والامريكتين . وتجنى انجلترا من هذه المبالغ فائدة سنوية تربو على ٢٠٠ مليون جنيه ، تساعد على دفع قيمة الواردات من المواد الخام والمواد الغذائية ـ كما ان الاوراق المالية التى تمثل هذه المبالغ تعتبر سلاحا مفيدا فى حالة الحرب ، اذ تستطيع الحكومة البريطانية بيعها عند الاقتضاء فى الاسواق العالمية واستعمال العملة الاجنبية التى تحصل عليها فى دفع المشتريات من أسلحة وغيرها

لندن مركز التمويل التجارى الدولى

ونظرا لان انجلترا كانت مصنع العالم وسوقا من أكبر أسواقه ، وخصوصا فى تجارة الترانسيت ، فقد كان من الطبيعى أن تصبح عاصمتها مركزا هاما لتمويل التجارة الدولية. وساعد على ذلك ان انجلترا كانت أولى الدول التى اتخذت الذهب أساسا للعملة ، ولذا اكتسب الاسترلينى شهرة عالمية واقترن اسمه بالذهب فى كل مكان — كما ان عددا من الدول كاستراليا والهند ودول اسكندناوة ، التى تربطها بانجلترا روابط اقتصادية وثيقة كانت تسير على سياسة نقدية ترمى الى تثبيت سعر عملتها على أساس الاسترلينى ، فكانت بنوكها المركزية تحتفظ بجانب من أموالها فى لندن وتتعهد بشراء وبيع الاسترلينى بسعر ثابت ، كما انها تستعمل سندات الخزينة البريطانية كضمان للعملة . والجنيه المصرى مرتبط بالاسترلينى منذ سنة ١٩١٦ حين تعذر استيراد الذهب وصرحت الحكومة للبنك الاهلى باستبدال الذهب بسندات الحكومة الانجليزية كضمان للنقد المصرى ، وبذا كسبت الحكومة فوائد سنوية على هذه السندات الا انها تحملت بعض الخسائر حين انخفض سعر الاسترلينى عقب خروج انجلترا عن عيار الذهب سنة ١٩٣١

بنك انجلترا

وبنك انجلترا الذى يشرف على النظام النقدى فى انجلترا بنك مركزى بمعنى الكلمة فهو بنك الدولة تودع فيه ايراد الضرائب ، وتعهد اليه بالاشراف على شئون الدين العام كدفع الكوبونات والاقساط السنوية واصدار السندات الجديدة ، كما انها تقترض منه أحيانا — وللبنك احتكار اصدار البنكنوت ، وتطلب اليه الحكومة الاحتفاظ باحتياطى من الذهب عن كل الاوراق المالية التى يصدرها باستثناء مبلغ معين تجوز تغطيته بسندات حكومية — وهو المسئول عن سلامة العملة من التقلبات الفجائية التى توقع الاقتصاد الاهلى فى أزمات عنيفة ، وتقضى على سمعة العملة فى البلاد الاجنبية . ولهذا الغرض كان البنك يراقب باهتمام حركة تصدير واستيراد الذهب ، وقت أن كانت انجلترا لا تزال تربط عملتها بالمعدن النفيس . ومنذ سنة ١٩٣١ ، حين تركت انجلترا عيار الذهب ، يقوم البنك بشراء الاسترلينى وبيعه رغبة منه فى منع التقلبات العنيفة التى قد تعترى سعره نتيجة للمضاربة أو لاقبال الاجانب على ايداع أموالهم فى انجلترا ثم سحبها بعد برهة — كما ان البنك على اتصال وثيق ببنك فرنسا وبالبنك المركزى الامريكى بقصد التعاون عند الملمات

وتحتفظ البنوك الانجليزية بجانب من ودائعها لدى البنك المركزى . ونظرا لانه يسهر على مصلحة الدولة ولا يهتم كثيرا باعتبارات الربح ، التى تلعب دورا هاما فى

المشروعات الرأسمالية ، فهو يحتفظ بمقدار كبير من الذهب والاوراق المالية والبنكنوت لكى يستطيع مساعدة البنوك التى ترتبك أو ينضب معين مواردها عند حلول الازمات . ويقدم البنك نصائح من وقت لآخر للمشرفين على السوق المالية بقصر التوسع فى سياسة الاقراض أو تضييقها حسب الظروف ، أو لمنع الاقراض للدول التى لاتنتمى للامبراطورية اذا ما أحس بخطر يهدد مركز العملة . فاذا ما رأى ان حالة الرواج الاقتصادى قد بلغت حدا خطيرا ، عمد الى رفع سعر الاقراض وتتبعه البنوك الاخرى لانها تحدد سعر الاقراض على أساس ما يتقاضاه البنك المركزى . وهذه السياسة تؤدى الى منع الرواج من أن يتخذ شكلا خطيرا بسبب الاقبال على المضاربة - وبمقارنة بنك انجلترا ببنك فرنسا تظهر فائدة التعاون الوثيق بين البنك المركزى وبنوك الودائع . ففى فرنسا يقوم البنك المركزى بأعمال البنوك كافة ، وذلك يمنع التعاون الوثيق بينه وبين البنوك الاخرى التى تحجم عن ايداع مبالغ طائلة ، خوفا من أن يستغلها لحسابه الخاص - كما ان البنك المركزى قد يسرف في الاقراض وخصم الاوراق التجارية فى وقت الرواج ، حتى اذا وقعت الكارثة المالية لم يكن فى مقدوره مد يد المساعدة للبنوك العادية ، كما ان اضطراب مالية الحكومة الفرنسية أوقع بنك فرنسا فى أزمات عديدة

وليس للاهواء السياسية دخل فى تعيين محافظ البنك ومديريه . ولا يخفى ما لمنع استخدام السياسة المالية لخدمة مصالح الاحزاب من أثر حسن ، ففى بعض البلاد التى تدخل فيها الحكومة فى سياسة البنك المركزى تدخلا محسوسا نجد انها قد ترغم البنك على اقراضها مبالغ طائلة قد لا يكون فى وسعه تقديمها فى الحال - أو قد تغرى البنك على زيادة المصدر من البنكنوت مما قد يؤدى الى ارتفاع الاسعار وهبوط قيمة العملة فى الداخل والخارج

وفى لندن خمسة مصارف كبرى تملك آلافا من الفروع فى الداخل والخارج ، وقد بلغ رأسمالها واحتياطيها سنة ١٩٣٤ ١١٥ مليونا من الجنيهات ، وقيمة الودائع ١٨٠٠ مليون جنيه . وهذه البنوك الضخمة نتيجة لانضمام المئات من البنوك الاقليمية الصغيرة مع بنوك لندن ، اذ ثبت ان الوحدات الانتاجية الكبرى التى ظهرت فى القرن التاسع عشر كانت تحتاج الى قروض كبيرة لا تتمكن البنوك الصغيرة من تقديمها . وهذه البنوك لا تخضع لاية رقابة حكومية ، كما هو الحال فى بعض الدول التى يحدد القانون فيها نسبة معينة بين الارصدة النقدية وما فى حكمها وبين الودائع ويلزم البنوك بحفظ رصيد كبير لدى البنك المركزى كاحتياطى للطوارىء . بل جرى العرف فى انجلترا على ان تكون النسبة ١ : ١٠ ، وقد ثبتت كفايتها نظرا لشيوع عادة استعمال الشيكات ، ولان الجمهور بطىء التأثر بالاشاعات الصحيحة أو الوهمية فلا يهرع لسحب ودائعه من البنوك كلما تلبد الجو السياسى الداخلى او العالمى

سياسة البنوك الانجليزية فى القروض

ومعظم القروض التى تمنحها البنوك الكبرى قصيرة الاجل وتستعمل فى تمويل التجارة الداخلية والخارجية ، وفى تزويد الصناعة بجانب من الاموال التى تلزمها لشراء المواد الخام ودفع الاجور والمهايا • وتستثمر البنوك جانبا من ودائعها فى اقراض بنوك الخصم التى تتجر فى الاوراق التجارية قروضا قصيرة المدى • وهى لا تشجع المضاربين فى البورصة بمنحهم قروضا كبيرة كما هو الحال فى بنوك نيويورك التى عانت كثيرا من جراء تلك السياسة بسبب تدهور اسعار القراطيس المالية ، مما يضعف مركز المضاربين ويضيع على البنوك جانبا من أموالها ـ وتعلل المصارف الانجليزية سياستها بأن الجانب الاكبر من ودائعها يتخذ شكل الحساب الجارى ، وللمودعين الحق فى سحبها عند الطلب،ولذا تستهدف البنوك لاخطار عديدة اذا ما اقرضت رجال الاعمال سلفيات طويلة المدى تستثمر فى انشاء المصانع الجديدة أو فى توسيع المصانع الحالية كما هو العرف السائد فى ألمانيا وفرنسا حيث تقوم بنوك الاعمال بالاكتتاب فى اسهم الشركات الصناعية وسنداتها ، بل وتشترك أحيانا فى الادارة • وقد ظهرت أفضلية الطريقة الانجليزية سنة ١٩٣١ حين أفلس عدد من البنوك الالمانية التى كانت على ارتباط وثيق بالشركات عندما فوجئت باقبال الجمهور على سحب ودائعه ، فى حين ان جانبا كبيرا من هذه الودائع كان مستثمرا فى الشركات الصناعية الكبرى وكان من العسير بيع السندات التى فى حوزة البنوك بسبب تدهور الاسعار واعراض الجمهور عن الشراء ـ الا انه فى السنين الاخيرة حادت البنوك قليلا عن خطتها السابقة بسبب حاجة الصناعات الانجليزية القديمة ، كالقطن وبناء السفن والصناعات المعدنية ، الى مبالغ طائلة لتنظيمها وتزويدها بأحدث الآلات حتى تستطيع منافسة المصانع الالمانية والامريكية

بيوت القبول وبنوك الخصم

ومن أهم البيوت المالية فى « السِتى » وأكثرها اتصالا بالعالم الخارجى ، هى تلك التى تقوم بتمويل التجارة الخارجية ، وتسمى بيوت القبول وبنوك الخصم • فالاولى تبحث الكمبيالات المقدمة لها من العملاء فى الداخل والخارج حتى اذا ما اقتنعت بسلامة مركز الساحب والمحيلين وضعت امضاءها عليها ـ وهذا الضمان يزيد من قيمة الكمبيالة فى التداول ، ويسمح لبنوك الخصم بشرائها فى مقابل عمولة صغيرة • وتتوسط هذه البنوك أيضا فى المبادلات التجارية الخارجية التى ليس لانجلترا بها صلة مباشرة • فلنفرض ان تاجرا فى اليابان اشترى مقدارا من القطن المصرى ، فانه يذهب لمصرفه ويطلب اليه الاتصال بأحد بيوت القبول فى لندن ـ وليكن « هامبرو » ـ لفتح اعتماد بالاسترلينى لحساب المصدر المصرى ، واذا ما وافق هامبرو فانه يطلب الى عميله بالاسكندرية ـ وليكن باركليز بنك

دفع قيمة الكمبيالة التى يسحبها المصدر المصرى بقيمة القطن مقابل استلام بوالص الشحن والتأمين • وبعد ذلك يرسل بنك باركليز مستندات الشحن الى البنك اليابانى ويرسل الكمبيالة الى بنك هامبرو للقبول • وبعد ذلك تباع الكمبيالة لاحد بيوت الخصم وعند الاستحقاق يرسل البنك اليابانى قيمة الكمبيالة الى هامبرو الذى يدفعها عند تقديمها اليه

وتقوم بيوت القبول المشهورة ، مثل روتشيلد وبارنج وهامبرو واوبنهيم وجوشن ، باصدار سندات الحكومات والشركات الاجنبية فى سوق لندن ، وقد لعب بعضها دورا هاما فى التاريخ السياسى والاقتصادى للقرن التاسع عشر

فمثلا تقدر قيمة القروض التى عقدها بيت روتشيلد حتى أول القرن الحالى بما يربو على ١٢٥٠ مليون جنيه ، نذكر منها العملية التى بمقتضاها تمكن دزرائيلى من ابتياع حصة مصر فى قناة السويس ، كما ان الحكومة المصرية اقترضت من معظم هذه البنوك مبالغ طائلة كان عجزها عن دفع الفوائد عليها سببا فى بسط المراقبة الثنائية على المالية المصرية

***

فى السنين الاخيرة كان مستقبل « السيتى » مدار البحث المستمر فى انجلترا ، وخصوصا فى دوائر أحزاب اليسار ، فيدعى الاشتراكيون ان فشلهم فى تنفيذ سياستهم الاقتصادية والاجتماعية عندما تولوا مقاليد الحكم راجع الى أن رجال المال كانوا يضعون العراقيل فى سبيلهم ويثيرون الشكوك فى نواياهم ، وهم يقترحون تملك الحكومة للبنك المركزى وفرض رقابة شاملة على سوق النقد المحلى والعالمى وعلى المعاملات الخارجية حتى يمكن ازالة أسباب الازمات الدورية ، غير أن الدوائر المالية ومعظم رجال الاقتصاد رفضوا قبول هذه الاقتراحات مفضلين ترك السوق حرة مع اتخاذ التدابير اللازمة لزيادة التعاون بين البنك المركزى ووزارة المالية لتشجيع الاستثمار فى وقت الكساد بقصد تخفيف مشكلة العطل

على الجريتلى



المكتشفون الأثريون الأنجليز في مصر

بقلم الاستاذ محرم كمال

مفتش آثار منطقة المنيا

ظلت مصر فترة طويلة من الزمن مجالا واسعا وأرضا مباحة للباحثين عن الآثار . فمصر بحكم موقعها وتاريخها كانت صاحبة أكبر حضارة قديمة ظهرت في حوض البحر الابيض المتوسط ، فكان من الطبيعي ان يكون لهذه الحضارة من الآثار القائمة والمستورة مايدهش كل من زار مصر في عهدها القديم والحديث . حتى عندما بدأت حضارة اليونان في الظهور فان كثيرين من فلاسفة اليونان وغيرها من الامم المتحضرة التي ظهرت بعد ذلك قد وفدوا على مصر وتتلمذوا في جامعاتها ودرسوا علومها وفنونها ثم نقلوها بعد ذلك الى بلادهم . ومن ثم انتشرت في انحاء العالم أخبار عديدة عما في مصر من روائع الآثار ، فهيرودوت المؤرخ اليوناني القديم الذي زار مصر حوالى عام ٤٥٠ ق . م وغيره ممن جاءوا بعده من المؤرخين والزائرين حاروا في أمرهم : أيعجبون من الاهرام وجلالها ، أو من المعابد الفخمة ذات الابهاء المتلألئة بما على جدرانها من ألوان زاهية ، أو من المقابر وقد حوت سجلا فخما من الصور التي تبين أدق التفاصيل عن حياة المصريين القدماء وصناعاتهم ومدافق حضارتهم أو من تلك التماثيل العظيمة التي تمثل ملوكهم وآلهتهم ومشاهير رجالاتهم ، تتفق في عظمتها مع عظمة تلك الحضارة الزاهية . فلا عجب اذن اذا كانت روائع الفن التي انتشر خبرها في جميع أرجاء العالم من قديم وحديث قد اجتذبت سيلا لا ينقطع وروده من الرجال يفدون على مصر يضربون في أرجائها باحثين منقبين علهم يجدون في أرضها من النفائس ما يملأون به وطابهم ويعد لهم ثروة ومورد رزق لاينضبان

هكذا كانت الحال قبل انشاء مصلحة الآثار المصرية ، يفد على مصر كل من هب ودب فيبحث في أرضها ويستخرج منها ما شاء وشاء له جلده وصبره في العمل ، ويعود بما عثر عليه الى بلاده فيتصرف فيه كيف شاء وشاء له ضميره

هذه الفترة من تاريخ التنقيب عن الآثار يصح ان نطلق عليها اسم الفترة الحرة الطليقة التي لم يكن فيها رابط لا من القانون ولا من نظام البلاد

وقد تلت هذه الفترة فترة أخرى عمل فيها بعض المنقبين على أساس علمي ، دون أن يكونوا مقيدين من قبل الدولة بقيود منظمة معينة . وهذه الفترة وما يليها هي التي تهمنا وهي التي نقصر البحث فيها عن نصيب المكتشفين الانكليز منها

الأستاذ فلندرز بترى

ولعل أكبر شخصية تبرز لنا واضحة ظاهرة في هذا العصر هي شخصية العالم الانكليزى المعروف الأستاذ فلندرز بترى Flinders Petrie استاذ علم الآثار المصرية بجامعة لندن والمكتشف الاثرى الطائر الصيت

فهذا الرجل قد وفد على مصر وظل ينقب فيها بهمة لا تعرف الكلل أكسبته خبرة في عمله قدرها جميع الذين عملوا معه وشاركوه في حفائرهم ، وان الانسان ليعجب كيف أمكن هذا الرجل في حياة محدودة بالسنوات لا بالاجيال ولا بالقرون أن يقوم بكل هذا العمل الضخم الذي قام به ، وكيف عاونه صبره وجلده على احتمال اعباء هذا العمل المضنى في صحراء مصر وجبالها ومناطقها الاثرية دون أن يعتريه الملل أو يقف بهمته عائق أو حائل

واذا نحن تكلمنا بصفة عامة فاننا نستطيع ان نقول ان هذا العالم بدأ حياة التنقيب عن الآثار حوالى عام ١٨٨٠ . فادار حفائر ناجحة في تانيس (وهي المنطقة التي يقوم بالحفر فيها الآن العالم الفرنسي مونتيه حيث عثر فيها في العام الماضي على آثار رائعة للملك ششنق وبسوسنس وغيرهما من الملوك) أظهر عنها مؤلفا من جزأين (في عامي ١٨٨٥ و١٨٨٨) وكذلك في نقراطس ومؤلفه عنها معروف (عام ١٨٨٦) . أما في الفيوم فان نطاق أعماله قد اتسع في منطقة شملت هواره واللاهون وكوم غراب وبيهمو وأرسنوى (ومكان الاخيرة الآن كيمان فارس) ، ونشر عن حفائره تلك ثلاثة مؤلفات قيمة أولها عنوانه هواره وبياهمو وأرسنوى عام ١٨٨٩ ، وثانيهما اللاهون وكاهون وغراب (وهي الحفائر التي قام بها في عامي ١٨٨٩ و١٨٩٠) ، وثالثهما كاهون (١) وغراب وهوارة وقد ظهر هذا المؤلف الاخير عام ١٨٩٠ . أما في عام ١٨٩١ فقد أظهر هذا العالم مؤلفا آخر عن الحفائر التي قام بها في تل الحيسى (لاشيس) . وأعقب ذلك بحفائر ناجحة في ميدوم أظهر عنها مؤلفا قيما في عام ١٨٩٢ . ثم استمر نشاطه يزيد ويقوى فانتقل الى تل العمارنة ، وأخذ ينقب في هذه المنطقة الغنية بآثار الملك الشاب أخناتون . وأخناتون على ما يعلم الجميع هو الملك المجدد الذي اكتسب بثورته الدينية ومذهبه الجديد شهرة ذائعة

---

(١) كاهون هو الاسم الذى اطلقه السير بترى على آثار مدينة قديمة تقع على مسافة ميل وربع تقريبا شمالى هرم اللاهون واسم المدينة القديم هو حتب سنوسرت لان الملك سنوسرت الثانى (الاسرة الثانية عشرة) هو الذى انشأها . وقد عثر فيها بترى عام ١٨٨٩ على أدوات وأوان منزلية بين خراب منازلها ودورها

وأهمية خاصة • فهذا الملك كان يبشر بالسلام وبدين جديد هو عبادة قرص الشمس (أتون) • وهذا الدين لم يرض كهنة أمون فى طيبة (مقر الملك) بطبيعة الحال ، لان فى انتشاره هدما لسلطتهم وسلطة آلههم آمون العظيم ، فأخذوا يضعون العراقيل أمام الملك حتى اضطروه الى أن يهجر العاصمة طيبة (الاقصر الحالية) ويؤسس عاصمة جديدة لملكه هى تل العمارنة التى كانت تمتد على شاطىء النيل وبنى لنفسه فيها معابد لقرص الشمس وقصورا ملكية له ولاتباعه ودارا للمحفوظات وجامعة وثكنات للبوليس والحرس ومقابر فخمة منقورة فى الجبل الى غير ذلك مما تستلزمه عاصمة جديدة عظيمة الشأن

ومن هذا ندرك مقدار أهمية منطقة تل العمارنة التى اتجهت انظار عالمنا الاثرى الانكليزى فلندرز بترى الى التنقيب فى أرجائها • ومن حسن الحظ ان حفائره قد أتت بنتائج باهرة دعته لان ينشر مؤلفا علميا جليل الشأن عنها عنوانه « تل العمارنة » وذلك فى عام ١٨٩٤

وكما يقولون فى الامثال انه ليس أجلب للنجاح من النجاح فان هذه الاعمال الموفقة كانت دائما تحفز همته لعمل جديد ، فانتقل الى قفط وأخذ يعمل وينقب وتوصل الى نتائج هامة دون تفصيلاتها فى مؤلف له عنوانه « كبتوس » ظهر عام ١٨٩٦ • ولا يفوتنا فى هذا المقام ان نذكر حفائره الناجحة فى دشاشة والبهنسا وما أظهره عنهما من مؤلفات أولهما « كتالوج الآثار المستخرجة من دشاشة والبهنسا والكاب » الذى ظهر عام ١٨٩٧• و « دشاشة » الذى ظهر عام ١٨٩٨ • ولم تكن هذه الحفائر كلها لتشبع نهمه أو تحد من نشاطه ، فقد اجتذبته دندرة الى ناحيتها فذهب اليها عام ١٨٩٨ وأعمل فيها معاوله وظل يبحث وينقب حتى امتلأ وطابه بالاسانيد والنفائس الكافية لنشر مؤلف عنها من جزأين عنوانه « دندرة » ظهر عام ١٩٠٠ • على ان الحفائر التى يعرفها كل مبتدىء فى الآثار المصرية عن هذا العالم هى الحفائر التى قام بها فى ابيدوس (العرابة المدفونة) ووجد فيها كمية من الفخار نظمها وبوبها ورتبها فى درجات أتخذت اساسا لنظام تابع التواريخ • وهو نظام معترف به الى الآن • ولا يزال مؤلفه المشهور عن حفائره بابيدوس الذى ظهر فى عامى ١٩٠٢ و١٩٠٣ عمدة لعلماء الآثار وعلى الاخص فيما يختص بالاوانى الفخارية وترتيبها • ولم يقتصر نشاط هذا العالم الانكليزى على هذه المناطق ـ على كثرتها ـ وانما تعداه الى مناطق أخرى نذكر منها اهناسية التى قام بحفائره فيها عام ١٩٠٤ واخرج مؤلفا عنها فى عام ١٩٠٥ ، ثم شبه جزيرة سيناء التى قام بابحاثه فيها ونشر مؤلفا عنها عنوانه « ابحاث بشبه جزيرة سيناء » عام ١٩٠٦ ، ثم الجيزة ومؤلفه عنها معروف ظهر عام ١٩٠٧ ، ثم تل أتريب الذى قام فيه بحفائر نشر عنها مؤلفا عام ١٩٠٨ ، ثم منفيس ومؤلفه عنها ظهر عام ١٩٠٩ ، ثم حفائره التى أجراها فى جهة طوخان بمديرية الجيزة عام ١٩١٣ ومؤلفه عنها معروف

تلامذة بترى

ومما يجدر ذكره ان معظم العلماء والمنقبين الاثريين الانكليز الذين اشتغلوا فى مصر بعد ذلك قد تتلمذوا على الاستاذ فلندرز بترى فترة من الزمن واشتركوا معه فى حفائره اشتراكا فعليا اكسبتهم خبرة ومرانا فى حياتهم الاثرية. فالعالم الانكليزى كويبل « Quibell » اشترك معه فى حفائره بنقادة وبلاص وأظهرا معا مؤلفا عنها سنة ١٨٩٥ ، وكذا ماكاى « Mackay » اشترك مع الاستاذ بترى فى حفائره بعين شمس وغيرها وأظهرا معا مؤلفا بنتائج الحفائر عنوانه « هليوبوليس وكفر عمار والشرفا » ظهر عام ١٩١٥ . وكذا العالم وانريت « Wainwright » الذى اشتغل زمنا كبيرا لمفتشى آثار مصر الوسطى عمل زمنا مع الاستاذ بترى فى حفائره بميدوم ومنفيس وأظهرا مؤلفا اشترك فيه ماكاى أيضا عنوانه « ميدوم ومنفيس » ظهر عام ١٩١٠ . أما المستر برنتون الذى يعمل الآن أمينا بالمتحف المصرى فقد عمل تحت ادارة الاستاذ بترى فى حفائر بسدمنت أظهرا عنها مؤلفا من جزأين عام ١٩٢٤ . وكذا فى حفائر باللاهون أظهرا عنها مؤلفا اشتركت فيه السيدة مرجريت مرى العالمة الانكليزية وعنوانه « اللاهون » (الجزء الثانى) ظهر عام ١٩٢٣ . ولا ننسى أيضا فضل الاستاذ بترى على العالم الانكليزي انجلباك كبير امناء المتحف المصرى الآن ، فقد اشتغل هذا معه فترة كبيرة فى الفيوم وغيرها من الجهات كانت اساس خبرته فى الآثار

فى غضون هذه الفترة الثانية أخذ المصريون يتنبهون الى انهم ملاك للارض التى يحفر فيها هؤلاء العلماء ، وأن هذه الآثار هى آثارهم وان لهم عليها وعلى المنقبين حقوقا طبيعية شرعية يجب أن تحدد وتوضع لها روابط وقواعد ثابتة ، فصدر قانون الآثار عام ١٩١٢ وهو المعروف بالقانون رقم ١٤ الخاص بالآثار وصدر بعده قرار من (نظارة) الاشغال العمومية بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩١٢ رقم ٥٢ يختص بأعمال الحفر للبحث عن الآثار التاريخية ، بين كلاهما هذه الحدود على قدر المستطاع فصار يعطى ترخيص الحفر بموافقة لجنة الآثار العليا للعلماء أو لمن توصى بهم الحكومات والجامعات أو المجامع العلمية أو جمعيات معارف رسمية أو لافراد من الثراة بشرط ان يعتمدوا فى ادارة العمل على عالم أو علماء مشهورين لهم الخبرة الاثرية المطلوبة . ثم صارت عقود الامتياز تنص على أن المكتشف ملزم بتسجيل نتائج حفائره واظهار مؤلف علمى عنها وان من حق مصلحة الآثار أن تشرف على الحفائر وان ما يعثر عليه يكون من نصيب الدولة المصرية أصلا على أن تقسم الحكومة معه ما يكون ثانوى الاهمية من الآثار

طبقا لهذه الشروط أخذت تسير الحفائر من هذا التاريخ ولكن لكى نحيط بقصة الحفائر ونصيب الانكليز منها يجدر بنا أن نرجع خطوة الى الوراء

كانت الحكومة المصرية وقد أصبح لها مصلحة للآثار قد احتفظت لنفسها بحق الحفر

فى مناطق معينة اختصت بها نفسها • ومن بين هذه المناطق منطقة وادى الملوك بطيبة (الاقصر) • وقد قامت المصلحة بالفعل بحفائر فى السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر أدت الى اكتشاف مقابر الملوك تحتمس الاول وتحتمس الثالث وامحتب الثانى وغيرهم

الأستاذ هوارد كارتر ومستر تيودور ديفز

وشاء المصادفة أن يقوم ثرى عجوز يدعى مستر تيودوز ديفس Theodore Davis برحلة فى النيل وأن يعجب بجو الوجه القبلى اعجابا شديدا دعاه لان يشترى (ذهبية) قرر أن يقضى فيها شتاء كل عام الى جوار طيبة (الاقصر) • وشاء المصادفة نفسها أن تكون اعتمادات مصلحة الآثار فى هذه السنة (١٩٠٣) قليلة لا تقوى على الحفر ونفقاته فعرض هذا الثرى على المصلحة أن يعطى مبلغا من المال لمستر هوارد كارتر (الاثرى المعروف الذى اكتشف فيما بعد مقبرة الملك توت عنخ آمون) وقد كان كبيرا لمفتشى الآثار فى هذا الوقت ، لكى يقوم باستئاف الحفائر فى وادى الملوك • وغنى عن البيان ان المصلحة قد رحبت بهذه الهبة على أساس أن يعتبر المستر دافيز نفسه كممول يقوم بالصرف على الحفائر بدلا من المتحف المصرى دون أن يعطيه هذا الاعتبار أية حقوق بامتياز ما

بدأت الحفائر اذن عام ١٩٠٢ ولم يأت عام ١٩٠٣ الا وكانت مقبرة الملك تحتمس الرابع قد اكتشفت وفى السنة نفسها اكتشف المستر كارترمقبرة الملكة حتشبسوت وتولى الصرف فى كل هذا مستر دافيز الذى أصبح ممولا للحفائر التى تقوم بها الحكومة فى هذه المنطقة التى اختصت نفسها بها فى الاصل

وفى عام ١٩٠٤ حل العالم الانكليزى مستر كويبل « Quibell » مكان كارتر كبيرا لمفتشى الآثار بالاقصر واستأنف الحفائر بالشروط عينها وفى السنة التالية (١٩٠٥) عين ويجال « Weigall » كبيرا للمفتشين فاشترك مع كويبل فى الحفائر فاكتشفا معا مقبرة يويا وتويا والدى الملكة تى • وفى نهاية هذا الموسم غادر كويبل الاقصر ، وفى الموسم التالى لم يستطع ويجال الذى كان مثقلا بأعباء وظيفته الرسمية الاستمرار فى الحفائر فاتفقت مصلحة الآثار مع مستر دافيز الذى يمول الحفائر على أن يختار مستر ارتون « Ayrton » واستمرت الحفائر فى السنوات التالية فاكتشفت مقبرة الملكة تى والملك أخناتون وحرمحب وسيتاح وغيرهم • وكان العمل يدور تحت اشراف كبير مفتشى مصلحة الآثار بالاقصر وما يعثر عليه كانت تتولى الحكومة نفقات نقله وشحنه وارساله الى المتحف المصرى بالقاهرة اذ كان واجب مستر دافيز يقف عند حد الصرف على الحفائر نفسها ، أى على العمال الذين يقومون بالحفر وما يلزمهم من أدوات

ومما تجدر الاشارة اليه ان مستر دافيز لم يكن يعتبر نفسه فى وقت ما محسنا يتصدق بأمواله على عمل ما • وانما كان الامر لا يتعدى الرغبة منه فى وضع مبلغ من المال —

كانت الحكومة ولا شك تستطيع أن تديره بنفسها لاجراء حفائرها — وتخصيصه سنويا لهذه الحفائر فى مقابل ما يستمتع به من لذة ومفاجأة وأمل فى العثور على كشف جديد .
ولم يكن مستر دافيز هو الثرى الوحيد الذى اجتذبته هذه الطريقة الرائعة لتمضية الوقت فى فصل الشتاء . فان الاقصر بحكم موقعها كانت مشتى بديعا يجتمع فيه الزوار والسائحون حيث يعيشون حياة ناعمة مترفة فى فنادق فخمة أو فى (ذهبيات) أو بواخر فاخرة ، وفى هذا الجو الوديع لم يكن هنالك ما هو أروع لقضاء الوقت من اجراء حفائر يقوم بالعمل الفعلى فيها أشخاص آخرون . فكان كل ما يلزم الثرى أن يستأجر عالما أثريا يقوم بالعمل الفنى وعددا من العمال يعملون فى الحفر ، وكل هذا لا يكلف الثرى سوى بضع مئات من الجنيهات . وفى مقابل هذا يجد الثرى لنفسه هدفا معينا يذهب اليه كل يوم فى نزهة لطيفة ويجد مجالا لاكلة شهية يأكلها فى نزهته هذه وسط حفائره ويستمتع فوق هذا وذاك بالامل الواسع يسبح فى وديانه وبخيالات فيما ينتظره من النفائس التى ستكشف عنها الحفائر تتراءى له فى أحلامه

وهكذا كان اللورد نورثمبتون « Lord Northampton » يحفر فى جزء آخر من جبانة طيبة (الاقصر) وكانت اللادى ويلم سيسل « Lady William Cecil » تستمتع بقضاء شتاء بديع على هذا الشكل بين مقابر اسوان ، كما كانت السيدتان مس بنسون ومس جورلى تكشفان عن جزء من معبد موت بالكرنك ، كل واحد من هؤلاء مستعينا بعالم أثرى يقوم بادارة الاعمال بطبيعة الحال

اللورد كارنارفون والأستاذ كارتر

وبهذه الطريقة عينها ابتدأ اللورد كارنارفون « Lord Carnarvon » حياته كحفار ، فقد اجتذبه جو الاقصر البديع ورغبته الملحة فى ايجاد عمل يقضى فيه وقته ، فاتفق مع المستر كارتر ، الذى كان قد استقال من خدمة الحكومة المصرية على العمل وابتدآ حفائرهما فى جهات عديدة من جبانة طيبة وكانت الجهات التى اختارها اللورد لحفائره غير داخلة فى المناطق التى حجزتها الحكومة لنفسها ولذلك سمح له بأخذ نصف الآثار التى يكتشفها ، على حين ان مستر دافيز الذى كان يعمل فى وادى الملوك لم يستطع أن يأخذ شيئا مما يكتشفه . وبفضل ما خص اللورد كارنارفون من نصيبه فى الحفائر كون مجموعة قيمة عرفت باسمه ليس هنا مقام التحدث عنها

وفى أواخر عام ١٩١٢ مات مستر دافيز فانتهز كارتر الفرصة ورجا اللورد كارنارفون أن يتفق مع الحكومة على منحه ترخيصا بالحفر فى المنطقة التى كان يحفر فيها دافيز أى فى وادى الملوك . وقد تمكن اللورد من الحصول على هذا الترخيص واستئناف أعمال المرحوم دافيز ولم يمض وقت طويل على هذا حتى قامت الحرب الكبرى فاضطر اللورد ومدير أعماله الفنى كارتر الى وقف الاعمال حتى انتهاء الحرب

وفي أواخر عام ١٩١٨ استأنفا الحفر في هذه المنطقة وظل العمل يجرى عاما بعد عام ، وموسما يليه موسم حتى أشرفا على عام ١٩٢٢ دون أن يتوصلا الى نتيجة ما حتى فكر الاثنان في ترك العمل أو البحث عن منطقة أخرى يكون العمل فيها أجدى وأكثر نفعا

ولكن المصادفة وحدها يحدوها الحظ الحسن دعت أحدهما (كارتر) الى أن يحفر في منطقة تقع بجوار مقبرة رمسيس السادس كانت مشغولة فى هذا الوقت بمبان هشة للعمال القدماء ... كانت محض فكرة طارئة يريح كارتر بها ضميره قبل أن يطلق العمل في هذه الجهة التى لم تورثه حتى هذا الوقت الا التعب والجهد والالم

ولكن يا للحظ السعيد ويا للتوفيق الباهر اذ لم يكد كارتر فى هذا اليوم التاريخى يقترب من العمال حتى سمع بينهم هرجا ومرجا ، فأخذ يهرول فى سيره حتى شارفهم فاذا هم فى فرح ومرح شديدين ، واذا هم يعلنون اليه نبأ العثور على درجة منقوشة فى الصخر . فحصها كارتر فعلت وجهه موجة من الفرح وأمر عماله بالاستمرار فى العمل ولم يكتمل يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٢ حتى اكتحلت عيناه بمرأى سلم يحتوى على ست عشرة درجة ويليها باب مغلق عليه أختام فأبرق الى اللورد كارنارفون الذى كان بانكلترة فى هذا الوقت ينهى اليه الخبر السعيد الذى وافاه فرد عليه اللورد برقيا بأنه سيستقل أول باخرة يحضر بها الى مصر . فأوقف كارتر العمل وردم الحفرة حتى يحضر سيده فيتمتع بثمرة أعماله ، واكتفى كارتر بالاحلام تداعبه عن ماهية كشفه الجديد

حضر اللورد كارنارفون وفتح كارتر الحفرة ثانية وكشف عن الست عشرة درجة حتى وصل الى الباب المغلق فاذا به مختوم تعلوه أختام الجبانة الملكية (جبانة طيبة) وتحتها أختام تتضمن اسم الملك توت عنخ آمون

اذن فهم أمام كشف عظيم ، مقبرة ملكية كاملة بكل جلالها وابهتها وهنا لم يسعهما الا فتح الباب المغلق فاذا هما فى حجرة مستعرضة كدست بأثاث ومحتويات يأخذ بريقها بالابصار . كان كل ما فى الحجرة يتوهج تحت نور المصباح القوى ، فقد كان الاثاث مغطى بصفائح من الذهب الخالص تتألق تألق الشمس فى رابعة النهار

أصبح كارنارفون هو وكارتر بين عشية وضحاها من مشاهير الرجال ، وسارعت الشركات البرقية والسينمائية ومندوبو الصحف ومندوبو مجلات الازياء الى الاقصر لنقل أخبار الاكتشاف العظيم . ولا نرى داعيا للاستمرار فى سرد باقى القصة فهى لا تزال عالقة بأفكار القراء لحداثة عهدها وانما نكتفى بأن نقول ان هذا الاكتشاف قد وجه انظار العالم كله الى مصر وتوج أعمال كارنارفون وكارتر بما لا يستطيع انسان ان يطمح فى أكثر منه من مجد وشهرة . ولا شك فى أن هذا الاكتشاف كان ولم يزل أهم اكتشاف ظهر فى العهد الاخير

محرم كمال

الحق ما شهدت به الأعداء

الأنجليز

بقلم ادولف هتلر

ليس هذا مقالا عن الانجليز كتبه هتلر ولكنه مقتطفات من كتابه «ماين كامف» درس فيها دكتاتور المانيا اخلاق الانجليز وتقاليدهم ومكامن القوة فى الامبراطورية البريطانية دراسة استاذ وخبير . وسيرى القارىء بعد قراءة هذه المقتطفات ان هتلر لم يقع فى الغلطة التى وقع فيها زميله وحليفه موسوليني اذ زعم ان بريطانيا قد شاخت ونخر فى عظامها السوس ، بل عرف لها قدرها وشهد لها بالقوة والجدارة بالسيادة والبقاء ، واعتبرها اثمن حليف لالمانيا لولا ما بين الشعبين من تناحر يحتم بقاء واحد منهما وزوال الآخر

كل من يقرأ كتاب « ماين كامف » لهتلر يشهد له بالحرارة والاخلاص لافكاره ووطنيته ان لم يشهد له بالتعمق فى درس مختلف المسائل التى تعرض لها بالنقد أو التحليل

وهذه الحرارة ، وهذا الاخلاص الذى يكاد يجعل من الكتاب خطبة حماسية طويلة ، توافرت فيهما عناصر الصدق فى اظهار الشعور والتعبير عن كوامن النفس . لذلك جاءت اقواله فى الانجليز والامبراطورية البريطانية من اروع ما كتب عن هذا الشعب المجيد ، ومن ابرع الكتابات الدبلوماسية فى العصر الحديث

وهتلر كزعيم ـ والزعيم كما نعلم يستعين بالخيال كثيرا ليحقق به ما لا يمكن تحقيقه فى عالمنا الحقيقى ، يحلم بصداقة الانجليز ، وتأييد الانجليز ، واقتسام العالم معهم ، ويكاد يصرح بان ذلك هو الحل المعقول لمشكلة تعدد الشعوب وكثرة مناطق النفوذ

ثم هو ـ ككل زعيم يحب شعبه ـ يريد ان يعطى لابناء وطنه صورة حية لبريطانيا القوية الجبارة التى لا تقهر ، ليزيد الشعب فى استعداده ويضاعفه علما بانه امام خصم قوى عنيد

ولما كانت اقواله فى الانجليز موزعة على مختلف فصول كتابه الضخم ولا تجرى على نهج البحث المستقل المسلسل ، فقد آثرنا ان نعرضها كما هى ، مترجمين اقواله فى كل ناحية من نواحى عظمة الانجليز ترجمة حرفية دقيقة :

البرلمان الانجليزى

كنت دائما امقت البرلمان (يقصد البرلمان النمسوى) ولكنى لم امقت النظام البرلمانى

نفسه . فانى كرجل يسعى لتحقيق المثل الاعلى فى الحرية السياسية لا استطيع ان اتصور شكلا للحكومة غير الشكل البرلمانى . وقد ساعد على تكوين هذه العقيدة ما كنت استشعره من الاعجاب بالبرلمان الانجليزى . فلقد ملك على هذا الاعجاب نفسى قبل أن انتبه لتأثيره من مطالعة الصحف وانا صغير . ثم لم أقدر على نبذ هذا الاعجاب بسرعة. ان الجلال الذى كان البرلمان الانجليزى ينجز به اعماله أثر فى تأثيرا عظيما ـ زادته العبارات الرنانة التى كانت الصحف النمسوية تعرض بها اعماله جلالا على جلاله . ولطالما كنت اسائل نفسى : هل فى نظم الحكم نظام أنبل من حكم الشعب ؟

محالفة الانجليز

ان اختيار شعب من الشعوب كحليف لا يتوقف على ما لديه من آكام العتاد والسلاح ، ولكن على حضور ما فى خلقه من ارادة بقاء الجنس والوطن ، والبسالة الخارقة التى تدفع الى الجهاد حتى النفس الاخير ، لان المحالفات لا تعقد مع الاسلحة ولكن تعقد مع الرجال لذلك يعد الشعب البريطانى احسن حليف لنا فى العالم طالما ظل على ما به من تماسك فى حكومته وشعبه . هذا التماسك الذى يمكنه من متابعة أى صراع يقدم عليه حتى النصر ، مهما يطل أمد هذا الصراع ومهما تكن تضحياته ووسائله ..

عدم فهم الانجليز دفع الالمان ثمنه غاليا

وقال بصدد اتجاه الامبراطورية الالمانية قبل الحرب العظمى الماضية الى التوسع عن طريق التجارة :

« لعل التشدق بسيادة العالم بالوسائل السلمية عن طريق التجارة كان فكرة تافهة رفعت الى المقام السامى فى سياسة الدولة الالمانية . وهذا التفكير التافه زادت بلاهته عندما اشار المفكرون الالمان الى انجلترا كمثال لامكان تطبيق هـذا المبدأ . ان نظرتنا الى التاريخ ومعلوماتنا العملية فى هذا الميدان التجارى الجديد قد اضرت بنا ضررا بليغا وقدمت لنا مثلا حيا لخطورة درس الناس للتاريخ دون فهمه

« ان انجلترا يجب ان تعد مثالا يثبت انه لا يمكن تحقيق سيادة العالم عن طريق التجارة والوسائل السلمية . فليس بين الشعوب شعب كالانجليز استعمل سيفه فى التمهيد لفتوحه التجارية . وليس بينها شعب دافع عن مجاله التجارى بمثل الشدة التى دافع بها الانجليز عن مجالهم التجارى . أفليس من خصائص الدولة البريطانية ان تستعمل القوة الحربية للكسب الاقتصادى ، ثم لتحيل هذا الكسب الى قوة سياسية دائمة ؟ واية غلطة فاحشة ارتكبناها عندما حسبنا ان انجلترا ستجبن عن سفك دمها ذودا عن توسعها الاقتصادى !

« ثم ان عدم وجود جيش انجليزى كبير لم يفدنا شيئا . فليس المعول على الكيان الحربى القائم فى التو والساعة ، ولكن على الارادة والتصميم على استعمال كل قوة حربية مواتية

« تبت كل ذلك فى الوقت الذى كانت فيه المدارس والصحافة والمجلات الفكاهية فى المانيا تحملنا على تكوين فكرة عن الخلق الانجليزى افضت بنا آخر الامر الى اسوأ حالات الانخداع والتغرير بالنفس . وافضى هذا الحكم المعكوس شيئا فشيئا الى شبه عقيدة متأصلة فى كل ركن من اركان الحياة الالمانية . وكانت النتيجة مبالغة فى الحط من قدر الانجليز دفعنا ثمنها غاليا جدا . أجل .. فقد بلغ التغرير بنا حدا اصبحنا معه ننظر الى الانجليزى كرجل اعمال عجيب الاطوار ، جبان لدرجة لا يتصورها أحد

« ومن سوء الحظ أن مؤرخينا العظام لم ينبئوا تلاميذهم بان بناء مثل هذه الامبراطورية الضخمة لا يتم بمجرد النصب والاحتيال .. والقليلون منهم الذين لفتوا الانظار الى هذه الحقيقة تجاهلناهم أو ألزمناهم الصمت ، وكم يؤلمنى ان استعيد ذكرى نظرات زملائى المحاربين عندما وقفوا وجها لوجه فى الفلاندر لاول مرة مع الجنود الاسكتلنديين .. لقد إذهلهم هذا المنظر .. وتبينوا بعد قتال بضعة ايام ان هؤلاء الجنود لا يشبهون اولئك الذين صورتهم المجلات الفكاهية فى لوحاتها الكاريكاتورية (١)

« ومن هذه اللحظة كونت فكرتى الاولى عن قيمة الدعاية فى مختلف اشكالها »

الامبراطورية البريطانية لا تنهار بسرعة

فى هذه الفقرة يعرض هتلر للرأى الذى أخذ يتكون بعد الحرب العظمى الاولى ومؤداه ان الشعوب التى يحكمها الانجليز والامم التى أخذت تناضل فى سبيل استقلالها قد شرعت تهدم كيان الامبراطورية البريطانية بثوراتها ونضالها :

« انى أذكر جيدا الآمال الصبيانية التى تبدت فى الاوساط الالمانية الوطنية فجأة فى عامى ١٩٢٠ و١٩٢١ ، ومؤداها ان انجلترا توشك أن تتداعى على صخرة الهند . وقد برز جماعة من الوطنيين الاسيويين بين ظهرانينا ووصفوا انفسهم بانهم « ابطال الحرية الهندية » وشرعوا يجوبون اوربا للدعاية لانفسهم ، فنجحوا فى جعل فريق من مفكرى الغرب يؤمنون بأن الامبراطورية البريطانية التى يتركز محورها فى الهند ستنهار هناك . وما دروا أن رغباتهم وآمالهم هى التى ايقظت هذه الآمال . وما فكروا لحظة فى تفاهة ما كانوا يزعمون ، مع انهم ـ وهم الذين زعموا أن بريطانيا ستنهار فى الهند ـ يوقنون أن بريطانيا تعلق على الهند أكبر قسط من الاهمية . وفى ذلك دليل على انهم لم يتعلموا شيئا من الحرب العظمى ، ولا هم فهموا ولا أدركوا شيئا من تصميم الانجليز وقوة

(١) عرض ناشرو الطبعة الانجليزية لماين كامف التى نقلنا عنها هذه الفقرات طائفة من هذه اللوحات الكاريكاتورية . وتمثل احداها بعض الجنود الاسكتلنديين فى ثياب مهلهلة وقد برزت من خلالها اعضاؤهم كالعظام المتحجرة وظهر احدهم واقفا وكأنه يوشك ان ينهار .. وفى لوحة أخرى ترى ضابطين بريطانيين جالسين على مقعدين وثيرين فى حجرة استقبال فاخرة وقد لبسا ثيابا مختصرة ظاهرة التبرج وراح احدهما ينظر فى بلاهة الى دخان غليونه بينما انهمك الآخر فى شغل الابرة !

ارادتهم ، عندما تخيلوا ان انجلترا تفقد الهند قبل ان تضع فى ميزان الحرب آخر رطل من قواها

« ويدلنا ذلك أيضا على مبلغ جهل الالمان للروح التى يدير بها الانجليز امبراطوريتهم فان انجلترا لن تفقد الهند حتى تسمح بانفصال شعوبها بعضها عن بعض ـ الامر الذى لا دليل يقوم على وجوده الآن ـ أو حتى تنهزم هناك بسيف عدو قوى • اما الثورات الهندية فلن تضر الانجليز شيئا • وقد عركنا نحن الالمان الانجليز بما فيه الكفاية ، ومارسنا صعوبة ارغامهم على عمل شىء • وعلاوة على كل ذلك فانى انا ـ كالمانى ـ أوثر ان أرى الهند محكومة ببريطانيا على ان أراها ترسف تحت راية دولة أخرى »

قوة الامبراطورية البريطانية

وكان من رأى هتلر ان تقوم الامبراطورية الالمانية الناشئة على التوسع فى أوربا نفسها وعلى حساب الروسيا بدلا من محاولة الاستعمار فيما وراء البحار ، الامر الذى يوقظ عداوة الانجليز ويفضى الى القتال معهم • فضلا عما فى التوسع فيما وراء البحار من ضعف يدلل عليه بالفقرة التالية :

« ان معظم الدول الاوربية المعاصرة تشبه الاهرام المثبتة على رؤوسها • فمساحاتها فى أوربا فى منتهى الضآلة بالنسبة للثقل العظيم لمستعمراتها وتجارتها الخارجية • ويمكننا ان نقول بشىء من التشبيه أن رؤوس اهرامها فقط هى المثبتة فى أوربا ، بينما قواعد الاهرام تحيط بالعالم أجمع • فهى بذلك تختلف عن الولايات المتحدة الاميركية التى ثبتت قاعدتها فى القارة الاميركية نفسها وابرزت فى علاقاتها الخارجية مع بقية العالم رأس اهرامها فقط • ومن هنا ظهرت القوة الاميركية العظيمة الكامنة فيها ، وظهر الضعف والوهن على بقية الدول المستعمرة

« ولا تقوم الامبراطورية البريطانية دليلا على خطأ هذه النظرية • فنظرة واحدة الى الخارطة ترينا عالما انجلوسكسونيا لا حد له ، ومجتمعا متوحد اللغة والثقافة يشمل الولايات المتحدة الاميركية نفسها »

« فانه يجب علينا شراء صداقة الانجليز بأى ثمن »

« فاذا كنا سنمتلك ارضا جديدة فى أوربا ، فقد وجب ان يكون ذلك على حساب الروسيا • وبذلك تسلك الامبراطورية الجرمانية الجديدة نفس الطريق التى سلكها من قبل فرسان التيوتون • وفى هذه المرة يكون الباعث على الزحف الجرمانى امتلاك ارض جديدة بالسيف الجرمانى ليشقها المحراث الجرمانى ، وبذلك نضمن للشعب خبزه اليومى

« ولتنفيذ هذه الخطة ما كان لنا الا حليف واحد فى اوربا ـ هو انجلترا

« وبمحالفة الانجليز وحدهم كنا نحمى ظهر هذه الحرب الصليبية الالمانية الجديدة التى

تبررها ظروفنا الحالية اكثر مما بررتها ظروف اجدادنا التيوتون • وما كان أحد من دعاة السلام فينا يرفض أكل الخبز الذى ينبت قمحه فى الشرق (شرق أوربا) • وكان يجب ان يعلموا ان المحراث الاول لحقول القمح الشرقية هو السيف !

« وكان يجب علينا ألا نعد أية تضحية ـ مهما عظمت ـ كثيرة على شراء صداقة الانجليز فالمطامع الاستعمارية والبحرية كلها كان يجب نبذها • كما كان يجب نبذ اية سياسة ترمى الى منافسة الانجليز فى مجالهم الصناعى الحيوى

« وكان فى استطاعتنا الوصول الى هذه الغاية برسم سياسة سليمة ومحدودة • ومثل هذه السياسة كانت تقضى بترك محاولة غزو الاسواق العالمية ونبذ كل محاولة للسيادة البحرية والاستعمار ، وتركيز الجهود كلها فى تكوين قوة برية عظيمة

« ومثل هذه السياسة معناها انكار الذات لمدة معينة ، فى سبيل الوصول الى هدف عظيم ومستقبل خطير

« ولقد مرت بنا سنين كانت انجلترا خلالها مستعدة لمفاوضتنا على اساس مثل هذه السياسة • فانجلترا كانت ستدرك ولا بد ان تدرك ان النمو المطرد فى عدد سكاننا يفرض على المانيا ان تفكر فى حل لهذه المشكلة ، اما فى أوربا نفسها بمساعدة الحكومة البريطانية، واما فى غير أوربا بدون هذه المساعدة

« وهذا كله يفسر تقرب انجلترا من المانيا فى أواخر القرن الماضى • ولكن ظهر فى المانيا اتجاه جديد افضى آخر الامر الى نهاية محزنة • فقد حسب الالمانيون اذ ذاك ان التقرب من الانجليز معناه خدمة اغراضهم الخفية • كأن المحالفات فوائد فقط وليست أخذا وعطاء وربحا وخسارة

« ودعنا نتصور اننا فى سنة ١٩٠٤ لعبنا نفس الدور الذى لعبته اليابان (يقصد الحرب اليابانية الروسية) فأية فائدة عظمى كنا نجنيها اذ ذاك !

« اننا بذلك كنا نتفادى الحرب العظمى • والدم الذى سنسفكه ما كان يبلغ عشر ما سفكناه بين عامى ١٩١٤ و١٩١٨ • واية مكانة عظمى كانت تصبح لالمانيا الآن ! »



"الانجليزى"

The Englishman

للسياسى الكبير ايرل بولدوين

الانجليزى ابن جزيرة — تقديسه للخلق والواجب — حبه للمصالحة والتسامح — أخذه بالتجارب دون النظريات — صفة الاعتزال فيه — الفردية والتعاون — الانجليزى والحرب

انه فى غفلة وغباء ، ولكنه ذو دهاء وتقدير . انه منافق مراء ، ولكنه أهل لكل ثقة وتصديق . انه فردى مسرف فى اعتزاله ، غير انه رجل تعاون واتحاد . انه غليظ القلب جاف الخلق ، ومع هذا فهو أرق الناس قلبا وأرهفهم شعورا . انه يكره الافكار ويعجز عن التفكير ، وفى الوقت نفسه أضاف شيئا عظيما الى فروع الثقافة جميعها

هذا هو الانجليزى الذى يصفه كثير من النقاد الانجليز والاجانب ، فهو مجموعة من النقائض التى أريد أن أنظمها معا فى وحدة متسقة الاجزاء

ابن جزيرة

مهما يكن شأن الانجليزى الحالى ، ومهما طالت عصور تطوره الماضى ، فما ينبغى ان ننسى انه يعيش فى جزيرة لم تر خلال تسعة قرون طوال أجنبيا يغزوها ، وانه لم يخض حربا تتيح لعدوه ان يجتاح وطنه ويهدم مدائنه . فاستطاع خلال هذه القرون ان يكون حياته السياسية غير متعجل أمرا ، غير متخلف تجاه عقبة دخيلة . واتيحت له فسحة من الوقت طويلة يجرب فيها ويحاول ، فيرفض ما يأباه ، ويقبل ما يرضاه . واتسع امامه المدى لاجراء ما يشاء من التجارب فيخطىء ويصيب ، ويضل ويهدى ، ويدخر فى اثناء ذلك كله رصيدا من التجارب السياسية ، ينفرد به دون الناس جميعا ، ويفيد منه فائدة يتعذر تقديرها

واذ يفكر الانجليزى فى نتيجة هذا العمل الذى نبت فى بطء ونما فى وناء ، كأنه شجرة من أشجار انجلترا الباسقة ، يرتاب وينصرف عن تلك المبادىء والاوضاع التى تبتكر دفعة واحدة أو التى تظهر فجأة فى الايام الراهنة ، برغم انها قد تكون ملائمة للعصر الحديث متفقة مع ظروفه القائمة

وهذا البحر الذى عاشت انجلترا وسطه آمنة من الغزو الاجنبى وما يعقبه من قدوم عناصر دخيلة ، أتاح لها فرصة فريدة لتكوين شعبها خلال الاجيال تكوينا موحد القوى مسبوك الاجزاء ، وأتاح لها أن تنجب من عناصر قليلة أصيلة هذا الانجليزى الصميم الذى يجرى فيه تيار من الدم متماثل العناصر . وأقام لها حاجزا منيعا وسط عالم تهدمت فيه السدود والاسوار منذ أن اجتاح البرابرة الامبراطورية الرومانية ، فهيأ هذا الحاجز للانجليزى أن يشعر بالامان والسلام هذا الشعور الذى ولد فيه شيئا من عوامل الرضا ومظاهر البهجة ، وأباح له أن يحس شيئا من السمو والتفوق على غيره من الشعوب التى لا يعصمها عاصم من عداتها الاشداء اذا هموا باجتياحها

الخلق والواجب

ما من تهمة ترمى على الانجليزى فى توكيد والحاح ، وما من تهمة تلقى من التصديق والموافقة ، وما من تهمة أكثر ذيوعا وأوسع انتشارا ... من تهمة النفاق !

وقبل أن أصدر حكما فى أمر هذه التهمة أحب أن أقول كلمة صريحة أحمى بها نفسى ممن يريد أن يهاجمنى ، وهى انى لا أريد بطريق مباشر أو غير مباشر أن أقول انا خير من الشعوب الاخرى . فلسنا كذلك . ولكننا نختلف عن سائر الشعوب ، ولا نريد من الناس الا أن يفهموا ما بيننا وبينهم من الفوارق ، وأن يتيحوا لنا أن نختلف عنهم حين يدعو الامر الى شىء من الاختلاف ، ذلك ان هذه الصفات التى تميز الافراد والشعوب يجب أن يعترف بها ، ففى هذا الاعتراف سبب لتوثيق العلائق والتجاوز عن الهفوات

دعنا الآن ننظر فى عقل الانجليزى مهلا لنرى كيف يؤدى عمله وكيف يصرف أمره . وسترى حينئذ انه اذا كان ثمة كلمتان يمكن أن تصور حياة الانجليزى تصويرا شاملا وافيا فهما : « الخلق والواجب » فمنذ أدرك الانجليزى انه يعتمد فى كل أمره على ارادة الخالق أدرك أهمية « الخلق » فى صلته بالله وصلته بالانسان ، ومن هنا نشأ احساسه « بالواجب » . واذا بلغ المرء هذه الدرجة من ادراك أهمية الخلق وقيمة الواجب ، فانه لا ينى يسائل نفسه ويستحنها فى كل شأن تافه أو جليل : أهو يوائم الخلق ؟ أهو يتسق مع الواجب ؟ ولن يهدأ ولن يقر حتى يلقى جوابا عن هذه الاسئلة فيعرف أسائر هو فى طريق الحق والهدى أم فى طريق الباطل والضلال

هاتان الصفتان الاوليان فى الخلق الانجليزى ، الخلق والواجب ، نلمسهما فى كل فرد بقدر ما ، سواء فى ذلك ابن العامة وابن الخاصة ، وسواء فى ذلك الطبقة المثقفة المهذبة والطبقة التى كتب عنها « بنيان » قصته « رحلة الحاج » التى تعد فى انجلترا انجيلا ثابتا

فكل انجليزى يحاول أن يوفق بين الخلق والواجب ، فلا يستطيع أن يفكر فى أمر أو يقدم على عمل ، سواء أكان ذلك فى أمر خاص أو فى شأن من شئون وطنه أو فى مسألة تهم

العالم جميعا ، الا بعد أن يقتنع بأنها توائم الخلق من ناحية وان فيها أداء لواجب من ناحية أخرى • وليس التوفيق بين هذا وذاك هينا فى حياتنا الراهنة ، ولهذا فكثيرا ما يقلق ويضطرب ، كثيرا ما يحار ويتردد ، كثيرا ما يبدو عاجزا عن التفكير والاقدام ، فيخيل للعقل المنطقى ان أمره لا يعدو أحد اثنين : غباء مطلق أو دهاء خبيث • ولكنى أعتقد انه لا هذا ولا ذاك ، وانما الامر حيرة بين الخلق والواجب

فهذا النفاق الذى يلقى على الانجليزى جزافا ليس الا نتيجة لهذا الشعور المتأصل فيه بأن أسمى ما فى الحياة أداء الواجب اذا كان متفقا مع الخلق • والادب الانجليزى يتدفق فيه تيار واحد،ينبعث منه صوت واحد يسيطر عليه روح واحد،هو تقدير الخلق والواجب معا • اقرأ الآثار الادبية فى أية فترة من فترات التاريخ الانجليزى تجد الصوت الغالب فيما أنشأ الشعراء وقص الرواة وأبدع الكتاب ، صوت الخلق والواجب الذى يصيح فى أذن الانجليزى ان هذا هو ما فرض عليك عمله فيجب أن تؤديه ، وهذا هو الطريق الذى يقره الخلق فلاتحد عنه قليلا ولا كثيرا • قد يخفت هذا الصوت آنا فكأنه الهمس الخفيف، وقد يعلو هذا الصوت آنا فكأنه النداء المدوى،ولكنه موجود على كل حال يلفت الانجليزى الى حيث الخلق والواجب فيسعى اليهما معا ولو قاده الامر الى أبواب الجحيم !

المصالحة والتسامح

نرجع الى أحداث التاريخ ، كما نرجع دائما الى عوامل البيئة ، حين ندرس ونفسر شعبا من الشعوب • فنجد فى انجلترا ان حربها الاهلية أقامت وأعقبت أحداثا خطيرة كان لها آثار كبرى فى الخلق الانجليزى • فمن هذه الاحداث قتل الملك بفأس فصلت الرأس من الجسد ، وعداء قاس وقتال عنيف بين المذاهب الدينية ، وقيام حكومة مطلقة السلطة وديكتاتور فى يده كل الامور ، ثم عودة الى النظام الملكى بعد أن أباح للشعب ما أراده من الحقوق

وفى وسط هذا الكفاح الدينى وهذا النضال السياسى نشأ الساسة الذين تقلدوا زمام انجلترا فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، فوجهوا جهودهم الى المحافظة على ما أفاد الشعب خلال هذه السنين الدامية ، والى الوقوف فى وجه الاسراف والمغالاة من قبل الشعب ومن قبل الملك على السواء • وبذلك هيأوا « تسوية » سياسية ودينية تضمن الامن والهدوء للشعب الذى حطمه النزاع ومزقته الحروب • وهكذا حملت مبادىء الحرية المتطرفة التى ثرنا وحاربنا فى سبيلها بذور المهادنة والمصالحة فى طياتها ، فتعلمنا من ذلك كيف نوفق بين النقيضين ، وكيف نجعل التسامح مبدأ نسير عليه فى كل أمورنا

وقد أدت الحرية التى أتيحت للانجليز فى تفسير عقائدهم الدينية واتخاذ ما يرضون من المذاهب ، الى انقسام كنيستهم ألفا من الاقسام • ولكن هذه الاقسام أخذت تتقارب وتتآلف معا على مر الايام ، ليحتفظ الشعب بوحدته وتأمن الدولة على سلامتها ، فزاد

هذا التقارب والتآلف فى روح المصالحة والتسامح الذى فطر عليه الانجليزى الصميم . ويقول فرنسى فكه ذكى ان لانجلترا مائة مذهب دينى ولها طبق واحد من الطعام . وهذا ان دل من ناحية على ان أجدادنا كانوا يعنون بأرواحهم أكثر مما يعنون بمآكلهم ، فانه يدل من ناحية أخرى على هذا التسامح الذى غدا فى الانجليزى طبعا أصيلا . ومن شأن التسامح أن يولد روح السخر اللاذع ومزاج الفكاهة البارعة ، ولكن من شأنه كذلك أن يدخر فى النفس قوة حادة مكبوتة تظهر وقت الشدة على أعنفها وأعتاها . فالانجليزى يبدو فى وقت الرخاء نائما حالما مستهترا ، ولكن اذا جد الجد تفجرت منه روح « المجاهد الدينى » سواء أكان ذلك فى أمر الدين أم السياسة أم الاصلاح ، وما من حركة من حركات الاصلاح فى انجلترا الا تمثل فيها هذا « الجهاد الدينى » الصادق العنيف

والفارق بين حياتنا الوادعة الاليفة وقت الرخاء ، وانفجارنا المفاجىء العنيف ساعة الشدة ، ظاهرة خلقية غريبة يحار الانجليزى نفسه فى تعليلها ، فما لنا لا نعذر الاجنبى الذى لا يستطيع أن يفهمها ، فيحيلها على انها لون من ألوان الدهاء والخديعة والنفاق ؟

النظريات والتجارب

ثمة تهمة أخرى تلقى علينا جزافا هى قلة الذكاء فيقال : نحن لا نستطيع أن نفكر ولا نستلذ العمل العقلى ، ومع هذا فانا نسير فى طريقنا غير آبهين لهذا النقص الكبير ، بل نحن راضون عن أنفسنا برغم ما بها من غفلة وغباء ...

ولكن أرد هذه التهمة قائلا انا لو اقتصرنا على القرن الماضى وحده دون سائر قرون تاريخنا ، لوجدنا انجلترا غير متخلفة عن غيرها من الشعوب فى انجاب جماعات المفكرين العالمين فى شتى فروع الآداب والعلوم . وحسبى أن أستشهد بما أوتى الانجليزى من موهبة « الخيال الغنائى » التى أغنت الشعر الانجليزى بثروة كفيلة بأن تضعنا فى مقدمة العالم عمقا فى التفكير ونماء فى الخيال

فمن أين جاءت هذه التهمة ؟ أنظر قليلا الى تفكير الانجليزى العادى فى السياسة ، تجد انه لا يلذ له كثيرا أن يأخذ بالنظريات السياسية ، وانما يكتفى بسؤال واحد اذا عرضت عليه أية فكرة جديدة ، هو هذا السؤال الذى يلقيه عندما يجرب آلة جديدة فى مصنعه : أهى تعمل ؟ أهى تدور ؟ وانه ليستطيع بغريزته الغريبة التى أنمتها الاجيال الطوال أن يدرك ما اذا كانت هذه الفكرة السياسية تؤدى عملها أم لا . ومن هنا نستطيع أن نقول ان الانجليزى بوجه عام يائس من هذه المبادىء السياسية التى تصنع فى موسكو وبرلين وما اليهما ، لانه اذ يشعر فى دخيلة نفسه انها لا تقوم بالعمل الذى يريده فانه ينصرف عنها معرضا منكرا . وهو لهذا يعد من ضياع الوقت أن يستمع الى هذه الحجج المسهبة التى يرمى بها من لا يرى لهم خبرة عملية فى الشئون السياسية دفاعا عن بعض الانظمة والمبادىء السياسية . ولكن فى الوقت ذاته لا يحجم عن اتخاذ الجزء الذى « يعمل

ويدور ، من أى برنامج سياسى حتى ولو كان يجهل الفكرة الاولى التى يقوم عليها سائر هذا البرنامج • مثال ذلك ان الانجليزى العادى لا تجتذبه صورة الدولة الاشتراكية على أوفى ما تكون الاشتراكية ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يتخذ لفائدته أجزاء من البرنامج الاشتراكى حين وجدها منتجة مثمرة

وهو لا يثق فى علم السياسة ونظرياته ، ولا فى المنطق وما يسفر عنه من آراء ومبادىء ، ولا فى كل مايسمى « نظريا وعلميا » ، وانما السؤال الذى يختلج به ذهنه ويدورعلى لسانه هو : أهذا الامر يعمل أم لا ؟ أهو يؤدى الى معاونة — أو عرقلة — انشاء انجلترا جديدة خيرا من انجلترا الحالية ؟ وهو ما يزال يفضل الطريقة القديمة التى اتخذها أسلافه فى تكوين حياتهم السياسية والاجتماعية ، طريقة المحاولة والتجربة ، طريقة الرفض والقبول ، طريقة التوفيق والمصالحة • وقلما يصدق هذه النظم التى صنعت وأعدت فى الخارج ، اذ يخشى أن تعترض المبدأين اللذين استقرا فى دخيلته استقرار العقيدة ، مبدأ الخلق ومبدأ الواجب

فاذا أضفت الى هذا التكوين العقلى جهل ابن الجزيرة بما يجرى فى الاقطار الاجنبية ، تبينت بطأه فى ادراك التغييرات التى حدثت فى العهود الاخيرة • ولكنه بدأ يتنبه الى نقصه هذا ، فهو يسعى الى معرفة الانباء الصحيحة عما يجرى خارج وطنه من الامور ، وهو شيق الى الانباء المحايدة التى لا تهضم حقا ولا تفترى كذبا • وسيكون لهذا الاتجاه أثره الخطير ، فالانجليزى صديق يحب الصداقة ويحترمها ، وحلمه الدائم اخاء يربط الناس جميعا ، وهو — كالطفل — يعتقد ان الحلم قد يصدق يوما من الايام !

الاعتدال

عشت بين شعبى مدى حياتى • واختلطت بطبقاتهم جميعا فى العمل وفى اللعب • وأمضيت أكثر سنى عملى فى مجلس العموم الذى مهما تكن أخطاؤه ونقائصه فهو صورة دقيقة للشعب الانجليزى • فأنا أعرف هذا الشعب بفضائله ورذائله ، وأعتقد انى أفهمه على أكمل الوجوه ، فأنا واحد من أبنائه يعمر قلبى بحسناته وتعانى نفسى من سيئاته • واذا فأنا أتحدث عنه حديث التجربة والاختبار ، فأضع فى مقدمة فضائله فضيلة «الاعتدال» التى تحمل المرء على تقدير رأى الغير واحترام شعوره

يرى الانجليزى للمسألة أكثر من الوجه الذى يشير اليه ويدافع عنه • ويعترف بأن من المحتمل أن يكون الوجه الآخر هو الوجه الصحيح السليم • وتؤدى به هذه الحالة غالبا الى التردد والاحجام ، الى عجزه عن أن يصدر أمرا حاسما ، الى توزع الفكر بين عوامل القلق والحيرة • واذ كان هذا الامر شائعا بين الانجليز جميعا لا تختص به طبقة دون طبقة ، ولا ثقافة دون ثقافة ، فقد أدى الى قلقهم فى شأن السياسة الخارجية ، اذ لم يستطيعوا أن يقروا منذ اللحظة الاولى على قرار حاسم فاصل يعملون وفق ما يمليه • ومن

الصعب أن تحمل الانجليزى على العمل الا اذا اعتقد ، وهذا الاعتقاد لا يأتيه الا بعد عملية طويلة معقدة يشترك فيها عقله وشعوره ، وروحه كذلك • وقد سرني أن وجدت ناقدا دقيقا بارعا هو « هارولد نيكلسون » يصور أطوار هذه العملية تجاه الحرب القائمة فى كتابه الوجيز « لماذا تحارب بريطانيا » فيبين فيه اننا لم نبلغ الدرجة الأخيرة فى درج هذه الحرب الا بعد أن أكملت سرائرنا « عملية الاعتقاد » هذه فهدتنا الى الحق المفروض علينا حمايته والواجب المحتوم علينا أداؤه ، فأقدمنا على العمل ونحن نهتف بكلمة لا ظل فيها من خديعة ولا ذرة من نفاق وهى : « بعون الله سنحمى الحق ونؤدى الواجب »

وهذا الاعتدال وقرينه التسامح يؤديان الى توفير الحرية الكاملة لكل فرد وكل جماعة فى ابداء الرأى والتعبير عنه بشتى الوسائل • ولا ريب فى أن هذه الحسنة ليست خالصة من السيئة ، بل تنطوى على شىء من الاذى ، ولكنه فيما يعتقد الانجليزى أقل عند اطلاق الحرية منه عند تقييدها • وهو لهذا لا يحجم ساعة الشدة والأزمة عن قبول ما يفرض على هذه الحرية من القيود معتقدا انه عندما تنجلى الشدة تنفك معها هذه الاصفاد

ولعل أكبر ما يعين الانجليزى على هذا الاعتدال روح الفكاهة التى تملأ سرائره • فالرجل الذى حرم روح الفكاهة معرض لان يفقد حاسة التقدير والاتزان ، فيتراءى له كل شىء حينئذ قاتما مزعجا مخيفا • نعم ، ان النكتة هبة نادرة فى الانجليز ، اما الفكاهة فقل ان يخلو منها قلب انجليزى • وأظن انى أصبت فى التفرقة بينهما حين قلت فى كندا فى الربيع الماضى « النكتة من خلق الذكاء والفكاهة من نتاج القلب • فقد نعطف على الانسانية ونحنو ، وقد نكره الانسانية ونجفو ، ولكن الفكاهة تنجينا من ان نؤذى ونقسو ، اذ هى لا توجد الا حيث يكون الحب والعطف ، ذلك ان وراء الضحكات التى نصدرها عبرات كثيرا ما نسفحها » • فافهم الفكاهة الانجليزية تجد نفسك فهمت من الانجليزى كل ما يسر ويخفى ••

الفردية والتعاون

ان احتجاز الناس فى جزيرتهم المنعزلة ، وجهلهم بطرائق الحياة وأساليب التفكير فى الشعوب الاخرى ، وحريتهم فى أمر دينهم حرية تشعر المرء بشخصيته المستقلة — كل هذا من شأنه ان يجعل الفردية فى الخلق الانجليزى واضحة بارزة ، ولازمة مقدسة • ومن بذرة هذه الفردية ينمو الجذع الذى تقوم عليه وتتفرع منه « الديموقراطية » الصحيحة الراسخة • نعم ، انجلترا غنية بهذه الفوارق فى أخلاق أفرادها ، وهذا الغنى هو القوة التى تعتز بها ، وهى الصفة التى تميزها من كثير من الشعوب

ولكن هذا الفرد الغريب الذى يعيش منعزلا فى بيته كأنما يعتصم فى قلعة منيعة ، الذى يكره التدخل فى أمور الناس ويدعهم فى طرائقهم دون تطلع اليهم أو تساؤل ، الذى لا يلقى أى بال الى ما يقول الاجنبى البعيد ولا يعنى كثيرا بما يقول جاره القريب —

هذا الفرد الغريب هو الذى ابتكر نظام التعاون ، وراد الناس جميعا فى طريق الغيرية ، هو الذى علم الناس كيف يجتمعون معا ليعملوا يدا واحدة فى رفع مستوى حياتهم

اتخذ هذا الاسلوب التعاونى فى انجلترا ثلاثة أشكال ، بلغ كل منها أقصى درجات الرقى والقوة ، وهى نقابات العمال وجمعيات التعاون وجمعيات الصداقة . وقد أدى كل منها مهمته فى اصلاح أمور الطبقة العاملة فى المصانع والحقول ، وترقية شئون الاسرة والطفولة والشباب ، وانقاذ الطبقات الفقيرة مما تستهدف له من قسوة العيش وأذى الحياة ، وجمعت الشعب كله على رأى واحد فى كثير من ضروب الاصلاح الاجتماعى

هذا جانب من جوانب التناقض حين تنظر الى المظاهر ، ومن جوانب التوافق حين تنفذ الى الصميم . فالشخصية الفردية لا تناقض الروح التعاونى ، بل هى تبعثه وتنميه وتؤيده بما توحيه للمرء من الثقة بالغير قدر الثقة بالنفس ، وبما تتيحه للمرء من حسن المعاملة وسداد التوجيه ، وما الى ذلك من الصفات التى تؤهله للتعاون مع سواه على أساس متين

الحرب

هذا الروح التعاونى لا يعطف الانجليزى الى أهله فحسب ، بل الى الناس جميعا على السواء ، فهو يحلم دائما بأولئك الذين يعيشون وراء البحر فى أقطار قريبة أو نائية ، ويود لو يتاح له ان يضع يده فى ايديهم ليعملوا صفا واحدا على تحسين شئون الحياة فى أفسح ما يكون من البقاع . ذلك انه يعتقد ان من الخير له ان يستمتع الناس كلهم بنصيب من الرخاء المادى الذى تنتجه المدنية الانسانية

وهو من ناحية أخرى لا يفكر فى الحرب تفكيرا جديا ما دام يهنأ بحياة السلام .. بل هو لا يصدق فى وقت السلم ان ثمة ناسا يفكرون فى الحرب ويعدون العدة لايقادها . وعنده ان تفكير زعيم من الزعماء فى ان يقدم لشعبه « مدافع بدلا من الزبد » ضرب من الخبل والجنون . وانه ليس هناك أحد خارج البيمارستان يقر هذا التفكير المنحرف ويقبل هذا العرض الغريب . وهو على الجملة رجل وادع أليف ما دامت الحياة سائرة فى طريقها المألوف ، فلا يتدخل فى شأنه جاره الدانى ولا شعب أجنبى عنه

ولكن اذا انحسر الناتم ، فرأى ناسا يعتدون للحرب ويوقدونها ، ورأى ناسا يتدخلون فى أمره ويقلقونه ، عندئذ تراه ينقلب على حين غرة من أقصى الوداعة الى أقصى الشراسة ومن أقصى المهادنة الى أقصى النضال ، عندئذ تثور فيه غريزة الحرب كأعنف واعتى ماتكون وان ظل يكبحها زمام من التعقل والاتزان

ومن الصعب ان تقرر ما اذا كان الانجليزى رجل سلم أو رجل حرب . فهو فى السلم يحيا أوفى وأكمل ما تكون الحياة ، وهو فى الحرب يناضل أعنف وأقوى ما يكون النضال . ولكن لا ريب فى انه صنع للازمات وجبل للشدائد ، وان صفاته الاصيلة لا تبدى ولا تتجلى الا حين تلم به الصروف والخطوب ، فتبديه صامدا ، مخلصا ، مكرسا

نفسه للكفاح . انه يظهر فى السلم مستسلما مستهترا ، لا يستمع لنصح ولا يصيخ لنذير ، تاركا الامر فى عنانه كيف شاء دون تأهب وبغير عناد، ولكن ما ان يأزمه الامر ويبدأ العمل حتى ينتفض من رقدته وينطلق من أساره ، فلا يصدجماحه الا أحد الامرين : الموت والنصر . وهذه هى الصفات التى خلقت الانجليزى ، وخلقت له انجلترا، وخلقت لانجلترا امبراطوريتها

وهذه الحوادث تترى فى خلال الاعوام الماضية فتكتب صفحة جديدة فى ثبت التاريخ مدادها دم وحروفها لهيب . فماذا كان تأثير هذه الاحداث فى الانجليزى ؟ انه ما كان يخطر بباله قبل ذلك ان هذه الشدائد يمكن ان تقع وهذه النيران يمكن ان تثور ، بل ظلت آماله تغالب الوقائع عسى ان تجد فيها بريقا من نور السلام . ولكن الظلمة اشتدت والواقعة ألمت . فاذا بهذا السطح الهادىء الراكد ينفجر عن روح يضطرم اضطرام اللهيب واذا بهذا الانسان الوادع الاليف ما زال يخفى فى طياته رجلا كاسرا عنيدا جسورا

وطاش حلم الذين ظنوا ان الترف اوهنه وأضناه . وطاش حلم الذين ظنوا ان استهتاره وقت السلم دليل الاشفاق والاحجام . وكانت هذه هى الهفوة الكبرى التى وقع فيها اولئك الذين لا يرون الا ما يتمنون ، اما الواقع فقد ضربت بينه وبين بصيرتهم غشاوة قاتمة . فلم يروا الانجليز من جميع الطبقات يتدفقون ليساهموا فى تجارتهم الجديدة ، تجارة الحرب فى ساحات الارض وانحاء البحار وأطباق الهواء

وأذكى فى الانجليزى غريزة الحرب والنضال ان رأى كل شىء يحبه ويقدسه يحطم ويهدم . رأى الضربات القاصمة تنزل بالمواثيق والعهود ، وبالاهل والصحب ، وبالبيوت التى يعدها أشبه بالمعابد والمحاريب ، بل بحياته ، لا تلك التى تجرى فى جسمه فحسب ، بل تلك التى تتمثل فى ثقافته وعقيدته كذلك . ورأى اجتياح الدول قهرا وغدرا ، فمنها دول منيعة تهاوت تحت الاقدام ذليلة خاضعة ، ومنها دول مجيدة اسلمت نفسها للعداة خوفا وفرقا . رأى كل تلك الخطوب الفادحة والنكبات الفاجعة ، فخيل اليه ان قوى الشر التى كمنت دهرا لتنمو وتذكو ويشتد أزرها تنطلق الآن من أسارها كما ينطلق الوحش الكاسر من اصفاده ، فيريق الدماء اينما سار ، ويزهق الانفاس أنى اتجه ، وينشر الألم والشر فى كل مكان . ثم رأى الحاجز الطبيعى الذى يحميه قد انتهكت حرب الجو حرمته وقداسته ، ففدا هدفا لاخطار بالغة لم يفكر اسلافه يوما ما ان يمتد اليهم شرها الرهيب

ولكن كل هذا لم يزده الا حزما وعزما ، الا صلابة وصرامة ، الا نذرا للنفس ان تموت ان لم تنتصر ، وللولد ان يقتل ان لم يفتد

فهل يدهشك أمر هذا الانجليزى ؟ أترى من العسير ان تفهمه وتفسره ؟ لقد أردت ان أشرحه لك ، فلعلى وفقت ، ليكون أهلا لعطفك وحبك

(استخلص هذا المقال من رسالة السياسى الانجليزى ايرل بولدوين « الانجليز The English Man » ومن مقاله « انجلترا England .)

ح . غ .

من الغناء الانجليزى

انس جميع مصائبك

FORGET ALL YOUR TROUBLES

إذا نابكَ الدهرُ الخؤونُ بحادثٍ
فكُنْ ناسياً سلوانَ أيانَ تذهبُ
وأقبِلْ على الدنيا ، ولا تخشَ أمرَها
ولا تبكِ حظاً دونَ جهدِكَ يحجبُ
وأبصرْ ضياءَ اللهِ في كلِّ ظلمةٍ
ففيهِ لنا أنسٌ وزادٌ محببُ
سيبتسمُ وجهُ الأرضِ عن بانعِ الربى
وتبتهجُ الدنيا قريباً ، وتطربُ
فلا تنسَ أنْ تنسى همومَكَ كلَّها
ولا تنسَ أنَّ اللهَ يرعى ويحدبُ

[ترجمة : طاهر الطناحى]

عن الأصل الانجليزى :

Forget all your troubles
Forget all your fears
Look up from the darkness
Look up from your tears
The world will soon brighten
The skies will be blue
Forget all your troubles
God's love is with you.



ونستون تشرشل

زعيم مؤقت لا «فوهرر»

بقلم الأستاذ محمد محمد توفيق

يعيب المعسكر الدكتاتورى على بريطانيا اشياء هى فى الحقيقة من مظاهر عظمتها ، ويتغنى باشياء عنده هى من مظاهر ضعفه . ولا يتاح له فهم حقيقى للخلق البريطانى ، ولو انه فهمه لوفر على نفسه وعلى الانسانية ويلات كثيرة

ولقد خيل الينا ونحن نقرأ كتاب هتلر « Mein Kempf » (جهادى) ان فوهرر المانيا قد فهم الخلق البريطانى وتأهب له . فهو يقول ان بريطانيا تبدو ضعيفة فى اول الحرب ، ثم تمدها شرايين امبراطوريتها بنبضات قوة بطيئة ـ ولكن منتظمة ـ ومجموع هذه النبضات فى آخر الامر يبلغ رقما خياليا هائلا تتوفر فيه قوة جبارة لا تغلب .. هذا مضمون اقواله وفيه من الفهم قسط كبيرٌ . ولكن يظهر ان ادراك الدكتاتوريين ناقص فى مجموعه وضعيف فى بعض جوانبه ـ شأنهم فى ذلك شأن كل انسان . فهتلر لم يفهم من بريطانيا الا هذه القوة التى تتجمع فى آخر الحرب . وقد أعد لها نظرية معقولة هى الحرب الخاطفة السريعة التدمير لكيلا يتيح لها التجمع والتكدس . ولكن فاتته اشياء أخرى كثيرة ليته فهمها ـ أو ليت ريبنتروب وجورنج والآخرين فهموها ـ اذن لانتفت فكرة الحرب عندهم اطلاقا ووقف الامر عند الاستعداد المسلح والتهديد لنيل مطالب معقولة والاكتفاء بها دون كل هذه الويلات والاهوال

ومن الغريب ان هذه الاشياء التى غابت على المعسكر الدكتاتورى هى من البديهيات بالنسبة لبريطانيا العظمى ، ولكن يظهر ان العقل البشرى يرفض الاصغاء الى بديهيات الامور ويحاول معالجة كل معقد مشكل منها كقرص الشمس ـ على حد قول تولستوى ـ لا يكاد أحد يفكر فى التحديق فيه مع انه يملأ الكون كله حرارة وضياء !

فقد حسب خصوم بريطانيا انها ستتفكك من الضربة الاولى . فلما عالجوها بالضربات المتواليات بقسوة لا يتصورها العقل اذا هى كالكرة من المطاط لا تتكسر لانها أولا كرة ولانها ثانيا من المطاط !

وحسبوا انها لا تصلح الا للدبلوماسية ذات الوجهين ، وانها مهد الدبلوماسى الذى لا يقول « لا » وحسب ، ولا «نعم» وحسب ، ولكن يقول « لا » و «نعم» فى نفس الوقت فلا يكاد يعنى شيئا محدودا .. وظنوا ان هذا الاسلوب « اللانعمى » ان يكن يصلح مع

الشعوب المتأخرة التي تحكمها بريطانيا لا يصلح قط مع الشعوب الراقية ، ويفشل فشلا ذريعا جدا في الحروب . فاذا بريطانيا تقول « لا » وحسب ، واذا هي تضع على رأس حكومتها ونستون تشرشل الذي لا يقول الا « لا » !

وحسبوا أيضا أن بريطانيا في ثوبها الديموقراطي المهلهل سوف تتحرك فيها عناصر الفوضى والفتن كما تحركت في فرنسا مثلا ، وان الاحزاب والافكار الحزبية المختلفة ستمزقها شر ممزق . فاذا هي في ساعة الخطر تبتدع لنظمها الديموقراطية لونا جديدا واحدا هو اللون الاحمر ، ووحدة جديدة في الاحزاب والافكار ، ورجلا واحدا فردا لا نقول انه « فوهرر » ولكن نقول انه زعيم بالمعنى البريطاني الذي سنحدده

فبريطانيا اذن قد اثبتت انها مرنة . والمرونة لا تتكسر ولكن التصلب هو الذي ينكسر والمرونة اذا ضغطتها انكمشت حتى يزول الضغط فتعود سيرتها الاولى . والتصلب اذا ضغطته تحطم فما يبقى منه شيء

وهذه المرونة لا تتصلب الا في كلمة « لا » التي حسب الدكتاتوريون انها لا تنتظر من بريطانيا اذا ما رأت الدنيا كلها تألب عليها

وبريطانيا ــ بعد ــ قد انتخبت لها زعيما بمحض ارادتها وبرضاها التام . وهذا الزعيم مؤقت . وهو أول من يعرف انه سيزول بمجرد زوال الخطر ، وانه لن يبقى في دست الزعامة دقيقة واحدة بعد زوال حالة الخطورة ، لتعود بريطانيا كما كانت مرنة ، تقول « لا » وتقول « نعم » في نفس الوقت ، وما يظهر من بين رجالاتها رجل حتى يختفي ويزول ، فاذا قاوم واصر على البقاء ازيل ولو كان ملكا من ملوكهم وفي خلعه خطر تفكك الامبراطورية كلها !

***

فونستون تشرشل اذن ليس شخصية وحده ، ولكن شخصيته هي شخصية الامبراطورية البريطانية . وكل محاولة لدراسته من الناحية الشخصية تعد فاشلة . وهذ ايضا نلمس ناحية من نواحي العظمة البريطانيةعندما نقارنها بالمحور وبالمعسكر الدكتاتوري حيث الشخصيات تدرس على حدة دون الشعوب

وكل ما يمكن ان يوسم به تشرشل هو انه رجل صريح ، وجريء لدرجة التهور ، وخطيب حار واسع مدى الخيال وكلماته تلعب على اوتار القلوب وتهز الجماهير هزا

وهذه الصراحة والجرأة والخطابة والحرارة ليست غريبة على هذا « الجهاز العصبي » الدقيق الذي يسمى بالامبراطورية البريطانية . فلكل صفة من هذه الصفات مكانها العتيد في هذا الجهاز . والجهاز كله يمكن ان يدار « بصراحة » و « بجرأة » و « بخطابة » و «بحرارة» بدل المراوغة والتردد والخرس والبرود . ولكنه لا يدار على هذا الوجه الا عندما تتحرج الامور وتبلغ الخطورة منتهاها

فقبيل الحرب ، وفي مستهلها ، كانت الصراحة والجرأة والخطابة والحرارة في جبهة

تشرشل ، والمراوغة والتردد والخرس والبرود فى جعبة بلدوين وتشمبرلين والآخرين . وكلما اشار تشرشل بادارة الجهاز الامبراطورى على شاكلته هو ، اشارت الامبراطورية بأن ساعة الخطر الشديد لم تحن بعد فلا محل له ولا أحد يستمع اليه . وكثيرا ما كان يقف فى مجلس العموم بخطابته المجلجلة المدوية متحدثا عن المانيا بكلام رهيب مخيف ، فما كان أحد يحفل به ، الامر الذى اثلج صدور الفوهرر والآخرين ، فقد حسبوا أن « البيون » فى غفلة عما يدبرون . وما كانت « البيون » فى غفلة عما يدبرون ولكنها كانت معنية بتحريك جهازها الضخم باشعال النار فى المحركات الباردة وبتكديس جانب من « نبض القوة » يكفى لاعلان الحرب على الاقل . وعلى ذلك ظلت مراوغة، مترددة ، خرساء بلهاء باردة ، ولبس تشمبرلين مسوح الرهبان والقديسين ليؤخر خطر الحرب ريثما تسخن محركات الآلات ويدور الجهاز الامبراطورى ، فسافر ـ وهو الشيخ العجوز ـ الى برختسجادن و « توسل » الى هتلر وموسولينى ان يكفا عن « الشر » ، فنجح نجاحا جزئيا واكتسب لامبراطوريته عطف العالم وألبس المحور جريرة الشروع فى العدوان فسجل التاريخ هذه الجريرة على هتلر وموسولينى ـ وهو كسب للامبراطورية كبير

وأعلنت انجلترا الحرب فعلا فعاد تشرشل يطالب بادارة الجهاز الامبراطورى على شاكلته هو ، وعاد الى خطابته المجلجلة المدوية من فوق منبر مجلس العموم ، فما أصاخت الامبراطورية السمع وما تعدت كلماته الضخمة حدود أنفه العريض .. ان الساعة لم تحن بعد .. والقوة بدأ ينبض بها قلب الامبراطورية ولكنها لم تكدس . والحرب ما تزال فى أوربا ولم تعد نطاق القارة الى الجزر البريطانية ولا الى ما وراء البحار . والشعوب التى كانت تتساقط اذ ذاك كأوراق الخريف الجافة تحت رحمة الزمهرير كان مقدرا لها أن تساقط وما كان فى المقدور انقاذها . وفرنسا ما تزال موفورة القوة . فلتظل بريطانيا اذن مراوغة مترددة خرساء بلهاء باردة فى انتظار ساعة الخطر الرهيبة

فلما بلغت الحرب الاوربية مداها وآذنت فرنسا (قلعة بريطانيا الاوربية) بالسقوط ، وبدأت محركات الفوهرر تئز فى سماء بريطانيا والقنابل تنهمر من فوقها والخطر الشديد يحدق بالديموقراطية وينذر بالهزيمة والفناء . ولما بلغت جحافل هتلر أوج عظمتها الحربية وبدأ العالم يشك فى قدرة بريطانيا على المقاومة وحدها بعد ضياع فرنسا المتداعية ، وشرع المتشائمون ينادون بأن « البيون العجوز » قد تمددت على فراش موتها وبجانب الفراش قسيسها البروتستانتى (الأب) نيفل تشمبرلين يتلو على رأسها صلوات الموت واستقبال الآخرة ، لم تنتظر الامبراطورية البريطانية أن ينبهها تشرشل الى ان ساعة الخطر الشديد قد حانت بل تلقفته من معتزله وسلمت اليه مقاليد أمورها ومنحته سلطة الحكم المطلق فى نطاق ديمقراطى محدود ـ أو بعبارة أخرى ولته زعامتها المطلقة ، وأمرته أن يدير الجهاز الامبراطورى بصراحة وجرأة وبخطابة وبحرارة بدل المراوغة والتردد والخرس والبله والبرود ! وهكذا بريطانيا العظمى على طول الخط ..

والنكتة الانجليزية فى كل ذلك هى ان تشرشل الزعيم لا يختلف عن تشرشل المهمل الا فى انه الآن يخطب ويجلجل فيستمع اليه الانجليز ، وما فى قوله شىء جديد عليهم ، انما الجديد هو توليته الزعامة بشروطهم وتنفيذا لرغبة الدبلوماسية البريطانية نفسها !

ولم يختاروا تشرشل لذاته فالذاتية لا وجود لها فى بريطانيا • انما اختاروا رجلا من رجالاتهم تتوفر فيه عناصر الصراحة والجرأة والخطابة والحرارة ، وكان تشرشل أحد ممثلى هذا النوع من أنواع الرجالات الانجليز ••

وتشرشل الآن زعيم كالفوهرر فى الظاهر • وهو فى الحقيقة « أحد » رجال انجلترا اختير لظرف معين

وتشرشل الآن يطاع كالفوهرر • ولكن أوامره ليست كأوامر الفوهرر ، بل رغبات ينادى بها الجميع فلا محل للطاعة ولا للقبول

وتشرشل فى صراحة الفوهرر • وفى جرأته • وفى مقدرته الخطابية • وفى حرارته • فلا محل لتغنى الالمان « بفوهررهم » فها هو ذا رجل آخر بريطانى يلعب نفس الدور وبحرارة قد تكون أشد من حرارة غريمه الجرمانى

وهنا « نكتة » أخرى : ان يتصف انجليزى بالحرارة بعد البرود •• وفى ذلك صفاء خلقى وكمال استعداد ، كالصحراء التى تهبط الى ما تحت الصفر شتاء وتبلغ أقصى درجات الحرارة صيفا ، فهى موصل جيد للحرارة والبرودة

***

فالمسألة كلها اذن مسألة دولاب آلى يدور وفق خطط موضوعة وتصميم لا يحيد عنه أحد • ومسألة شخصيات متعددة ربوها تربية معينة لظروف معينة ولخدمات محددة موضوعة ، فهذا للسياسة المحافظة ، وذاك للسياسة الكريمة المتسامحة ، والسياسى المتسامح يتظاهر بنقض سياسة الرجل المحافظ ، والمحافظ يتظاهر باسقاط المتسامح ولومه أو عقابه • ثم هذا للسلام وذاك للحرب • ورجل السلام يزول فى وقت الحرب ، ورجل الحرب يزول ابان السلام •• وهكذا تستخدم الامبراطورية رجالاتها وهم فى خدمتها كالحجارة فى البناء لا أكثر ولا أقل • وبذلك تقف بريطانيا العظمى رمزا لاسمى مظاهر الديموقراطية

ونستون تشرشل يلعب دوره كزعيم مطلق فيخيل الى الناس انه حقيقة زعيم مطلق • كالممثل الذى يتقن دوره فينقل النظارة من الخيال الى الحقيقة

ونستون تشرشل يعلن عن آرائه الامبراطورية بصراحة سافرة • فينبهر الرأى العام الذى لم يألف من بريطانيا العظمى الا المراوغة والغموض ، ويمنحها كل تأييده

وهو يسير أساطيله وطائراته وجحافله فى ميادين الحرب بجرأة واندفاع جنونى ، فقد آذنت ساعة المقامرة بكل شىء ، فاما نصر واما هزيمة وفناء

وهو يقف فوق منبر الخطابة كلما جاءته أنباء سارة ، فيخلب الالباب بفصاحته وبيانه ، ويصور الاهوال أفظع تصوير ، والصبر والجلد والاستبسال بكلمات نارية ، ويصف

الانتصار المرقوب وسط كل هذه الكوارث فيكون كالذى يصف الجنة لسكان الجحيم ـ ومن هنا تأثيره البالغ فى النفوس

وبكل هذه الالوان الصارخة يحيل تشرشل لوحة الامبراطورية القائمة الى لوحة زاهية فيها كل عناصر القوة والتضحية والبسالة والتعاليم الاسبرطية التى حسب الدكتاتوريون انهم قد انفردوا بها .. فبأى شىء أصبحوا يمتازون على ألبيون ؟

ان بريطانيا العظمى لم تترك لهم شيئا يتباهون به . وحتى « الفوهرر » و « الدوتشى » نافسوهم فيهما بالزعيم . وخطابات روما وحانة البيرة فى ميونيخ نافستها خطابات لندن التى تظفر بعدد من المستمعين أكبر . وصوت الدوتشى الرنان وصلصلة هتلر ، طغى عليهما زئير الاسد البريطانى

ان كل ربح تربحه انجلترا بعد الآن وكل نصر تسجله سيكون له أثره العميق فى النفوس . أما المعسكر الآخر فقد ربح وانتصر فى أول الحرب ، وما نحسب انه سيسجل بعد الآن انتصارات كبيرة . فقد بلغ أوجه باندحار فرنسا وما نظن انه سيجد فرنسا أخرى ليدحرها

والمعسكر الدكتاتورى قد أنفق واستعد . أما تشرشل فيقول لنا انه سينفق وسيستعد..

والمعسكر الدكتاتورى يقول انه سينظم أوربا من جديد فكأنما يشير الى انتهاء مهمته فى الحرب ، وونستون تشرشل ينادى بأن الحرب تبدأ من جديد !

فمهمة تشرشل هى أن يعلن ان ما وقع الى الآن قد أصبح فى خبر كان ، وان المعول على ماسيأتى به المستقبل .. ولك أن تتصور أثر هذا التصريح فى المعسكر الدكتاتورى الذى حسب انه قد حارب وانتهى وأوشك أن يجنى ثمار نصره . وأن تتدبر أثر ذلك فى أعصاب الدكتاتوريين التى وتروها قبل الحرب بسنين وشدوها طوال أيام الحرب وما فى طوقهم توتيرها أكثر من ذلك

ومهمة تشرشل أخيرا هى أن يثبت للعالم ـ ولاميركا على وجه التخصيص ـ ان بريطانيا العظمى قد استعادت شبابها . وان لندن التى خربوها والمدن التى دمروها لم توهن قوى الامبراطورية ولا هى عطلت جهازها الضخم . فعلى أميركا أن تتقدم فى غير ما خوف ولا تهيب ، فبضربات متواليات تخور قوى الاعداء الذين سيفزعهم هذا « البعث الجديد »

أجل .. البعث .. هذه هى الكلمة التى نبحث عنها .. فقد أثبت تشرشل ان بريطانيا العظمى قد بعثت من جديد . واستعان ببلاغته على تصوير هذا البعث فى أروع صورة ، بينا أخذت صورة جرمانيا قاهرة فرنسا فى المغيب فى لجج من فوهات تشرشل ومدافع تشرشل وأساطيل تشرشل وطائراته

ويكاد المتأمل فى كل ذلك ينسى ان الامر كله لا يعدو دورا بارعا يمثله دبلوماسى داهية على مسرح بريطانيا العجيب

محمد محمد توفيق



زعيم بريطانيا

على باب منزل رئيس الوزارة البريطانية « رقم ١٠ دوننج ستريت » وقف المستر ونستون تشرشل وزوجته ونجله راندولف تشرشل لتلتقط صورتهم قبيل توجههم الى مجلس العموم ليقدم رئيس الوزراء نجله الوحيد للمجلس بمناسبة انتخابه عضواً له عن حزب المحافظين عن دائرة برستون

العقلية الانجليزية والعقلية الألمانية

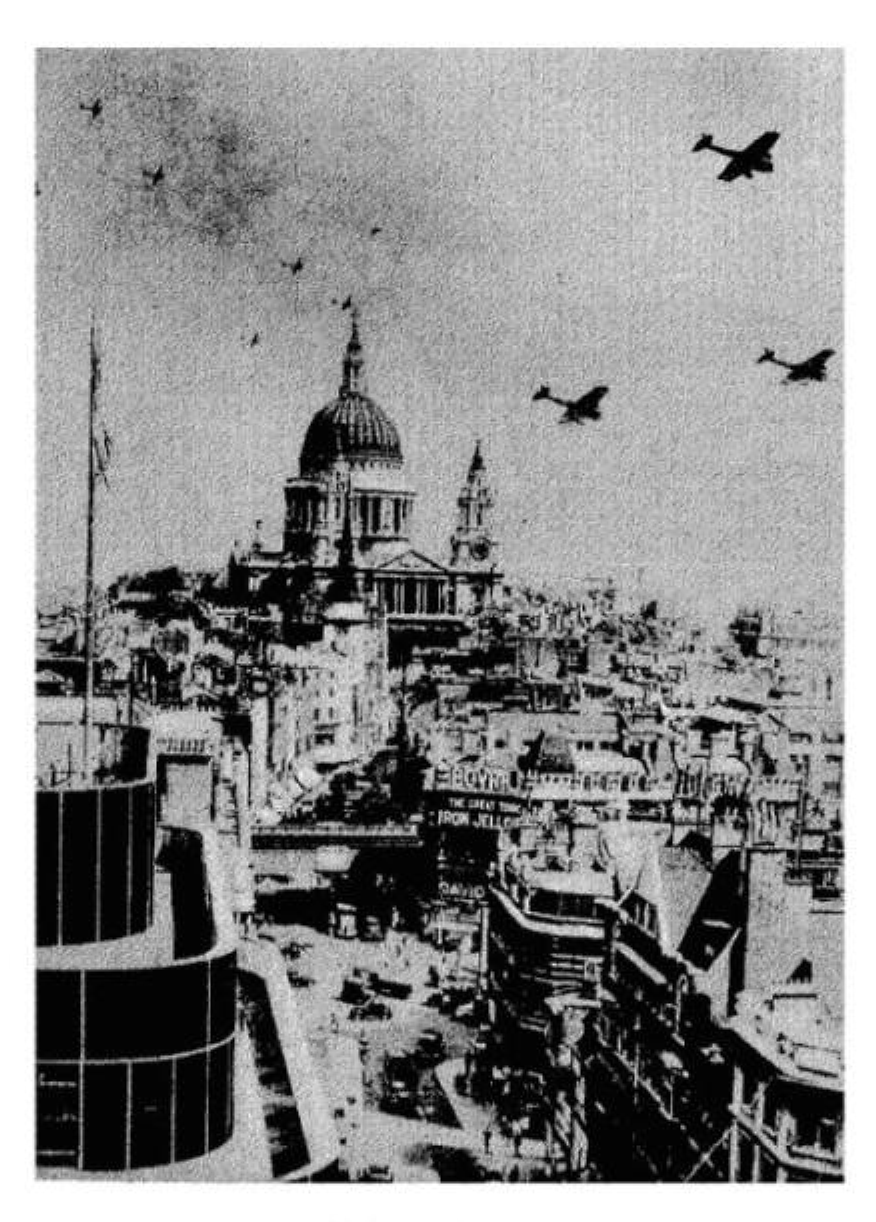
بقلم الاستاذ على ادهم

الانجليزى انسان نضجت شخصيته واستوت ملكاته واستتم تكوينه – اما الالمانى ، فهو امشاج لم تستوف تكوينها ، وعقلية مضطربة ، ونفس مهتاجة قلقة لم تحقق وجودها

بين العقلية الألمانية والعقلية الأنجليزية الكثير من وجوه الخلاف والتناقض، ويمكن أن نجمل تلك الفروق فى قولنا أن العقلية الانجليزية عقلية سليمة متزنة ، والعقلية الألمانية عقلية قلقة متعبة لا تريح ولا تستريح ، والعلة فى ذلك أن الانجليز أمة قد وجدت نفسها وتم تكوينها وتقرر وجودها ، أما المانيا فانها أمة لا تزال تنشد ضالتها وتبحث عن نفسها ، وهى فى دور خلق مستمر وتكوين دائم ، وفلاسفة الألمان يكثرون من التحدث عن « الوجود » و « الصيرورة » فاذا استعرنا منهم هذا التعبير قلنا أن الانجليز أمة لها « وجود » وأما الألمان فانهم أمة فى «صيرورة» ، ولكن لماذا كان الأمر كذلك ؟ هذا ما سأحاول بيانه وتفسيره فى هذا المقال

المانيا ليست أمة واحدة

يرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن ليس هناك ما يصح أن يسمى « أمة المانية » لأن الشعب الالمانى مكوّن من خليط متنافر من الأفراد والشعوب والاجناس، وبينها من الاختلاف والتناقض ما يجعل استكشاف الوحدة التى تربطها من أشق الأمور ، والاختلاف والتنويع مما سمة الخلق الالمانى ، والأمة الالمانية مع ذلك ليست مجرد مجموعة من الافراد والقبائل وانما هى شىء أكثر من ذلك ، فهى أمة لها طابعها الخاص وسماتها الممتازة ، وقد طرأت عليها تغييرات شتى ولكن فى تكوينها رغم ذلك عناصر ثابتة تبدو فى مختلف أدوار تاريخها وشق اتجاهاتها ، وتظهر فى إنتاجها الادبى والفلسفى والعلمى ، وفى سلوكها السياسى ، وموقفها الاخلاقى ، ونظرتها إلى الوجود ، أو ما يسمى عند الالمان « فلسفة الحياة » . ولكن ما الذى جعل لالمانيا مظهراً مختلفاً عن سائر الدول الاوربية الصغيرة والكبيرة على السواء واستوجب أن يشك الباحثون فى وحدتها واندماج شعوبها ؟



لندن صامدة على الدوام

مرت الشهور والغارات الجوية الالمانية على العاصمة الانجليزية لا تنقطع يوما الا لتستأنف بأشد منها ، ولكن لندن العظيمة صامدة لهذه الغارات بفضل روح سكانها المعنوية العالية وجلدهم على تحمل أهوال الحرب مهما قست حتى يتم النصر

السبب فى ذلك أن ألمانيا ليست لها عوامل جغرافية تعين على خلق الوحدة وتعمل لاتمام مزج الشعوب المختلفة وخلط العناصر المتباينة ، فليس لالمانيا سلسلة من الجبال تحمى حدودها وترسمها مثل سويسرة وفرنسا وليست لها صحراء ترد الغزاة مثل مصر وليس حولها بحر يرد عنها غائلة المغيرين مثل بلاد الانجليز ، والحدود الالمانية لا تنى تتغير من الحين الى الحين ، وقد جعل ذلك المانيا مستهدفة للغزو وميدانا للصراع ، وأرغم الشعب الالمانى على مداومة التأهب للدفاع عن النفس ، ودفع غارة الاعداء ، وهذا الشك الدائم ، والترقب المستمر ، وتوقع هجوم الاعداء ، وغدر الجيران ، وسهولة الهجوم على بلادهم ، واجتياح أرضهم ، كان له تأثير كبير فى تكوين الشعب ، وإيحاء القلق والتوجس الى نفسه

ويرى بعض الباحثين ان موقع المانيا الجغرافى فى وسط أوربا كان له أثر فى جعل الالمان مزيجاً غريباً وخليطا من شعوب متنافرة ، والمعروف عن الالمان انهم منذ أول نشأتهم اختلطوا بالرومان وتزوجوا منهم ، وامتزجوا كذلك بالسلاف واللتوانيين والفينيين وغيرهم من الشعوب الاوربية ، وقد لاحظ نيتشه انهذه الامتزاجات كان لها تأثير بعيد فى تكوين المزاج الالمانى وخلق الجوانب المتعددة ، والمظاهر المختلفة المعهودة فى الشعب الالمانى، ولكن المانيا برغم ذلك شعب لم يتم تكوينه ولم يتقرر وجوده فهى لم تنته بعد الى صورة من صور الحكم تطمئن اليها ، وذلك على نقيض الانجليز فانهم منذ أوائل القرن الثالث عشر قد وجدوا أنفسهم وشعروا بكيانهم الوطنى وحددوا نظامهم السياسى وأقاموا أسسه وتكونت لغتهم وأدبهم وظهرت بواكير تقاليدهم الاجتماعية ونظمهم السياسية وأساليبهم الثقافية مثل مجلس النواب وجامعة اكسفورد

ولقد هاجمت القبائل الألمانية الامبراطورية الرومانية وانتقصت أطرافها وكانت من أقوى أسباب انهيارها وذهاب ريحها ، ولكن الألمان كانوا برابرة وليس لهم سابقة فى الحضارة فهزمتهم الحضارة الرومانية وأرغمتهم على اقتباسها والخضوع لتأثيرها ، وظلت اللغة اللاتينية لمدة ألف سنة لغة الدراسات العليا وظل الشعر اللاتينى نموذجاً يحتذى ومثلا يترسم ، واتبع الألمان القانون الرومانى ، بل لقد تسمت الدولة الالمانية بالامبراطورية الرومانية للشعب الالمانى . وظلت ألمانيا خلال العصور المختلفة هدفاً للتأثر بمختلف الدول التى يسمو شأنها مثل أسبانيا وفرنسا وهولندة وسويسرة وايطاليا وانجلترا ، وقد تكون الخلق الالمانى وترعرعت العقلية الالمانية تحت تأثير الدول من ناحية وتحت مقاومة هذا التأثير من ناحية أخرى . وقد كان رد الفعل قوياً وكان الضغط شديداً ، وبرينا ذلك عنف المعركة وهول الخضوع والمقاومة . وقد أسفر عن جعل الشعب الالمانى أكثر قبولا للتغير والتحول من سائر الشعوب ، وشدة شعوره بتعرضه لهذا التحول الدائم جعله شديد الشعور بالحاجة الى النظام الصارم والتدريب القاسى ، ومن ثم انتشار الروح الحربية فى ألمانيا وتأصلها واستعلائها على كل شيء . وكل عنصر من عناصر تكوين الالمان

له صلة شديدة وعلاقة قريبة ماسة بالجندية والحرب والكفاح ، ولرجال الجيش شأن فى ألمانيا أسمى وأبعد أثراً من شأنهم فى مختلف الدول ومتفرق العصور . ومن الطبيعى أن تلجأ ألمانيا الى خلق مجتمع عسكرى صناعى عند ما أعجزتها الظروف عن إيجاد مجتمع مدنى طبيعى

تقلب صور الحكم فى ألمانيا

ولم يوفق الالمان كذلك فى ابتكار صور دائمة للحكم وقد ظلت ألمانيا خلال تاريخها تجري وراء صور الحكم المختلفة ، فوجدت فيها البلديات الصغيرة والمدن الحرة والملكية المطلقة والملكية الحرة والجمهورية والديكتاتورية النازية . ومن الاسباب التى مهدت السبيل لظهور الديكتاتورية فى ألمانيا أن الشعب الالمانى يشعر على الدوام شعوراً خفياً بأنه لم تتكون بعد وحدته ولم تتبلور أخلاقه ولم يتم تكوين نظمه ولم يحسن امتزاجه وتأتلف عناصره . فهم كما قال شاعرهم هلدرلين : « نحن الالمان ليس لنا وجود حقيق وانما نحن نتطلع اليه ونبحث عنه » ، وألمانيا تتعلق بالديكتاتور وتنقاد له لأنه يوهمها أن وحدتها قد تمت وأن كيانها قد كمل بناؤه واستقرت أسسه

غلبة الخيال على الالمان دون الانجليز

وعجز الالمان عن تحقيق وجودهم والعثور على أنفسهم جعل حياتهم حافلة بالمحتملات زاخرة بالاوهام والاحلام . ولكنهم رغم مقدرتهم على التحليق فى أجواء الوهم والانطلاق مع الخيال يتعثرون فى عالم الواقع وينفرون منه ، ومن ثم عجزهم عن فهم نفسية غيرهم من الشعوب لأنهم مشغولون بالبحث عن أنفسهم وتزيين أحلامهم . وهم فى ذلك على خلاف الانجليز ، فالانجليزى يجد راحته وأمنه وسروره فى دنيا الواقع ولا يرضى السكنى فى عالم الخيال والاقامة فى قصور الاوهام ، وادراك الواقع فى يسر وسهولة من مزايا الانجليز ، والتجافى عن معرفة الواقع ومجانبته من خصائص الالمان ، ومن ثم يجد الالمان صعوبة فى التعبير عن أنفسهم وتوضيح أفكارهم لشدة تناقض ما بين الواقع والممكن ، ولا يصادف الانجليز مثل هذه الصعوبة . والالمانى لكراهته الواقع يساوره الشك فيه فلا يقبل الدنيا على علاتها ولا يصدق أنها تمثل الحقيقة وتعبر عن الوجود ويعمل على استخراج متناقضاتها ، ومن ثم شكه فى نفسه وقلق خواطره وكثرة ثوراته الداخلية . واطمئنان الانجليز للواقع ووثوقهم به يشد من عزائمهم ويقوى ثقتهم بأنفسهم . والالمانى يكلف بالفكرة ويعمل من أجلها . والانجليزى يتجه الى الواقع مباشرة ويقيم على أساسه خططه وتدبيراته ولا يحاول أن يفرض على الواقع عجيب خيالاته وبعيد تصوراته وذهبي أحلامه

وامعان الالمانى فى عالم الفكرة وابتعاده عن عالم الواقع من أسباب ميله الى مذاهب ما وراء الطبيعة ، وبراعة الالمان فى هذا المجال معروفة عند قراء الفلسفة ودارسى مذاهب ما وراء

الطبيعة ، وهى كذلك من أسباب ولوعه بالموسيقى وغلبة العاطفة فيه على الفكرة وسيطرة الدوافع على الاعمال . والارادة الالمانية ارادة غير مقررة وليست لها حدود ولا موازين ، وهى نزاعة الى غير المحدود مترامية الى المستحيلات بل هى دافع وثاب أكثر منها ارادة مصممة ، وهى لاتقنع بشىء ولا تقف عند حد ولا تقبل صورة من الصور ولا تطيق قيداً من القيود . والالمانى اذا نزلت له عن شىء سألك غيره وطلب المزيد ، وهو يحاول أن يكبح هذه النزعة بافراطه فى تحرى النظام ، والعناية بالتفصيلات ، والالتفات الى الدقائق والصغائر . ومحاولة التخصص فى الدراسات والمشروعات ، واظهار البراعة فى ابتكار الآلات الضابطة والمقاييس الدقيقة

وغلبة الخيال فى نفس الالمان على الواقع جعلت الالمانى لا يرى الواقع على حقيقته ، وانما يرى ما يريد أن يراه ولا يتغلغل الى نفسية غيره من الامم ، ولايفهم دوافعها ، وهذا هو سبب سرعة انخداعه بأساليب الدعاية . وتكثر فى تاريخ الالمان الخيانة والغدر ونكث العهود لضعف ثقتهم بأنفسهم وعدم متانة أخلاقهم وقلة استقرار شخصيتهم

اضطراب النفسية الالمانية وثبات النفسية الانجليزية

واضطراب النفسية الالمانية وفقدان الاتزان العقلى والثبات الاخلاقى جعلت الالمانى شديد الشعور بحاجته الى التوازن الصناعى والنظام الخارجى ، وهذا هو علة إفراط الالمان فى تمجيد عظمائهم وسهولة انقيادهم لزعمائهم . ويشعر الالمانى بالغبطة إذا وجد من يحمل عنه عبء التفكير ، والفصل فى الامور ، لانه يجد الحياة إذ ذاك أسلس وأشهى وأنأى عن العقبات المعترضة والمتاعب المتوقعة ، وقد حاول الالمان أن يحققوا نفوسهم ويبرزوا شخصيتهم فى العوالم المثالية كعالم الفن وعالم العلم وعالم الدين ولكن هذا اللون من تأكيد الذات ، والتعبير عن الشخصية لم يرو غليلهم ، ولم يشبع نهمتهم ، وزادهم رغبة فى تحقيق أنفسهم بعالم الواقع ، والخاصة البارزة فى الالمان هى أنهم شعب مضطرب العقل قلق النفس قليل التبلور ناقص التكوين ، أما الانجليز فقد حددوا موقفهم من الحياة فى هذا العالم الفانى وهم يقفون على قدمين ثابتتين فوق الارض ، وقد صحبت الكثيرين من كبار مفكرى الالمان وفلاسفتهم فراعنى عمق تفكيرهم وسعة أفقهم وشدة توقهم الى استجلاء أسرار الاشياء والانتهاء إلى حقائقها واسترسالهم مع منطق تفكيرهم الى أقصى الحدود وأبعد النتائج ، ولكنى مع ذلك كنت ألمح فى مزاجهم نوعا من الانحراف وفى تفكيرهم لونا من الاسراف ينبو عنه الذوق وينحدر فى بعض الاحيان الى السخف والهراء . وقد تعجب بمفكر مثل هجل وتهولك قدرته الفائقة فى بناء مذهبه المطلق وتنسيق منطقه وسياق حججه ، ولكنك مع ذلك تشعر بعجزك عن مسايرته فى تأليه الدولة وذهابه الى أن الفرد لا يتحقق وجوده ولا تتم شخصيته إلا إذا اندمج فى أثناء الدولة وفنى فى شخصيتها

ولكن ما سبب ثبات الخلق الأنجليزي الذي يناقض قلق الخلق الالماني واتزان العقلية الأنجليزية الذي يخالف اضطراب العقل الالماني ؟

يعلل ذلك الكاتب الأنجليزي الكبير جون جالزورثي بعاملين هامين ، وهما البحر وجو بلاد الأنجليز ، فبلاد الأنجليز جزيرة يضربها البحر من جميع النواحي ، وقد أنمى ذلك فى الأنجليز حب المخاطرة والصلابة والقدرة على السياحة والاغتراب والاعتماد على النفس والاكتفاء بها فى الاقاليم النائية والمواقف الحرجة ، وجو بلاد الأنجليز ولو أنه صحي وليس بالجو المتطرف القاسى ولكنه مع ذلك من الاجواء التى لا يعتمد عليها ولا يوثق بها لكثرة تقلبه ولانه من أكثر الاجواء تشبعاً بالرطوبة ، والذين يطول تعرضهم لمثل هذا الجو تنمو فيهم صفات مناقضة له مثل الفلسفة الجافة والفكاهة المتحدية . والأنجليزى مثل جوه لا يسرف ولا يتطرف ، وهو يتقى رطوبة جوه وتغيره المستمر بالارتداء برداء الخشونة والجفاء

استقرار السياسة الأنجليزية

وبلاد الأنجليز – كما رأى جالزورثي بحق – من أقدم الدول استقراراً من الوجهة السياسية ، ومنذ حوالى تسعة قرون لم تعرف انجلترا تهديداً خطيراً من الخارج ، ولمدة مائتى سنة لم تعرف اضطرابا سياسياً داخلياً ذا بال ، وهذا من ناحية بسبب عزلتها ، ومن ناحية أخرى ثمرة نظامها السياسى المستقر المتين ، وقد كان لهذا الاستقرار السياسى تأثير بالغ فى تكوين المزاج الانجليزى وجعل حاسة التثقيف جزءاً من كيانه وطبيعة ملازمة له لا حلية خارجية أو قشرة بادية تزول عند احتكاكه بأية عقبة

وهناك عامل هام فى تكوين الخلق الأنجليزى لجميع الطبقات ، وهذا العامل هو الجامعات الأنجليزية ، فقد ظلت هذه الجامعات زمناً طويلا تخرج شباناً من أرقي الطبقات وأعزها جاهاً وأضخمها ثروة وتطبعهم بطابع ثقافى خاص وتأخذهم بعادات ونظم واحدة وتلقنهم فلسفة خاصة للحياة ونظرة الى الدنيا . وهؤلاء الشبان تسند اليهم أكبر المناصب ويتولون أخطر الاعمال ، واختلاطهم بشق الطبقات وممارستهم لمختلف الأعمال واضطلاعهم بأثقل الأعباء يخلق منهم قدوة صالحة وأمثلة يأخذ الناس بها . وقد لا يخلو هذا النظام من العيوب ، فهو بلا ريب يساعد على خلق طبقة رفيعة خاصة ويعمل على محو الملامح الشخصية والصفات الذاتية ، ولكنه من ناحية أخرى يدرأ الفساد عن الأخلاق ، ويحفظ على الأمة قوتها وحيويتها ، ويقصيها عن التطرف ، ويعودها القدرة على الاحتمال ، وكظم العواطف ، واخفاء الانفعالات ، واحترام القواعد والأصول ، ويضاف الى ذلك دمقراطية الدولة ، وتوفر حرية النشر وحرية القول ، وهذا كان ثمرة الاستقرار السياسى والنضج العملى

وهذا الاستقرار الدائم قد جعل الانجليزى شخصية خداعة المظهر عسيرة الفهم ، فهو يملك حرية نقد حكومته والتذمر من أعمالها ، ولكنه مع نقده الدائم لها يعرف أنها خير حكومات الدنيا . ولكن الغريب قد يخطيء فهمه ويخال ذلك النقد بطر رجل أفسدته الحرية وأنه غير مستعد لبذل التضحية فى الدفاع عنها وأنه سيخذلها فى يوم الروع وساعة الخطر ، ولكن اذا ألمت ببلاده ملمة ظهرت قوته المكنونة وقدرته على التكيف وفق الحوادث ، وتجلت عبقريته العملية فى أبهر مجاليها ، وتبدى تصميمه الذى لا يتراجع . وقد كان بعض خصومهم قبل هذه الحرب الناشبة ينعون عليهم انحطاطهم وتدهورهم ، وها هو العالم يشهد من ثباتهم وصبرهم وقوة احتمالهم ما لم يكن يخطر لخصومهم ببال . والاستبداد يفنى حيوية الأمم ، ويغيض منابع الفكاهة فى نفوس أفرادها ، ويفقدهم المرونة ، ولكن الانجليز قد نشأوا فى جو الحرية فهم أهل فكاهة ومرح ، وهم يؤدون الواجب بباعث الاقتناع الداخلى لا بدافع الارغام . وشتان بين من يعمل مسوقا مرغما مرعوبا خائفا ومن يعمل عن اقتناع وإيمان وفى لذة وارتياح

والانجليزى — على نقيض الألمانى — رجل حقائق لا رجل خيال . فهو يعيش فى حاضره ويدري ما حوله ، ونقص خياله من ناحية وكرهه للاسراف من ناحية أخرى جعله محتفظا بقوته معرضا عن الانغماس فى عالم الأفكار والانهماك فى التحليل

والانجليزى يبدأ فى بطء وتراخ ولكنه ينتهى بقوة وعنف ، وفيه من الكفاية ما يمكنه من تناول أى عمل من الأعمال واتقانه ، فهو من ثم لا يبذل جهده دفعة واحدة ولا يفنى قواه . وهذه الأمة العظيمة التى تحاول جهدها اخفاء مشاعرها وستر مظاهر انسانيتها قد أخرجت للناس أعظم شعراء العالم وأنتجت أروع مجموعة من الشعر

والذين يجهلون الانجليز يرمونهم بالجمود والفتور . ولكن الانجليزى رجل كثير الاحتجاز جم الحياء عامر القلب مشبوب العاطفة لا يبتذل عواطفه ولا يسخو برخيص الود ، ولا يحسن تصنع العطف ، وقد جعله موقع جزيرته واستخراج الفحم والحديد من مناجم بلاده صانعاً بارعاً ، وتاجراً ماهراً ، ولكنه مع ذلك يحرص على المغامرة والمخاطرة أكثر مما يحرص على جمع الثروة ، واحتجان المال ، ولذا لم يعرف بالبخل ولا بالضن على بلاده بالمساعدة عند ما تستدعى الظروف البذل والعطاء ، وهو محتفظ بسلامة أعصابه لنفوره من التطرف ومدخر لقوته وليس هو صلباً فيكسر ولا لينا فيعصر وخلاصة القول أن الانجليزى انسان قد نضجت شخصيته واستوت ملكاته واستتم تكوينه أما الالمانى فهو أمشاج لم تستوف تكوينها وعقلية مضطربة ونفس مهتاجة قلقة لم يتحقق بعد وجودها ، ولم تتأكد شخصيتها ولا تزال على حد تعبير فلاسفتها فى دور «الصيرورة»

على أدهم

لمحة من ..

المسرح الأنجليزى

للأستاذ زكى طليمات

مفتش شؤون التمثيل بالمعارف

> المسرح الأنجليزي ، على كونه مظهرا من مظاهر العظمة البريطانية وداعياً من دعاة أدبها الرفيع ، فانه يؤلف ناحية كبيرة من تراث الانسانية ونتاج ذهنها فى تسقه العالى واذا جاء يوم تنكمش فيه الامبراطورية البريطانية ، فانه تبق لها شمس لا تغيب عن الكون ، هى شمس شكسبير

إن المستقصى مدارج المسرح الأنجليزى الى نشأته الأولى ، لابد أن يصعد فى التاريخ إلى القرون الوسطى ، ولا مندوحة له عن معالجة علاقة فن المسرح بالدين . وهذه شقة طويلة متشعبة المسالك متبسطة الأطراف، لا يمكن أن يُلم بها الالمامة مستفيضة فى هذا البحث الاجمالى

فن التمثيل والدين

نقول أولا إن المسرح الانجليزى لم يشذ فى نشأته الأولى عن سائر مسارح الأمم الغربية . . انحدر فى أول أمره من عتبات الكنائس الى الساحات العامة ، ليعالج شئون الدنيا والناس بعد أن عالج شئون الدين والآخرة

بل هو فى نشأته ومدارجه وفى استكمال عناصره لم ينحرف عن سنن المسرح الأغريقي وغيره من مسارح الأمم الوثنية ذات الدنيات البائدة . ونستطيع أن نؤكد أن ما من مسرح أصيل كامل إلا كان بكليته فى أول الأمر مسخراً لشئون الدين قبل شئون الدنيا

والعلة فى ذلك أن الانسان الأول شغلته شئون الآخرة قبل شئون الدنيا ، فعنى بشئون العقيدة قبل أن يعنى بوضع أصول الاجتماع وسنن التعاشر

وقد كان المسرح الانكليزى فيما يلى قيام المسيحية ، وفى القرون الوسطى ـ وهى القرون التى استبدت فيها شئون الدين بتفكير أهل أوربا وسخرت نتاج أذهانهم من فنون وعلوم لخدمة الكنيسة وتدعيم أصولها ـ لا يصور غير ما يخامر قلوب الناس من تعاليم المسيحية ، وما يلابس عقولهم من أخبار الكرامات والخوارق التى أتاها القديسون ، فكانت المسرحية نوعا من مشاهد تمثيلية مقصورة على تفسير بعض نواحى النصرانية الخاصة بمولد السيد المسيح وآلامه ويعرف هذا

النوع باسم (الميستير Mystère) . ثم جاء نوع آخر بعد ذلك يمثل نتفا من حياة الحواريين والقديسين والشهداء ويعرف باسم (المعجزة Miracle)

وفى هذا النوع الأخير كانت تنبسط أطراف الحوار على بعض شئون الدنيا وسلوك الناس . وسلوك الناس لا يخلو من الفكاهة والضحك ، فكان أن برز عنصر الفكاهة إلى جانب عنصر الدين ، إلا أن الفكاهة وجدت مجالها فى نوع آخر من المسرحيات يعرف باسم (Interlude) ، وكان يقدم للترفيـــه عن الجماهير التى كانت تشهد المسرحيات الدينية وقد لابسها الورع وخوف الآخرة . والفكاهة فى هذا النوع من المسرحيات لم تكن خالصة ولمجرد إثارة الضحك ، بل كان يخالطها شىء يردها إلى المسائل التى تتصل بالدين عن طريق غير مباشر

أما تمثيل هذه الروايات فكان يجرى فى أول الأمر على عتبات الكنائس وبواسطة رجال الدين ، ثم انتقل إلى الميادين العامة وتولى أمره أشخاص من عامة الناس ، لم يكن هناك دور للتمثيل بالمعنى المتعارف عليه الآن ، وإنما كانت المسارح تقام ارتجالا فى الميادين ثم تقوض بعد انتهاء التمثيل وكان لكل بلدة مسرحيتها وممثلوها

دور التمهيد

وقد ازدهر هذا النوع الناقص من المسرحيات مدى ما يقرب من خمسة قرون ، أى من القرن الحادى عشر إلى عام ١٥٨٠ ، تطورت أثناءها المسرحية الدينية ــ وذلك فى حكم الملك إدوارد الثالث ــ وانشعب منها نوع آخر يعرف باسم الرواية الوعظية (Morality) . ويحفظ تاريخ الأدب الانجليزى بعض أسماء لهذه المسرحيات أمثال : (الارادة) ، (الثبات) ، (الفهم) ، (الانسانية) ، ومن هذه الأسماء يستدل على الموضوعات التى تعالجها . . .

أما الشخصيات فى كل مسرحية من هذه المسرحيات فكان يرمز بعضها الى ألوان من الفضائل والرذائل ، ويكنى البعض الآخر عن العناصر المكملة لموضوع المسرحية . هذه الأخلاط كلها تشملها حادثة دنيوية ما هى قوام الرواية ، يبرزها الكاتب فى سياقة جناها الحذق والابداع . وفى تلاحق بعيد ما بينه وبين الواقع ومنطق الأشياء ، وتنتهى الرواية دائما بنصرة الخير على الشر

كذلك تطورت المشاهد الفكاهية (الـ Interlude) بأن أفلتت من محيطها الضيق الذى تفتعل فيه الفكاهة لخدمة المبادىء الدينية ، إلى محيط واسع المدى تشمل فيه الفكاهة كل شىء تقع عليه العين ويحتويه الحس ، فكان أن ظهرت (الفارس Farce) أو (المهزلة) ، وأصبحت شخوص المسرحية تحمل الأسماء التى يتسمى بها الناس

المرحلة الاولى للمسرحية الانجليزية الحقة

والمجال لا يتسع لتقصى المراحل الأخرى التى اجتازتها المسرحية الانجليزية لاستكمال عناصرها

وذلك فى عهد الملكة اليصابات ، إلا أنه تجمل الاشارة الى أن الكتاب أخذوا يعالجون الشئون الاجتماعية المحلية على غرار المسرحيات الاغريقية أى إخضاع حوادث الرواية لوحدة الزمان والمكان

وبعد أن كانت المسرحيات تمثل فى الجامعات العلية وفى ردهات الفنادق والقصور أصبحت تمثل فى دور التمثيل ـ وذلك بعد عام ١٥٧٦ ـ كما تألفت فرق من محترفى التمثيل ، ثم أخذ الشعر المرسل مكان النثر أو النظم فى بعض الروايات

والى الكاتب (كريستوفر مارلو) أولا ، ثم الى الكاتبين جرين وبيل Greene and Peele يرجع الفضل فى إقرار هذا الأسلوب فى المسرحية الانجليزية

المرحلتان الثانية والثالثة

هؤلاء الكتاب الثلاثة هم أبرز مؤلفى هاتين المرحلتين (١٥٨٠ ـ ١٥٩٦)

والى (مارلو) ترجع الاسبقية فى كتابه للمسرحيات بالشعر المرسل ، والى جون ليلى John Lyly يرجع إقرار الأسلوب النثرى ، وهو أسلوب بلغ كماله على يد (وليم شاكسبير) بعد ذلك . وفى مسرحيات (مارلو) و (ليلى) نجد أصلا لأعمال شاكسبير من حيث الأسلوب الكتابى

بل إن (مارلو) (١) ليعتبر بحق واضع الأسلوب الشعرى للمسرحية الانجليزية ، وما مسرحياته غير باب الصرح الخالد الذى تؤلفه أعمال شكسبير ،الا أن استبطان (مارلو) دخائل النفس البشرية لم يكن عميقاً واسع المدى

وتؤلف مسرحيات (مارلو) مع مسرحيات بن جونسون Ben Jonson المرحلة الثالثة من مراحل تطور المسرحية الانجليزية ، وهى المرحلة التى سبقت عصر شاكسبير

شاكسبير (١٦٥٤ ـ ١٦١٦)

فى مدى ثمانية وعشرين عاماً استطاع هذا العبقرى (وليم شاكسبير) أن يجعل المسرحية الانجليزية تحيط بالحياة البشرية إحاطة شاملة . فمسرحياته بمآسيها وفكاهاتها ومهازلها ، هى سفر القلب الانسانى الذى لم يتغير ولن يتغير ، وهى أيضاً صورة العصر الذى عاش فيه ، تركزت فيها معالم التيارات الفكرية والاجتماعية والدينية التى كانت تسود انجلترا فى عصرها الذهبى الأول

فى مسرحياته التاريخية أصداء مدوية من النزعة القومية التى كانت تعصف بالقلب الانجليزى

وفى مسرحياته التى تقع حوادثها فى بعض المدن الايطالية والتى لبعضها أصل قصصى فيما كتبه بعض أدباء عصر النهضة ، نلمس مبلغ تأثر الذهنية الانجليزية بأدب عصر النهضة

فى مآسيه المعروفة (يوليوس قيصر) ، (هملت) ، (عطيل) ، (مكبث) ، (الملك لير) ،

(١) أشهر مسرحياته هى (تامبورلين) و (دكتور فوست) و (يهودى مالطا)

(أنطونيو وكليوباترة) ، (كليولانس) ، (تيمون الاثيمى) سجل آثام الكائن الانسانى وخطاياه ، ورسم مسير القدر القاسى وهو يهدف الى غرضه . صور مصارع الجريمة والخيانة ، الطمع والترف والكبرياء ، غليان الحسد وثورة الغيرة ، يقظة الضمير وعذابه ، الجحود ولؤمه ، الضعف ومحنته ، جلائل العظماء وتفاهات المغمورين

وحدة الزمان والمكان

وفى كل هذا كان شاكسبير مبتدعاً لا متبعاً لا سيما فى القالب والصياغة والنظام الذي يجرى عليه تتابع المشاهد وتطور الحوادث . خرج شاكسبير على قاعدة وحدة الزمان والمكان فى الصياغة ، فسجل حدثاً فى تاريخ بناء المسرحية ، ويقضى اتباع هذه القاعدة بأن تجرى حوادث الرواية وتتتابع مشاهدها فى نهار واحد وفى مكان واحد . ووحدة الزمان والمكان هى دعامة الفن الاتباعى (١) فى صياغة المسرحية ، ابتدعها الذهن الاغريقى ، وعن قالبها المقيد صدرت نفائس المسرحيات الاغريقية (٢) ثم الرومانية ، ولم ينحرف عن هذه الخطة كتاب المسرحية فى فرنسا وفى ايطاليا ، فيما بين القرن السادس عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر (٣) ، وهم كتاب أشربوا تعاليم الثقافة الاغريقية ، وتأثروا بها

كانت المسرحية فى هذا النظام المقيد بتلك الوحدة لا تسع غير تقديم عقدة الموضوع وجوهره وقد مُهد له بمشاهد قليلة تركزت فيها العناصر التى يتألف منها الجوهر ، وسرعان ما تأتى الفترة الأخيرة التي يجب أن يقضى فيها بحل أو نهاية . تقدم المسرحية هذه الحالة من غير أن ترسم بالحوادث المراحل التى هيئت لها والظروف التي لابستها وعملت على تكوينها ، ومن غير أن تجعل للزمن — وهو مكيف الحوادث — المجال الطبعى المألوف الذى تنضج على مروره عناصر المأساة أو المهزلة ، فكان المسرح والحالة هذه منتقل الألوان النفسية وقد غمرتها أشعة شمس واحدة تجرى فى حالة جوية واحدة

وبوفاة شاكسبير فى عام ١٦١٦ بدأ انحطاط المسرحية ، لأن من عاصره من الكتاب ، ومن جاء بعده حتى نهاية القرن السابع عشر أخفقوا بمسرحياتهم فى أن يأتوا بصورة جامعة للطبيعة الانسانية وقد بدا فيها الطبع البشرى مستقيماً على مقدور غرائزه محوطاً بشباك الحوادث ومغريات الحياة ، وما أسماء (بن جونسون) ، و (بومان) و (فلتشر) و (ماسنجار) و (فورد) و (جيمس شيرلى) وغيرهم ، غير مجموعة من الكتاب يكادون يستقرون فى صعيد واحد ،

(١) الأدب الاتباعى يناظرها فى الفرنسية Classique

(٢) وهي مسرحيات سوفكل وأشيل وايرويبد وأرستوفان

(٣) فيكتور هوجو هو أول من نحا نحو شكسبير فى الخروج على وحدة الزمان والمكان فى كتابة مسرحياته للمسرح الفرنسى ، ولكنه لم يبلغ الشأو الذى بلغه شكسبير

أوتوا الحلاية فى العرض والأسلوب ، ولكن مواهبهم لم تتجاوز تصوير بعض من مظاهر الانسانية ، ولم تسجل غير الخلق السائد فى عصرهم فحسب ، فسرحياتهم والحالة هذه جانب صغير من الانسانية

انحرفت المسرحية الى تناول الشئون السياسية فكانت بوقاً للدعاية ينزل بها كل حزب سياسى لاذاعة مبادئه وانتقاص قدر معارضيه

ويسجل تاريخ الأدب الانجليزى فى نهاية القرن السابع عشر ـ وذلك فى عصر الملك شارل الثانى ـ أحداثاً هامة : فقد طغى الادب الفرنسى على الادب الانجليزى بعد أن ترجمت مسرحيات (كورنى) ، (وراسين) ، (ومولييز) وهم مؤلفون نابهون لم يخرجوا على وحدة الزمان والمكان ولم يكتبوا مسرحياتهم بالشعر المرسل ، كما فعل شاكسبير ، ، فكان أن اعتنق الكتاب الانجليز ، الى وقت ما ، مبادئهم ونسجوا على منوالهم حتى ان أبرز هؤلاء الكتاب وهو (دريدين) تأثر بهذه الموجة الوافدة من فرنسا مدى أربعة عشر عاماً ، ثم استطاع بعد ذلك أن يتخلص منها لينسج على منوال شاكسبير

كذلك تؤرخ بذلك العهد استعمال المناظر والاستار المسرحية وقيام السيدات والاوانس بالادوار النسائية التى كان يمثلها فيما مضى الشبان والرجال ، وظهرت المجموعات الراقصة (البالية)

القرن الثامن عشر

ويمتاز بازدهار المسرحيات الفكاهية والمهازل الانتقادية والعابثة والعاطفية . وهى مسرحيات يخالطها الكثير من المرح والجرأة والصراحة ، ويعتبر (أستيل Steele) بروايته (المحب الكذوب Lying Lover) السابق الأول إلى إقرار المسرحية الفكاهية العاطفية التى تهدف إلى تحقيق غرض خلق كريم ، ويبرز اسم الكاتب (أديسون) بمأساته (كاتو) التى تعتبر نهاية العهد فى الأدب الانجليزى بنوع المأساة الطريفة التى يعلى فيها شأن الأسلوب الأدبى القديم على حساب إخفاض جوهر الطبيعة وخلجات النفس

وفى النصف الأخير من ذلك القرن ازدهر النثر واتسم بالوضوح والاشراق والسلاسة ، وهى صفات دخلت عليه من جراء تأثر الكتاب الانجليز بمؤلفات كبار كتاب فرنسا (فولتير ورسو خاصة) فهب الروائيون الانجليز تحت هـــذا التأثير إلى إعلاء شأن الطبيعة بمظاهرها الواضحة واختلاجاتها الصادقة ، والى إخفاض شأن السفسطة اللغوية ، والبيان المزخرف ، وكل ما هو بهرج زائف فى رسم العواطف . وتعتبر مسرحيات (جولد سميث) (١) و (شريدان) (٢) نموذجا لخصائص الأدب المسرحى فى ذلك العهـــد ، كما تمتاز بالفكاهة المتوبلة بتلك النكات التى يستولدها الذهن المتوقد وقد أطلق للملاحظة والمراجعة ابتغاء السخرية الباسمة

---

(١) أشهر رواياته (تمسكنت فتمكنت) . (الرجل الحسن الطويه)

(٢) من أشهر رواياته (مدرسة النميمة) ، (المتنافسون)

القرن التاسع عشر

وأبين ظاهرة نسجلها لتطور المسرحية الانجليزية أنها تأثرت من جديد ، من حيث الموضوع والحبكة المسرحية ، بتيارين أجنبيين أولهما جاء من النرويج عن طريق مسرحيات (هنريك أبسن) ، والثانى عن طريق المدرسة الفرنسية التى ازدهرت فى القسم الثانى من هذا القرن على أيدى (دماس الصغير) و (أوجييه) و (ساردو) ، فامتدت أطراف المسرحية الانجليزية إلى معالجة المسائل الاجتماعية بحرية واسعة وبصيرة نافذة ، وجنحت الى المغالاة فى الحبكة المسرحية وسياقة المشوقات والخدع . وقد أحسن هذا الاقتباس على وجه لا يخل كثيراً بشرائط الفن الرفيعة الكاتب (بنرو) (١) و (أوسكار وايلد) (٢) ثم (جلبرت موراى) . وينفرد (أوسكار وايلد) بذلك الطابع المنفرد الذى وسم به المسرحية الانجليزية ، وهو طابع واضح المعالم والحدود أظهر ما فيه إطلاق الحس حتى الاباحة ، وتقديس الجمال حتى العبادة ، وبهذا أخضع (وايلد) المسرحية لخدمة الفن أولا وأخيراً ، وتعالى أن يسخرها لخدمة المبادىء الخلقية والنظريات الاجتماعية والعرف السائد

بهذه الجرأة وهذه السخرية شق (وايلد) أفقاً جديداً فى حرية الرأى فأنزل بالتحفظ الانجليزى العريق هزة عنيفة ، وبذلك مهد طريق إعلاء الحرية الذهنية والمجون اللاذع للكاتب (برنارد شو) فى هذا العصر

المسرح الانجليزى الحاضر

ومن أبرز كتابه (برنارد شو) (٣) و (جون جالسورثى) (٤) و (سومرست موجان) (٥) وكلهم للمسرحية الاجتماعية وللمبادىء الجريئة وللنقد اللاذع

ويعتبر (برنارد شو) أعظم مؤلفى المسرحية فى هذا العصر ، وفى مسرحياته عرض دقيق وتحليل صادق لبعض سيئات باطنة فى دخيلة المجتمع ، وفيها كشف واضح عن بعض التائه الغامض فى حنايا النفس ، يسجل هذا وما هو أبعد من هذا فى أسلوب ظريف العبارة رشيق النكات ، يفيض حماسة بالتهكم المر والسخرية اللاذعة المختارة . والحوار فى هذه المسرحيات هو موطن الجمال والخلابة ، بل هو كل شىء فيها ، إذ يسمو ويخلب الى حد أن تتغاضى العين مختارة عن تسقط نواحى الضعف فى بناء المسرحية من حيث حركتها وحبكة حوادثها . و (شو) فى اختيار موضوعات مسرحياته مغرم بالمعارضة ، مفتون بمهاجمة كل شىء قائم

زكى طليمات

---

(١) من أشهر رواياته بيزارو (٢) من أشهر رواياته (سالومة) و (مروحة لادى ويندرميل)

(٣) من أشهر رواياته (بيجماليون) و (تلميذ الشيطان) و (عربة التفاح) و (القديسة جان)

(٤) من أشهر رواياته (العدالة) و (الولاء)

(٥) من أشهر رواياته (الشعلة المقدسة) و (نهاية اليوم)

الامبراطورية البريطانية

إستعمارٌ أم اتحاد ؟

بقلم الاستاذ عبد الحميد عبد الغنى

العالم كالاسرة : تتفاوت شعوبه كما تتفاوت أفرادها . فمن أبناء الاسرة من يكبر اخوته عمرا أو يربو عليهم مالا ، ومن شعوب العالم من أوتى أكثر من سواه سعة فى العلم والثروة أو بسطة في العدد والقوة . واذ كان مفروضا على الاخ الاكبر والايسر أن يعول الاخوة القصر الصغار حتى يبلغوا مبلغه من الرشد والرجولة ، فعلى الشعب الارقى أن يتولى أمر الشعوب المبتدئة أو المضطربة حتى يشتد أزرها ويستقيم سبيلها . وهذا هو الاستعمار المثالى : واجب تفرضه الاخوة العالميـة على الشعوب الكبرى لتأخذ بيد الشعوب الصغيرة ريثما يواتيها من القوة والحضارة ما يمكنها من تولى شأنها وحدها . فما هو الا رعاية وتوجيه مجردين من أغراض السيادة والاستغلال . ولكن كثيرا ما يأثم الاخ فى حق أخيه فيأكل ماله ويسىء تنشئته ، وكذلك الشعب القوى كثيرا ما يأثم فى حق الشعب الضعيف ، فيستبد بأمره بدافع السطوة ، ويستأثر بخيره بدافع الجشع ، ويمنعه من أسباب الرقى مبيتا له نية السوء ليبقى أبدا كسيرا حائرا خاضعا ...

فالاستعمار لا ينكر ولا يكره اذا أخذه المستعمر أخذ الراعى المصلح لا أخذ المستبد المستغل ، فأهمه أن ترقى المستعمرة الى درجة من الحضارة يمكن عندها أن تريحه وتعفيه من عبء رعايتها وتوجيهها . ولكنه صار ممقوتا تجب حربه وكفاحه منذ خرج به المستعمر عن الوضع الصحيح ، فجعله سبيلا الى فرض سيادته وملء خزائنه وراحة أبنائه

فكرة الاستعمار البريطانى

فمن أى قبيل هذا الاستعمار الذى قامت عليه الامبراطورية البريطانية : أهو نشأ على الغزو والفتح ، واتجه الى السيادة والسيطرة ، ووجه كل همه الى تسخير المستعمرة واستغلالها ؟ أو هو عمد الى المستعمرة يعمر أرضها الخالية ويستثمر مرافقها المهملة ليصيب أهلها من الثروة والرخاء ما يهيئهم للحضارة وما لها من حقوق ؟

كان المستعمرون الاوائل دعاة سطوة ونفوذ ، اندفعوا فى أرجاء العالم النائمة يفتحونها بالرحالة والتجار ، أو يقهرونها بالغزاة والجيوش . أما أخلافهم المعاصرون فقد علمتهم احدى التجارب القاسية ان هذا الاسلوب الاستعمارى ولى بلا رجوع ، فما ان تؤخذ به

المستعمرة حتى تثور لحقها وحريتها وتتألب على الغاصب وتناضله فلا تلبث أن تتحرر من من اساره ، قبل أن يفيد منها ما كان يهوى وقبل أن تفيد منه ما ترقى به وتقوى

هذه التجربة القاسية التى أقامت حاجزا فاصلا فى تاريخ الامبراطورية البريطانية فحولتها من مجرى الاستعمار القائم على السيطرة والاستغلال الى مجرى الاتحاد القائم على التعاون والمساواة ، وقعت فى يوم ٣ سبتمبر سنة١٧٨٣ حين عقدت معاهدة فرساى التى أعلنت استقلال الولايات الامريكية الثائرة بالحكم الانجليزى تحت امرة واشنجتون . فى هذا اليوم الفاصل فقدت انجلترا أهم الاجزاء التى استعمرها أبناؤها منذ أن وفدت أفواجهم فى بدء القرن السابع عشر الى الارض الجديدة فرارا من الاضطهاد الدينى فى أوطانهم أو سعيا الى مرافق الرزق الفسيحة فى هذه الآفاق السخية ، وتراءى للعالم حينئذ ان الامبراطورية البريطانية التى أنشأها الانجليز مكتشفين ومهاجرين ومحاربين فى زهاء قرنين من الزمان (١٦٠٦ ـ ١٧٨٣) قد لحقت بأخواتها الغابرات . ولكن الانجليزى ـ فردا وشعبا ودولة ـ يدرك ان التجربة أثمن ما يفيده المرء من الحياة ، فلم يطو هذا اليوم صفحة فى سجل الاستعمار الانجليزى الا لينشر صفحة أخرى قامت عليها امبراطورية جديدة عظيمة : عظيمة فى اتساع آفاقها وضخامة سكانها وتنوع أجناسها وأديانها ولغاتها ، عظيمة فى سداد الفكرة التى تقوم عليها موحدة القوى موطدة الدعائم

رجع الانجليزى بصره الى الامبراطورية الاولى التى بناها فى أجيال وضيعها فى شهور، وتساءل عما دعاها الى الثورة والنضال فأخذه العجب حين وجد الداعي تافها يسيرا ، فان رئيس الوزارة « جرانفيل » وجد حاصل الضرائب المفروضة على الولايات الامريكية لا يوازى ما ينفق فى جبايتها ، فأراد أن يزيدها برغم أنف الناس ، فكانت الثورة فالحرب فالهزيمة فانهيار الامبراطورية ... فآلى على نفسه أن يتخذ من هذه التجربة عظةوعبرة، فلما بنى امبراطوريته الجديدة لم يلق بالا الى أن يجعل أهلها أتباعا ورعايا ، وأرضها هدفا للضرائب ونهبا للاقوياء ، بل فكر فى أن يستعمر وفق « الطريقة المثلى » على قدر ما تتيحه له أطماع السياسة

هذا الى أن بريطانيا وجدت ان الاستعمار المثالى ميسر لها ـ الى حد ما ـ بحكم تكوين امبراطوريتها . فالجزء الاكبر من مساحة مستعمراتها تسكنه شعوب بريطانية . وما زال أبناء هذه المناطق يعدون انجلترا وطنهم الاصيل ، أما بلادهم فمهجر عارض فالكندى الذى لم ير أحد من أسلافه المهاجرين أرض انجلترا اذا سئل وهو مسافر اليها أين أنت ذاهب قال : « انى عائد الى وطنى الى الارض الوالدة "Motherland"

فبين بريطانيا واكثر امبراطوريتها رابطة وثيقة من الاصل واللغة والدين يتعذر معها ان يعلو أحد الطرفين سيدا حاكما ويهبط الطرف الآخر عبدا خاضعا ، بل تقضى بأن يطبق على افراد الاسرة الواحدة نظام واحد لا يفرق بينهم الا بقدر ما يستدعيه التفاوت بينهم فى القوة والحضارة

تطور الاستعمار البريطاني

على أن ثمة ثلاثة أمور تجب ملاحظتها :

الاول - ان بريطانيا لم تغير طريقتها الاستعمارية الاولى بين عشية وضحاها ، بل حورتها وكيفتها على مر الاجيال وفق ما توالى عليها من الامور . فتارة كانت تمنح بعض مستعمراتها حكما ذاتيا يطلق حريتها في ادارة شئونها الداخلية على ان تظل سياستها الخارجية في يد بريطانيا توجهها الى حيث ترى مصلحة الامبراطورية كلها ، وتارة تتوسع في اطلاق هذه الحرية حتى تشمل السياسة الداخلية والخارجية على السواء ، ما دامت لا تؤدي الى ايذاء الامبراطورية في شأن من شئون السياسة والحرب والاقتصاد

والثاني - انها لم تطبق نظامها الجديد على أرجاء الامبراطورية على السواء ، بل قسمتها أقساما وفق درجات حضارتها وخصت كل قسم منها بنظام معين يلائم اسلوب حياته ودرجة تقدمه . فهناك الممتلكات المستقلة ، وهي كندا ، وجنوب افريقا ، واستراليا ، ونيوزيلندة ، وايرلندة ، وهذه لا تنقص عن بريطانيا في شيء ما من الحقوق والحريات . وهناك المستعمرات واكثرها أقاليم مبثة في أواسط أفريقا وجزر متناثرة في البحار ، وهذه ما يزال نصيبها من الحضارة يفقرها الى رعاية بريطانيا وارشادها حتى يحق لها ان ترقى الى مستوى الممتلكات المستقلة . وهناك الهند التي وان لم يستقر دستورها حتى الآن على قرار وطيد الا انها وسط بين هذه وتلك تمشيا مع قدرتها على الانفراد بحكم نفسها حكما صالحا ودفع عادية الطامعين فيها ، هذا عدا المناطق الواقعة تحت الحماية او تحت الانتداب ولكل منها نظام يلائم مستواه المادي والادبي .

الثالث - أن بريطانيا لم تقف بأي شعب من شعوب امبراطوريتها عند نظام معين من هذه النظم لا يتعداه أبدا ، بل منحت كل شعب نظاما أوسع حرية وأكثر ملاءمة كلما ازداد نصيبه من الرقي المادي والمعنوي . وامامنا مثالان على هذا : فالجزء الجنوبي من روديسيا أصاب من الرخاء والحضارة نصيبا كبيرا حمل بريطانيا على ان تشرع في منحه حقوق الممتلكات المستقلة بكافة شئونها استقلالا تاما ، وهذه نيوفوندلاند كانت احدى الممتلكات المستقلة ولكنها عجزت عن ادارة شئونها الداخلية مما أدى الى ارتباك حياتها الاقتصادية واستهدافها لازمات خطيرة ، فدعا برلمانها في سنة ١٩٣٤ الحكومة البريطانية الى استئناف ادارة نيوفوندلاند ريثما تعالج ازمتها الاقتصادية وتصلح اداتها الحكومية ، وهكذا تخلت عن بعض حريتها بمحض رغبتها وبدافع منفعتها لانها لا ترى في حكم بريطانيا استبدادا ولا استغلالا ، بل لا تجد الا رعاية واصلاحا

الاتحاد البريطاني

فالامبراطورية البريطانية في تطور مستمر يلائم بين ما تبلغه وحداتها من درجات

الحضارة وبين ما ترسمه لها من الانهاج الدستورية . وآخر درجات هذا التطور هى تلك التى حددها « قانون وستمنستر فى سنة ١٩٣١ » والذى انتهى به الدور الثانى فى تاريخ الامبراطورية (١٧٨٣-١٩٣١) وبدأت به الامبراطورية الثالثة بعد ان اتخذت اسما جديدا يلائمها وهو «الاتحاد البريطانى "British Common Wealth" «فلم تعد ثمة امبراطورية تستمد حياتها من هيئة حاكمة وتركز حكومتها فى عاصمة واحدة وتجعل بعض أهلها حكاما وبعضهم محكومين ، بل غدت مجموعة من الدول المستقلة فى كافة شئونها ، مجتمعة معا فى وحدة سياسية وحربية واقتصادية ، ومشتركة معا فى ملك واحد يقف منها جميعا موقف الوالد من ابنائه لا موقف الحاكم من أتباعه » « فقانون وستمنستر » هذا يوضح الفرق بين الاتحاد البريطانى القائم وبين الامبراطوريات المعاصرة والغابرة ، وهو المثل الأعلى الذى تسعى اليه كثير من الشعوب البريطانية ليرقى بها الى مستوى الدول المستقلة ، فلا يبقى ثم فارق بينها وبين أية دولة ذات سيادة الا انها تشارك دولا أخرى ملكا واحدا ..

فلنلخص أصول هذا القانون لنتبين ان بريطانيا لم تتخذ كلمة « اتحاد » بدلا من كلمة « امبراطورية » من قبيل خداع الالفاظ وتغريرها ، بل من وجهة التعبير الصحيح عن المعنى باللفظ الدقيق :

فمن ناحية السياسة الخارجية نجد ان لكل من الممتلكات الخمس مندوبا فى عصبة الامم كما أن لبريطانيا وسائر أملاكها مندوبا سادسا ، ولكل من هؤلاء المندوبين ان يبدى رأيه ويعطى صوته كيف شاء ولو ناقض آراء الآخرين وأصواتهم ، ذلك انه مسئول أمام حكومته وحدها ولا شأن له بالحكومة البريطانية . ولكل من هذه الممتلكات ان تفوض الوزراء وترسل المندوبين الى الدول الأجنبية وان كان لها الحق فى ان تستعين بعضها ببعض فى أمر التمثيل السياسى كما هو شأنها فى مصر . فلكندا مفوضيات فى واشنجتون وباريس وطوكيو ، ولايرلنده مفوضية فى برلين وأخرى فى روما . وهذه الممتلكات مستقلة فى سياستها الخارجية استقلالا تاما الا ان عليها الا تتفاوض مع دولة أجنبية الا بعد ان تخطر سائر أعضاء الاتحاد البريطانى ، وان تلقى بالا الى مصالح زميلاتها فلا تعقد اتفاقا يضر وحدات الاتحاد سياسيا أو اقتصاديا . ولها فضلا عن هذا ان ترفض الموافقة على أى اتفاق تعقده بريطانيا وان تتخذ موقفا يخالف موقف بريطانيا فى السياسة الخارجية . فهذه حكومة جنوب أفريقية أرادت ان تقف على الحياد فى أول هذه الحرب ولكن برلمانها أسقطها وأقام حكومة جديدة أجابت رغبة الشعب فى المساهمة فى الحرب ، وهذه ايرلندة ما زالت على الحياد قائمة الصلات بألمانيا وايطاليا

وفى مسألة الدفاع تتولى كل وحدة من الممتلكات تعين القوات اللازمة للدفاع عنها ولا تتدخل الحكومة البريطانية فى هذا الشأن الا اذا دعتها الممتلكات . ولكل وحدة الحرية الكاملة فى ألا تقدم لبريطانيا أى شيء من المعونة الحربية فى حال اشتباكها فى القتال ، وليس لحكومتها ان تقدم هذه المعونة الا بعد موافقة برلمانها . فأسطول استراليا مثلا خاضع

لحكومتها خضوعا تاما على انها تستشير وزارة البحرية البريطانية فى أمر اعداده وتدريب بحارته ليلائم الاسطول البريطانى عندما يشتركان معا فى القتال . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تقدم الى أية ممتلكة يعتدى عليها أقصى ما تستطيع من المعونة الحربية ، فكان طبيعيا ان تسير هذه الوحدات - برغم ان القانون يعفيها - أفواج جنودها واسراب طياراتها وسفائن أساطيلها الى كل ساحة تشتبك فيها بريطانيا مع اعدائها . وهذه الكتائب والاسراب التى تدفقت على ساحات أوربا والشرق فى هذه الحرب دليل على سداد سياسة بريطانيا التى رأت ان « الاتحاد » أقوى بناء وأشد تماسكا من « الامبراطورية »

ويتمثل استقلال هذه الممتلكات فى انظمة حكوماتها . فلكل منها برلمان ووزارة لهما الفصل فى جميع الشئون . ولا يجوز تغيير نصوص الدستور فى اية ممتلكة الا بموافقة البرلمان أو باستفتاء الرأى العام . ولبريطانيا حاكم عام فى كل من هذه الممتلكات مهمته أن يمثل ملك بريطانيا لا أن يمثل الحكومة البريطانية . ومعنى هذا ان صلته بحكومة الممتلكة كصلة ملك بريطانيا بحكومتها ، وهى مقصورة على الارشاد والتوجيه مع قيام الحكومة بتحمل المسئولية كلها . أما ما بين اجزاء الاتحاد البريطانى من المصالح التجارية والصلات السياسية فتترك رعايتها الى مندوبين ساميين توفدهم الممتلكات الى بريطانيا كما توفد هذه أمثالهم الى ممتلكاتها . ولكن هذه الرعاية محدودة جدا فمثلا فى مسألة الهجرة تجد اكثر الممتلكات ترفض قبول ابناء بريطانيا فى حين ان هذه قلما ترفض هجرة أحد من ابناء امبراطوريتها

ولندرك مدى استقلال الممتلكات البريطانية استقلالا لا يمكن ان يفهمه أى عقل سياسى الا أن يكون على طراز العقل الانجليزى الذى لا يأبه للنصوص وانما تعنيه الوقائع ، حسبنا أن نذكر أن برلمان أية ممتلكة له الحق الكامل فى أن يقرر انفصالها من الامبراطورية البريطانية فلا يحل لبريطانيا ان تعترض على هذا القرار ولا يسعها الا أن تقبل انفصال كندا أو استراليا منها بمجرد موافقة برلمانها !

روابط الاتحاد البريطانى

هذه بعض قواعد قانون وستمنستر الذى تحولت به الامبراطورية « اتحادا » تربطه صلات الاصل واللغة ، وصلات السياسة والتجارة ، برباط أوثق من رباط الحكم والسطوة . ومتى كانت صلة الشعب بالحاكم العاتى أحكم من صلة الولد بالام الرؤوم ؟ فهذه استراليا الفسيحة الخصبة ترمقها عين اليابان الطامحة الى التوسع والاستعمار ، ولكنها لا تخشى بأسا فقد تكفل الاسطول البريطانى بتأمينها ، دون ان ترهق الملايين القليلة التى تسكنها ببناء أسطول خاص بها يرد عنها عادية اليابان . وكذلك افريقية الجنوبية كفت نفسها مؤونة بناء الاساطيل وحشد الجيوش بأن جعلت من سيمونستون قاعدة للاسطول البريطانى وتعهدت بأن ترد أى مغير عليها يأتى من داخل القارة . ثم أليس هذا الاتحاد البريطانى

كفيلا بأن يتيح لوحداته ما لا يتاح لاية دولة من المزايا الاقتصادية ، ويهيىء لها ما قل أن يتهيأ لغيرها من الاستقرار المالى • فهذه كندا لا تختلف كثيرا عن الولايات المتحدة من الوجهة الاقتصادية ، ولكن لما وقعت أزمة سنة ١٩٣٢ لم يفلس بنك واحد من بنوك كندا بينما أفلس في جارتها ثمانية آلاف من البيوت المالية وفقد ملايين من الناس ودائعهم ومدخراتهم • ثم ان هذا الاتحاد البريطاني يهيىء ـ بفضل ما قرره مؤتمر أوتاوه منذ ثمان سنين ـ لاجزائه المتفرقة في أقطار العالم الاربعة أسواقا رائجة تصرف فيها كل منتجاتها الزراعية والصناعية ، فصوف استراليا وجبن نيوزيلنده وفواكه افريقية وغلال كندا ، تنقل على السفن البريطانية بأسعار مخفضة وتمنح في اسواق الاتحاد الكثير من المزايا التجارية ، ليس أهمها تخفيض الرسوم الجمركية ، مما يسهل تصريفها ورواجها

فهل من ينكر اذا رأى غاندى حين يجعل الهدف الذى ترمى اليه الهند في جهادها أن ترقى من مستوى المستعمرات الى مستوى الممتلكات دون ان تنفصل من رابطة الاتحاد البريطاني التى تتكفل بأن تدفع عنها عادية الحالمين بها والطامعين فيها ، وتتكفل بأن تضمن لها استقرارا اقتصاديا يزكى زراعتها وينمى صناعتها ويروج سوقها ، على ان يتاح لها من الاستقلال الداخلى ما يمكنها من اصلاح حياتها الاجتماعية والثقافية التى لا ينكر الكتاب الانجليز انفسهم ان بريطانيا غفلت عن بعض نواحيها ؟ هذا وقد شرعت بريطانيا تطلق للهند كثيرا من حقوق الممتلكات وان ظل مركزها مضطربا لا يقر على قرار ، ذلك ان الخلاف بين حكومة بريطانيا وزعماء الهند ينحصر في سؤال واحد : هل بلغت الهند المستوى الادبى الذى يؤهلها لان تستقل بادارتها الداخلية وسياستها الخارجية ، فالمسألة بين الفريقين لم تعد اكثر من مسألة وقت وتقدير وليست قضية تجن واستبداد

وثمة ما هو أهم وأجدى من هذه المزايا السياسية والمنافع التجارية التى يتيحها الاتحاد البريطاني للاجزاء المنضوية تحت لوائه ، هو هذا الروح الطيب الذى يسرى فيما بين بريطانيا وممتلكاتها من الصلات • ليس من ينكر ان بريطانيا أخطأت في حق بعض الشعوب أخطاء كبيرة ولكنها في الغالب أخطاء أفراد من حكامها أخذتهم العزة بالحكم والقوة وليست اخطاء سياسة عامة تتعمد البغى والسطوة • ذلك ان السياسة البريطانية تمتاز بما يمتاز به الفرد الانجليزى من صفة التسامح التى مكنت بريطانيا من أن تؤلف حولها القلوب ومن ان تحقق من وراء ذلك مآربها • وهل من دولة تتخذ مع عدوها ما اتخذت بريطانيا مع البوير في جنوب افريقية ؟ فبعد حرب دامية نشبت بين الفريقين ثلاث سنين طوال انتصرت بريطانيا بعد أن ضحت بآلاف من الرجال وأكداس من المال ، ولكنها في المعاهدة التى عقدتها مع غريمها المهزوم أبت ان تفرض عليه غرامة حربية ، لا بل تعهدت بأن تدفع له كل ما انفقه في القتال ، لا بل زادت على ذلك أن منحت ولايتى البوير ، الترنسفال والاورانج ، الحكومة الذاتية التى حاربتا وهزمتا في سبيل اقامتها منذ سنين قلائل ! فماذا كانت النتيجة الا أن يقوم البوير تحت امرة قائدهم الذى دوخ الانجليز طويلا ، الجنرال

بوثا ، قومة الدفاع عن بريطانيا حين شبت الحرب الماضية ، ووقع آلاف منهم صرعى فى ساحات افريقية وهم يقاتلون ألمانيا التى حالفتهم وعاونتهم بالمال والسلاح عندما كانوا يحاربون بريطانيا !

فأخلاق الانجليزى تتمثل واضحة فى تكوين امبراطوريته ، فكما تجرى الصلة بين الرجل الانجليزى وجاره تقوم العلاقة بين بريطانيا وشريكاتها فى الاتحاد . ومن أبرز وأقوى الصفات الانجليزية صفة « الفردية » التى تبيح لكل امرء ان يتخذ من الافكار والعقائد ما يشاء وان يصرف حياته وفق ما يريد ، دون ان تضعف هذه الخلة من خلة أخرى ليست أقل منها قوة وبروزا هى « التعاون » الذى يجمع الانجليز صفا واحدا فى الملعب والنادى ، أو فى النقابة والجمعية ، أو فى السياسة والحرب . فاذا أجلت البصر فى انحاء الاتحاد البريطانى وجدت هذا التعاون وهذه الفردية على أوفى ما يكونا من الوضوح والتأثير ، فكل شعب من شعوب الاتحاد يستغل مميزاته القومية استغلالا لاتشوبه اية شائبة من ضغط ظاهر أو مستور ، فله ان يعبد الله وفق ما يرى وان ينطق لسانه كما يريد وان يتخذ ما يشاء من العادات ويحفظ ما يؤثر من التقاليد . بل ان كل وحدة من وحدات هذا الاتحاد لتجد المعونة من زميلاتها للمحافظة على خصائصها القومية التى تمكن كلا منها من أن يقوم ويختص بناحية من نواحى النشاط الانسانى المتعددة ، فهذه الوحدة للزراعة ، وتلك للصناعة والثالثة للرعى ، وهكذا تتجمع من جهودها كتلة كاملة من مختلف الاعمال تغنى الاتحاد عن الاستعانة بغيره من الشعوب . فكما ان الفردية الواضحة فى الفرد الانجليزى لا تعيق ، بل هى تعزز ، روح التعاون فى كتلة الشعب ، فكذلك القومية المتأصلة فى وحدات الامبراطورية لا تعطل ، بل تؤكد ، روح التآزر والاتحاد بين اجزائها المتماسكة . فمن الخطأ ان نحسب الانجليز يحافظون على قومية الشعوب المرتبطة بهم من قبيل التملق والتغرير ، وصرفا لها عما تريده بها من تحكم واستغلال ، وانما هم يقيمون سياستهم على اساس من اخلاقهم ، فكما تعنيهم الفردية فى الآحاد تعنيهم القومية فى الشعوب ، وكما أمنوا على روح التعاون فى كتلة الشعب فهم آمنون على روح الاتحاد بين أجزاء الامبراطورية

هكذا يقوم الاتحاد البريطانى على دعائم راسخة : منها ما يتيحه لاعضائه من الضمان السياسى والحربى دون أن يحملها أعباء التجنيد والقتال ، ومنها ما يهيئه لوحداته المختلفة من اسواق التجارة ومن أرصاد المال المحفوظة لنجدتها وقت الازمات ، ومنها روح التسامح التى تسود ما بينها من العلاقات فتؤلفها حول تاج واحد يرعاها جميعا على السواء ، ومنها خلق المحافظة على القوميات وتعزيزها مما يؤمن الافراد والجماعات على القوى المعنوية التى تعتز وتفاخر بها

عبد الحميد عبد الغنى

الأدب الإنجليزى : أدبٌ عالمى

بقلم الأستاذ لويس عوض
مدرس الادب الانجليزى بكلية الآداب

ليس الأدب الانجليزى ادباً محلياً ، انما هو أدب انسانى ، شأنه فى ذلك شأن الادبين الاغريقى والفرنسى . هو أدب يعبر عن عواطف الجنس البشرى ، لا عن عواطف الانجليز وحدهم

من أقوال النقاد فى مقومات شخصيات الامم ان نبوغ الايطاليين يتمثل فى نحتهم والفرنسيين فى رسمهم ، والالمان فى موسيقاهم ، والانجليز فى شعرهم . وأصحاب هذا التعميم يريدون به تلخيص صفات الشعوب لا تحديد ملكاتها . فلو انك أقررت مثل هذا التعريف على سذاجته لألفيته أقرب الى الصحة عندما يتعرض للانجليز دون الآخرين . ذلك لان للفرنسيين أدبا وموسيقى ، وللايطاليين رسما وغناء ، وللالمان حظا وسطا من الادب والرسم . أما الانجليز فخصائصهم الواضحة ثلاث : شعرهم ، وسياستهم ، وأخلاقهم ، وهى جميعا متصلة فيما أرى . أما بقية الفنون فنصيبهم منها محدود . ولقد يحدثك الانجليزى عن جمال العمارة القوطية المتجلى فى كنيسة كلية الملك بكامبريدج ، أو روعة الفن النورماندى كما يراه هو فى كاتدرائية ايلى ، أو عبقرية الطراز الكلاسيكى المجسدة فى كاتدرائية سانت بول ، ولقد يحدثك عن ألحان بيرسيل وهاندل ، ولوحات رينولدز وجينز بورو وتيرنر ، فتستمع اليه ثم تبتسم ولسان حالك قائل : كل هذا جميل ، لكنه فن مستعار ، ومن رأى عمائر باريس وريمس وشارتر وفلورنسا فما حاجته الى عمائر لندن وكامبريدج وكانتربرى ويورك ؟.. اذن فنبوغ الشعب الانجليزى متمثل فى أدبه . فلنبحث عن أساس هذا الادب ولنحلل روحه تحليلا

للانجليز شعر ومسرح وقصة وملاحم ونقد أدبى . والنظر فى أنواع الادب هذه مجتمعة يقتضينا أن نبحث فى صلات الادب الانجليزى بغيره من الآداب الاوربية ، كما يقتضينا أن نلم بما أضافه الانجليز الى التراث الادبى الذى تداولته أمم الغرب الى يومنا هذا فلو أننا أضفنا الى كل ذلك تفصيلا للافكار الرئيسية فى الادب الانجليزى لخرجنا بصورة مجملة عن أدب الانجليز

- ١ -

ينبغى اذن أن يكون البحث فى ثقافات دول أوربا مقارنا . عبث أن يتحدث متحدث عن الادب الانجليزى كأنما هو نبات جاء نماؤه واثماره فى تربة انجلترا دون سواها ، لان الانجليز ، كالفرنسيين والايطاليين والاسبان، استمدوا غذاءهم الاولى من اليونان والرومان، ثم انهم اعتمدوا على الشعوب الاخرى فى انشاء أدبهم اعتمادا كبيرا . فاذا أنت أردت أن تقف على مدى أثر الثقافات القديمة والاجنبية فى الادب الانجليزى فانى ألخص لك الموقف فيما يلى :

أولا : النقد الانجليزى من يوم ظهوره فى القرن السادس عشر الى سنة ١٨٠٠ ، أى بين روجر آسكام ووليم وردزورث ، معتمد كليا على نقد الاقدمين ونقد الفرنسيين ففى عصر اليزابث كان النقاد الانجليز ينسخون فى لغتهم ما قاله أرسطو فى أصول المسرح والشعر والبلاغة ، ويلخصون ما كتبه جواشان دى بيليه وهنرى اتيين الفرنسيان عن نضوج اللغة الفرنسية محاولين تطبيق نظرياتهم على اللسان الانجليزى . فلما أن انقضى عصر النهضة تحول النقاد من أرسطو الى هوراس وشيشرون وكوينتليان ، وهم أئمة النقد عند الرومان . وبعبارة أخرى يمكن الجزم بأنه ليس هناك ما يمكن أن نسميه نقدا « انجليزيا » قبل وردزورث

ثانيا : يدين الانجليز للاقدمين بأشكال أدبهم وبعروضهم . فلقد أخذوا عن الاغريق فن الدراما وفن الملحمة ، وهما أهم فنون الانتاج الادبى جميعا ، وبهما تحققت عظمة شكسبير وبن جونسون وسبنسر وميلتون ودرايدن ولورد بيرون وغيرهم . كذلك أخذ كاولى ومقلدوه عن بندار الاغريقى بعض أوزانه . كذلك نقل الكساندر بوب وأتباعه عن هوراس فن الشعر التعليمى والهجاء وفن الرسائل . كذلك انتقل القالب الشعرى المعروف بالسونيتة من ايطاليا الى انجلترا ، وما وزن القافية المزدوجة التى يرتكز عليها الشعر الانجليزى فى القرن الثامن عشر الا وزن نقله تشوسر ، أبو الشعر الانجليزى ، عن الفرنسية ، وهكذا دواليك

ثالثا : اذا أنت تأملت حال الشعر الانجليزى فى مختلف عصوره استرعى انتباهك اشتداد الشبه بينه وبين مصادره فى القارة الاوربية . فتشوسر كان يقتات على جثة بوكاشيو اقتياتا ، وما « حكايات كانتربرى » و « قصة الوردة » سوى أساطير غزلها الايطاليون والفرنسيون. كان لودج يترجم ما كتبه فيلب ديبورت الفرنسى ترجمة حرفية ثم ينسبه الى شخصه . كذلك كان يفعل دانيل وجون سيلفستر . كذلك كانت تفعل الكثرة المطلقة من صغار الشعراء فى عصر اليزابيث ، حتى لقد أصبحت السرقة والاقتباس من أهم أركان فن التأليف . وأحسب ان اعتماد شكسبير العظيم على فلوطرخس وسواه غنى عن التنويه . أما ملتون فلا سبيل الى فهم ملحمته « الفردوس المفقود » فهما صحيحا الا بالرجوع الى العهد القديم من الكتاب المقدس واستيعاب « انيادة » فرجيل . أما شعراء

القرن الثامن عشر جميعا فقد كانوا يترجمون هجائيات هوراس وجوفنال وينهبون نهبا فرجيل وأوفيد وغيرهم من شعراء اللاتين : نهبوهم علنا وبترخيص من النقاد

بهذا القدر القليل أوجز الكلام عن الرابطة القوية بين الادب الانجليزى وسائر الآداب الاوربية . لكن الحديث فى الروابط لا يهم الا المختصين فى دراسة تسلسل الثقافات . وهو وان أفاد الراغبين فى معرفة تاريخ الادب الانجليزى ، الا انه قد يصرفنا عن البحث فى قيمة الادب الانجليزى والافكار الاساسية فيه

- ٢ -

ليس الادب الانجليزى أدبا محليا كبعض الآداب الاخرى ، انما هو أدب انسانى شأنه شأن الادبين الاغريقى والفرنسى . هو أدب يعبر عن عواطف الجنس البشرى كله لا عن عواطف الانجليز وحدهم . هو أدب تقف فيه على تطور القيم للانسانية الحقيقية ، كما ان صلته بالمجتمع وقيمه واضحة ودائمة . وبالجملة فهو أدب حى ينمو نماء عضويا ، ودليلك على ذلك أن توازن بين المشاكل الدينية والسياسية التى كانت تشغل تفكير ملتون فى القرن السابع عشر والمسائل الاقتصادية والاجتماعية التى تملأ مسرحيات برنارد شو فى القرن العشرين . الدراما الانجليزية مستودع العواطف والآلام الانسانية ، والشعر الانجليزى سجل لتطور الفكر من أيام هوميروس الى يومنا هذا

- ٣ -

الافكار الاساسية فى الشعر الانجليزى اثنان : الدين والطبيعة

ذكر الاب بريمون فى كتابه عن « الشعر الخالص » ان ناظم الشعر صوفى يتعبد الى الله لكنه ينحرف عن قبلته فى أدق مرحلة من مراحل العبادة . وحاول مستر مدلتون مرى أن يثبت قياسا على هذا ان شكسبير شاعر متدين ، وكلامه صحيح الى حد بعيد . كلام مستر مرى صحيح لو انك جعلت مدلول الدين محاولة الآدمى أن يتصل بشعوره بالمجهول . فشكسبير لم يكن مسيحيا فى شىء بل كان وثنيا ، والوثنية دين . كان شكسبير متدينا لان مسرحياته تملؤها مشكلات الحياة والموت والاخلاق . تقرأ « الكوميديا الالهية » فتقول ان دانتى شاعر مسيحى . وتقرأ « فاوست » فتحكم بأن جيتى شاعر شديد التدين ، لكن ادراكه لذات الله وحلوله فى الطبيعة أبعد ما يكون عن المسيحية . وتقرأ « هاملت » فيدهشك ان شكسبير انسان لا دين له يجتهد فى كشف الحجب كما اجتهد أن يكشفها أول « انسان » فكر فى الدين . تقرأ « الفردوس المفقود » فتشعر بأن ملتون مسلم قوى الاسلام فى كثير من نواحيه : تراه متطهرا لا يؤمن بالقسيس ووساطته بين الخالق والمخلوق ، تراه شديد الاحساس بقيمة الحياة الدنيا محبا لها ، تراه يفسر الكتاب المقدس تفسيرا شخصيا عمليا ، فيبيح الطلاق وتعدد الزوجات ، تراه يجعل الرجل صراحة قواما على المرأة ، فالرجل عنده ظل الله والمرأة ظل الرجل ، تراه يمقت الطقوس الكنسية وينكر تزيين

بيوت الله بالصور والتماثيل ، وبالجملة تراه يستقى آراءه وخواطره من « التوراة » لا من « الانجيل » . لهذا قلت ان ملتون لم يكن مسيحيا بل كان مسلما متدينا . تقرأ «المقدمة» فلا تجد فيها غير دين خالص جميل ، ليس هو دين المسيح بل دين وردزورث ، أو على الاصح دين سبينوزا وسناتكور وجيتى : هذا الدين هو اندماج الله فى الطبيعة ، وهو دين علمى متفائل خالص من الاساطير ، يضع الانسان فى موضعه الحقيقى من الكون ويسوى بينه وبين الزهرة والجبل والغابة والبحيرة وسائر الاحياء ، لانهم جميعا « أجزاء » من الطبيعة . طرد شلى من اكسفورد بتهمة الالحاد ، لكن شلى ، شأنه شأن روسو ، مسيحى كالمسيح دون أن يعلم : أركان دينه الحب والرحمة والمساواة والسلام ، تقرأ هذا فى قصة « برومثيوس طليقا » وفى كتاباته السياسية وفى أغلب شعره الغنائى . أما كيتس فقد كانت آلهته أبولو وفينوس وباخوس وكان دينه الجمال . ألم تسمعه يقول ان الجمال والحق شىء واحد ، فمن عرف هذه الحقيقة أغنته عن علم الارض والسماء ؟ تقرأ ماثيو أرنولد فاذا به يكاد أن يكون دينا قراحا ، وفكرته الدينية لا ريب مشتقة من أفكار الطبيعيين أمثال سبينوزا وسناتكور وجيتى وورزورث . لم يكن أرنولد شديد الكلف بالمسيحية ، ولذا آثر أن يصف غاية الشعراء بأنها « نقد للحياة » . لكن شعره برغم كل ذلك شعر متدين ، بل شعر صوفى تجرد للتأمل فى الطبيعة وفى المجتمع

هذه هى روح الادب الانجليزى والفكرة الاساسية فيه . ترى من كل هذا انى أعرضت عمدا عن الخوض فى أدباء الانجليز المتخصصين فى الدين والفلسفة . فهناك مدرسة من الصوفيين المحترفين نشأت فى القرن السابع عشر وأئمتها جون دن وجورج هربرت وريتشارد كراشو وهنرى فون وتراهيرن وروبرت هريك ، ويطلق عليهم لقب « المدرسة الميتافيزيقية » لكثرة شعرهم المسيحى . كذلك نشأت فى القرن الثامن عشر مدرسة الشعر التعليمى وزعيمها ألكساندر بوب ، اختصت فى بسط نظريات الفلسفة والاخلاق شعرا . ولهؤلاء جميعا نظائر فى عامة الآداب ، فاتشابهم الى الادب الانجليزى عرض لا خاصة

الدين والطبيعة هما موضوع الادب الانجليزى اذا أجزت التعميم . أما الاساس الشكلى لهذا الادب فهو مبدأ الحرية ، واليك كيف دخل مبدأ الحرية فى تشكيل الادب الانجليزى

– ٤ –

يقول الفرنسى للانجليزى : « أنتم أشد محافظة منا . انظر كيف يلبس قضاتكم الشعر المستعار ، ويصر أساتذتكم على ارتداء الروب الجامعى . انظر الى تقاليدكم البالية كيف تخول للملك ان يبيع الاسطول الانجليزى وتحرم عليه أن يدخن سيجارة فى الحفلات الرسمية . انظر الى قوانينكم كيف تستمدونها من احكام القضاة فيما سلف من القرون لا من فكرة منظمة عن العدالة . انظر الى تيارات الفكر لديكم كيف تجيئكم خمسين عاما بعد انتشارها فى القارة الاوربية . أنظر الى التلفون الاوتوماتيكى كيف تتمهلون فى تعميمه بلندن حتى يتبين لكم نجاحه بنيويورك . انظر اليكم تحتفظون بمدفأة الفحم والعالم كله

يستدفيء بأنابيب المياه الساخنة » . فيجيب الانجليزى فى تهكمه المعروف : « بل أنتم المحافظون الجامدون . ألم تنضج قبلكم سياسيا بقرن وبعض قرن ؟ ألم نعدم شارل الاول سنة ١٦٤٩ ، وأعدمتم لويس السادس عشر سنة ١٧٨٩ ؟ ألم نعط نساءنا حق التصويت سنة ١٩١٩ ، ونساؤكم لا زلن ينتظرن ؟ ألم نقرر مبدأ المساواة المدنية بين الزوج والزوجة ، وأزواجكم لا زالوا يصادرون مال زوجاتهم بأمر القانون ثم يحلونهن المحل الثانى فى بناء الاسرة ؟ أليست حدائق التريانون مثلكم الاعلى فى فن البساتين ومثلنا غابة وندسور ؟ ثم ، فوق هذا وذاك ، أليس نبوغنا يتمثل فى فن شكسبير ونبوغكم فى فن راسين ؟ »

الواقع أن كل ما تقدم عن الانجليز والفرنسيين صحيح . فان لهم جميعا مواقف تؤيد انهم أشد شعوب الارض تقدما كما أن بهم من الصفات الحقيقية ما يؤكد انهم فى مؤخرة أمم الارض جمودا ورفضا لمبدأ التطور . لكن من أراد ان يلمس الفارق بين الانجليز والفرنسيين فليقف على الفارق بين أدب شكسبير وأدب راسين وبين حال اللغة الانجليزية وحال اللغة الفرنسية

تجد الفرنسى مثلا يقيم وزنا كبيرا لاحكام « الاكاديمى فرانسيز » بينا أن الانجليزى لا يفكر لحظة واحدة أن يسلم ذوقه لمجمع أو لمدرسة . كان من هنا ان نمت اللغة الانجليزية نموا طبيعيا فى جو من الحرية ، واللغة الفرنسية بعض نموها صناعى . الاساس فى اللغة والادب الانجليزيين فكرة الحرية : الحرية فى المادة والحرية فى القالب . أما الاساس فى اللغة والادب الفرنسيين فمبدأ الصقل واللياقة ، وهى ما يعرف عند الفرنسيين بكلمة Bienséance

من خصائص اللغة الانجليزية انها خليط من عنصرين : العنصر السكسونى والعنصر اللاتينى . وطبيعة اللغة الانجليزية هذه من مسببات عظمة الشعر الانجليزى ، وآيات ذلك ثلاث :

اولا : تألف اللغة الانجليزية من عناصر مختلفة أكسبها نضجا كبيرا . فهى غنية بالمفردات ، لا تكاد تجد معنى ليس له لفظ يؤديه ، وهى فى هذا الباب قد لا تقل ثروة عن اللغة الفرنسية

ثانيا : مرونة اللغة الانجليزية من أهم ما أثره الدارسون عنها ، وهى تفوق مرونة اللغة الفرنسية . يسمعك الفرنسى تلحن فى لغته فيضحك سخرية وربما تولاه الغضب . ويسمعك الانجليزى تلحن فى لغته فيتبسم عجبا وتشجيعا . لان اللحن فى لغة راسين من الخطايا السبع التى لا تغتفر ، واللحن فى لغة شكسبير ، مع المبالغة القليلة ، هو القاعدة والاساس . فان أردت ان تفهم الفارق بين اللغتين فلتفهم أولا سر أدب شكسبير وراسين . شكسبير يمثل الحرية وراسين يمثل القيود . لا تقرأ كتاب ستندال عن هذين الرجلين ، لان ستندال كتب فى عصر محموم هو عصر الثورة الفرنسية ، عندما كانت المحافظة فى

الفن كالمحافظة فى السياسة والدين وغيرهما من المبادىء تقترن فى ذهن الفرنسى بفظائع الباستيل • ان تمجيد ستندال لشكسبير وايثاره اياه على راسين لا يمثل رأى الفرنسيين • كذلك لا تقرأ مقالة درايدن « فى الشعر المسرحى » ، التى اعتذر فيها عن طريقة شكسبير فى التأليف ، لان درايدن كتب بعد عودة الملكية فى انجلترا عام ١٦٦٠ عندما غادر شارل الثانى ورجال بلاطه منفاهم الجميل فى فرنسا ، مزمعين ان يستحدثوا ببلادهم ما بهرهم من مآثر لويس الرابع عشر • ألقى مسيو فوشوا ، أيام الحرب الكبرى ، سلسلة من المحاضرات عن راسين فى مسرح الاوديون بباريس ، وكانت له أقوال شديدة القسوة على راسين ، فنجم عن ذلك أن ثارت ثائرة المستمعين ، وكانت فيهم قلة تؤيد أدب فكتور هوجو ، فنشبت بين الفريقين معركة حامية ، واختل النظام فتدخل رجال الامن وحوصر الاوديون وتعذر على المحاضر اكمال سلسلته حتى ضرب نطاق من الشرطة يبعد المشاغبين • هذا الحادث على ضآلته يثبت أن راسين فى فرنسا مؤسسة لا تقل رسوخا عن الحكم النيابى فى انجلترا • أما الانجليز فشعب فردى يبغض القيود ، تلحظ هذا فى أدبه ولغته ونظام الحكم لديه

ثالثا : الالفاظ السكسونية ألفاظ قصيرة خشنة ، والالفاظ اللاتينية ألفاظ طويلة ناعمة سائلة ، واجتماع هذين العنصرين فى اللغة الانجليزية أكسبها قوة ورقة وموسيقى لفظية لم تحظ بها لغة أخرى فيما أعلم.

الفرق بين اللغة الانجليزية واللغةالفرنسيةناشىء عن اختلافعقلية الانجليز والفرنسيين فالفرنسى بطبعه رجل منطق وفكر واضح ونكتة قوية ، والانجليزى بفطرته رجل خيال شديد ونظر غامض وفكاهة دقيقة • تلمح هذا فى سياسة الفرنسيين المدروسة وسياسة الانجليز المرتجلة • تلمحه فى سرعة البت المشاهدة فى الفرنسيين وعلتها صفاء القريحة وترتيب الافكار ، وتلمحه فى تسويف الانجليز وشدة حذرهم ، وسرهما الايمان القوى بوحى الوجدان • هما بالجملة لونان من الذكاء مختلفان اختلاف سهول فرنسا المشرقة عن تلول انجلترا تتناوبها الغيوم والسهول والثلوج وأضاحى الربيع الفاتنة • لذا وجدت لغة الفرنسيين لغة منطق وفكر واضح ونكتة قوية ، ولغة الانجليز لغة شعر عنيف ونظر غامض وفكاهة دقيقة • لذا كان للفرنسيين حول سنة ١٥٥٠ نثر ناضج كنثر جواشان دى بيليه وهنرى اتيين ، والنثر الانجليزى لم ينضجه غير درايدن بعد سنة ١٦٦٠ • اللغة الانجليزية لغة شعر لانها لغة غامضة على ثرائها ، وهى لا تزال لغة غامضة ، لان الانجليز يرفضون أن « يتحضروا » ، كما تحضر الفرنسيون : أعنى أن يقبلوا المدنية ومقتضياتها كأساس للحياة

لويس عوض

أخطاء بريطانيا بين حربين

وموقفها من وعود هتلر

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

يتناول هذا المقال الأخطاء التي وقعت فيها بريطانيا بين الحرب الكبرى الماضية والحرب الحاضرة . وهي أخطاء طالما اختلف فيها الساسة والباحثون . وقد تناولها الاستاذ نقولا الحداد ، وأبان فيها وجهة النظر البريطانية والاسباب التي أدت الى هذه الأخطاء

لا يظهر الخطأ للناقد إلا بعد حدوثه . فاذا ذكرنا أخطاء انكلترا بعد الحرب الكبرى الماضية فلسنا نعني ان أساطين ساستها كانوا قصار النظر أو انهم جهلاء في فن السياسة ، وانما نعني انهم ككل انسان يقيسون حكمهم المستقبل على حوادث الماضي . وللمستقبل ظروف وأحوال تضاف الى مجرى الاحوال الماضية فتغير المصير الذي كانت تتوجه اليه حوادث الماضي . فلما نظروا الى المستقبل بعين الغابر لم يكونوا يعلمون أن عهود المانيا ستوضع في يد زعيم لا يقيم للعهد وزنا . فلهذا كانت سياسة انكلترا في كثير من حوادث الاحتكاك مع المانيا فاشلة ، لأنها كانت تقبل كلمة المانيا بسلامة نية ، فلا تلبث أن تكتشف أنها كانت مخدوعة

يقولون إن أول حلقة في سلسلة الأغلاط هي معاهدة فرساي ، والغالب أنها كذلك . ولكن المتقولين مختلفون فيها . فبعضهم يقولون إنها كانت جائرة فتركت في قلوب الألمان حقداً أحمى من وطيس . ربما كانت جائرة ، ولكن البلاغ الذي أذاعه السير ادورد جراي وزير الخارجية حينئذ أظهر أن المانيا تعمدت الحرب وأثارتها على الرغم من جميع الوسائل التي اتخذتها دول الحلفاء لمنع حدوثها . فاذا تراءت معاهدة فرساي جائرة فلأن ذنب المانيا كان عظيما

ليس الخطأ في نص معاهدة فرساي وانما كان الخطأ في تنفيذه ، فقد خرقت المعاهدة عدة خروق متوالية

تمخضت المؤتمرات المتوالية بعد الهدنة عن جنين جمعية الامم « سقطا » غير كامل الأعضاء . فظهرت الجمعية « جمعية أمم » لا « جمعية الامم » كما اقترحها الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأميركية الذي لم يزج أمته في تلك الحرب إلا لأجل تحقيق هذه الأمنية العظمى. ولكن للاسف لم تتحقق

وكان في رأي بعض الناقدين ، ومنهم جول كمبون ، ان من أهم الاخطاء تسريح جيوش

الحلفاء قبل أن يضمن تنفيذ المعاهدة من ناحية المانيا ، أو أن الجيوش التى بقيت تحت السلاح لم تكن كافية لاقناع المانيا بأن تلزم حدودها وتقوم بتعهداتها

وما وقف الامر عند هذا الحد بل أن انكلترا اقترحت تخفيض السلاح عند جميع الدول إلى حد معين لكى يخف عبؤه عن كواهل الامم . فتقرر فى سنة ١٩٣٠ عقد مؤتمر لهذا الغرض وأعدت برنامجه لجنة خاصة . فسرّت المانيا من هذا الاقتراح لأنها تذرعت به إلى التسلح لتكون على قدم المساواة مع سائر الدول ، فأنكرت الدول عليها هذا الحق

وبقى المشروع معلقاً فى الهواء تتقاذفه الرياح إلى أن جاء هتلر الى الميدان فعرض على انكلترا وفرنسا سلماً لمدة ٢٥ سنة فى مقابل السماح له بتجنيد ٣٠٠ الف جندى . أما انكلترا فرأت أنها فرصة مناسبة لتقييد المانيا بعهد كهذا . ولكن فرنسا كانت أشد حذراً وأقل ثقة . فترددت فى قبول الاقتراح . وكانت تتهم انكلترا بأنها كانت تود دائماً التساهل مع المانيا

لذلك عقد رجال الأحزاب ورجال الجمهورية الفرنسية مؤتمراً للبحث فى الامر. فقرر المؤتمر رفض الاقتراح لأن قبوله يستلزم عقد معاهدة جديدة مع المانيا لأجل ضمان السلام فى أوربا . فالتزمت انكلترا أن توافق على الرفض لكيلا تعد مناوئة لفرنسا

فكانت النتيجة أن هتلر شرع من اليوم التالى يجند جنوداً خفية ، بل كان التجنيد سراً جارياً منذ زمان . وكان بعد ذلك أن انكلترا كانت تعتب على فرنسا كلما بدا شيء من شكاسة المانيا بقولها : لو كنتم أيها الفرنسيس قد وافقتم على طلب هتلر لما كنا الآن نتحمل عبء هذا السباق فى التسليح الذى تنوء به أوربا ، ولا كنتم الآن تتقابلون مع مليونى جندي المانى

ترى هل كان السماح لهتلر بتجنيد ٣٠٠ الف يضمن السلام ؟ أو هل رفض الاقتراح كان يضمنه ؟ لا هذا ولا ذاك كان يضمن سلماً تجاه هتلر . فهو يتسلح على كل حال ، أذنوا له أم لم يأذنوا

المفاجأة المدهشة — « ضربة المعلم »

فى ٦ مارس سنة ١٩٣٦ أبلغ هتلر القائد فون بلومبرج أنه عازم على احتلال الرين من غير إنذار أو مفاوضة . وفيما كان يشرح مشروعه هذا اعترض الجنرال فون فرتش بأن مجلس أركان الحرب ، لا يجسر أن يتخذ مسئولية هذا الاعتداء لان الجيش الالمانى لم يزل غير مستعد للحرب وفى إمكان الجيش الفرنسى أن يصل إلى حدود المانيا قبل أن تصل طلائع الالمان إلى كولونيا

فأجابه هتلر : آسف أن معلوماتك خطأ ، واذا كنت تعتقد ان الجيش الفرنسى يقاوم فأنت مخطىء . فرنسا لا تتحرك خطوة واحدة . فيمكنك أن تهاجم غير خائف . وليس عليك أن تمون جيشك أو ان تجهزه بذخيرة ، لانه لا يضطر أن يطلق طلقة واحدة » . فأجابه القائد : « هب ان الفرنسيين قاوموا » . فقال هتلر : « حينئذ أنا أنتحر وأنت تأمر الجيش بالانسحاب »

فى ظهر اليوم التالى دخلت طلائع الجيش الالمانى الى أرض الرين ، الخالية من الجنود بحكم معاهدة لوكارنو ، من غير ضجة ولا صخب ومن غير أن يعترضها أحد . دخلت بسرعة وبلا نظام ، ولم تكن مهماتها معها ، ولا مع المشاة قنبلة واحدة ، حتى سلاح الطيران لم يكن مجهزاً بمدافعه ولا بذخيرته . الأمر الذى يدل على الاسراع فى تنفيذ قرار هتلر فى ليلة واحدة

وجعلت القوات الالمانية تتدفق من غير أن تصطدم بقوة معادية لأن معاهدة لوكارنو كانت قد جردتها من كل قوة حربية كشفقة حرام

كيف حدثت هذه الضربة المفاجئة المدهشة كأن قوة فرنسا الحربية مشلولة ؟ أين حليفات فرنسا ؟ أين الدول الموقعة على معاهدة لوكارنو ؟

هنا تعلم الاختراع السياسى الغريب العجيب الذى اخترعه هتلر نخالف به أخلاق جميع ساسة التاريخ . فبما كان هتلر ينسج أحابيل هذه العملية الماكرة كانت القوات الالمانية تتجمع على مقربة من الحدود وتنذر الكاتب الافرنسى الفطن شديد حاسة الشم بأن خطراً قادماً على الحدود . وكانت فرنسا تجس نبض انكلترا فماذا يكون سلوكها اذا كانت القوات الالمانية تتجاوز الحدود الى الرين؟ فكان جواب انكلترا ان هتلر لا يجسر لأنه يعلم اننا مصرون على تنفيذ المعاهدة

وكان السفير الالمانى فى ذلك الحين يؤكد لوزير خارجية انكلترا أن المانيا لن تحتل الرين . وكان هذا السفير نفسه منذ عدة أشهر يذيع ان انكلترا لن تحرك ساكناً إذا احتلت الجنود الألمانية الرين . وقبيل هذا الاحتلال بعث هتلر جواسيسه من الساسة الالمان الى جميع سفراء الدول يدسون لهم فى الاحاديث المدبرة ان المانيا لا يمكن أن تحتل الرين

وفى تلك الليلة التى صمم فيها هتلر أن يضرب « ضربة المعلم » ، كان جو السياسة الاوربية مكفهراً تمزقه البروق الخاطفة . وكان الساسة ورجال الحرب فى فرنسا يتشاورون ويتعارضون ويتناقضون ولا يقر لهم قرار . وكان فى انكلترا مثل هذا الاضطراب أيضاً . ولما أبلغتها فرنسا أنها تقرر الدفاع بالقوة ، نصحت لها انكلترا أن تتريث الى أن يجتمع الموقعون على معاهدة لوكارنو

تم احتلال الرين وأصحاب معاهدة لوكارنو ، لم يتفقوا على شىء ، وتواترت الشكاوى والانتقادات فمنهم من زعم أن الممانعة الفرنسية الروسية كانت سبب هذه الضربة . ومنهم من قال إن انكلترا لو خيرت بين ستالين وهتلر لاختارت هتلر لكى يكون عفريت البلشفية . وقال آخرون ان هذا جزاء تساهل فرنسا مع موسولينى يوم قررت جمعية الامم الحصر الاقتصادى على إيطاليا بسبب غزو الحبشة . ومعلوم أن فرنسا أقرضت ايطاليا حينئذ ٢٠ مليون جنيه

ليس غريباً ان هذا الفوز ينفخ صدر هتلر زهواً وغروراً . ولماذا لا يشمخر ويشمخ ؟

الضربتان الثانية والثالثة

ما انقضى عامان حتى فاجأ هتلر العالم بضربته الثانية . احتل النمسا من غير مقاومة كما احتل

الرين . وكان على إيطاليا أن تقف فى سبيله تنفيذاً للمعاهدة الموجبة عليها أن تساعد النمسا فى المحافظة على سلامتها . ولكن موسولينى الذى نبذ صداقة انكلترا لكى يرمى نفسه فى أحضان هتلر هرب الى الجبال لكيلا يسأل عن واجبه بازاء هذه المفاجأة

بعد ذلك كان هتلر لا يدع فرصة من غير أن يصرح للعالم أن زمن المفاجآت قد انتهى ، وانه لا مطمع له فى تشيكوسلوفاكيا ولا فى بولندا

وفى ١٤ مارس حمل المستر تشمبرلن الى مجلس العموم الانكليزى بشارة (ويا للاسف كانت مزيفة) وهى أن جورنغ وزير الدفاع الالمانى أكد له ان المانيا لن تتعرض لتشيكوسلوفاكيا ولا لبولندا

ولا ندرى ماذا كان يقول المستر تشمبرلن عن سذاجته هذه فى تصديق تأكيد جورنغ حين علم أن الجيوش الالمانية كانت فى سنة ١٩٣٨ تتجمع لدى تشيكوسلوفاكيا وحين كان ورزمان فى لندن يمهد لاحتلال هذه الجمهورية باعتبار ان السوديت من عنصر المانى وانهم يقاسون اضطهاد التشيك الذين هم أصدقاء البلشفيك السفاحين السفاكين ، الى غير ذلك من هذا القذع الذى كان يريد به أن يسترضى انكلترا . وكان اللورد رنسمان صديق تشمبرلن فى براغ يفاوض هنلين مندوب هتلر المنشىء النازية فى بلاد السوديت إلى ان اتفقا على الخطة التى توافق مطالب هتلر

وفى ذلك الحين نشرت التيمس لسان حال حزب المحافظين مقالا يحبذ تسليم تشيكوسلوفاكيا تلك المنطقة السوديتية لالمانيا لانها لها بحكم الطبيعة ، فشجع هذا المقال هتلر على ان يغالى فى مطالبه . وأصبح احتلال تشيكوسلوفاكيا قاب قوسين . فهرع تشمبرلن الى برشتجادن على أمل ان يقنع هتلر بأن يخفف من غلوائه . فقابله هتلر ببلاغ نهائى فحواه انه إذا لم تسلم تشيكوسلوفاكيا جميع بلاد السوديت وجميع الحصون والاستحكامات والمرافق الخ أخذتها المانيا بالقوة

فرجع المستر تشمبرلن حزيناً جداً لانه اصطدم صدمة لم يكن يتوقعها . وطلب إلى وزارة فرنسا الموافقة على عقد مؤتمر . وكانت هذه قد صرحت بأنها تقابل الاعتداء بالقوة

ولكن على الرغم من هذا التهويل كان قرار ذلك المؤتمر ان على تشيكوسلوفاكيا أن تسلم لالمانيا كل البلاد التى فيها على الاقل ٥٠ فى المائة من العنصر الالمانى . وقبل أن يصدر هذا القرار كانت القوات الالمانية تنفذ أكثر منه

لقاء هذا الحادث أسرع تشمبرلن ومعه صديقه هوراس ويلسن المستشار الصناعى فى الحكومة لمقابلة هتلر فى بادجودسبرج . ففوجىء بأمر غير منتظر إذ كان يعتقد ان هتلر يشكر له إقناع التشيك بأن يسلموا له بما طلب . واذا به يقول له : ان المشروع « الانجلو فرنسى » جاء متأخراً (يعنى لا بد من غزو تشيكوسلوفاكيا) . فعاد تشمبرلن فاشلا وعقد مجلس الوزراء ، ورأى المجلس أنه ليس فى طوق حكومة مستقلة أن تسلم بمطالب هتلر التى تسلبها استقلالها . وبناء عليه أرسل تشمبرلن صديقه هوراس ويلسن بنص قرار المجلس الى هتلر

قال هارلود نكلسن الذى نلخص هذا الحادث من كتابه (لماذا انكلترا تحارب) : « انه فيما كان هوراس ويلسن يقرأ على هتلر ترجمة الرسالة كان هتلر يضطرب وينظر تارة الى السقف وأخرى إلى الجدران والى كل ما حوله إلى أن صاح به « اخرس Shut up » . على أن ويلسن بقى برزانته الانكليزية يقرأ إلى ان انتهى بين صخب هتلر ونوبة جنونه . وأخيراً قال هتلر : « سأمزق تشيكوسلوفاكيا إرباً إرباً »

وكان بعد ذلك أن تشمبرلن اضطر أن يذيع فى الراديو للأمة الانكليزية أن انكلترا غير مضطرة أن تحارب لأجل أمة بعيدة عنها . وأكد أن الخطة الانكليزية الفرنسية الأخيرة كافية لوقف مطامع ألمانيا عند ذلك الحد الذى انتهت به مفاجآت هتلر

وبعد زيارة هوراس ويلسن انعقد المؤتمر من الدول المختصة لدرس الحالة . وكان من الأخطاء الخطيرة ألا تدعى روسيا اليه مع أنها حليفة فرنسا وشريكتها فى ضمان استقلال التشك

الضربة الأخيرة

فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٨ كان تشمبرلن يلقى بياناً فى مجلس العموم عن مجمل الحالة حينئذ وعما جرى من المفاوضات والمفاجآت . ومما ذكر : « أنه بذل كل جهده لمنع الحرب لأن الشعب الانكليزى يود الابتعاد عنها » . وفى أثناء كلامه دست فى يده ورقة فتوقف عن الكلام وقرأها ثم قال : « هنا شىء يجب أن أعلنه لكم . هذا بلاغ من هتلر يدعونى لمقابلته فى مونيخ غداً . وقد دعا موسولينى ودالاديه أيضاً »

ذهب تشمبرلن الى مونيخ وفي يقينه أن مجلس العموم يريد السلام بأى ثمن . وانعقد مجلس الأربعة من غير أن تدعى روسيا اليه ومن غير أن يؤذن لوفد تشكوسلوفاكيا بحضوره . وتم الاتفاق على خمسة بنود كانت قاضية بتعرية تشكوسلوفاكيا من جميع مواردها وقواتها واستحكاماتها الخ واحتلال الجنود الألمانية ماقرر هتلر احتلاله ــ تقرر ذلك ثمناً للسلام العام . وكان سلاماً زائفاً

عاد تشمبرلن بعد تسليم تشكوسلوفاكيا يحمل غصن الزيتون . وكان بالأسف غصناً يابساً . وأذاع على مجلس الأمة : « هذا هو السلام فى زماننا . وليست هذه بالمرة الأولى التى عاد فيها الوزير البريطانى جالباً معه ــ السلام والشرف » . وكان على الأثر أن قدم وزير البحرية دف كوبر استعفاءه وخرج الكثيرون يتذمرون والآخرون يعذرون . تشمبرلن لأنه كان مضطراً أن « يلعب بالوقت » أى أن يسوف الحرب ما أمكن التسويف لأخذ الوقت اللازم للاستعداد لها

وفى أول يناير ١٩٣٩ مثل هتلر فى تشكوسلوفاكيا نفس الدور الذى مثله فى النمسا . فأملى على المسيو هاشا رئيس وزارتها مثل النص الذى أملاه قبلا على الدكتور شوشنغ رئيس وزارة النمسا ــ شوشنغ السجن . وهاشا أغمى عليه فى حضرة هتلر

فصل الخطاب مع روسيا

بقيت بولندا ، المرحلة الأخيرة فى المفاجآت . واقتنع أخيراً تشمبرلن وغيره أن هتلر لا يقف فى مطامعه عند حد ، ولا يفى بوعد أو عهد . أصبحت الحرب قاب قوسين . فاتجهت الأنظار الى روسيا التى طالما لعنها هتلر . ودارت المفاوضات معها . . وطالت . ثم أرسلت انكلترا بعثة لها الى موسكو ، ولكن ليس من كبار الساسة بل من الثانويين من موظفى وزارة الخارجية . فكظمت روسيا هذا الاستهتار بها ، كما كظمت قبله إهمالها فى المؤتمرات السابقة . ورغبت فى الاتفاق مع الدول الديموقراطية . وبعد حين اقترحت مؤتمراً حربياً من الدول الثلاث . فجاءتها البعثتان الحربيتان بعد ١٢ يوماً ، كأننا لسنا فى عصر طيارات !

دامت المفاوضات فى موسكو نحو ثلاثة أشهر حتى عيل صبر روسيا . وفى ٩ مارس اقترحت انكلترا أنها وروسيا وفرنسا وبولندا تشترك فى بلاغ ضد أي اعتداء من جهة ألمانيا . فوافقت روسيا ـ ولكن لم يعلن هذا البلاغ

ولما رأت روسيا عقم هذه المفاوضات التى كانت هى فيها صريحة وكانت انكلترا على قول الروس مساومة على الطريقة الشرقية ، أدارت وجهها نحو ألمانيا . وفى ليلة وضحاها عقد الميثاق بينهما . وصرفت روسيا الوفد الانكليزى الفرنسى الملاوم

وكانت وجهة نظر السوفيات أن الخطر الألماني جنب البلقان والبلطيق . وأن قوة النازى المتفاقمة أرعبت الروس . وكان فى الامكان أن تتفق روسيا مع الدول الغربية على درء هذا الخطر ، ولكن رغائبها خابت ووفودها قوبلت باستخفاف . واذا كانت انكلترا وفرنسا قد سمحتا بسقوط تشكوسلوفاكيا من غير أن تضربا ضربة واحدة ، واذا كانت أرض الرين قد أصبحت حصناً منيعاً لألمانيا ، فما يمنع روسيا أن تفكر بموالاة عدوها الذى طالما قدح بها وبلشفيتها فى كتابه وخطبه ، اذا كان قد أصبح بهذه المكانة من القوة

هذه نهاية سلسلة الاغلاط . . . ولما حدث الهجوم على بولندا لم يبق بد من نزول انكلترا وفرنسا الى الميدان الذى كان المراد تجنبه . فوقع على الرغم من تلك المحاورات السياسية . وكان وقوعه عظيماً لأنه جاء متأخراً بعد استيفاء ألمانيا استعداداتها العظيمة

لايفل الحديد الا الحديد . ولا يمنع الحرب الا الاستعداد للحرب ، على قول روزفلت القديم .

لو هوجمت ألمانيا يوم ضرب هتلر ضربته الأولى فى الرين لكان درء خطرها أسهل

الغلطة الاولى أفضت الى الغلطةالثانية . والثانية الى الثالثة الخ من قبيل مداراة الخطأ بالخطأ . وأما الآن وقد أصبح « السيف أصدق أنباء من الكتب » فالأمل أن وعود هتلر الكاذبة لم تعد نصف سلاحه كما كانت

نقولا الحداد

الأنجليز المستشرقون والأنجليز المسلمون

بقلم الاستاذ محمد أمين حسونة

▭ أعلام الأنجليز يخدمون اللغة العربية والأدب العربى

▭ وخمسة آلاف انجليزى وانجليزية يعتنقون الاسلام

تلوح اليوم فى أفق البحث العلمى ظاهرة جديدة باهتمام أبناء الناطقين بالضاد ، ذلك أن مجرى بحوث المستعربين وعلماء المشرقيات من الانجليز بدأ يتحول رويداً رويداً من دراسة الادب العربى القديم إلى الادب العربى الحديث ، وهم من حيث دراستهم لهذا النوع من الأدب ، نراهم يقومون بنفس الخدمات التى رصدوا عليها جهودهم من قبل ، وهى إذاعة كنوز الآداب العربية وتعريف الغرب بشىء من أفكارنا وثقافتنا ، وتصويرنا كأمة حية تنشد نصيبها فى الحياة الادبية

والواقع أن أعجب ظاهرة بارزة فى جهود المستشرقين الأنجليز خدمتهم اللغة العربية وهم ليسوا من أبنائها ، فمنذ عهود الحروب الصليبية اتصلوا بالشرق اتصالا وثيقاً ، وكان لهم فضل التقدم فى الاستشراق ونهضته وتنظيمه وفق الأصول الصحيحة ، فأسسوا فى كل جامعة من جامعاتهم منبراً للعلوم الشرقية ، واستقدموا معلمين من العرب يساعدون على تدريس اللغة العربية ، وأنشأوا مطابع عربية فى بعض جامعاتهم كاكسفورد ، فأحيوا بذلك معالم حضارات ونهضات فكرية كادت تطمس لو لم يتصدوا لها ويتولوها بعنايتهم واهتمامهم ، فهناك ألوف المخطوطات التى بعثوها من قبورها ، ونفضوا عنها غبار الأجيال ، وأفردوا لها الفهارس والمساردالتى تسهل على الباحث وعلى القارىء طرق الدراسة ، وبذلك وسموا الدراسات العربية بميسمهم الخاص وهو أدب التمحيص والترجمة . ولهم فضل على فن التاريخ الأدبى بدراسة المؤثرات الدينية والفلسفية والسياسية والاقتصادية وطبائع الشعوب

وليس المجال هنا مجال سرد لجهود المستشرقين الانجليز من الذين كان لهم القدح المعلى فى خدمة الأدب العربى ، إنما نكتفى بذكر طائفة من المعاصرين منهم

فى مقدمة هؤلاء المستشرقين المرحوم البروفسور مارجليوث الذى توفى فى غضون العام الماضى ، وكان يشغل منصب أستاذ الأدب العربى فى جامعة اكسفورد ، إذ كان من فحول علماء المشرقيات ، وحاز فى ميدان العلوم الشرقية معظم الجوائز التى خصصت لهذه المادة ، ونالت أبحاثه

فى عالم الأدب التقدير الذى هى قمينة به ، وفى مقدمتها : إشرافه على طبع معجم الادباء لياقوت الحموى وتصحيحه ، وتعليقه على آراء ارسطاطاليس ، وشرح الديانات القديمة ، ووضعه كتاب « محمد ونشوء الاسلام » وكتاب « العقيدة المحمدية » و « المعجم السريانى » الذى قضى فى تصنيفه نحو ربع قرن بالاشتراك مع دين بان سميث . وقد مكن قراء الانجليزية من التعرف الى شخصيات عربية فذة كأبى العلاء المعرى ، والتعاويذى ، والبحترى ، كما ترجم قسما كبيراً من كتاب التمدن الاسلامى للمرحوم جورجى زيدان بك

وللاستاذ نيكلسون ، أستاذ الأدب العربى فى جامعة كمبردج ، عدة أبحاث ودراسات فى التصوف ، ولآرائه قيمة كبيرة فى دوائر الاستشراق ، وهو مؤلف كتاب «تاريخ العرب الادبى» فى العصرين الجاهلى والاسلامي ، وناشر عدة كتب منها : ترجمان الاشواق ، واللمع ، وحياة ابن الفارض

وكان الدكتور الفرد بتلر فى شبابه أستاذاً للخديو السابق عباس حلمى ، وبعد المتحف القبطى فى القاهرة تذكاراً دائماً لجهوده الموفقة فى صيانة الآثار والتحف القديمة ، إذ ظل يعمل فى فترة خدمته بقصر عابدين على إنشاء هذا المتحف . وله فى هذا الموضوع كتاب فذ لعله الاول من نوعه ، وعنوانه «الكنائس القبطية القديمة فى مصر وآثارها» ، كما أنه صاحب مؤلفات تاريخية مشهورة عن مصر منها : « فتح العرب لمصر » الذى نقله الى العربية الاستاذ محمد فريد ابو حديد ، و « حياة البلاط فى مصر» ، و « معاهدة مصر فى الطبرى » و « صناعة الخزف فى الاسلام » . وكان أعظم ما وفق اليه من الاكتشافات التاريخية ، إماطته اللثام عن شخصية المقوقس الذى لم يكن فى الواقع سوى قيرس البطريق الملكانى للاسكندرية والذى كان قابضاً على زمام السلطتين الدينية والدنيوية

والدكتور مارماديوك بكتول مستشرق نابه تعرفه مصر كما تعرفه سورية وتركيا ، قضى سنى حياته فى الشرق مختلطا بسكانه ، واعتنق الاسلام وهو فى الهند وتسمى باسم محمد المهدى ، وتولى التدريس فى الجامعة العثمانية التى أنشأها سمو نظام حيدر أباد . ورياسة تحرير مجلة « الثقافة الاسلامية » ، وترجم « معانى القرآن الكريم » ونشره فى انجلترا . وله ثروة طائلة من القصص والروايات الاسلامية ، من أشهرها : « بيت الاسلام » ، و « عنيد » ، و « حكايات عن الارض المقدسة » و « أبناء النيل » و «النساء المحجبات» و « الاتراك في الحرب » و « فرسان عرابى » ثم رواية « سعيد الصياد »

ولا ريب فى أن المستشرقة السيدة جرترود بل من بين الذين لعبوا دوراً هاما فى عالم السياسة وعالم الأدب . فقد تلقت علومها فى قسم اللغات الشرقية بجامعة اكسفورد ، وكانت تجيد التكلم بجميع اللهجات العربية والبدوية ، فكانت فى أوربا المرأة الوحيدة التى تتخاطب بلهجات البدو دون خطأ يذكر ، وكان لها مقام رفيع فى بلاد العرب ، فعرفت باسم « ملكة العراق غير

المتوجة » كما كان لورانس يعرف باسم « ملك العرب غير المتوج » . وقد طوفت بالجزيرة والأناضول وبادية الشام ، ونزلت بين قبائل العرب والترك ، ودرست آثار البلاد الدينية والمدنية وفنونها ، ووصفت ذلك فى تآليف من أشهرها : « الكنائس والديورة فى الشام » و « الحضر والمدر » ، ثم « آثار العراق »

وكانت تعاصرها مستشرقة انجليزية أخرى هى السيدة أجنس سميث لويس ، التى تخرجت فى جامعة كمبردج وتجشمت الأسفار فى صحراوات مصر وطور سينا وفلسطين والجزيرة مع أختها السيدة جبسون . وكتبت أنباء رحلتها الى قبرص وطور سينا حيث اكتشفت فى مكتبتها عدة مخطوطات قديمة سريانية وعربية ويونانية ، من بينها نسخة سريانية قديمة من انجيل مار متى

ومن بين المستشرقين الذين أظهروا اهتماما باحياء معالم الأدب العربى الحديث وإذاعته فى البيئات العلمية بأوربا ، البروفسور جب أستاذ الأدب العربى بجامعة اكسفورد وعضو المجمع اللغوى بالقاهرة . فقد أرصد جهوده على دراسة هذا الأدب ، وأخرج عدة أبحاث وآراء نفيسة بالانجليزية عن الأدب العربى فى القرن التاسع عشر تدل على تفهمه أصول هذا الأدب ووقوفه على الكثير من خصائصه . فمن هذه الدراسات بحثه عن « المجددين فى الأدب العربى » اقتصر فيها على دراسة الجوانب الظاهرة لآثار خمسة من الكتاب المصريين عينهم بالذات ، ورسالته عن « القصة والأقصوصة فى الأدب المصرى » حيث برهن فيها على كفاءة ممتازة وحسن تقدير ، ورسالته عن « المنفلوطى وأثره فى الأدب العربى » . وقد اشترك فى وضع كتابى « تراث الاسلام » و « وجهة الاسلام » وفى تحرير مجلة الدراسات الشرقية بلندن وبعض مواد دائرة المعارف الاسلامية

ونشر الكاتب الفاضل نيفل باربر الذى يتولى الآن الاشراف على القسم العربى بمحطة الاذاعة بلندن دراسات وافية عن الأدب المعاصر ، منها رسالته عن « المسرح العربى فى مصر ـ نشأته وتاريخه » و « الأدب المسرحى المصرى » و « مصر وحركة بعث الثقافة العربية » ثم دراسته الممتعة عن المنفلوطى حيث حلل فيها باسهاب جياته الأدبية ، ونوه بجهوده فى تطويع اللغة الفصحى لخدمة الفن الروائى ، وترجم معها مختارات للمنفلوطى ، كما نقل من سنوات رواية عودة الروح للأستاذ توفيق الحكيم الى اللغة الانجليزية وهى الآن قيد الطبع

وقد ترجم الى الانجليزية أيضاً الأستاذ باكستون الذى كان مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية كتاب الأيام للدكتور طه حسين ، ونشر منتخبات من الأقاصيص المصرية وكتاب الأذكياء لابن الجوزى ، وهو يعاون الآن فى قسم الاذاعة العربية بمحطة لندن

ويقوم بتدريس اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى فى معهد الدراسات الشرقية بلندن ، مستشرق اشتهر بدراساته عن الأدب العربى الحديث وتنقيبه عن الكتب والمخطوطات النادرة ونشرها ، هو الأستاذ جيمس هيورث دن الذى اعتنق الاسلام من سنوات واتخذ لنفسه اسم

« جمال الدين » ، فوضع كتاباً نفيساً عن تاريخ التعليم فى مصر الحديثة ، واشتغل باحياء طائفة من الكتب العربية نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة أجزاء من كتاب الأوراق لابن الصولى

***

وفى الجزر البريطانية الآن نحو ثلاثين ألف مسلم ، من بينهم خمسة آلاف انجليزى وانجليزية . ويقيم أكثر المسلمين فى ليفربول وبوث شيلدس ومنشستر التى تضم عدداً وافراً من تجار الأقمشة المسلمين وعدد آخر من البحارة الشرقيين الذين استوطنوا بها وافتتحوا فيها متاجر وفنادق للمسلمين ، ثم مدينة كرديف التى تمتاز بمسجدها وإمامه اليمنى

وأقدم المساجد الموجودة فى انجلترا هو مسجد ووكنج على بعد ٢٤ ميلا من لندن ، وصاحب الفكرة فى تأسيسه طالب يهودى ألمانى اسمه ليتنر كان يدرس اللغات الشرقية بلندن ، فقد اهتدى هذا الطالب الى الاسلام ، وتمكن من جمع هبات لبناء المسجد ، فتبرع شاه جيهان بألوف الجنيهات وحذت حذوه ملكة بهوبال ، ومن هذه التبرعات شيد المسجد عام ١٨٩٥ على الطراز الهندى وألحقت به دار للضيافة وتكية ومطبعة حروف عربية ومكتبة

وأكثر الذين يؤمون هذا المسجد من طائفة الأحمدية ، وقد اختلف معهم الهنود الذين يقيمون فى لندن ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف شخص ، فأسسوا جمعية إسلامية واستأجروا صالة وعينوا إماماً خاصاً بهم ، وهو سورى اسمه الحاج محمد سالم . وفى هذه الصالة يقيمون الصلوات ويحيون الأعياد وسيشرعون فى بناء مسجد خاص بهم تبرع له نظام حيدر آباد بأربعين ألف جنيه

ولطائفة الأحمدية القاديانية منزل فى حى Putney خصصوه للصلاة وأطلقوا عليه اسم « مسجد لندن » ، كما أن لهم منبراً خاصاً للدعاية فى حديقة هايد بارك

ومن الحوادث البارزة التى لفتت أنظار الانجليز الى الاسلام ، إقدام المرحوم اللورد هدلى على اعتناق الاسلام . فقد كان هذا اللورد من عظماء الانجليز المشهود لهم بأصالة الرأى ورجاحة العقل ، وكان اسمه كثيراً ما يتردد على صفحات الصحف فى مناسبات كثيرة ، فلما اعتنق الاسلام كان للحادث أثره البارز فى الأوساط الكنسية

ومنهم السير عمر رانكن وأصله من نبلاء الاسكتلنديين ، وله عدة مزارع ومؤلفات واسعة الشهرة ، وهو مسلم مخلص لدينه، ومن مؤسسى المعهد الاسلامى مع الدكتور ابراهيم حسن الموجى. وكان للأستاذ عبد الله كويليم المحامى بليفربول فضل يذكر إذ تمكن من أن يهدى الى الاسلام أكثر من خمسمائة انجليزى وانجليزية ، وقد شيد فى ليفربول زاوية ومؤسسة إسلامية ، وكانت له صلات طيبة مع المسلمين الأتراك ، وفى أخريات أيامه شغل منصب أستاذ بالجامعة . وكذلك مستر أوين راتر مؤلف كتاب « الحج الى بيت الله » فهو يعد من أكبر الدعاة الى الاسلام فى

الجزر البريطانية وهو معروف فى الأوساط الاسلامية باسم « داود شال »

ومن النبيلات الانجليزيات اللواتى اعتنقن الاسلام السيدة إيفلين كوبولد التى عرفت باسم زينب ، فقد أدت فريضة الحج ووضعت كتاباً نفيساً عنوانه « الحج الى مكة » صدرته بالحكمة البليغة التى قالها الكاتب الانجليزى المشهور كارليل حينما سأله الفيلسوف جيته : إذا كان هذا هو الاسلام ، ألسنا كلنا مسلمين ؟ فكان جواب كارليل : « إن من يحيا بالروح انما يحيا على الاسلام » . وقد اقتدت بها طائفة من الانجليزيات المثقفات كالنبيلة أمينة ليفلنج التى ترددت مراراً على مصر فى طريقها إلى مكة ، وألقت فى المرة الاخيرة محاضرة بدار جماعة الاخوان المسلمين بالقاهرة عن الاسلام ومزاياه

ومن الحوادث البارزة التى لفتت أنظار الانجليز الى الاسلام أيضاً مسألة ترجمة القرآن ترجمة حديثة خالية من الاغلاط ، وقد نشرت فى بريطانيا العظمى ترجمتان من هذا النوع أولاهما قام بها مولانا محمد على الهندى ، والثانية المستشرق مارمدوك بكتول

وبفضل الجهود التى قام بها الانجليزى المسلم الدكتور خالد شلدريك تمكن من تخصيص جانب من أحد مستشفيات لندن لمعالجة فقراء المسلمين ، وتشييد مقبرة لدفن موتاهم فى ناحية بروكوود وتعيين أئمة لاقامة الشعائر الاسلامية لا سيما ما يتعلق منها بغسل الموتى وتكفينهم ودفنهم

وفى سنة ١٩٣٥ تأسست جمعيتان إسلاميتان عظيمتان بانجلترا : أولاهما جمعية « الاخوان المسلمين ببريطانيا العظمى » التى اتخذت لها مكاناً فى مواجهة دار المتحف البريطانى ، والثانية « المعهد الاسلامى » الذى أسسه الدكتور الموجى بقصد تنوير أذهان الانجليز عن الاسلام ، والرد على المطاعن التى توجه اليه ، ومركز المعهد قاعة خاصة بدار النادى المصرى بلندن أما ادارته فتقع فى حى مايفير

وللمعهد منبر خاص فى حديقة هايد بارك للدعوة الى الاسلام ، وقد تبرع له الأمراء المسلمون بمبلغ من المال لنشر الدعاية فى الاوساط الانجليزية وإحياء الحفلات الدينية ، وكان من نتيجة مساعيه أن تبرعت الحكومة الانجليزية بقطعة من الارض فى قلب لندن ليشيد عليها مسجداً ، وبمبلغ مائة ألف جنيه مساهمة منها فى بناء هذا المسجد

وسيكون المسجد بمثابة نقطة ارتكاز يهرع اليه القاصدون الذين يعنيهم أن يظلوا على اتصال بالثقافة الاسلامية ، ومكانا للمسلمين يؤدون فيه شعائر دينهم بانتظام لا سيما الطلبة منهم ، وسيتيح لكل انجليزى مثقف الفرصة لدراسة المسائل الاسلامية على حقيقتها ، ونقل أصول الدين الحنيف الى اللغة الانجليزية لتكون مرجعاً يعتمد عليه طلاب الحقيقة من الانجليز بدلا من الكتب الممسوخة التى شوهت الدين الاسلامى فى نظرهم

محمد أمين حسونة

مدارس الزعماء

كيف تنشىء انجلترا والمانيا قادة المستقبل

الزعماء الانجليز هم الصلة بين الشعب والحكومة وبين الرأى العام وأداة التنفيذ . ولهذا تعد لهم المدارس التى تطلق من الحرية الفكرية ما يؤهلهم لمقابلة الآراء ومقارنة المبادىء ، وكسب الانصار وقهر الخصوم

الزعامة الكبرى ـ زعامة الشعوب ـ ما تزال من نتاج مدرسة الحياة ووليدة من تجارب الايام • أما الزعامة الصغرى ـ زعامة الجماعات ـ فغدت من خلق مدرسة التعليم ومن وحى الكتب والاساتذة

هتلر وتشرشل أنجبتهما الحياة التى فطرتهما على القيادة وأعدتهما لتوجيه الشعوب • فأولهما لم يتلق فى المعاهد الا نزرا يسيرا لا يؤهله وحده لان يقنع فردا مثقفا بله أن يقود شعبا كبيرا • وثانيهما لم تكن تكفيه الخطب على بلاغتها ولا الكتب على غناها ليتولى زعامة نخبة من الشعوب الكبرى لو لم يؤت موهبة القيادة الكاملة • أما أتباعهما الذين يتولون نيابة عنهم قيادة الجماعات الصغيرة فى ميدان السياسة وميدان الاجتماع ، فأولئك يتلقون الزعامة دروسا ومحاضرات فى المعاهد أو الجامعات ، حيث يعرفون الفلسفة التى ينادى بها ويتجه اليها الزعيم الكبير ، وحيث يتعلمون كيف يدعون اليها بين الأفراد بعد تبسيطها

ففى انجلترا وألمانيا مدارس أعدت لانجاب زعماء صغار على غرار الزعماء الكبار • ولا فارق بين هؤلاء وهؤلاء الا ان الزعيم الكبير رجل موهوب خلقته الحياة ليقود الشعب ثم تبوأ مكان الزعماء ، والزعيم الصغير رجل مثقف علمه الزعيم آراءه ومبادئه وأمره بأن يبلغها الى نفر من الناس قليل • وكانت انجلترا أسبق الدول الى مدارس تمرين الزعماء واعداد الساسة ، ولكن ألمانيا النازية أخذت عنها هذه الفكرة فنظمت أسلوبها ووسعت نطاقها • وعلى قدر ما تختلف الدولتان فى نظامهما السياسى بين الديموقراطية الصحيحة والديكتاتورية المسرفة تختلف هذه المدارس فى أنظمتها وبرامجها والاهداف التى توجه اليها خريجيها

المدارس الالمانية

أراد هتلر أن ينشيء جماعة من الزعماء يلقنون ألمانيا السياسة التي ينادي بها ويوجهونها الى الاغراض التي يرمي اليها ، فقد تبين ان الجيل الحاضر نشأ على آراء ومباديء لا تلائم مبدأ النازي وفلسفته ، فلا يصلح لتزعم الجيل الناشيء الذي تعده ألمانيا لحياتها الجديدة

فأقام في كل من مقاطعات ألمانيا - وعددها اثنتان وثلاثون مقاطعة - مدرسة لتدريب الصبية والشباب على مهمة الزعامة ، ويلحق بهذه المدارس في كل عام أربعة آلاف صبي من أبناء رجال الحزب النازي المعروفين باخلاصهم ، وينتخبون جميعا وهم في سن الثانية عشرة ويظلون في مدارسهم هذه ست سنوات يدفع لهم الحزب في أثنائها نفقات التعليم والمعيشة. ويتوزع يوم الدراسة فيها بين الرياضة والدروس . فيقضي التلميذ ساعات من كل يوم في بناء قوته العضلية وساعات أخرى في استماع المحاضرات والمناقشة فيها . ومن الموضوعات التي يدرسها التلميذ : الوراثة ، الاجناس ، الشعب ، اليهود والماسون ، فلسفة التاريخ ، مشاكل العصر الحديث

ويستمد الاساتذة آراءهم في هذه الامور من كتب الفلسفة النازية ، ومن خطب زعمائها ومقالات صحفها ، فعندما يتحدثون عن الاجناس يقولون : ان العالم مقسم الى شعوب لكل منها مميزات خاصة به ، وهذه المميزات مغروسة في كل فرد سواء رضيها أو كرهها ولا يستطيع منها خلاصا مهما جهد في انكارها ومقاومتها ، فلا بد له من أن يعمل وفق ما تمليه عليه قوتها . والشعب الالماني من الجنس « النوردي » فهو لا يفكر ولا يتجه - حتى لو أراد - كما يفكر ويتجه الشعب الفرنسي أو الروسي ، واذ كان هذا الجنس غير ديمقراطي فمن العبث اقامة هذا النظام بين أبنائه فلن يستطيعوا تصريف حياتهم وفق أوضاعه

ولا ريب ان دراسة العلوم حسب الغايات السياسية من شأنه أن يباعد ويناقض بينها وبين الحقائق المجردة ، ولكن هذه المدارس لم تنشأ للبحث العلمي الصادق ، وانما لتثبيت آراء سياسية معينة في أذهان الناشئة ثم في عقول الجماهير ، ففي التاريخ مثلا يتلقى التلاميذ أقوالا لا يعرفها التاريخ أبدا ، منها ان الزعماء « النورديين » القدماء دفعتهم قوة عنصرهم العاتية الى أن يتجهوا جنوبا فيعبروا جبال الألب ويستقروا في روما ، فينشئوا امبراطورية كبرى ويجعلوا من أنفسهم أباطرة عظاما ، ولكنهم منذ غادروا بيئتهم « النوردية » بدأوا يفقدون مواهب عنصرهم العظيم ، فلم تلبث هذه الامبراطورية ان انحلت وزالت عندما تحيفتها شعوب جديدة قوية وهذا درس يجب أن يتعلمه الالمان المعاصرون مما جرى لاسلافهم الاولين ، فلا يجوز لهم أن يعيشوا فيما وراء الالب بتاتا ، واذا كانوا يطلبون مستعمرات في تلك المناطق النائية فليستمدوا منها حاجات الحياة دون أن يغادروا أرض ألمانيا التي تخلق فيهم وتوحي اليهم الروح الجرماني الاصيل !

ولهم في الدين آراء ليست أقل من هذه طرافة وغرابة ، فالمسيح رجل عظيم ولكن لم

يكن في عهده « ستونجرافر » لاثبات الانجيل كما نطق به لسانه بل كتبه حواريوه وهم من العبريين ، فكانت ديانته من نتاج الروح اليهودى الذى لا يتفق فى كثير أو قليل مع الروح النوردى • هذا ولا ينبغى للالمانى أن يعتقد فى ولادة العذراء بغير رجل ، لان هذا يوحي الى كل شاب وكل فتاة ان فى التقائهما معا شيئا من الدنس أو الخطيئة ، بينما الواجب أن يشجع هذا الالتقاء ويحمى بكل وسيلة • والالمانى الحديث على كل حال يجب أن يكون «رجل حياة» فلايصح له أن يحتمل الشقاء فى الدنيا ارتقابا للجزاء فى الآخرة ، بل عليه أن يركز ذهنه وقلبه فى هذه الحياة فلا يتسامح فى أى حق له فيها

ويختار أساتذة هذه المدارس من النازيين المتقدين حماسة واخلاصا ، ولكن مدى ثقافتهم محدود اذ هو محصور فيما كتبه زعماء النازى وما تنشره صحفهم من الآراء • ومراجعهم الاولى هى : كتاب هتلر « كفاحي » ، وهو حافل بالآراء التى جمعها من هنا وهناك عن تفاوت الاجناس واخفاق الديموقراطية ، وكتاب فيلسوف النازية روزنبرج عن « خرافة القرن العشرين » الذى سفه فيه مبادىء الثورة الفرنسية عن الحرية والمساواة وما توالد عنها من اشتراكية وبولشفية ، وآراء «هوستون تشمبرلن» الفيلسوف الانجليزى الذى عاش فى ألمانيا واتخذ جنسيتها ومجد الجنس الجرمانى وأهله للسيادة على العالم جميعا • والى جانب هذه الآراء يلقى الاساتذة دروسا فى مشاكل العصر الحديث ، وأولها حاجة ألمانيا الى أملاك ومستعمرات تستمد منها موارد الصناعة والطعام وتصرف فيها منتجات المصانع ، ومنها ان ألمانيا لم تخسر الحرب الماضية فى ساحة القتال ولكن خسرتها فى الداخل حيث ضاق سكانها ذرعا بالحصار المضروب عليهم وحيث أدى اليهود مهمتهم فى ترويج دعاية الحلفاء

ويقضى التلميذ فى هذه المدارس ست سنوات يخرج منها وقد امتلأ ذهنه بمثل هذه الآراء الغريبة ولم يعد فى وسعه أن يقبل أو يناقش أية آراء أخرى مهما تكن صحتها ، فينتمى بعد ذلك الى أحد معسكرات العمل حيث يمضى ستة أشهر ثم يرقى الى كتائب الجيش فيقضى فيها عامين ، فتنمى فيه هذه الآراء والمبادىء ويعلم كيف يطبقها على ما يعترضه من أمور الحياة • وبعد ذلك يمضى فترة فى تعلم مهنة ما يكسب منها ما يلزم لحياته فيما بقى له من سنى الدراسة • فاذا بلغ هؤلاء الطلاب سن الخامسة والعشرين وسط هذا التدريب الرياضى والاعداد الذهنى اتضحت فيهم الامارات التى تؤهلهم للزعامة، فانتخب منهم ألف فى كل عام لاتمام هذا التدريب والاعداد كى يتفرغوا لمهمة الزعامة مدى الحياة ، ويلحق هؤلاء الطلاب بقلاع النظام وعددها أربع يقضى الطالب فى كل منها سنة واحدة ، أى يتخرج فيها الطالب وقد بلغ التاسعة والعشرين فيسند اليه عمل من أعمال الحزب أو الحكومة حيث يتولى توجيه الجماعة التى يوكل اليه أمرها

بنيت كل قلعة من هذه القلاع فى جهة من جهات ألمانيا الاربع ، تمثل كل منها ناحية خاصة من نواحى الحياة فيها، ليتخرج فيها الطلاب ملمين بشتى وجهات التفكير فى بلادهم،

وأنشئت وأسست كل قلعة من المادة التى يكثر انتاجها فى بيئتها ، فمدرسة الشمال من أخشاب الغابات ، ومدرسة الشرق من الحجر الصلد وهكذا . وأقيمت كلها فوق سفوح الجبال ووسط الآجام الكثيفة فى جو يوحى بالرهبة والروعة ويشعر المرء بأنه انفصل من هذه الحضارة الحديثة الرخوة وارتد الى حياة القبائل البدائية . والغاية من الحياة فى هذه القلاع رياضة النفس على العنف والمشقة وأخذها بالخشونة والحرمان . فيتزوج طلابها قبل التحاقهم بها ثم يفصلون من زوجاتهم فلا يرونهن الا فى فترات الاعياد ، ومع هذا يخضعون لنظام خلقى وصحى دقيق يمنعهم مما تدفع اليه نزوات الشباب الممتلىء قوة ونشاطا . وجميع هؤلاء الطلاب متساوون فى طول القوام وعرض الصدور ، وبينهم كثير من التماثل فى السمات « النوردية » . وهم يمرنون على الالعاب الرياضية العنيفة كالمصارعة والملاكمة وقيادة الطائرات والهبوط منها بالمظلات الواقية « البراشوت » . فاذا اشفق أحدهم من القاء نفسه من الطائرة لم يرغم على ذلك ، بل أرسل الى بيته حيث تعرف زوجه وهى فتاة نازية متحمسة ، كيف ترغمه !

ويستأنف الطلاب فى هذه القلاع دراسة المبادىء النازية على نطاق أوسع وأوفى . فمما يدرسون مادة سموها « المسيحية السياسية »تدور حول نقد المذاهب المسيحية وتسفيه عقائدها وتمجيد الروح الوثنى القديم الذى يدعون له الصدق والطهر والقوة . ومما يدرسون مادة « الدعاية » وما تتطلبه من تفهم الرأى العام وتبين وجهاته وأطواره ، ليلقوا فيه ما يريدون من الآراء والانباء . وكذلك يعنى فى هذه المدارس بالموسيقى — موسيقى واجنر — التى قال عنها هتلر ان من يريد ان يفهم مبادىء الاشتراكية الوطنية يجب ان يفهم اولا ما ابدع هذا الفنان الذى صور فى أوبراته العنيفة العاتية حياة الابطال المجاهدين فى الآجام والغزاة الزاحفين الى الفتوح . وهكذا يتخرج الطالب من هذه القلاع على ثلاث دعائم :

١ — جسم متين اعتاد الجهد والعنف والحرمان الجنسى المسرف

٢ — ايمان بان الانسانية موزعة على عدة درجات يتربع الالمان أعلاها ويقبع اليهود فى أدناها ، وبينهما درجات تتراوح فيها سائر الشعوب

٣ — مقدرة على حل ما يعرض له من مشاكل السياسة والاجتماع بشعوره لا بتفكيره ، ذلك ان الزعيم يجب أن يعد « بصيرة » تحل فيه محل العقل الذى يتخذه الفرد العادى

والغاية من هذه المدارس خلق جيل يؤمن بمبادىء الوطنية الاشتراكية التى تقوم على اخضاع الفرد واستغلاله لمصلحة الشعب وخدمة الدولة ، فلا يسعى الى تكوين شخصية فردية مستقلة ، بل يجب أن يندمج فى المجتمع ليصير حجرا فى بنائه أو فردا من «القطيع» على حد تعبير نيتشه . ذلك ان الحرية الفردية فى نظر النازى هى مبعث الفوضى ومصدر الاضطراب فى الشعب والحكومة على السواء ، وينبغى ان تخضع هذه وذاك « للحزب » فهو الذى يتولى ادارتهما وتوجيههما ، وهو الذى يشرف على تنشئة أبناء الدولة واعدادهم ،

وهو وحده الذي يعرف ما تقتضيه حاجتها وتتطلبه مصلحتها ، فيؤلف من عشرات الملايين الالمان كيانا موحد الاصل والجنس لا فارق بين فرد وفرد مهما اختلف فى النشأة أو المال والتعليم ، وكأنما الدولة « خلية نحل » يتساوى الجميع فى التضحية لها والافادة منها

المدارس الانجليزية

اما المدارس الانجليزية التى أعدت لتخريج زعماء سياسيين واجتماعيين ، فتقوم على اساليب ومناهج تتمثل فيها الديمقراطية على أكملها وأوفاها . فالحكومة لا تنشىء هذه المدارس وانما تنشئها الاحزاب ، ذلك ان توجيه الشعب في جميع ساحات النشاط ليس من أمر الحكومة بل من هم البرلمان المؤلف من رجال الاحزاب . وليست الدراسة فى هذه المعاهد الانجليزية مجرد بذر آراء وعقائد فى الاذهان اللينة ، بل هى دراسة علمية تتوافر فيها حرية البحث والمناقشة والاعتراض كما تتوافر فى أرقى الجامعات . ولا يدخل الطلاب فى هذه المدارس وما زالوا صغارا يسهل تكييف عقولهم الرخوة والسيطرة على مشاعرهم المرهفة ، بل يدخلونها وقد أصابوا نصيبا من الثقافة والنضوج يمكنهم من مقابلة ما يعرض عليهم من الآراء واستخلاص ما يريدون منها وفق تفكيرهم الخاص . وهكذا لا يتخرج طلابها على غرار واحد ـ كما هو الشأن فى المانيا حيث لا فارق بين الواحد والواحد سوى اسمه ووجهه ـ بل لكل منهم شخصيته الفردية واتجاهه المستقل وآراؤه التى تكونت وفق ما هداه اليه التفكير

كان دزرائيلى أول من فكر فى انتخاب طائفة من الشباب لتدريبهم على شئون السياسة والزعامة . فانشأ فى اكسفورد منذ اكثر من ستين سنة جماعتين تضم كل منهما زهاء عشرين طالبا ، ويتلقى أفراد كل جماعة درسا فى الاسبوع فى بيت أحد الاعضاء حيث يتخذون مضيفهم رئيسا ، وبذلك يتقون ما يؤدى اليه التنافس بين الاقران فى سبيل الرئاسة من الشقاق . ويقرأ أحد الاعضاء فى كل اجتماع الموضوع الذى كلفته الجماعة بدراسته ، وهو عادة عن شأن من الشئون السياسية التى تهم الرأى العام ، ثم يتناقش الاعضاء فى هذا الموضوع فيدى كل منهم رأيه مؤيدا أو مفندا ، فيتدرب هؤلاء الشبان المثقفون على دراسة السياسة دراسة منظمة وعلى تعلم « المناقشة » تعلما يؤهلهم للدخول فى غمار الحزب والبرلمان . وقد أدت الجماعتان مهمتهما على خير الوجوه ، بدليل ان وزارة بولدوين فى سنة ١٩٢٤ كان فيها ثمانية وزراء من أعضاء هاتين الجماعتين . وكان كبار الزعماء والساسة يحضرون هذه الاجتماعات ليدلوا الى الاعضاء بآرائهم فى السياسة ويطلعوهم على مجرى الحوادث الكبرى

وانتشرت امثال هذه الهيئات فى الجامعات الانجليزية ، فكانت منبتا لجميع الزعماء والساسة الانجليز اذا استثنينا نفرا من زعماء حزبى العمال والاحرار ممن نشأوا فى غمار الناس بعيدا من الوسط الجامعى الانجليزى الذى يكاد يقتصر على الطبقات الثرية او

الميسورة • ولو مر المرء بمقاعد ايتون وهارو ، ومقاعد اوكسفورد وكمبردج ، لرأى منقوشا عليها اسماء اكثر هؤلاء السياسيين الذين أقاموا انجلترا العظيمة وانشأوا امبراطوريتها الفسيحة ووجهوا سياستها وجهة السيادة والنفوذ

وقد بدأت الاحزاب الانجليزية في العهد الاخير تتطلع الى ما يجرى في انحاء القارة الاوربية من عوامل النشاط السياسي وتتأثرها قدر ما تتيح لها تقاليدها الراسخة ، وقدر ما يسمح لها به نظامها الديموقراطي • فانشأت هيئات لتدرب الشباب على العمل السياسي وفق مبادئها ، وكان حزب المحافظين اسبق الاحزاب في هذا السبيل ، فأنشأ « عصبة الشباب الامبراطوري » لتمرين عدد منتخب من الشباب والفتيات على شئون السياسة والدعاية • ولهذه العصبة فرع في كل دائرة انتخابية ولها صحيفة شهرية يكتب فيها زعماء المحافظين • ويجتمع أعضاؤها من آن لآن للمناقشة في أمور السياسة وللمباراة في ساحات الرياضة • فتتضح كفاءتهم للمهمة التي يراد منهم أداؤها ، وعندئذ يختار أوفرهم نشاطا واستعدادا للدراسة في كلية سياسية أعدها حزب المحافظين لتقرير مبادئه وتوضيح سياسته وهي كلية « بونارلو » في اشريدج

ورغم ان الحزب أقام هذه الكلية وتولى الانفاق عليها الا ان التعليم فيها ليس مجانا بل يدفع الطلاب الموسرون نفقاته أو تدفعها لهم الدوائر الانتخابية التي أوفدتهم • ولايشترط في الطالب الا ان يثبت انه يدين بمبادىء المحافظين ولكن كثيرا ما يدخلها طلاب لا يؤيدون هذه المبادىء بل يعارضونها ويقاومونها • وليس في هذا شيء من الغرابة اذا نظرنا الى الامر نظرة ديموقراطية صحيحة ، فان حزب المحافظين لا يتولى ادارة هذه الكلية بل يكلها الى هيئة مستقلة في وضع ما تشاء من المناهج واختيار ما تريد من الاساتذة • ولهذا يتخرج فيها الطلاب احرارا في تفكيرهم حرية تقودهم احيانا الى التألب على الحزب والانضواء الى خصومه • وهذا أروع مثل للحرية الفكرية التي تأبى عليها انجلترا أي قيد من القيود ، واثقة من ان هذه الحرية هي سر قوتها ومنبع حيويتها وطريقها الى اظهار جميع الملكات والافادة من كافة الجهود

والحياة في هذه الكلية على غرار الحياة في سائر الكليات • فهي تطلق للعقل حريته في أوسع مدى ولكن تفرض على الطالب بعضا من القيود تعلمه بها النظام • فواجب عليه ان يحضر الصلاة ، وعلى الطلاب ان يأكلوا معا ، على الا يجلس أحدهم في مكان معين ولا الى جانب افراد معينين، بل يختلط الطلاب كلهم اختلاطا يدربهم على طرق المعاملة الحسنة وأساليب التأثير النافذ • ويتلقى الطلاب كل يوم محاضرات عدة ويقضون سائر الوقت بين مكتبة الكلية وملعب الرياضة • وتبحث المحاضرات لمشكلات السياسة والاقتصاد والاجتماع في بريطانيا ، وكذلك تدرس المذاهب الجديدة التي غمرت العالم في العهد الاخير مع توضيح وجهة نظر المحافظين وتأييدها ، ومع ترك الطالب ــ وهو حينئذ في سن متقدمة ــ ليبدي كل ما يعن له من الآراء

ومن المألوف ان يختار حزب المحافظين عندما يتولى الحكم كثيرا من موظفيه ومن دعاته من خريجي كلية « بونارلو » هذه • وقد بدأ الحزب فى سنيه الاخيرة يستمع الى آراء طلاب الكلية فى شئون السياسة ويشركهم فى توجيه بعض الامور ، وان كان الانجليزى – والمحافظ بوجه خاص – يأبى ان يكل أمر السياسة الا لمن خبرها السنين الطوال

وللعمال كلية يتخرج فيها من يقومون بالخدمة الاجتماعية فى نقابات العمال وأنديتهم وفى جماعات التعاون وشركاته وفى المجالس المحلية والهيئات النيابية المختلفة.هذه كلية « رسكن » بجامعة أوكسفورد المنشأة فى سنة ١٨٩٩ لتعليم نخبة من العمال الاذكياء الذين أصابوا قسطا من التعليم والذين أبدوا جهدا ما فى ميدان الخدمة الاجتماعية • وتتولى الانفاق عليهم النقابات أو الجمعيات التى انتخبتهم وأوفدتهم وقلما يدفع الطالب شيئا من ماله الخاص • ومدة الدراسة فى هذه الكلية تتفاوت بين بضعة شهور وسنتين كاملتين • ونفقات التعليم مائة جنيه فى السنة لمن يقضى المدة كلها وخمسة عشر جنيها فى الشهر لمن يقتصر على فترة وجيزة • ويضاف الى ذلك ثلاثون أو أربعون جنيها فى العام مقابل الكتب والاندية والرحلات وما الى ذلك من نواحى الحياة الجامعية

وينصرف الطالب الى دراسة الاقتصاد والسياسة فيبحث مبادئهما ومشاكلهما سواء فى الحياة الانجليزية أو فى البلاد الاجنبية • ويدرس الى جانب ذلك علم الاجتماع وعلم النفس ويتدرب على الوسائل التى تمكنه من البروز فى ميدان الخدمة الاجتماعية وشئون الطبقة العاملة والخطابة والصحافة وما اليهما من أساليب الدعاية

ويمكن تلقى منهاج هذه الكلية بالمراسلة ، فترسل الى الطلاب أو الجمعيات الملتحقة بها المؤلفات والمحاضرات ، وتتلقى ما يوجهونه من الاسئلة وما يعن لهم من الآراء • وتعقد لهم امتحانات تخولهم اجازاتها التى لا يحمل سواها عدد من رجال البرلمان الانجليزى بل ومن كبار العاملين فى وزارتى العمال سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٩ • فضلا عن ان أكثر زعماء حركات العمال والتعاون فى انجلترا من خريجى هذه الكلية التى تعد أبناءها للقيادة فى ميادين الخدمات الاجتماعية ، ويتولى ادارة هذه الكلية مجلس مؤلف من مندوبى نقابات العمال وجمعيات التعاون والهيئات المختلفة المعنية بوجوه الاصلاح الاجتماعى • وحرية الدراسة والتفكير مكفولة فيها لا بحكم نظامها الرسمى فحسب بل بحكم الطبع الانجليزى الذى لا يعدل بالحرية الفكرية شيئا

والغاية التى نستخلصها ان ألمانيا لا تعد زعماء وساسة بالمعنى الصحيح ، لانها ليست فى حاجة الى زعامة وسياسة بعد ان حصرتهما فى يد واحدة هى التى تأمر وتنهى وهى التى توجه وتسود • اما انجلترا ففى حاجة الى هؤلاء الزعماء والسياسيين فهم الصلة بين الشعب والحكومة، بين الرأى العام وأداة التنفيذ ، ولهذا تعد لهم المدارس التى تطلق لهم من الحرية الفكرية ما يؤهلهم لمقابلة الآراء ومقارنة المبادىء ، وكسب الانصار وقهر الخصوم ، وما الى ذلك من مظاهر الحزبية الصحيحة والديموقراطية السليمة

ماذا أفدت من الانجليز

(بقية المنشور على صفحة ٢١٦)

قراهم التى انحدروا منها وشعور الكبراء منهم بأن مجدهم الموروث ماثل فى قصورهم الريفية فلا يفتأ الواحد منهم يقصد الى قصره الريفى فى نهاية الاسبوع .Week-end أو فى الاجازة الصيفية فيملأ الناحية بشخصه ويعمرها بمدعويه من الكبراء والكتاب والفنانين . وكم من بقعة فى ريف انجلترا خلد جمالها فى قصيدة شاعر أو فى لوحة رسام من ضيوف تلك القصور !

قلت ان الانجليزى معتد بنفسه وان هذا أصل الديموقراطية فى انجلترا . وهذا الخلق ذاته هو الذى يجعل الفرد الانجليزى لا يطيق أن يتكبر عليه أحد أو يتعالى عليه بأى مظهر . واذكر ان البرنس اوف ويلز لما دخل الجامعة دخلها كأى طالب آخر وسرعان ما اطلق عليه رفاقه اسما من عندهم صاروا ينادونه به ..

وحدث ان التحق ابن راجا هندى بجامعة كنت فيها ، وقد جاء اليها بكل ما يملك من مظاهر العظمة ، وصار يتعالى على الطلاب ويمشى بخيلاء . فما كان منهم الا ان انتهزوا فرصة غيابه ذات مساء عن غرفه بالجامعة ، وقلبوا أثاثها الفاخر رأسا على عقب ، ولم يتركوا شيئا فى موضعه . ولما شكا الى العميد لم يظهر أى اكتراث لشكواه . واخيرا لم يجد ذلك الامير الهندى مناصا من ترك كبريائه والتمس مودة رفاقه كواحد منهم لا يمتاز عنهم بشىء

هذه وغيرها ذكريات من اقامتى فى انجلترا تلك السنين الطوال ، ولست أقدر ان احدد ما افدته من تلك الاقامة ويكفى ان اقول ان لها الاثر الاكبر فى تكوينى وتوجيهى الوجهة التى أنا موليها الآن فى حياتى الخاصة والعامة

ابراهيم رشاد

كلمة الاستاذ امين كحيل بك

كبير مفتشى العلوم الطبيعية بوزارة المعارف

« .. تعلمت من الانجليز كيف أتحكم فى عاطفتى ، وكيف اخفى شعورى بما يتناسب والرجولة والكمال والعرف .. »

للانجليز فى تربية أبنائهم طرق تختلف عن أمثالها عند الشعوب الأخرى، وهم يعودون الخلق الكريم لا فى معاهد التعليم والمدارس وانما فى البيت وملاعب الرياضة ، ولن أتعرض هنا الى ما يتوخونه من الاساليب المتبعة فى ذلك سواء فى المنزل أم فى المدرسة أم فى الجامعة ،

وهي الاساليب التي عمادها الاستقلال في الرأي والتمسك بالصدق ومواجهة الحقيقة وتقديس العدل والاعتماد على النفس ، أي الصفات التي امتاز بها الشعب البريطاني ، فهذه تحتاج الى صفحات . ولكني أجتزيء هنا بحادثين وقعا فعلا أمامي ، يرتبط الاول منهما بما ذكرت ، والثاني بتحكم الانجليز في عواطفهم تحكما أساسه العقل والمنطق والرزانة واحترام النفس ، ضنا منهم أن يساء تفسير العاطفة بالضعف أو يبعث اطلاقها حرة على السخرية

ولقد وقع الحادثان أمامي ، في أعقاب الحرب العظمى ، وكنت أساكن أسرة متوسطة الحال بمدينة بريستول ، عرف ربها التعليم العالي ونشأ في بيت مثقف ، فأبوه قسيس ، وقساوستهم ينالون من التعليم أوفر قسط

أما الحادث الاول فكان بعد الهدنة مباشرة ، وكان الطعام لايزال شحيحا ينال منه كل فرد بمقدار معلوم ، وقد عزت مادة «السكر» فلم يكن يفوز الشخص الا بدراهم قليلة أسبوعيا ، وكان الوقت شتاء والبرد قارسا ، وأحضر طعام الافطار فاذا قوامه «البوريدج» ـ وهذا اللون لا يستساغ طعمه الا اذا مزج باللبن والسكر وكلاهما كان عزيزا نادرا ـ فكنا نصلح طعمه باضافة الملح اليه ، وكان لرب البيت فتى وحيد رغب عن تناول طعامه هذا بأن دفع طبقه بيده قائلا : « لا أحب هذا القرف ! » فأصر والداه على ضرورة تناوله وأصر الولد على عدم تناوله . وكانت النتيجة أن مضى الى المدرسة من دون افطار . وجاء وقت الغداء فاذا بالطبق ذاته يوضع أمام الصبي ويحرم مما سواه الا اذا تناول ما فيه ، فعاند وحرم من غدائه ، وجاء وقت الاصيل وجلسنا حول مائدة الشاي فاذا بالطبق المغضوب عليه يظهر لثالث مرة ، واذا بالفتى لفرط جوعه لا يستطيع الاستمرار في عناده ، فتناول شيئا منه وهو يزدرده كرها ، فلما أتم وجبته كانت الدموع تسيل على خديه !

وانفردت بوالديه بعد ذلك ، وكنت أحسب ان الأم قد لان تصلبها قبل الاوان وراحت في غفلة من أبيه تطعمه ما يشتهي ، وهذا هو ما يحدث في بيوتنا المصرية غالبا في مثل هذه الاحوال ، ويضيع بذلك حنان الأم وعطفها ما قصد اليه الاب من تقويم وتهذيب . ولكنها كانت انجليزية ، وكانت تعرف واجبها كاملا في تربية ولدها وتنشئته ليكون رجلا ، فقالت : « ولم لا يأكل وقد صنعته بيدي وقدمته له بنفسي ، أيظن انني أفعل ذلك لو لم تكن فيه فائدته وصلاحه ؟ » وقال الاب : « انني رجل فقير أرجو أن أتمكن من أن أعيش حتى يبلغ ولدي أشده ، ولكنني سأدفع به الى الحياة خالي الجيب من المال ، فيجب أن يكون مستعدا للكفاح في أركان الارض جميعا ، وانا لا ندري أين يستقر به المقام ، أفي براري كندا أم في أدغال افريقا ، أم في صحاري استراليا ، ولن يضمن أن يجد الطعام الذي يشتهيه ويستسيغه في واحدة من تلك الاصقاع ، فيجب أن يتعود منذ الصغر تناول ما يقدم اليه ما دام نظيفا ، شهيا ، صحيا ، ولا نقدم اليه هنا غير ذلك »

أما الحادث الثاني فيرتبط بما يسميه نقاد الانجليز « ببرودهم » وهو تعبير غير مستساغ

باللغة العربية ، والحقيقة هي ان النقاد انما يقصدون بالبرود التحكم التام في العاطفة واخضاعها للمقبول عرفا وعقلا ، ويتفرع منها الثبات عند حلول الكارثة أو في مواطن الخطر ، ومجابهة الصعاب بجنان متزن ، ولقد وقعت أمامي حوادث عدة أذكر منها من باب المثال لقاء والدة لولدها بعد غيبة متصلة بلغت ثماني عشرة سنة

كنت أعيش وسط أسرة أخرى على شيء من التربية والتهذيب ، وعدت من الجامعة ذات يوم ، فاذا بي أحس كأن شيئا غير عادي قد حدث • وطلب الى واحد من الاسرة الموافقة على تأجيل الغداء فترة قصيرة حتى يصل شقيق صاحب المنزل وهو جندي عائد من ميدان القتال سرح بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية ، فجلست مع أفراد الاسرة ، وكانت الأم من بينهم ، أنتظر عودة الجندي الظافر ولقاء أمه له خاصة ، وقد علمت انه نزح عن بلاده وهو شاب في العشرين الى الولايات المتحدة ولم يره أحد منهم حتى يومنا ذاك • وأعددت نفسي وأنا الشرقي المتقد العاطفة ، البعيد عن وطني وأمي ، أتصور مبلغ هذا اللقاء ، ولو كنت مكان القادم لكدت أبكي من فرط التأثر النفساني الخيالي • وبعد برهة وصل الضيف وهبت أمه للقائه وانتظرت لأرى كيف تضمه الى صدرها وتغمره بالقبل وتغسل وجهه بدموع الفرح الى غير ذلك من المألوف عندنا في مثل هذه المواقف ، ولكن كل ما قالته : « يا الهي ! لقد عدت الى رجلا كاملا • وأنا مسرورة برؤياك ، فرحة بلقائك ! » ورد هو هزة اليد وابتسامة الشوق وأجاب : « وسروري أعظم بلقياك يا أماه » • وبعد أن حيانا جميعا بما لا يخرج عما فات جلسوا يتسامرون ويتذاكرون الماضي وما صادفه في غربته وفي غضون الحرب من أيام حلوة وكريهة ، وانتهى طعام الغداء وخرج بعضهم للنزهة وألفيت نفسي منفردا مع الأم فلم أطق كتمان ما أصاب خيالي من صدمة فبادرت بسؤالها : هل كان بينها وبين ابنها ما أغضبها منه قبل سفره حتى قابلته بما لا يخرج في نظري عن الجفاء • فأجابت : « كلا ! وأنا أحبه من أعماق قلبي ، كما تحب كل أم ابنها ، وانما نحن الانجليزيات لا نحمل قلوبنا في أكمامنا فنجعلها عرضة لكل من أراد النظر •• ان سروري بلقياه عظيم ، وتأثري من أن يعود الى بعد هذه الغيبة الطويلة هز نفسي طربا ، ولكن ما الفائدة من أن أعرض هذا على أعين الملأ ؟ ولا اخال الا انه يشاركني نفس هذا الشعور »

من هذا الحادث وأمثاله تعلمت كيف أتحكم في عاطفتي • وكيف أخفي شعوري بما يتناسب والرجولة أو الكمال أو العرف مهما كان الموقف ، وهذا هو أهم ما أفدته من حياتي بين الانجليز

امين كحيل

كلمة محمود تيمور بك
الأديب والقصصي المعروف

هؤلاء الاربعة ، أحفظ لهم خصائصهم التي امتازوا بها ، ولا أنسى أثرها في نفسي

اخترت أربعة من الانجليز ، كانت صلتي بهم وثيقة في فترات مختلفة . ومبعث اختياري لهؤلاء الاربعة أن لكل منهم ميزة من ميزات الشعب الانجليزي ، فاذا ما تحدثت عنهم ، فكأني أصور بعض ما لهذه الامة العريقة في الحضارة من خصائص :

أولهم : « المستر جنكنز » أستاذي في الانجليزية ، اثناء الحرب الماضية . وعلى الرغم من انقطاع أخباره عني عشرين عاما أو تزيد ، فاني ما زلت أرعى له جميل ما أفادنيه من خلق الى جانب ما لقنني اياه من علم .. كان آنئذ في ميعة الشباب ، ذريع القامة ، عريض المنكبين ، بارز الصدر ، يروعك منه وجه يتلألأ صحة ونشاطا . فكان في نظري مظهرا لذلك الروح الرياضي الذي عرف به أبناء التاميز ، ولهذا لم أعجب لحديثه المستفيض خلال جلوسي اليه في شئون الرياضة ، وبخاصة ما تعلق منها بحفظ الصحة وسلامة البدن . وطالما قوي حماسه وهو يتحدث ، فنهض يؤدي بعض التمرينات على الوجه الذي تقتضيه من تمدد أو تمايل ، في غير مبالاة ولا تكلف : شأن الانجليزي في كل شيء ، لا يقيم وزنا للمظاهر الكاذبة ، والاحتشام الزائف .. وقد تبينت أثر هذه الرياضة واضحا في خلق متين يبرأ من النقائص ، وجسم سليم يهزأ بالعلل . فحداني ذلك الاستاذ على الايمان بفضل الروح الرياضي في توفير دولهي السعادة للانسان

الثاني : « الاستاذ جب » المستشرق المعروف ، اتصلت به في زياراته لمصر التي توالت في مدى السنوات العشر الماضية ، وقضيت معه أوقاتا طيبة يسرت لي أن أعهد فيه صفة نادرة ، فلقد كان ، وهو يتحدث ، ينطلق في سلاسة وعذوبة ، يكشف عن دقائق علمية أو أدبية عويصة ، فيحيل جفافها الى ايناس ينسي ما في البحث الدقيق من جفاف . فأنت اذا جلست معه تستوعب الآراء في موضوع متشعب ، أو تستكنه الحقيقة في مشكلة غامضة ، ترى الوقت يمضي وأنت مغتبط مقبل ، دون أن تجد فيما استوعبت من وعورة العلم أي ضيق .. وتلك هي شخصية العالم البحاثة المحبب ، يرغب الانسان في الاقبال على البحث والمضي في التزود من العلم . وأعتقد أن « الاستاذ جب » يمثل في هذه الناحية العالم الانجليزي الذي يقدم اليك ثمرات علمه دون أن يقطع بك طريقا مفروشا بالصخر !

الثالث : « المستر بكستون » المستشرق ، مترجم « الايام » لاستاذنا الدكتور طه حسين بك ، والاستاذ السابق بالجامعة المصرية .. هذا الصديق عنوان الكياسة والظرف الانجليزي ، بجانب ما له من سعة العلم والمعرفة . فهو شاب أنيق الملبس ، نبيل الشارة ، أنيس المحضر ، تجمعت فيه الرقة بلا تبذل ، والترفع بلا كبرياء .. يشعرك وأنت معه

بغبطة هادئة تشيع فى نفسك ، والنكتة التى يرسلها تخلب لبك فتبعثك على الابتسام ، ولكنها لا تضطرك الى القهقهة . والحديث الذى يسامرك به يهز فيك ألفة تصلك بروحه ، وتجعل منكما صديقين يعمر قلبيهما الصفاء والاخلاص . وانى كلما شهدت صورة للمستر ايدن فى صحيفة أو مجلة ، حضرتنى على الفور صورة المستر بكستون ، «الرجل الظريف الكيس » فهل ثمة صفات مشتركة بينهما يدل عليها هذا الشبه ؟!

الرابع : « المستر باربر » المستشرق الرحالة المشهور . زار مصر واستقر بها بضعة أعوام ، ثم غادرها الى فلسطين ، ومكث فيها كذلك سنين . وكان قبل وفوده على مصر قصد المغرب الأقصى والعجم الى ممالك أخرى فى الشرق والغرب ، وقضى فى كل مملكة منها أعواما بأكملها .. وهو اذا هبط بلدا لم يتركه الا وقد تقصى أخباره ، وعاشر ناسه ، ودرس معارفه ، واختلط بدخائل الحياة فيه ، فاذا بلغ من ذلك كله مأربه ، حل بلدا آخر يستأنف الدرس والاستيعاب . ولذلك عرفته معلمة للبقاع التى رحل اليها ، وبخاصة ممالك الشرق ، فهو يحدثك عنها حديث عالم متمكن خبير . وانه لجدير بنا أن نلقبه بالسندباد الحديث ، والدليل على جدارته بهذا اللقب ، أن له مؤلفات عن أغلب البلاد التى نزل بها ، وقد وقعت فى يدى طبعة من رواية اسبانية ترجمها الى الانجليزية حين اقامته فى اسبانيا . فاما الاعوام التى قضاها فى مصر فقد وجه فيها عنايته الى الادب الحديث عامة ، والمسرح خاصة ، وله بحث مستفيض شائق درس فيه نشأة المسرح وتطوره حتى عام مغادرته وادى النيل ، ونشره بالانجليزية ، وله كذلك ترجمة « عودة الروح » لصديقنا الاستاذ توفيق الحكيم . وأما المدة التى أقامها فى فلسطين ، فقد أنبجت بحوثا متواصلة عن القضية العربية هناك ، حاول فيها التوفيق بين وجهتى النظر المختلفتين .. وانى لاذكر الجلسات التى التقيت فيها بالمستر باربر أيام وجوده فى مصر ، فيتمثل لى طابع المغامر الانجليزى ، ذلك الذى يلتقى فيه هدوء الطبع ولين العريكة ولطف الحديث ، مضافا الى حب المغامرة وقوة العزم

***

فهؤلاء الاربعة ، أحفظ لهم خصائصهم التى امتازوا بها ، ولا أنسى أثرها فى نفسى . ومجموع هذه الخصائص يصور بعض نواح ظاهرة فى حياة الشعب الانجليزى وهى :

أولا : فضل الرياضة على الجسم والخلق فى الامة الانجليزية

ثانيا : دقة البحث ، مع خلوه من التعقيد ، فى العالم الانجليزى

ثالثا : الكياسة والظرف غير المتكلف ولا المبتذل ، فى الانجليزى « الجنتلمان »

رابعا : قوة العزيمة وحب التطلع ، مع الحرص على الاستيعاب والتقصى ، فى الانجليزى المغامر الجواب ...

محمود تيمور

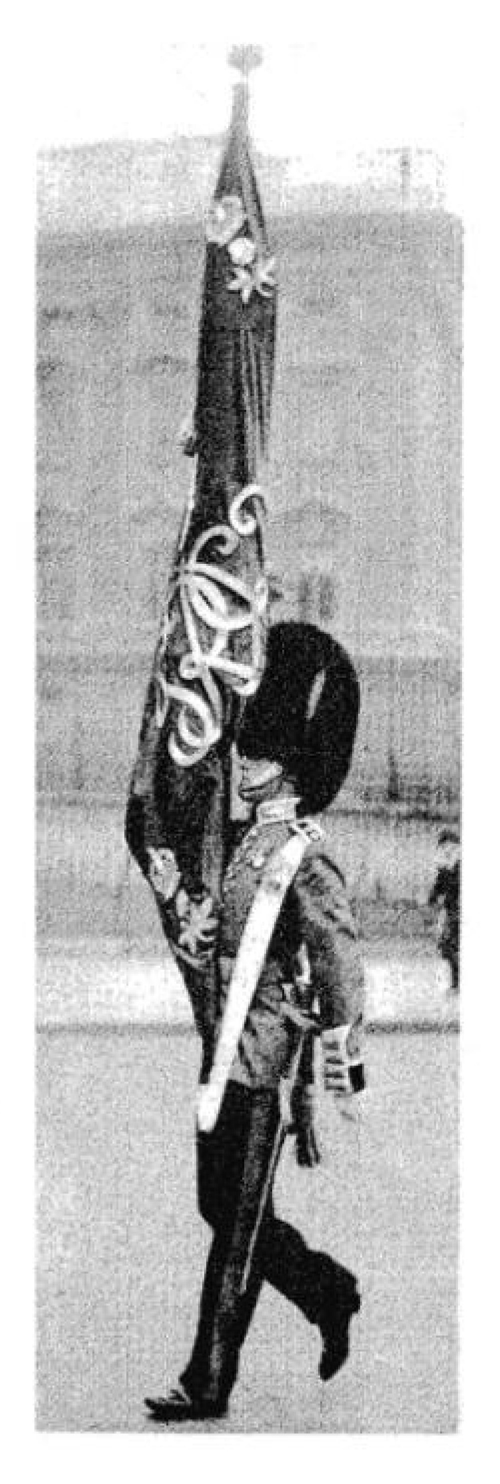
الأنجليز

شعب تقاليد

ما من أمة متحضرة تحافظ على تقاليد الاجيال الماضية محافظة الامة الانجليزية على ما ورثته من تقاليد . فالانجليزى يتقيد بعادات اجداده ويتشدد فى المحافظة عليها حتى فى اثناء قيامه باعماله اليومية الاعتيادية

وقد تقول للانجليزى ان المحافظة على هذه التقاليد مضيعة للوقت والمال ، فيجيبك مبتسما « قد يكون الامر كما تقول ولكن لا بأس » ويردف كلامه بهز كتفيه . ذلك لانه يرى فى المحافظة على التقاليد القديمة عاملا من عوامل الدوام والاستمرار والقوة فضلا عن عامل الاتصال بالاجيال الماضية

وفى الواقع ان الانجليزى لا يتقيد بالتقاليد فى احوال معينة فقط ، بل هو يتقيد بها فى كل مكان وزمان وفى جميع اعماله ومعيشته . فحفلة افتتاح البرلمان الانجليزى انما هى مجموعة من التقاليد القديمة يخيل الى من يشاهدها انه لا يزال فى العصور الوسطى . فالملك يذهب الى البرلمان فى مركبة مذهبة ، واعضاء مجلسى النواب واللوردات يستدعيهم رجل يسمى منذ سنة ١٣٥٠ بحامل العصا السوداء ، وسبب ←



الحرس الملكى يرتدى رجال الحرس الملكى فى انجلترا زيا تقليديا يستلفت النظر منه تلك القبعة العالية المصنوعة من الفراء والتى تكاد تحول بين لابسها وبين الرؤية ، وتلك « الجاكتة » الحمراء المزينة بشرائط القصب والأزرار النحاسية الصفراء . وترى فى الصورة أحد رجال الحرس يحمل علم الملك جورج السادس الذى سلمه الملك لفرقة الحرس فى حفلة تقليدية أقيمت فى مايو سنة ١٩٣٧

العرش الانجليزى

تأصل الملكية البريطانية فى الشعب ـ أثر الملكة فكتوريا فى توطيد العرش ـ العرش الانجليزى والطبقة العاملة ـ حب الشعب لملوكه ـ ديمقراطية العرش الانجليزى ـ السياسة والعرش الانجليزى

الحياة الانجليزية حافلة بالنقائض ، يستوى فى ذلك الفرد والمجتمع ويتماثل فيه القانون والسياسة ، حتى ليدهش المرء أن يتيسر للانجليز هذا المجد وتتهيأ لهم هذه السيادة ، بينما هم لا يأخذون أمرا من أمورهم وفق « المنطق » البين المنظم . ولكن متى كان المنطق يغنى عن الواقع ، ومتى كان العقل أنفذ وأصدق من البصيرة ؟ فلم نعجب للانجليزى يدبر حياته فى ضوء الوقائع بدلا من النظريات ، ويتخذ طريقه وفق ما يهدى اليه الحس المرهف وان خالف الذهن المفكر ؟!

والعرش الانجليزى ـ ككل شىء فى انجلترا ـ يمثل هذا التناقض اذا نظرنا اليه كما نظر اليه ذلك الفرنسى « المنطقى » فقال : « عجبا للانجليز ! لملكهم الحق فى أن يبيع الاسطول البريطانى ، وليس له الحق فى أن يدخن سيجارة فى حفل رسمى ! » . والواقع ان العرش الانجليزى مصدر حيرة لنا اذا فكرنا فيما يحيطه به « الدستور » من النقائض ، وان كان الانجليز أنفسهم لا يرون فى الامر أية حيرة استنادا الى « العرف » الذى يعلونه ويغلبونه على كل قانون

فملك انجلترا حاكم مطلق لا يدانيه أى حاكم فيما غبر من التاريخ ولا فيما يعاصرنا من الدول ، اذا قدرنا ما يقرره له الدستور من السلطات والحقوق . ولكنه فى الوقت ذاته يملك ولا يحكم منذ أخذ البرلمان بيده زمام الامور بعد ثورة قتلت الملك وهدمت العرش حينا ما . واذن فيمكن أن نقول انه زعيم وثق به الشعب فخوله الحق فى أن يفعل ما يشاء ووثق هو بالشعب فأباح له من الحرية ما يريد ... ومصدر هذه الزعامة ان العرش الانجليزى أثبت قدرته فى كل الاوقات على أن يتكيف ويتحور وفق رغائب الشعب وحاجاته ، فكان ممثلا ومستجيبا له فى الحياة الاجتماعية والشئون السياسية على السواء منذ الادوار الاولى فى تاريخ انجلترا

تأصل الملكية البريطانية فى الشعب

والواقع ان العرش الانجليزى ، سواء أكان مالكا للسلطة أم مجردا منها ، مغروس



حراس برج لندن من التقاليد الانجليزية القديمة انه فى اليوم الأول من شهر مايو يخرج حراس برج لندن — ويعرفون باسم أكلة لحم البقر — بأبهة عظيمة وهم لابسون الثياب القصبة التى يرجع زيها إلى عصر التيودور ، فيدورون حول البرج وهم يقرعون جدرانه بالعصا رمزاً إلى أنهم يعينون حدود ذلك البرج للجمهور . وفى مناسبة عيد الفصح يخرج هؤلاء الحراس فى نفس الحلل التقليدية ليعرضهم حاكم البرج . وترى هنا رئيس فرقة الحرس فى المقدمة يتبعه الحاكم ثم رجال الحرس



زى رجال القضاء يلبس رجال القضاء والمحامون الانجليز فى أثناء تأدية عملهم شعراً أبيض مستعاراً ، إذ يحسب الانجليز هذا الشعر رمزاً الى العدل البريطانى المشهور

هذه التسمية انه يحمل بيده عصا مصنوعة من الابنوس الاسود

ورجال المال فى انجلترا يراعون عادات وتقاليد ترجع الى مئات السنين ، فبعض موظفى المصارف يلبسون ثيابا من زى معين ولون معين وقبعات عالية . ورجال الاعمال يلبسون « جاكتات » قصيرة وقبعات مستديرة من النوع المسمى « دربى » او « هومبورج » . وكل قاض او محام انجليزى يلبس شعرا مستعارا ابيض اللون يحسبه الانجليز رمزا الى العدل البريطانى المشهور

وفى لندن مصرف خاص يعامله جلالة الملك يلبس جميع موظفيه منذ انشائه « الجاكتات » المعروفة باسم « الفراك » ولا يرون داعيا الى تغير هذا التقليد

وفى حى الاعمال بلندن — المعروف باسم « السيتى » — مظاهر اعمق فى القدم وادل على حب الانجليز للمحافظة على التقاليد . فهنالك نقابات يرجع بعضها الى القرن الثانى

في قلب كل انجليزي ، وجذوره متأصلة في القومية الانجليزية • ومرجع هذا ان الشعب شهد منذ بدء تاريخه جماعة الاشراف لاتنفك عن النزاع والقتال في سبيل الغلبة والسلطة، فرأى أن يقوى شوكة الملك ليعلو أمره فوق أمور هؤلاء الاشراف ، فيمنعهم من الشقاق والنضال ويقي الناس ما يصيبهم من جراء هذا من حرب وبلاء • ولهذا اتجه الشعب منذ بداءة الامر الى تأييد العرش وتقوية نفوذه ، ناظرا الى الملك نظره للزعيم الذي ينقذه من المشاق ويدرأ عنه ما يستهدف له من الاخطار • ثم استطاع العرش أن يزيد قوته بنفسه ، لا باخضاع خصومه ولا بتملق الجماهير ، ولكن بتقدم الشعب عندما يتعرض له العدو ، وبمشاطرة الشعب ما يلم به من المحن • وليس أدل على ذلك من هذه الكلمة التي قالتها الملكة اليصابات عندما أرسل فيليب الثاني أسطوله الارمادا يغزو به انجلترا ويقهرها : « اما أن أعيش معكم واما أن أموت أمامكم • انيأهب دمي في سبيل الهي ووطني وشعبي، نعم اني امرأة ضعيفة الجسم ، ولكني أحمل في صدري قلب ملك ـ ملك انجلترا ! » .

وليس غريبا اذن أن نرى هذا الشعب الذي أيد العرش عندما أخلص صاحبه لقومه فأصلح أمورهم ودفع أعداءهم ، يتألب على هذا العرش ويقوضه في ثورة دامية أقامها كرمويل عندما صار ملوكه منصرفين الى أهوائهم التي ترهق الناس بالضرائب وتزهدهم في نظام يخدمونه بغير مقابل ويستغلهم دون جدوى • ولكن جذور الملكية متأصلة غائرة في القلب الانجليزي ، فلم يلبث بعد أن ثار وتخلص من العرش أن عاد الى اقامة النظام الملكي ، على نقيض سائر الشعوب التي لم تفكر في أن تعيد الملكية بعد أن خلصت منها • فما ان مات زعيم الجمهورية كرمويل حتى أرجع الانجليز شارل الثاني واستأنفت انجلترا حياتها على المنوال الذي نسجته منذ القدم ، والذي أثبتت لها الايام انه خير نسيج • فتلك الجمهورية وان حققت للانجليز ما تطمح اليه الشعوب من الحريات ودفعتهم الى كثير من النجاح في ميدان السياسة الدولية ، الا انها أثبتت لهم انها لا تلائم طباعهم ولا تسير أمورهم ، فقد شهدوا في أثنائها ألوانا من العسف والاضطهاد ، وعانوا فيها قسوة في جمع الضرائب فضلا عما أصابهم في أثنائها من الازمات • ولهذا يمكن أن يقال ان الثورة التي أضرمت لهدم العرش كانت خير وسيلة الى تثبيته وتدعيمه

أثر الملكة فيكتوريا في توطيد العرش

على ان الفضل الاكبر في تثبيت دعائم العرش الانجليزي يرجع الى تلك الفتاة التي تربعت عليه في صدر حياتها ، الملكة فيكتوريا • فقد تولت العرش عقب طائفة من الملوك لم يتعظوا بثورة كرمويل من ناحية ، ولم تكن لهم كفاءة ممتازة من ناحية أخرى ، فانصرفوا الى أهوائهم وانغمسوا فيها دون أن يفيد منهم الشعب مقابل ذلك فائدة ما • فأخذت فكرة الجمهورية تنمو مرة ثانية ، خصوصا بين جماعة المفكرين والعلماء الذين أخذوا يتحدثون عن تلك الجمهوريات المثالية التي عرفتها أثينا وروما قديما ، وتلك التي

وزن العمدة

وهذه عادة قديمة ترجع إلى مئات السنين ولكن الأنجليز ما زالوا يحتفلون بها فى بعض مدن الريف . وتتلخص هذه العادة فى أنها توجب وزن العمدة الجديد وأعضاء مجلس استشارته الجدد قبل تسلمهم عملهم الجديد . وقد التقطت هذه الصورة فى أثناء وزن عمدة بلدة « تشبنج ويكومب » بمقاطعة « بكنجهامشير » . وتراه وقد جلس فى كفة الميزان وخلفه أعضاء مجلسه ينتظرون دورهم



فرسان الحرس ويرتدى فرسان الحرس فى لندن زيا قديما ، فصدورهم تكسوها الدروع اللامعة ورءوسهم تعلوها الخوذات الفولاذية

عشر كنقابة « صانعى الاحذية » ونقابة « صانعى الشناشيب » وغيرها من النقابات التى لا تزال باقية بالاسم ولكنها مجردة من جميع الامتيازات التى كانت تتمتع بها

واذا مر زائر بالقصر الملكى فى لندن ادهشه زى رجال الحرس الذين يرتدون المعاطف الحمر ويمشون امام القصر ذهابا وايابا لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ولا ينبسون ببنت شفة كأنهم أصنام متحركة ، هذا فضلا عن قبعات مصنوعة من جلد الدببة المكسوة بالفراء يتدلى فراؤها على عيونهم فتكاد تمنعهم من رؤية ما أمامهم

ويطول بنا الامر اذا أردنا تعداد جميع مظاهر المحافظة على التقاليد فى انجلترا ، فهى تبدو فى كل حركة من حركات الشعب وفى جميع اقواله واعماله — لا فى انجلترا فحسب بل فى كل مكان يحل فيه الانجليزى او يمر به . ولعل أكبر سبب فى نفور الانجليز من الشيوعية والفاشستية على السواء هو محافظتهم على القديم وعدم اقبالهم على الاخذ بالجديد

بدأت تؤتى ثمرها فى فرنسا وأمريكا حينذاك . وراحت فكرة الثورة تسرى فى الجمهور حتى غدا يعتقد ان العرش الانجليزى قد بت فيه ، وألا خلاف الا على مدى ما بقى له من الحياة ، ولكن فيكتوريا وقفت على حداثة سنها وعلى ما صادفها من عقبات الى أن تنقذ الملكية من كل ما حف بها من الاخطار ، بفضل ما أوتيت من أخلاق متينة وملكات عظيمة

فمن الكلمات الشائعة فى الانجليزية الحديثة كلمة « الروح الفيكتورى » يعبرون بها عن روح الاخلاص والتفانى فى أداء الواجب ، روح الصرامة والخشونة فى أخذ الحياة ، روح النبل والوفاء فى الصلة بالناس ، أى هذا الروح الذى اتخذته الملكة فيكتوريا فى حياتها الخاصة وفى سيرتها العامة ، وبثته فى الشعب جميعا من الساسة والزعماء الى العامة والجمهور ، هذا الروح الذى حقق لانجلترا ما توافر لها من المهابة والكرامة فى ميدان السياسة الدولية وفى أرجاء الامبراطورية البريطانية كلها

وكانت خطة الملكة فيكتوريا أن تثبت للناس ان الملكية ليست زينة يزهو الشعب بقصورها الباذخة ويتحدث عن حفلاتها المسرفة ، وان الملك ليس زعيما للعصابة الارستوقراطية العاطلة التى تستغل الشعب دون أن تؤدى عملا ... لا ، ولكنها رمز الشعب الصميم المؤلف من هذا الفلاح الذى يضرب الارض بيديه فى الريف المهجور ، وهذا الملاح الذى يهيم فى البحر النائى سعيا وراء صيد السمك ، وهذه المرأة التى تنزوى فى بيتها منذرة نفسها لزوجها وولدها . فلا عجب أن اتخذ الشعب الانجليزى مليكته نموذجا فى حياته الخاصة ، وحرص كل فرد فيه على أن ينشىء حياة بيتية سعيدة كتلك التى استمتعت بها فيكتوريا مع زوجها الامير ألبرت

هذا هو التأثير الاجتماعى للملكة فيكتوريا التى كتبت صفحة جديدة فى تاريخ انجلترا ، والى جانبه تأثير سياسى تمثل فى انتقال السلطة فى بدء عصرها من الطبقة الارستوقراطية الى الطبقة الوسطى ، وبذلك كان عهدها فتحا عظيما فى الديموقراطية الانجليزية التى لم تجد حاجة الى الثورات الدامية اكتفاء بتطورها الوئيد . وقد قيل ان انجلترا لم تقم بثورة كبرى لانها تقوم كل يوم بثورة صغرى ، أى انها تتخذ من سياسة التطور غنى عن ثورة الطفرة ، وأبرز مظاهر هذا التطور انسياق العرش مع الشعب فى تحقيق رغائبه ، بل كان العرش فى كثير من الوقت أسرع من الشعب تبينا لهذه الرغائب وأسبق منه الى اجابتها . فلما تبينت الملكة فيكتوريا قوة الطبقة الوسطى التى اتاحت لها الثورة الصناعية والتقدم التجارى الثراء الوافر ، لم تتوان فى اصدار « قانون الاصلاح » الذى نقل الى هذه الطبقة ما كان مقصورا من الحقوق على الطبقة العليا

وكذلك قوت فيكتوريا الديموقراطية الانجليزية من ناحية أخرى ، هى التخلى عن كثير من حقوق العرش للوزارة والبرلمان ، فيقول مؤرخوها انها كثيرا ما كانت تكتب لرئيس الوزارة انها لا يمكن ان توافق على هذا أو ذاك المشروع ، ولكن توقيعها كان معدا دائما للموافقة على ما يراه . ولم يكن ذلك عن ضعف أو عجز ، بل كان عن بعد

عمدة لندن يتسلم صولجانه

يحتفل الانجليز بتنصيب عمدة لندن احتفالا تقليديا فى « الجيلد هول » حيث يحلف العمدة الجديد اليمين ويتسلم من سلفه « صولجان العمدية » الأثرى ويسبق ذلك حفلة غداء يحضرها المدعوون بالثياب الرسمية . وقد التقطت هذه الصورة فى حفلة تنصيب السير برسى فنسنت عمدة على لندن فى نوفمبر عام ١٩٣٥ وتراه يتسلم الصولجان من سلفه السير ستيفن كيليك

محكمة الصيادين

وهذا تقليد عجيب إذ يوجب اجتماع محكمة صيد الاسماك الخاصة بنهر « مدواى » فى انجلترا مرة كل سنة فى سفينة كما ترى فى هذه الصورة ، فيتقدم اليها الصيادون بذلك النهر بشكاواهم لتفصل فيها



نظر وسداد رأى ، فلم يقع فى عهدها شىء من النزاع أو الصدام بين العرش والحكومة ، بل تعاونا على تثبيت الديموقراطية وتمجيد الدولة فى آن واحد • ومما ساعد فيكتوريا على التوفيق بين العرش والحكومة انها كانت أوسع من أكثر وزرائها خبرة بشئون السياسة ، بفضل ما جمعت من التجارب فى اثناء عمرها الطويل ، فكانت فى آخر حياتها تذكر لهم سوابق شهدتها بنفسها قبل ان يولدوا ، واذ كان الانجليز يعتدون بالسوابق ويقدرونها فما كان يسع هؤلاء الوزراء الا ان ينزلوا عند رأى ملكتهم الكبيرة

العرش الانجليزى والطبقة العاملة

وظل العرش بعد ذلك على خطته فى الاستجابة الى حاجات الشعب والسير فى طريق تطوره الاجتماعى • فلما قويت شوكة الطبقة العاملة ، اثر تركزها فى المدن تركزا أبرز ما يحيطها من مشاق ومساوىء ووحد فى الوقت ذاته قواتها وجهودها ، لم يتأخر العرش عن أن يحول السلطة من الطبقة الوسطى الى الطبقة الدنيا • وهكذا زاد ادوارد السابع فى تنمية الروح الديموقراطى بالقدر الذى زادت به من قبل والدته الملكة فيكتوريا • ولكن ثمة نقطة هامة فى هذه الناحية هى ان العرش الانجليزى لم يكن فى يوم من الايام متملقا للشعب ولا مشجعا لجانب الاسفاف فيه ، بل قصر تأييده وعطفه على أنبل صفاته واسمى اتجاهاته • وهذه هى الملكية المثلى التى ترتفع بالشعب الى العرش ولا تهبط بالعرش الى الشعب • وهذه هى الملكية الانجليزية التى حدت بالرعية ان تتخذ مليكها نموذجا ومثالا ، لا أن يتخذ الراعى من الجمهرة أداة للتغرير والخداع والاستغلال

حب الشعب لملوكه

ليس غريبا اذن أن يقوم العرش على دعائم ثابتة فى القلب الانجليزى حتى ليغدو حب الملك فى انجلترا طبعا أصيلا • وقد تمثل هذا الحب فى ظروف جمة كان أبرزها وأقواها حين حفت قلوب الشعب البريطانى بفراش جورج الخامس عندما مرض منذ سنوات ، وحين اتجهت الامبراطورية كلها الى قصر بكنجهام راجية داعية ، فشهد العالم أجمع أن الملكية الانجليزية ثبت أصلها ورسخت دعامتها بحكم الطبع والعرف لا بما يقرره نص القانون

على ان هذه العاطفة التى تربط الشعب بالعرش بأوثق رباط لم تصرف الشعب عن افتداء الدستور اذا استهدف للاذى بأى ثمن ولو كان مليك العرش ذاته • فهذا ادوارد الثامن اخلصت له الشعوب التى يرعاها قلوبها الخافقة بالحب والولاء ، منذ كان وليا للعهد يختلط بجمهرة الشعب ويطوف بأرجاء الملك ، ولكن حين تعارض أمر زواجه بعرف الدستور لم يسع الشعب ان يتنحى عن الحق الذى ناضل فى سبيله وضحى ، ولم يسع الملك أن يصادم الشعب ممثلا فى دستوره ، بل تخلى عن العرش قائلا بأن ليس فى

وسعه ان يؤدى واجبه على الوجه الاكمل بعيدا عن المرأة التى يحبها.نعم ، ان هذه الازمة صدمت الشعوب البريطانية التى لم يخطر ببالها ان يفتدى مليكهم قلبه بالعرش ، ولكنها انجلت بعد أن زادت العرش البريطانى مهابة ووقارا وزادت الدستور الانجليزى منعة ورسوخا

ديمقراطية العرش الانجليزى

ومما يلاحظ فى أمر الملكية الانجليزية انه كلما كان العرش « شعبيا مألوفا » كان أعظم أثرا وأقوى نفوذا • فقد عمد كثير من ملوك انجلترا الى التجرد أمام الشعب من رهبة الملك وسطوة العرش ، والتظاهر بانهم أفراد تربطهم بسائر الناس رابطة من الآمال والآلام ، فكان هذا الروح الشعبى سحرا نفذ بالعرش الى صميم القلب حين اتخذ منه الدعامة التى لا تهن ولا تنهار • وفيكتوريا العظيمة هى التى ابتكرت فى انجلترا هذا الروح الشعبى حين جعلت من سيرتها الخاصة مثلا يحتذيه كل انجليزى وكل بريطانى ، فكان كل فرد فى ارجاء امبراطوريتها يسعى ليقيم فى بيته المتواضع ، بل فى كوخه المنزوى ، حياة سعيدة على غرار تلك الحياة التى يزدهى بها قصر بكنجهام ، وكان كل فرد من رعيتها سواء كان سيدا حاكما أو كان عاملا جاهدا يتمثل ويتأثر مليكته فى اخلاصها للعمل وتفانيها فى سبيل الواجب • ولم تتخل فيكتوريا عن هذا التجاوب بينها وبين شعبها الا فى تلك الفترة التى اعتزلت فيها الناس جميعا عقب وفاة زوجها الامير البرت ، فأحست حينذاك أن هذه العزلة تكاد ان تصير جفوة بينها وبين الناس ، فعادت فى شيخوختها تختلط بحياة شعبها،وأخذت تنشىء أولادها على هذه السيرة الحميدة،فكان أولادها وأحفادها سباقين الى كل ناحية يتجه اليها الشعب مندفعين الى الخلطة بطبقات الناس جميعا • وهذا حفيدها جورج السادس يبرز فيه هذا الميل على أكمله وأسماه عندما قال : « اننى فرد عادى جدا كلما أبيح لى أن أكون ذلك » • ولما كانت الحياة تجرى فى طريقها الآمن كان الملك والملكة ، وكلاهما سواء فى هذا الروح الشعبى ، يطوفان فى انحاء المملكة مختلفين الى شتى الطبقات فى دور أعمالهم واندية ملاهيهم • فلما كانت الحرب اللاهبة وألمت الخطوب الفادحة ، غدت هذه الصلة بين العرش والشعب حبا خالصا يحمل الملكين من ناحية على أن يخرجا تحت وابل من النيران الهابطة من السماء ليهونا قسوة الخطوب ويثيرا قبسا من الآمال ، وأثار فى الشعب من ناحية أخرى روح الفداء كلما أصاب العدو شيئا من القصور الملكية التى يكاد يعدها الانجليزى من قبيل الكنائس والمعابد

السياسة والعرش الانجليزى

هذا هو الجانب الاجتماعى للملكية فى انجلترا التى جعلت من الاسرة المالكة قدوة ومثالا للشعب فى حياته الخاصة • اما جانبها السياسى فهو موضوع نقاش بين الفقهاء والمشرعين

الذين اختلفوا في مدى ما للملك من الحق في توجيه السياسة العامة • فرغم ثورة كرمويل وما فرضت على الملك من قيود وما أباحت للشعب من حقوق ، ظل عرش انجلترا مطلق الارادة في شأن الحكم وتوجيه الدولة • فكان وليم الثالث يقود الجيوش ويعلن الحروب وينشىء الصلات بين انجلترا والدول الاجنبية حسبما يرى دون الرجوع الى البرلمان وكانت الملكة آن تحضر جلسات مجلس الوزراء ، وتشهد مناقشات مجلس اللوردات ، وترى لنفسها الحق في تعيين من تشاء من الوزراء وتختارهم من أى حزب كما ترى • ولم يتردد جورج الثالث ووليم الرابع في اقالة الحكومات التي لم ترضخ لارادتهما رغم تأيد البرلمان لها • ولكن لما جاءت فيكتوريا العظيمة أبت على العرش أن يتدخل تدخلا مباشرا في شئون الحكم والسياسة ، رغم ان شخصيتها الفذة أباحت لها ان توجه السياسة الداخلية ، بل ان تشرف على السياسة الدولية • فما من وثيقة سياسية الا كان لفيكتوريا الرأى الراجح في شأنها ، وما من حدث دولى خطير الا كان لها ضلع في توجيهه والافادة منه • ذلك أن خبرتها واخلاصها ونفوذها حملت الساسة والزعماء على أن يأخذوا برأيها ويسيروا وفق نصيحتها ، كما ان صلة القرابة بينها وبين كثير من الاسر المالكة في انحاء أوربا يسرت لبريطانيا اسباب النفوذ والسيادة التي تهيأت لها في ذلك العصر الزاهر كاملة وافرة

ومع هذا فالدستور الانجليزى ما يزال يخول الملك حقوقا واسعة جدا لا يمكن ان توجد في أكثر الدول الاوتوقراطية فما بالك بمنشئة الديموقراطية وزعيمتها ؟ فيقول « باجيهوت » ـ في كتابه عن الدستور الانجليزى ـ ما يلى عن حقوق الملكة فيكتوريا التي انتقلت كما هي الى حفيدها الملك جورج السادس :

« ان الدهشة تستولى على الناس اذا عرفوا الاعمال التي تستطيع الملكة ان تقوم بها وحدها دون استشارة البرلمان • وقد دهشوا فعلا عندما ألغت الملكة وحدها وبرغم معارضة مجلس اللوردات نظام الجنود المرتزقة في الجيش • ولكن هذا العمل لا يقاس الى جانب ما تستطيع الملكة بحكم القانون أن تعمله دون الرجوع الى البرلمان • فهي تستطيع أن تسرح الجيش بأسره (ذلك ان القانون يحتم ألا يزيد عدد الجيش على عدد معين ولكنه يبيح للملكة الا تجند أحدا ما) • وفي وسعها ان تطرد جميع ضباط الجيش كبارا وصغارا ، وكذلك تستطيع أن تسرح جميع البحارة ، بل انها تستطيع ان تبيع كل سفننا الحربية وكل مخازننا البحرية • ولها الحق في أن تعقد هدنة حربية ولو ضحت في سبيلها بمقاطعة كورنول ، ولها ان تعلن الحرب وحدها ما دام الغرض منها فتح مقاطعة بريتاني في فرنسا (ذلك ان كورنول ملك خاص بالعرش وبريتاني كانت ملكا لانجلترا فيما مضى) • وتستطيع ان تنعم على كل فرد في المملكة المتحدة ، ذكرا كان أو انثى ، بلقب الامارة Peerage • وتستطيع أن تحول كل معبد في المملكة المتحدة جامعة علمية • وتستطيع ان تفصل أكثر موظفي الحكومة كما لها الحق في ان تفتح أبواب السجون وتطلق سراح

كل من فيها . أى ان الملكة تستطيع فى كلمة موجزة ان تعطل كل ما تجريه الحكومة من الاعمال ، وان تعلن الحرب أو تقرر السلم ضد ارادة الشعب وشرفه ومصلحته ، وان تجعلنا هدفا لكل الاعداء الاجانب بتسريح جيشنا وبيع اسطولنا » !

هذه الحقوق المطلقة يخولها الدستور للملك . أما الواقع فيقرر ان العرش يملك ولا يحكم . والوزارة هى التى تحمل وحدها عبء الحكم وتسأل عنه أمام البرلمان وحدها . ومع هذا يظل ملك انجلترا رمزا للشعب ، يحتذيه كل فرد فى حياته الخاصة ويتأثره كل سياسى فى سيرته العامة ، ويأخذ الجميع برأيه حين تأتى الاحداث وتلم الصروف . والفارق الفاصل فى أمر الدستور بين الوجهة النظرية والجانب العملى هو « شخصية » الملك التى تمكنه من ان يقرر رأيه بالخبرة والحسنى بدلا من ان يفرضه عنوة وقسرا

أما الملكية الانجليزية فتتسع ـ لانقول حقوقها بل مسئولياتها ـ من عهد الى عهد تبعا لتطور نظام الامبراطورية البريطانية . فقد كان التاج رمز الامبراطورية وأقوى صلة بين اجزائها منذ نشأتها ، ولكن تحول أكثرها من مستعمرات الى ممالك مستقلة جعل هذا التاج الصلة الوحيدة التى تربطها معا ، فصار نطاق عمله أفسح وغدا عبء مسئوليته أثقل

ومن عجب انه كلما اتجهت الشعوب وجهة ديموقراطية نقصت حقوق العروش وقيدت سلطات ملوكها ، أما العرش البريطانى فكلما زادت أمبراطوريته أخذا بالمبادىء الديموقراطية التى تباعد بينها وبين الروح الاستعمارى القديم ، زادت حقوق عرشها وكثرت مسئولياته . وقد كانت حفلات تتويج جورج السادس ، التى استقبلت لندن فى أثنائها أفواج الامراء والاعيان ، والساسة والقواد ، والكتاب والدعاة من أرجاء العالم جميعا ، دليلا على ان المتربع على العرش البريطانى لم يعد ملكا على انجلترا وحدها بل على الامبراطورية بأسرها ، تتمثل فيه وحدتها وقوتها ، وتتجه اليه بولائها ووفائها ، وتلقى عليه عبء جهادها فى سبيل الحضارة الانسانية

ح . غ .



تقاليد البرلمان الانجليزى

عن كتاب « الانجليز » بقلم الكاتب الفرنسى الكبير اندريه موروا

كتاب « الانجليز » لاندريه موروا من اعظم ما كتب عن الشعب الانجليزى فى العصر الحديث . وهو يحلل الشخصية الانجليزية بقلم الاديب البارع والمؤرخ الكبير ، ويتناول مختلف النظم الانجليزية ومن بينها النظام البرلمانى الذى نلخص ما اورده عنه فى المقال التالى [المحرر]

بريطانيا العظمى فى نظر اندريه موروا تشبه قصرا من القصور التاريخية العتيقة التى طال عليها القدم وهى ما تزال صامدة للدهر صمود الراسيات • وحول القصر أشجار باسقات ، وورود متسلقات ، وأزهار أفضت ببذورها مئات المرات لعشرات الاجيال من ساكنى القصر وسدنته • والقصر نفسه حوى من آثار الماضى كل قديم وثمين من الاثاث والرياش ، وكل جديد مستطرف من طيبات المدنية الحديثة ومبتدعات العصر الجديد • وعلى جدران القصر العتيق ترى نقوش الزمن الغابر وقد امتدت من خلالها الاسلاك الكهربائية الحديثة ، ومع وجود الدرج القديم الذى يصعد الى الطابق الاعلى بشكل ثعبانى حلزونى عجيب ترى المصعد الكهربائى الحديث • وفى الابهاء والحجرات ترى مئات اللوحات الزيتية ، بعضها بارع التصوير باهره وبعضها بشع تأنف العين من رؤيته

ولقد يكون منزل صغير أصلح للسكنى من مثل هذا القصر ، ولكنه لا يكون « منزلا انجليزيا » ولا يمثل أطوار الانجليز وأهواءهم ، ويفقد فى نظرهم هذا السحر الذى يستهويهم به قصرهم ذو الشرفات والابراج ••

وانجلترا فى نظره قد نمت وارتقت معارج العظمة ببطء وهوادة • فالخطأ والصواب ، والهزائم والانتصارات ، والسلام والاستقرار ثم الحروب والثورات ، كل أولئك فى تاريخ انجلترا مسطور وله تقليد مصون ومقدس • وفى أسماء أيامهم اسمان لالهين من آلهتهم أيام الوثنية هما « ثور » و « فريا » ليومى الخميس والجمعة مع انهم من أشد الشعوب تدينا ومسيحية • وقد ورثوا عن ملوكهم النورمانديين الطاعة مع الحرية • وتوصلوا الى أرفع نظم الحكم وليس لهم دستور مكتوب غير العرف المصطلح عليه

وعلى هذا النهج من التطور الحر المطلق من كل القيود مع التناقض فى كثير من الاحيان تدرج النظام البرلمانى فى انجلترا من مجلس استشارى من النبلاء الى ما نراه الآن من نظام برلمانى يعد أقدم وأنبل نظام فى العالم كله

وفيما يلى عرض لهذا النظام كما شرحه اندريه موروا فى كتابه :

تمتعت بريطانيا العظمى منذ القرون الوسطى بمجلسين،أحدهما انتخابى ـ وهو مجلس العموم ، والآخر ـ وهو مجلس اللوردات يتألف معظمه من اللوردات ويضم اليهم طائفة من رجال الدين والقضاة

ومجلس العموم لم يكد يعترضه شىء من العقبات منذ قيد الانجليز ملوكهم وأودعوا ما انتزعوه منهم من سلطات فى مجلسهم العتيد. أما مجلس اللوردات فهدد أكثر من مرة : عندما عارض فى اصلاح نظام الانتخابات فى سنة ١٨٣٢ ، وعندما وقف فى وجه لويد جورج فى سنة ١٩٠٩ معارضا فى ميزانيته فطالب الراديكاليون بالغائه . ولكن المرونة المتوافرة فى خلق الانجليز انتشلته من ورطاته وحافظت على كيانه وتوقيره ، هذا الى ان للملك حق اجراء حركة تعيينات تمكنه عند الازمات من تحويل أكثرية مجلس اللوردات الى السياسة المطلوبة

ومجلس اللوردات كما هو معروف ليس له حق رفض القوانين . وكل ما يملك من نفوذ هو اعاقة تنفيذ بعض القوانين فترة من الزمن

وعلاقة المجلسين على وجه العموم حسنة . وفى اليوم الذى يحدده المرسوم الملكى لبدء الدورة البرلمانية يجتمع أعضاء كل مجلس فى قاعتهم . ثم يسمع على باب مجلس العموم وهو مغلق طرق عنيف من أحد السعاة ، ويعلن للنواب قدوم « الصولجان الاسود » « Black rod » ـ وهو مندوب مجلس اللوردات ـ لدعوة النواب للانتقال الى قاعة المجلس الآخر . وهناك ينبئهم حامل الاختام الملكية بأن جلالة الملك الامبراطور يرجو منهم أن ينتخبوا من بينهم رئيسا « Speaker » . وهذا الرئيس عندما ينتخب يلبس الروب والشعر الابيض المستعار ـ رمز الجلال والوقار

ثم تنعقد الجلسات تباعا وتفتتح دائما بالصلوات للملك ، والملكة وولى أو ولية العهد ، وللبرلمان نفسه ..

وتطبق فى جلسات مجلس العموم قواعد وآداب بالغة منتهى الدقة . منها انه لايسمح لأى نائب بتلاوة خطبته من ورقة مكتوبة . ولا التدخل بين الرئيس وأحد الخطباء . وعلى النائب الذى يتكلم من الصف الامامى ألا يتعدى حدود البساط الضيق المفروش تحت قدميه ، وسبب ذلك ان النواب كانوا قديما يجتمعون حاملين سيوفهم ومسلحين ، فكان من التحوط ألا يسمح لهم بالتقدم الى منصة الرياسة خوفا من وقوع ما لا تحمد عقباه . وكذلك لا يصح تسمية أحد النواب باسمه ، بل يكفى أن يقال « حضرة النائب المحترم ».. فاذا كان النائب محاميا قيل « حضرة الجنتلمان المحترم العلامة » . فاذا كان من رجال الجيش قيل « حضرة الجنتلمان المحترم الباسل » . أما اذا كان وزيرا فيقال له « حضرة الجنتلمان الوافر الاحترام » . واذا أخل أحد بهذه القواعد وآداب السلوك تصايح النواب من كل ناحية : « النظام النظام ! » ..

وعلى كل نائب أن يصوت بنفسه وحال حضوره. والمصوتون حال التصويت ينقسمون الى فريقين ويقفون في ممرين ضيقين أحدهما لنعم والآخر لـ « لا » . وهناك يحصى كل فريق موظفون مختصون ، ومن ثم لا يمكن التصويت بالوكالة. وقد جرى العرف بأن يتفاهم الحزبان المتعارضان على تخلف عضو من أحدهما اذا ما عول عضو من الحزب الآخر على الغياب ، وبذلك يخسر كل منهما صوتا واحدا فيستمر التعادل بينهما

ولعل من لطائف مجلس العموم البريطاني انه كلما أعلن الرئيس انتهاء احدى الجلسات في المساء تصايح سعاة المجلس : « من العائدون الى منازلهم ؟ » ، وردد رجال البوليس في جميع غرف المجلس هذا النداء . وما من حاجة الى ذلك الآن ولكنه تراث توارثه المجلس عن الزمان القديم حينما كانت عودة أحد الاعضاء وحده محفوفة بالاخطار من اعتداءات اللصوص أو مؤامرات الاعداء ، وكان الغرض من النداء تأليف جماعات تمشى في حراسة البوليس فيحجم اللصوص أو المتآمرون عن مهاجمتها

وليس لعضو البرلمان أن يستقيل من النيابة . فقد كانت النيابة قديما تعد وظيفة اجبارية وما دام العضو قد قبل النيابة فلا مندوحة عنها . وليس معنى ذلك ان النواب لا يملكون التملص من نيابتهم ، فان النظم البريطانية العجيبة قد أوجدت لهم من مأزقهم مخرجا : فكل عضو في البرلمان اذا التحق باحدى وظائف التاج يجب أن يتنازل عن نيابته . وبذلك يتمكن النواب دائما من التخلي عن نيابتهم بالتحاقهم — ولو مؤقتا — بأية وظيفة ثانوية . وقد اخترعوا وظيفة لهذه الحالة وحدها ، وهي ما أطلقوا عليها اسم « Stewardship of the Chiltern Hundreds » وهي ليست في الحقيقة احدى الوظائف، وما لها من حقوق ولا عليها من واجبات ، وانما هي « وظيفة » وهمية يطلب الالتحاق بها كل عضو يرغب في الاستقالة من المجلس ، وهي دائما تمنح على وجه السهولة ، وبذلك يستطيع النائب أن يترك المجلس بوسيلة غير « الاستقالة » التي حرمها العرف على النواب ، وفي ذلك محافظة على تقليد انجليزي عتيق من التقاليد التي يحبها الانجليز ويحرصون على بقائها حرصا شديدا

وقاعة الاجتماعات في البرلمان الانجليزي هي مستطيل صفت على جانبيه المقاعد للنواب ، وفي الصدر كرسي الرياسة المرتفع ، تقوم أمامه مائدة ضخمة تفصل بين مقاعد الوزراء ومقاعد زعماء المعارضة . وهذه المائدة هي التي راح غلادستون يضربها بقبضة يده بعنف أطار الاوراق التي كانت فوقها ، فقام دزرائيلي لجمع ما تناثر منها بابتسامة صفراء تنبيء عن الدهاء والتشفي

ومن الغريب ان قاعة مجلس العموم لا تتسع لكل النواب لو حضروا احدى الجلسات جميعا . لذلك لا يندر أن يرى المتفرج جماعة من النواب وقد تكدسوا في مكان ضيق ، أو مكان النائب الواحد يحتله ثلاثة نواب .. وهم يؤثرون هذه المضايقات على تغيير ماجاءهم به تاريخهم البرلماني المجيد من تراث عتيق

***

وعندما تتم موافقة المجلسين على أحد القوانين يرفع الى الاعتاب الملكية للموافقة عليه • ومن الغريب ان توقيعات ملوك الانجليز على القوانين بالموافقة أو الرفض لم تخرج عما جرت به أقلام ملوكهم القدامى فى عهد النورمانديين • فالقوانين المالية مثلا تصدر بالتوقيع الملكي التالى : « الملك يشكر رعاياه الطيبين ويتقبل عملهم الخيرى،ومن ثم صدر هذا الامر الملكي بالموافقة والقبول » • واذا تقدمت الحكومة بقانون عادى صدر عليه التوقيع التالى : « صدر الامر الملكي بالموافقة والقبول » • فاذا قدم قانون بناء على اقتراح أحد النواب قيل : « يجرى العمل بما رآه » • أما فى حالة عدم الموافقة فتصدر الارادة الملكية منبئة عن ان جلالته سينظر فى الامر

ومما هو جدير بالملاحظة ان البرلمان الانجليزى ليس فيه منصة للخطباء ، ومن ثم يتكلم النواب والوزراء أو يخطبون من مقاعدهم ، وفى ذلك تقليل متعمد من شأن الخطب والخطباء وتضييع لسحر البلاغة والبيان حال الانفراد بمنصة عالية والصولان والجولان فيها والتحمس أو ضرب المائدة باليد أو ما شاكل ذلك مما لا بد منه لرفع حرارة الخطب والهيمنة على عواطف السامعين

وجميع الخطب البرلمانية الانجليزية تتوفر فيها البساطة والبعد عن التهويل و «الخطابة» ومن نوادر الانجليز البديعة ما يروى من ان جوزيف تشمبرلين ألقى مرة خطبة برلمانية « رنانة » •• فبادره أحد النواب القدماء بقوله : « انها خطبة بديعة جدا يا مستر تشمبرلين• ولكن المجلس يكون ممتنا لو انكم ترددتم قليلا أو تلعثم منكم اللسان •• »

وغضب أحد النواب ذات مرة من الضوضاء التى أحدثها زملاؤه وهو يلقى خطابا ، واحتج لدى الرئيس على ذلك قائلا ان من حقه أن يستمع النواب اليه •• فأجابه الرئيس على الفور : « لا يا سيدى ان لك الحق فى الكلام •• ولكن للمجلس أيضا الحق فى أن يقرر الاستماع اليك أو عدم الاستماع ! »

ولا شك فى ان البرلمان الانجليزى يدير دفة الشئون البريطانية ببراعة لا تتوافر فى اى برلمان آخر •ولعل ذلك راجع الى وجود الاحزاب الكبيرة والمنظمة أدق تنظيم لايمكن أى عضو من مناهضة حزبه أو محاولة التمرد عليه ، والا فقد مقعده البرلمانى فى الحال • لذلك تقبل أية حكومة على دست الحكم وهى مطمئنة الى ان أمامها أربعة أعوام أو خمسة ما لم تقع أحداث خطيرة أو تبدلات داخلية على أعظم جانب من الاهمية • أضف الى ذلك ان لرئيس مجلس الوزراء الحق فى تعطيل الدورة البرلمانية واجراء انتخابات جديدة تنبىء عن شعور الناخبين الحقيقى ازاء سياسته وحق التعطيل هذا كثيرا ما يعوق أحزاب المعارضة من خلق الازمات أو توريط الحكومات فى المآزق الحرجة

***

ويرجع بعض الباحثين سهولة تآلف أحزاب انجليزية كبيرة فى انجلترا ــ بعكس أحزاب فرنسا الصغيرة المتعددة مثلا ــ الى وضع قاعة وستمنستر وشكلها المستطيل ،

فالمكان المستطيل يستلزم صفين اثنين من المقاعد ، ومن ثم حزبين كبيرين .. بعكس قاعة البرلمان الفرنسي التي يسهل معها تأليف أحزاب صغيرة لتملأ مختلف الاركان .. ولكن لهذه الظاهرة وجها آخر أعمق من مجرد أوضاع القاعات ، فالانجليزي أطوع من الفرنسي وأسلس انقيادا للقانون . وعنصر الفردية فيه أقل ظهورا منه عند الفرنسي ، ومن ثم يسهل اندماج عدد كبير ممن يملكون حق التصويت في حزب واحد وانقيادهم لمبادىء واحدة وزعيم واحد . هذا الى ان كل مرشح في الانتخابات يدفع تأمينا كبيرا . وهو يخسر هذا التأمين اذا لم يحصل على نسبة معينة من الاصوات . وهذا لا يشجع على ظهور الاحزاب الصغيرة ، لان خزائنها لا تتحمل خسائر التأمينات

وصفوة القول في النظام البرلماني الانجليزي ان البرلمان يملك كثيرا من الحقوق التشريعية ، والحكومة أيضا تملك كثيرا من الحقوق التنفيذية . ولو ان هاتين القوتين وجدتا بهذا التوازن وتساوي القوى تقريبا في شعب آخر لافضت الحال الى كثير من المصادمات وتنازع الاختصاص . ولكن انجلترا ـ بلد احترام العرف وقدسية التقاليد ـ تسوق نظمها الدستورية وترعاها بعصا سحرية فما يصطدم فيها نظام بنظام ، ولا سلطة بسلطة ، بل تسير مختلف السلطات على نهج سلمي بديع وبانسجام وتآلف

***

« المحرر » نضيف الى ما تقدم ان مجلس اللوردات يتألف من نحو ٧٠٠ نبيل من نبلاء انجلترا يحضر الجلسات ثلثهم تقريبا . والسيدات النبيلات يرثن اللقب ولكن لا يجلسن في المجلس ، يضاف الى ذلك رئيس أساقفة كانتربري ويورك ، وأساقفة لندن وونشستر ودرهام وواحد وعشرون أسقفا آخرون يختارون بالاقدمية ، وستة عشر نبيلا اسكتلنديا يختارهم مجلس النبلاء الاسكتلندي للجلوس في مجلس اللوردات طوال الدورة البرلمانية وهي خمس سنوات ، وثمانية وعشرون نبيلا ايرلنديا يجلسون في المجلس مدى الحياة ، وستة من كبار القضاة هم قضاة الاستئناف يجلسون مدى الحياة أيضا، ويرأس المجلس رئيس قضاة انجلترا وهو في نفس الوقت حامل الاختام الملكية Lord Chancellor وهو يجلس على كيس كبير من الصوف يرمز الى عظمة انجلترا الصناعية والتجارية في القرون الوسطى

أما مجلس العموم فيتألف من ٦٤٥ عضوا منهم ٥٢٨ من انجلترا نفسها وبلاد الغال « Wales » و ٧٤ عن دوائر اسكتلندة ، و ١٣ عن دوائر شمال ايرلندة

ويصلح لعضوية البرلمان جميع رعايا المملكة سواء أكانوا من مواليد انجلترا أو من مواليد المستعمرات بشرط أن يكونوا مقيمين في انجلترا أيام الانتخابات . ويتمتع بهذا الحق الذكور والاناث على حد سواء . ولا يحرم من عضوية البرلمان الا القاصر أو المعتوه أو المفلس أو الذي صدر ضده حكم لخيانة عظمى أو جريمة حكم فيها بالسجن لمدة تجاوزت العام ـ وان يكن من الجائز التمتع بالحقوق البرلمانية بعد انقضاء مدة السجن أو

صدور حكم بالعفو قبل موعد الانتخابات . ويحرم كذلك من تقدم للانتخابات ثم صدر ضده حكم فى قضية رشوة للناخبين . والحرمان هنا أبدى عن الدائرة نفسها ولمدة سبع سنوات عن أية دائرة أخرى . كما يشمل الحرمان جميع رجال الكنيسة الانجليزية والاسكتلندية والكاثوليكية وجميع نبلاء انجلترا واسكتلندة ـ أما نبلاء ايرلندا فيسمح لهم بعضوية البرلمان اذا ثبت ان ليست لهم علاقة بالنبلاء المعينين فى مجلس اللوردات عن بلادهم . ويحرم أيضا جميع موظفى الحكومة ما داموا فى وظائفهم ، والقضاة ، ورجال الجيش والبحرية ـ وهناك استثناء واحد لكل هؤلاء ـ وهو الوزير ..

هذا ونضيف الى ما ذكره اندريه موروا عن الوظيفة الوهمية التى يتخلص بها النائب من نيابته بدل الاستقالة ان النائب الراغب فى ترك مجلس العموم يمكنه أن يطلب من الحكومة أيضا تعيينه حارسا قضائيا على مزرعة « نورث ستيد » ، وهى مزرعة وهمية ليس لها وجود !

ويتقاضى النائب فى مجلس العموم ما لا يزيد على ٤٠٠ جنيه سنويا . أما فى عهد الملكية الاستوارتية وما قبل ذلك فكان العضو يتقاضى أجرا يوميا عن كل جلسة يحضرها . وآخر عضو كان يتمتع بهذه اليومية هو « اندرو مارفل » عن دائرة كنجستون أوز هل ، وكان يتقاضى عن كل جلسة ستة شلنات وثمانية بنسات

استدراك

نشرنا على صفحة ٢٦٣ من هذا العدد مقال « المكتشفون الاثريون الانجليز فى مصر » للاستاذ محرم كمال ، وذكرنا وظيفته على انها « مفتش آثار منطقة الثبا » فى حين انها « كبير مفتشى آثار مصر الوسطى »

هذا وقد وردت فى هذا المقال بعض اخطاء مطبعية هى : فى صفحة ٢٦٤ وفى السطر الرابع والعشرين اسم (الاثيبن) وصحته (الاتيش) . وفى صفحة ٢٦٥ وفى السطر الثلاثين (فى جهة طوخان) وصحتها (فى جهة طرخان) . وفى صفحة ٢٦٧ السطر الثالث اسم (امحتب) وصحته (امنحتب) والسطر الثامن (١٩٠٣) وصحتها (١٩٠٢) ، وفى السطر السادس والعشرين (سيتاح) وصحته (سيبتاح) . وفى صفحة ٢٦٩ السطر الاول (عام ١٩١٨) وصحته (عام ١٩١٧) ، وفى السطر الحادى والعشرين (فاذا هما فى حجرة) والصحيح :فاذا هما فى ردهة تؤدى الى حجرة

الحصر البحرى

أول هجوم بريطانى على المانيا

كانت هذه الحرب العظمى الثانية من يوم اعلانها سلسلة من حلقات الهجوم الالمانى فى القارة الاوربية ذهبت ضحيتها كل هذه الدول التى سقطت صرعى فى ميادين القتال . وراح الناس فى جميع انحاء العالم يتساءلون : هل تنوى بريطانيا العظمى الاستمرار على خطة الدفاع فقط دون الهجوم .. وهل بخطة الدفاع وحدها تكسب الحرب ؟ وكان من جملة المتسائلين فريق من كبار رجالات بريطانيا نفسها الذين راحوا يرمون حكومتهم بالتهاون والدعوة الى التردد والهزيمة

فالى أى حد هم مصيبون فى دعواهم هذه ؟ والى أى حد كانت بريطانيا العظمى مدافعة ولم تنهج خطة الهجوم ؟

الواقع أن بريطانيا لم تلتزم خطة الدفاع وحدها منذ اعلان الحرب . فاسطولها كان مهاجما على طول الخط . ومع الهجوم بدأ الحصر وأخذ يشتد حتى أصبح كالاغلال الحديدية تطوق القارة الاوربية . وهذا الحصر البحرى أشد وابعد اثرا من الهجوم البرى فان له صفة الاستمرار ، ومع الاستمرار تزيد القوة المحاصرة وتتضاعف ، فيتضاءل امامها كل هجوم برى خاطف يشتد اياما ثم يزول وتضمحل آثاره

فبعد اعلان الحرب ببضع ساعات اعلن الحصر البحرى على المانيا ، فشلت حركة الموانى الالمانية فى الحال وما تجاسرت السفن على مغادرتها بعد ذلك . ثم ان السفن التى كانت قد ازمعت السفر الى المانيا عادت ادراجها أو عدلت من خط سيرها

ومع أن الدول الاوربية التى كانت على الحياد ظلت على نشاطها البحرى والتجارى ، وكان فى هذا النشاط فائدة غير مباشرة لالمانيا ، الا ان هتلر آثر ان يضحى بما كان يرد اليه عن طريق موانىء هذه الدول فى سبيل محاولة تحطيم الحصر البريطانى المضروب ، ومن ثم احتل الدنمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وسواحل فرنسا ، فأحال موانيها الحية الى موانىء ميتة من وجهة النظر التجارية ، واعلن انه سيستخدمها لشل حركة بريطانيا التجارية واغراق اكبر عدد ممكن من سفنها الحربية . فكأنه بذلك قد قام بهجوم المانى معارض للهجوم البحرى البريطانى . وفى ذلك ابلغ دليل على ان بريطانيا كانت فى البحر مهاجمة من أول ايام الحرب وما التزمت خطة الدفاع قط الا لرد العدوان بمثله

وقبل ان نعرض لطريقة هذا الحصر وجهود الالمان لتحطيمه ، ينبغى ان نذكر ان بريطانيا لا تزال بيدها مفاتيح دوفر وجبل طارق والسويس وعدن ، ومعنى ذلك ان بيدها

مفاتيح الابواب المغلقة على أوربا والتى تحبسها حبسا تاما عن بقية القارات • وكل نجاح حربى لالمانيا فى القارة الاوربية قد تكون له نتائجه الوخيمة ، وقد يطيل اجل الحرب ، ولكنه لن يكون عاملا حاسما فى النصر طالما ظلت هذه المفاتيح فى يد بريطانيا

أما الحصر البريطانى فله وجهان : وجه هجومى ووجه دفاعى • ومن الغريب ان الناحية الهجومية فى الحصر البحرى هى التى يخيل لسكان البر انها خطة دفاعية ـ أو بعبارة أخرى انها الركود والجمود بعينه ، وينسى هؤلاء إن الفريق الذى سينتصر هو الذى تحمل اليه سفنه أوفر عدد من الاطنان ، وان الاسطول البريطانى بصموده فى دوفر وجبل طارق والسويس وعدن ، وحرمانه ألمانيا من كل طن يصدر اليها من أية جهة من جهات العالم ، قد هجم عليها أشد هجوم يمكن تصوره ، وقد أوقع بها هزيمة حربية منكرة • كل ذلك بدون قتال تقريبا • ومع ان احتلال الموانىء الفرنسية قد بعث فى نفوس الالمان الامل فى انعاش حركتهم التجارية ، الا أن يقظة الاسطول البريطانى المرابط بالقرب من الشواطىء الفرنسية قد كاد يلاشى هذا الامل

أما الوجه الدفاعى للحصر البحرى فهو الذى يخيل للناس انه هجوم •• فان العدو باستكانته أمام الحصر وخوفه من اطلاق سفنه فى البحار قد عمد الى شن الغارة على الاسطول البريطانى بغواصاته وطائراته وسفنه الحربية ، مما استلزم من الانجليز خطة دفاعية ظهر طابعها الهجومى فى انتحار بارجة الجيب جراف شبى واغراق هذا العدد الكبير من غواصات الالمان واسقاط طائراتهم وتدمير مدمراتهم فى مياه النرويج والهجوم الموفق على القاعدة البحرية الايطالية فى تارنتو ، فحسب المراقبون ان كل هذه الانتصارات سلسلة من الهجمات البريطانية مع انها هى الدفاع بعينه

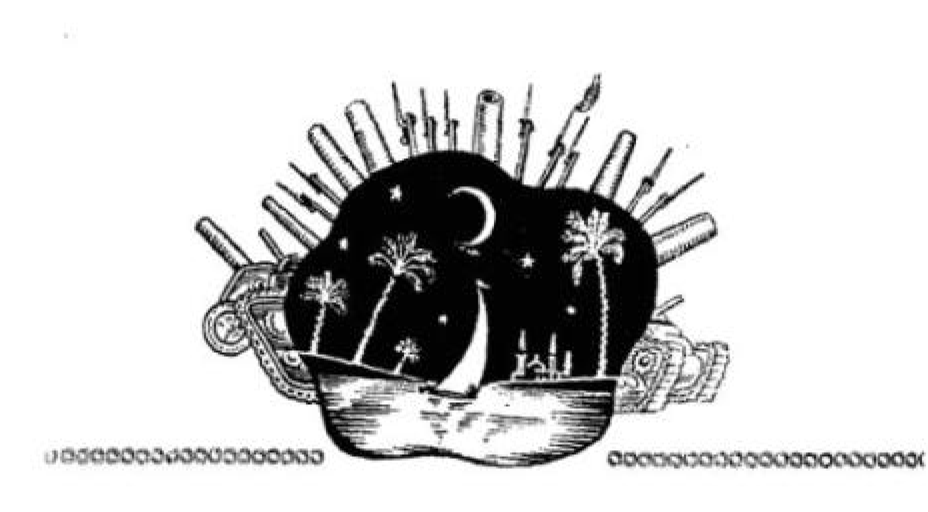
ومع ان الاسطول التجارى البريطانى قد خسر منذ اعلان الحرب بمعدل ٥٠٫٠٠٠ طن أسبوعيا تقريبا ، فان حمولته الآن ما تزال أكبر منها يوم اعلان الحرب • فان الاحواض البحرية تنتج السفن باستمرار • أضف الى ذلك استيلاء الانجليز على جانب كبير من الاساطيل التجارية النرويجية والهولندية والبلجيكية والفرنسية•وان نجاح فكرة القوافل البحرية ، ويقظة الاسطول البريطانى سيكفلان تقليل الخسائر البحرية بقدر الامكان أو الاحتفاظ بنسبتها المذكورة على الاقل • والانجليز فى هذه الحال هم الرابحون حتما ، فانهم يواصلون الحرب وقد وطدوا العزم على تحمل خسارة ٥٠٫٠٠٠ طن أسبوعيا حتى تضع الحرب أوزارها

(عن مقال بقلم الكابتن برنارد اكورث فى مجلة « بريطانيا اليوم »)

فهرس الهلال : الجزء الثانى من السنة التاسعة والاربعين



ابريل ١٩٤١





بقلم حضرة صاحب المعالي مصطفى باشا عبد الرازق

وزير الأوقاف

لئن مات محمد محمود وهو زعيم سياسي ، فان في زعامته نوعاً من الأبوة التي كانت لأبيه في الجيل الماضي

كان المغفور له محمود باشا سليمان والد المرحوم محمد باشا محمود رجلا وجيهاً في قومه جمع بين جلال السن وجلال المجد القديم والغنى الموروث ، من بيت حكام إداريين في إقليم الصعيد في ذلك العهد الذي لم يكن يصل فيه الى مناصب الحكم من المصريين إلا قليل . وكان محمود سليمان رجلا ذكيّ الفؤاد موفور التجارب واسع السياسة واسع الصدر قويّ الارادة قويّ الشكيمة في رزانة وحلم وتدين

كل تلك الخلال جعلت من أبي سليمان زعيما وأباً لكل أعيان عصره منذ أواخر القرن الماضي

ونشأ فقيد البلاد المرحوم محمد باشا محمود ممتازاً في أهله ممتلىء النفس بما لوالده من مقام وجيه وذكر نبيه ، فطبع على غراره في كثير من نواحيه

وان الذين شهدوا فقيد اليوم في صبره على الداء يلتهم حياته أقسى التهام ويقلبه على مهاد من السقم والآلام طوال عام وأكثر من عام لتعود بهم الذاكرة الى محمود باشا سليمان الذي عاش أكثر من أربعين سنة مريضاً محروماً من شهي الطعام وبارد الشراب وهو متجلد صبور ناهض بمبثه في الحياة أكمل نهوض

ورث محمد محمود كثيراً من صفات أبيه فكانت تلوح عليه في صباه مخايل زعامة تكبر عن سنه فتظهر في مظهر الترفع والتعالي



الجزء الثالث ـ السنة ٤٩

ول ابريل ١٩٤١ – ٤ ربيع الاول ١٣٦٠

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

قيمة الاشتراك : مصر والسودان ٨٥ قرشا ، سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق ١٠٠ قرش ، البلدان الاخرى ١٣٠ قرشا أو ـ/٧/١ جنيه انجليزى ، أو ٦ر٥٠ دولاراً أمريكية أو ١٠٠٠ قرش برازيلى

AL HILAL — Cairo, Egypt

(April 1941)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50 or 100 $. 000 (Brazilian Currency).

وقد أتم مراحل التعليم الأولى فى أسيوط . وأسيوط يومئذ مدينة ممتازة بحركة تعليمية تتنافس فيها المدارس الحكومية مع ما أنشأته هناك الجاليات الأجنبية من معاهد . وأتم التعليم الثانوى فى المدرسة التوفيقية وهى يومئذ فى أزهى عصورها

ولما نال شهادة البكالوريا أوفده والده الى انجلترا مزوداً بفطرة سليمة وتربية قويمة وأساس علمى متين ، وقد تيسر له فى أثناء دراسته بجامعة أكسفورد ما لم يتيسر لغيره من الاتصال بالأوساط الارستقراطية الانجليزية التى وجدت فيه من شيم النبل ومخايل المجد ووجاهة الثروة ما يقربه اليها ووجد فيها من الخلال العالية ما يلائم طبيعته . وكانت بريطانيا العظمى حين ذاك تهيىء للعمل فى إدارة امبراطوريتها شباناً متخيرين من أرقى الطبقات مثقفين فى أرقى الجامعات فعرفهم محمد محمود وعرفوه أتراباً فى معاهد التعليم وفى الحفلات الاجتماعية . وعاد محمد محمود الى مصر وقد ازدهرت مواهبه الوراثية وأفادته الرحلة والثقافة العالية وعرف الكثير من شئون الحياة الانجليزية وأدرك الكثير من أسرارها وتأثرت نفسه بكثير من الصفات الانجليزية التى كان مستعداً لأن يتأثر بها

جاء الى مصر والانجليز أشد الناس بغضاً إلى المصريين والسياسة الانجليزية فى دور من العنف لا يدع للتفاهم مجالا . وكان الشاب العائد من اكسفورد يحب بلاده فوق كل حب ويريد لأهل بلاده العزة والكرامة والسيادة ، ثم كان يرى أن الانجليز هم أنبل شعوب أوربا خلقاً وأكرمهم سياسة حين يحصل التفاهم معهم على أساس من الصراحة والاخلاص والثقة

لذلك جعل همه أن يكون الانجليز أهلا لمحبة المصريين والتعاون معهم وأن يكون المصريون موضعاً للاحترام والثقة من الانجليز . كل ذلك لمصلحة مصر وفى سبيل هذه المصلحة لقي عنتاً كبيراً وشوهت فى بعض الأحايين كل التشويه مساعيه التى كللت بالفوز فى النهاية

نجح محمد محمود أعظم نجاح فى الوظائف الادارية التى وليها وتبينت فيها مقدرته الادارية الوراثية كما تبينت منازعه الاصلاحية القائمة على أساس النزاهة والرقى التدريجى والعناية بشأن الفلاح الذى ظل محمد محمود حياته كلها معتزاً بالانتساب اليه حريصاً على أن يتحدث بلهجته الريفية فى كل المجامع

واشتغل بعد ذلك محمد محمود بالسياسة ، وقد أحكمته السن وأحكمته التجارب فصار سياسياً كاملاً تمت له كل أدوات السياسى الكامل من الحكمة والدهاء والالهام السياسى .



المغفور له محمد محمود باشا

فقدت مصر فى منتصف ليلة أول فبراير الماضى قطبا من أكبر أقطابها وزعمائها السياسيين هو المغفور له صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين . ويجد القارىء على الصفحات التالية مقالا بقلم صديقه معالى وزير الأوقاف الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق

وزاحم بالمناكب عظماء السياسة في البلاد وكلهم حين ذلك أكبر منه سناً وأعلى في الوظائف رتبة وأظهر بين الجمهور اسماً . أما نجاحه في حياته السياسية فليس أدل عليه من وقع نعيه في البلاد ومن مشهده الذي كان حافلاً بجميع الطبقات وكلهم آسف عليه حزين وكلهم مثن على ما قدم لبلاده من الصالحات

ولئن مات محمد محمود وهو زعيم سياسي ، فان في زعامته نوعاً من الأبوة التي كانت لأبيه في الجيل الماضي

وصلتي السياسية بالمرحوم محمد باشا محمود قريبة العهد لأنني كنت بعيداً عن السياسة حتى دفعتني حوادث الزمن اليها دفعاً ، على أن صلتي به في الأخوة والود قديمة جداً

ولقد فجعنا بفقده زعيما صالحاً مصلحاً . وفجعنا بفقده أخاً عزيزاً كان ملء القلوب والابصار

شهدت محمد محمود باكياً في مآتم اخوتي الذين ثووا قبله في صحراء الامام ، وسرت في جنازته فلم أكن أجدني إلا مشيعاً لبعض تلك المآتم

سلام الله ورحمته عليهم جميعاً

مصطفى عبد الرازق

الطلاق والزواج

« ان الطلاق وجد في العالم مع الزواج في زمن واحد تقريباً غير اني أظن ان الزواج أقدم ببضعة أسابيع . بمعنى ان الرجل ناقش زوجته بعد أسبوعين من زواجه ، ثم ضربها بعد ثلاثة أسابيع ، ثم فارقها بعد ستة أسابيع » (فولتير)

الانتصار البريطانى
وأثره فى الشرق العربى

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

للانتصار البريطانى أثر عظيم فى البلاد العربية من جهة السياسة، ومن جهة الاقتصاد أو تدبير الثروة، ومن جهة الاجتماع وهى أهم هذه الوجهات الثلاث. وعليها يتوقف مصير الامور

الانتصار البريطانى الماثل أمامنا الآن هو انتصار الجيش البريطانى على الجيش الايطالى فى الميادين الليبية، وأثره عظيم فى البلاد العربية لأنه قد أبعد عنها الخطر المباشر الذى كان يهددها من جانب القوة العسكرية الايطاليـة أولا ثم من جانب المذهب الفاشى الذى كان وشيكا أن يغمرها و ينتشر فيها، وهو على ما نعتقد أخطر من بلاء الفتح العسكرى وحده على شدته وسوء عقباه. واقتران النصر البريطانى فى الميادين الليبية بالنصر البريطانى فى ميادين أفريقيا الشرقية خليق أن يزيد الخطر الفاشى بعداً على بعد وأن يزيد البلاد العربية أمانا على أمان، لأن قيام دولة شعارها الاعتداء، والتوسع فى الاستعمار على شواطىء البحرين الأبيض والأحمر معناه خنق البلاد العربية والقضاء على آمالها فى الحرية وعلى ما عندها من ثروة مستقلة ترجو لها النماء، وتحاول أن تلقي عليها اعتمادها شيئاً فشيئاً فى مقبل الأيام

ومن أثر الانتصار البريطانى أن تخفت أصوات الدعوة النازية والدعوة الفاشية بين أمم العرب، بعد أن ارتفع لها صوت ممقوت على ألسنة أناس من الخونة والجهلاء، وأصحاب المآرب التى لا تستريح الى حرية الشعوب ولا يهدأ حنينها الى عهود الظلم والاستبداد

وفى اعتقادنا أن النظام الذى سيوضع لبرقة وطرابلس بعد خلاصهما من الحكم الفاشى سينشىء فيهما نموذجاً من الحكم الديمقراطى لا يسهل على الحاكمين أن يتجاهلوه فى البلاد المشابهة لها والتى تقع فى جوارهما كتونس والجزائر ومراكش الفرنسية والاسبانية، وربما ساعد هذا

لنظام الجديد على تخفيف الضغط عن فلسطين من ناحية المشكلة الصهيونية ، لأن توزيع هذه المشكلة يساعد على تدبير حل لها قد يستعصى مع تركيزها وانحصارها فى بقعة واحدة

أما إذا أردنا الانتصار البريطانى الشامل على المانيا وايطاليا معاً وهو الانتصار الذى يعد كسباً للحرب الحاضرة وفصلا بين الديمقراطية والدكتاتورية فذلك انتصار بعيد المدى بعيد القرار لا تنحصر آثاره فى جانب واحد من جوانب الحياة العالمية ولا الحياة القومية بيننا نحن أبناء الشرق العربى ولا بين سائر البقاع والشعوب

ولكننا نلخص آثاره بيننا من وجهة السياسة ومن وجهة الاقتصاد أو تدبير الثروة ، ومن وجهة الاجتماع وهى أهم هذه الوجهات الثلاث وعليها يتوقف مصير الأمور فى المسائل السياسية والمسائل الاقتصادية على السواء

فأما آثار الانتصار البريطانى بين أمم الشرق العربى من وجهة السياسة فهى الآثار المعقولة التى يسفر عنها تحقيق مبادىء الديمقراطية ، ولا انفصال بين هذه المبادىء وبين حقوق تقرير المصير واقامة العلاقات بين الأمم كافة على أساس التعاقد الحر والتحالف الذى تلاحظ فيه مصالح جميع المتحالفين

وجملة ما يقال فى هذا الباب أن نصيب الأمم الشرقية من الحرية سيزداد ولا ينقص ، وأنها ستصبح وزناً محسوباً فى ميزان الشئون الدولية لاتصالها بالقارات الثلاث واستحالة الاتفاق على نظام عالمى دون الاكتراث الى البقاع التى تتوسط بين هذه القارات ، أو دون الاكتراث الى الشعوب التى تقيم فيها ولا مناص من ارضائها ورعاية حقوقها

وأما آثار الانتصار البريطانى من الوجهة الاقتصادية فالمرجو أن تكون الحالة بعد الحرب الحاضرة خيراً من الحالة التى عهدناها بعد الحرب الماضية . لان الامم لم تفكر قط أثناء تلك الحرب فى مصير العلاقات الاقتصادية بعد القاء السلاح ، فما هو الا أن عقدت الهدنة وبدىء فى تحويل المعامل الى الصناعات السلمية حتى اندفع الزراع يزرعون والصناع يصنعون والتجار يصدرون ويوردون بغير حساب ، وكان من جراء ذلك اضطراب شديد فى حياة الأمم قاطبة نمثل له بما حدث فى مصر من هجوم على زراعة القطن لاعتقاد الناس أن القنطار منه سيباع ولا يزال يباع بعشرات الجنيهات

فاليوم نسمع ونقرأ أن العناية بمصير المعاملات الاقتصادية بعد الحرب الحاضرة هى منذ الساعة موضوع دراسات وتحقيقات يشرف عليها الخبراء والمختصون ويرتبط بحثهم فيها بمراجع

الحكومات ومصادر التقدير والتدبير ، فلا تصنع السلعة الا على قدر ، ولا تستورد الخامات الا بحساب ، ولا ينطلق التنافس بين طلاب الربح بعيداً من سيطرة الحكومات أو بعيداً من خطط التفاهم الرشيد بين جميع المعنيين بالصناعة من أصحاب مال وعمال ومصدرين وموردين

ولهذا نرجو أن تلقى الامم الشرقية دلوها فى الدلاء وأن تفتح منذ الساعة باب البحث فيما تحتاج هى اليه وفيما يحتاج العالم اليه من مواردها وخيراتها ، ولا ينتظم هذا البحث الا على اتصال بين بعض هذه الأمم وبعض ثم بينها متفرقات أو متجمعات وبين بريطانيا العظمى ومن يتولون فيها دراسة هذه الشئون

أما أثر الانتصار البريطانى من الوجهة الاجتماعية فهو الأثر الاكبر الذى تتوقف عليه الآثار السياسية والآثار الاقتصادية كما أسلفنا

فالمذاهب التى يقع بينها التنازع الآن على تنظيم المجتمع العالمى أو على إنشاء نظام اجتماعى شامل للعالم بأسره هى كما يعلم القراء ثلاثة مذاهب

أحدها المذهب الشيوعى ، وثانيها نظام هتلر الذى يسميه نظام أوربا الجديدة والعالم بأسره من ورائها ، وثالثها هو المذهب الديمقراطى كما يتمثل فى شعوب بريطانيا العظمى

والمذهب الشيوعى قد زعم أصحابه أنهم عالجوا آفات رأس المال فما زادوا بعد انفرادهم بالأمر فى الروسيا كلها زهاء ربع قرن على أن وضعوا رأس مال فى مكان رأس مال آخر . فان الدولة عندهم هى التى تسخر العمال وتحتكر التجارة وتملك المرافق وتجعل العمال بهذه المثابة فى مقام العبيد الذين يحرم عليهم الاحتجاج والاضراب لأنهم فى هذه الحالة يعاملون معاملة الخونة الخارجين على الدولة ، ثم هى ترهقهم بالعمل المضاعف باسم الغيرة على المذهب كما كان الطامعون المستغلون قديماً يرهقونهم بأشباه هذه الغيرة وأمثال هذه العلالات

وليس من المستطاع مع هذا تعميم النظام الشيوعى فى الدنيا بأسرها وحكم الشعوب كافة على النمط الذى تحكم به البلاد الروسية ، سواء توحدت شعوبه أو تعددت على حسب الاقاليم والاجناس والمصالح ومراتب الحضارة والارتقاء

ونظام هتلر ليس فى حقيقته نظاماً عالمياً ولا نظاماً أوربياً تلاحظ فيه مصالح الامم الكبيرة أو الصغيرة ، وانما هو « حيلة شخصية » لخلاص هتلر من ورطته التى أوقعه فيها سوء تدبيره وفساد حسابه فهو اذا فشل ذهب وذهب معه نظامه فى ألمانيا نفسها فضلا عن الامم الاوربية الاخرى وهو اذا بلغ ما يريد — وذلك عندنا مستحيل — تلقته الورطة الكبرى التى تعيى حيلة

الختال ، لأنه جعل ألمانيا من أقصاها الى أقصاها معسكراً واحداً ليس فيه الا الجنود ومن يخدمون الجنود ومن يصنعون السلاح والذخيرة لأولئك الجنود . فهل فى استطاعته أن يبقى هذا المعسكر الكبير على هذا النمط بعد إنهاء السلاح ؟ وهل فى استطاعته أن يبقى أولئك الملايين بغير عمل وهو آمن من ثورتهم وانتقاضهم ؟ . هذا وذاك كلاهما مستحيل

ولأجل الاحتيال على هذه المستحيلات وأشباهها يجب أن تخلو أوربا والعالم قاطبة من الصناعات الهامة وأن تصبح ألمانيا وحدها مصنع القارة الاوربية وغيرها من القارات التى تعول عليها ، وبهذه الوسيلة يستطاع تدبير العمل للملايين من الجنود وصناع السلاح والذخيرة ، وينجو هتلر من « ورطته الشخصية » التى قاده اليها سوء تدبيره وفساد حسابه

ولكن القوانين الكونية التى تسوس أمور الناس أعظم وأضخم من أن تنقلب فى هذا الزمان ألعوبة لعقل مريض يخلص بها من ورطات العقول المراض

فلم يبق الا الاسلوب الذى يجرون عليه فى بريطانيا العظمى لاصلاح عيوب المجتمع كما تصلح عيوب البنية الحية بغير قتل ولا ازهاق ، وخلاصة ذلك أنه إصلاح بغير انقلاب يقوم على التضامن بين الطبقات وعلى اتخاذ الضرائب وسيلة للانصاف فى توزيع الثروة ولكفالة المحتاجين الى كفالة المجتمع من الضعفاء والمظلومين . وقد رأينا كيف أصبح العمال معدودين فى مصانعهم موظفين من قبل الدولة لا يفصلون بغير اذنها فى ظروف الحرب الحاضرة ، وعلى هذا الاساس يتم التوفيق بين حق الملكية وبين قومية المرافق العامة عند الضرورة

وهذه الطريقة البريطانية خير من طريقة الشيوعيين وطريقة الهتلريين ، لأنها تصون الحرية وتصون المنفعة الفردية وتصون المنفعة القومية وتصون بنية المجتمع من زعازع الانقلاب ، واذا هى بعد ذلك لم تحقق كل ما يراد فلن يوجد فى الدنيا أبداً شىء يحقق كل ما يراد ، ولن تقاس المصائب التى تتخلف من علاج آفات المجتمع على هذا النحو بالمصائب التى تصبها على الامم مذاهب الفوضى والدمار والمجازفة على غير أساس وطيد

والتوفيق بين النقائض هو لباب العبقرية الانجليزية فى جميع مطالب الحياة ، فاذا استعد الشرق العربى لعلاج مشاكله الاجتماعية على هذا النحو فقد اعتصم من بلايا الشيوعية وبلايا الوساوس الهتلرية ، وكان هذا الاثر أكبر الآثار التى يجنيها من الانتصار البريطانى فى الحرب الحاضرة

عباس محمود العقاد

جغرافية بريطانيا توجه سياستها

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

المخترعات الحديثة جعلت بريطانيا أشد التصاقاً بأوربا اليوم مما كانت عليه ، بحكم موقعها الجغرافي ، وبات هذا الالتصاق من الشدة بحيث نتوقع بعد الحرب ان نرى بريطانيا تقترب اقتراباً شديداً الى أوربا ، وتعنى عناية خاصة بشئون تلك القارة

يقول المثل المعروف إن « العبرة بالسكان لا بالمكان » ، ولكن الدراسة الجغرافية لا ترضى بأن تغض البصر عن أحد العنصرين الجليلين في تكوين الامة ، ولكل منهما خطره الذي لا يجحد ، وأثره الذي لا ينكر ، فالقطر وساكنه عنصران ممتزجان ، مؤتلفان متلابسان ، آخذ كل منهما بذراع صاحبه ، ويأبى العدل والعقل أن نولي أحدهما عنايتنا ونتجاهل الآخر

لهذا لم يكن بد لمن أراد دراسة أمة من الامم أن يذكر ، وهو يدرس تاريخها ونظمها وسياستها ، أن لطبيعة الاقليم الذي تعيش فيه تلك الامم أثراً عميقاً في توجيهها نحو السبيل الذي سلكته ، والطريق الذي سارت فيه

ونحن حين نقرر هذا بعيدون كل البعد عن أن نغض من شأن الشعب الذي سكن ذلك القطر ، وبذل جهداً هائلا في استغلاله ، والانتفاع بالفرص العظيمة التي أتاحتها له طبيعة الاقليم . فمن الجلي الواضح أن الاقليم قد يكون واسع الثروة ، عظيم الموارد ، يقطنه شعب همجي أو خامل ، أو لاه ، لا يستطيع أو لا يريد أن ينتفع بما أغدقته الطبيعة من الخير والنعمة ، مجتزئاً بعيش الكفاف وحياة الخمول . . وحسبك – إن أردت الدليل الواضح – أن تفكر في أمريكا قبل أن يحتلها سكانها الحاليون ، وبعد أن نزحت اليها الشعوب الاوربية . وكيف أمست في طليعة الدول ثروة وقوة . بفضل المجهود الجبار الذي بذله المهاجرون

ويهمنا في طليعة هذا المقال أن نذكر مرة واحدة أن بريطانيا ما كانت لتسلك الطريق التي سلكت ، أو تصل في الحضارة والسياسة الى ما وصلت لو لم يقم شعبها بمجهود قوي مستمر على مدى قرون عديدة ، دون أن تخمد له همة أو يعتريه إعياء ووهن . ولو أن تربة بريطانيا أخصب مما هي اليوم الف مرة ، وموقعها الجغرافي أكثر امتيازاً ومنعة مما هو ، وثروتها المعدنية أضعاف ما هي اليوم ، وكان يسكنها شعب لا يعنى باستغلال موارده ، ولا بانتهاز الفرص السانحة له ، فانها

ماكانت لتبلغ من الحضارة ما بلغت ، ولما كان لها ميزة تميزها على سواها من الدول

والآن ـ وقد قررنا هذه الحقيقة ـ نستطيع أن ننتقل إلى الموضوع الذى نعالجه اليوم ، وهو دراسة العوامل الجغرافية الخاصة التى رسمت للسياسة البريطانية طريقها ، ووجهت الشعب البريطانى نحو السبيل الذى سار فيه

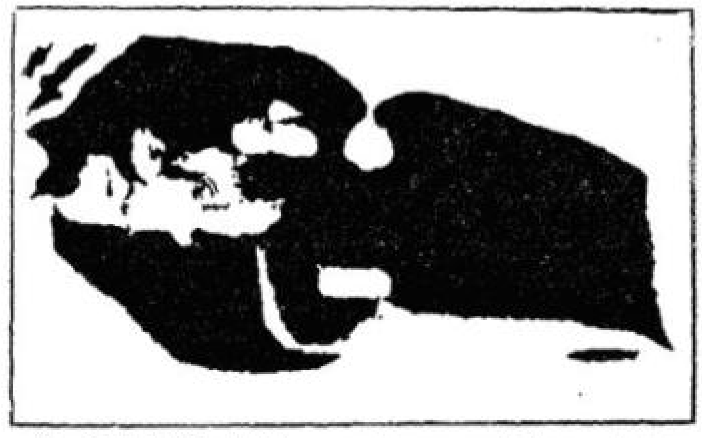
ونرجو ألا ينسى القارىء ما قدمناه من أن هذه العوامل ماكانت لتحدث أثرها لو لم يكن هنالك شعب استطاع أن يستغل هذه الظروف المؤاتية

العوامل الجغرافية فى النهضة البريطانية

إن أول حقيقة نلحظها أن بريطانيا لم تنهض إلا فى العصور الحديثة ، أى فى عهد الاستكشاف وعهد النهضة العامة فى أوربا . وقد سبقها فى مدارج التقدم بعض دول بحر الشمال مثل هولندة ، وبعض دول البحر البلطى ، كما سبقتها المدن الايطالية ، وفرنسا نفسها ، هذا بقطع النظر عن حضارة الدول القديمة ودول البحر المتوسط ، التى سبقت نهضة شمال أوربا بقرون عديدة

لم يكن هـذا التخلف راجعاً الى طبيعة التربة والهواء ، لان تربة بريطانيا خصبة وهواءها معتدل البرودة فى الشتاء . معتدل الحرارة فى الصيف ، وجزرها خضراء يانعة الشجر ، نضرة العشب ، وبحارها دافئة لا تتجمد

إنما يرجع هذا التخلف الى أن بريطانيا واقعة فى نهاية العالم القديم ، فى وقت كان فيه العالم متباعدة أطرافه بعضها عن بعض ، لا ينتقل الناس من قطر الى قطر أو من بحر الى بحر الا بشق الأنفس . وتبدو لنا هذه الحقيقة واضحة اذا نظرنا الى خريطة للعالم القديم ، ويحسن أن تكون من رسم بعض الجغرافيين القدماء ، كخريطة إراطستين التى نوردها هنا



خريطة إراطستين للعالم القديم ويتبين منها وقوع بريطانيا على الحافة الشمالية الغربية للمعمور

فنرى فى هذه الخريطة وأمثالها أن بريطانيا واقعة على طرف الحافة الشمالية الغربية للعالم القديم ، بعيدة كل البعد عن مصادر الحضارة الاولى ، بل بعيدة حتى عن مصادر السكان أنفسهم، بحيث لم تأخذ فى الازدحام بالسكان إلا بعد الفتح النورمندى فى القرن الحادى عشر الميلادى

وفى العهود القديمة ، بل وفى العصور الوسطى ، كان البحر الابيض المتوسط هو قلب العالم النابض ، تتدفق منه ينابيع الحضارة ، وتنتشر من سواحله الى الاقطار التى تحيط به . وكانت بريطانيا بمعزل عن كل هذا ، حتى انها فى عهد الدولة الرومانية لم يكن حظها من الاعمال والحوادث الجسيمة التى امتاز بها تاريخ روما سوى الشيء اليسير . وليس هذا خيراً كله ولاشراً كله . فلئن كان بعد بريطانيا وعزلتها مانعاً لها من الاشتراك الجدى فى أعمال الدولة الرومانية ، فلقد وقتها عزلتها شر اغارة الشعوب البربرية التى عانت بسببها روما ويلا كثيراً وعذاباً أليماً

بريطانيا فى عهد الكشف

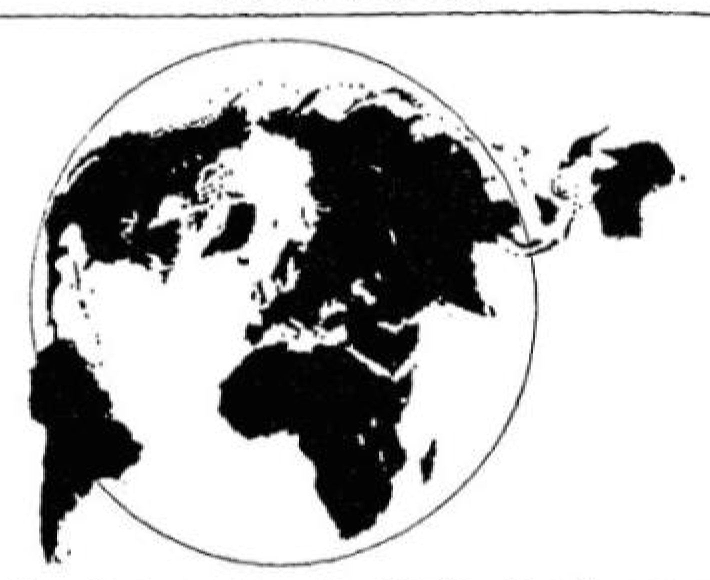
لا نريد أن نطيل الحديث عن هذه الفترة الاولى من تاريخ بريطانيا ، التى تسمى عادة عهد التكوين ، الذى تكون فيه الشعب البريطانى من العناصر القديمة التى كانت تسكن الجزر ، مضافاً اليها جماعات المهاجرين من السكسون والاسكندناويين ، وقد امتزجت هذه العناصر ، وتألف منها الشعب البريطانى

ثم جاء عهد الكشف ، وقد ظهر أن العالم يتألف من قارات أخرى سوى القارات القديمة . ثم رسمت خريطة جديدة للعالم. فاذا بريطانيا التى كانت على حافة العالم القديم، أصبحت فى قلب العالم الجديد

ان طلاب الجغرافيا يعلمون أن فى وسعنا أن نقسم الكرة الارضية الى قسمين متساويين فى أولهما تزدحم القارات ، وفى النصف الآخر يكثر الماء ويقل اليابس : فاذا نظرنا الى نصف الكرة القارى كما هو موضح فى الرسم نرى بريطانيا تحتل منه مكاناً وسطا . وقد صادف هذا الطور الجديد الوقت الذى تم فيه تكوين الشعب البريطانى واتحاده ، والتفافه حول عرش واحد وحكومة واحدة

لم يكن بد ــ وقد تغير موقع بريطانيا بالنسبة الى العالم ــ أن نشاهد أثر هذا التغير فى تاريخ تلك الجزر وفى السياسة التى أخذت تسير فيها عن عمد ، أو عن اطاعة للظروف التى يمليها الموقع الجغرافى . لقد أخذ محور النشاط البشرى يتحول ــ ولو الى حين ــ عن محوره القديم وهو البحر المتوسط ، الى محور جديد وهو المحيط الاطلسى . وفى هذا التحول يتيح الموقع الجغرافى للجزر البريطانية فرصا جديدة فيبادر الشعب البريطانى بانتهازها

ولا بد لنا أن نشير هنا الى أن الجزر البريطانية بكثرة بحارها الدافئة التى لا يتجمد ماؤها فى الشتاء ، وكثرة خلجانها وموانئها الطبيعية ، ووفرة غاباتها لصناعة السفن ، وتنوع الرياح التى



خريطة ترينا نصف الكرة الارضية الذى يكثر فيه اليابس . وترى فيه بريطانيا تحتل موقعاً متوسطا

تهب عليها ، من كل هذا تتألف البيئة المؤاتية والمهد الصالح لتربية شعب بحرى يعرف كيف يمارس الملاحة ويتحمل أخطارها وشدائدها

ولكن هذه المواهب «الملاحية» الفائقة وهذه البراعة فى قيادة السفن ما كانت لتتخذ مظهراً قويا عالميا ، لو أن بريطانيا ظلت قائمة فى ذلك الركن السحيق عن العالم القديم . فأما وقد انكشف العالم الجديد ، فقد ظهر ذلك الميدان الواسع الذى تستطيع فيه تلك المواهب أن تنمو وتشتد ، وفى العالم الجديد ثروة واسعة تغرى بالتجارة ، والاستعمار ، فاندفع البريطانيون فى هذه السبيل ، ولم يلبثوا أن ظهروا على منافسيهم فى هذا الميدان من الاسبان والبرتغال ، والهولنديين والفرنسيين

ولقد كان لهذه الدول جميعا من ملاءمة فى الموقع الجغرافى ما لبريطانيا . ومع ذلك استطاعت أن تبزهم جميعا فى الميدانين التجارى والاستعمارى . وأن تصبح الدولة البحرية الاولى . ولم يكن هذا التفوق راجعا الى تفوق السكان فان فرنسا كانت فى كثير من العهود الدولة الاوربية الاولى فى العلوم والفنون

واذا أردت أن تلمس السبب الذى من أجله فازت بريطانيا فى ذلك الميدان الخاص . فمن السهل علينا أن نجد هذا اذا تأملنا عن كثب موقع بريطانيا الجغرافى : إن الجزر البريطانية جزء من أوربا ولكنها منفصلة عنها ، وهى لقربها من أوربا تستفيد فائدة كبرى ، إنها تساهم فى كل ما ينال القارة من تقدم ورقى وتشترك اشتراكا قويا فى كل حركة فكرية فتفوز بسهم وافر من كل عنصر من عناصر الثقافة ، ومن كل ابتكار أو كشف فى العلم والفن . أما اذا طغت

الفوضى على أوربا ، وانتشرت الثورة ، وهاجت الاحن والأضغان ، وثارت الحروب الطاحنة ، فان بريطانيا جزر منعزلة ، لا يصل اليها شواظ تلك النار ، فى زمن لم تكن تعرف فيه الطائرات والغواصات

وهكذا كانت الحروب تجتاح أوربا فلا يصل بريطانيا إلا صداها ، بل أخطر من هذا انها كثيراً ما تتدخل لترجيح كفة على كفة ، لكى تأمن ألا يتغلب على أوربا عات جبار يسخر القارة لارادته . فيكون خطراً على كيان بريطانيا ، ولكن لا يلبث التوازن أن يعود حتى تنطوى بريطانيا على نفسها مرة أخرى ، وتسلك سياستها الخاصة التى تدفعها الى التجارة وجمع المال وتأسيس المستعمرات فيما وراء البحار

مضيق دوفر وأثره فى توجيه السياسة البريطانية

إن هذا المضيق الصغير : بوغاز دوفر : الذى لا يتجاوز اتساعه العشرين ميلا قد كان ذا أثر عميق فى توجيه السياسة البريطانية ، والسير بها فى الطريق الذى سلكته ، ولعله أقوى وأظهر العوامل الطبيعية جميعا وأبعدها أثراً

ولقد كانت فرنسا تتجه أحياناً وجهة الاستعمار ، والسعى فى طلب الثروة وراء البحار ، وتقطع فى هذا السبيل شوطاً بعيداً ، وتصادف نجاحاً وتوفيقا ليس بالقليل ، ولكنها لا تلبث أن تلهيها حرب مع أسبانيا أو مع النمسا أو مع بروسيا ، فيشغلها هذا عن التجارة ، ويصرفها عن الاستعمار ، أما بريطانيا التى لم تشتغل بسياسة أوربا إلا بمقدار ما تمليه مصلحتها العاجلة فقد انطلقت تؤسس المستعمرات فى المحيطات جميعها وتستولى على المواضع الهامة التى تؤمن طريقها الى مستعمراتها ، وهى فى أثناء هذا كله تجمع الثروة من أطراف العالم . وتوفر لديها المال اللازم لنهضتها الصناعية . فاستطاعت أن تسبق سائر الدول فى ميدان الصناعة كما سبقتهم فى ميدان التجارة . وأصبحت لندن هى السوق المالية الكبرى للعالم ، وأكبر سوق للتجارة ، وللنقل البحرى . وبات الاسطول التجارى البريطانى متفوقا تفوقا هائلا على سائر الاساطيل ، كما أصبحت سفنها الحربية أكبر عدداً وأجل خطراً من الاساطيل الحربية لسائر الدول

ولقد كان هذا كله سببا فى إملاء سياستين خطيرتين : الاولى سياسة بريطانيا الحربية ، والثانية سياستها فى العلاقات الدولية

فأما السياسة الحربية فانها كانت تعتمد رأسا على قوة الاسطول وتفوقه ، والاقلال من أهمية القوات البرية . ولهذا لم يكن لبريطانيا فى يوم من الايام جيش كبير فى وقت السلم ، ويقال فى الدفاع عن هذه السياسة ان بريطانيا قلما تشتبك مع عدو فى حرب برية تبرر إقامة جيش جرار وقت السلم ، وفى وجود مثل هذا الجيش ضرر خطير فانه يعرض البلاد لأن يتولى سياستها ويدير

شئونها رجال الجيش شأن كثير من بلاد أوربا . وفى هذا من الخطر ما فيه

وبالرغم من ان بريطانيا قد اضطرت فى الحرب الماضية الى تجنيد الملايين من أبنائها فانها لم تلبث بعد الحرب أن سرحت جنودها ، ولم تحتفظ إلا بجيش صغير ، ولكن عنايتها بأسطولها لم تنقص . وظلت قواتها البحرية فى حالتها الأولى من التفوق

وقد استتبع إهمال القوات البرية قلة العناية بالقوات الجوية أيضا ، فلم تشأ بريطانيا أن تنشىء أسطولا جوياً متفوقا ، حتى بعد أن أظهرت الحرب الاخيرة ما للسلاح الجوى من الخطر الجليل

ولقد كان من حسن الحظ أن تطورات الحروب الحديثة لم تنقص من خطر الأسطول والتفوق البحرى . ولهذا استطاعت بريطانيا أن تثبت وقت المحنة ، وأن تدفع الخطر الداهم ، وأن تمهد لنفسها فترة تستطيع فيها أن تنشىء ما تحتاج اليه من القوات الحربية والجوية

سياسة بريطانيا فى علاقاتها الدولية

أما سياسة بريطانيا فى علاقاتها الدولية ، فكانت نزعتها دائماً الى قلة الارتباط بمعاهدات أو محالفات قد تضطرها لأن تخوض غمار حرب أوربية لا تعنيها ، وأن تنفق دماء أبنائها من أجل حزازات بين الدول الأوربية المختلفة ، وما أكثر ما بينها من حزازات واختلافات . هذه السياسة التى تنزع الى العزلة والابتعاد عن مشاكل أوربا جهد الطاقة ، والتى أملتها طبيعة القطر وموقعه الجغرافى ، كانت مغروسة فى النفوس البريطانية ، حتى ان تغيرها لم يكن من الأمور السهلة . وقد استطاع رجال السياسة بعد نظرهم أن يدركوا أن المخترعات الحديثة قد أقلت من عزلة بريطانيا ، ونادى أحد الوزراء البريطانيين أن حدود بريطانيا الحربية الآن واقعة على نهر الرن ، وذلك منذ نحو ستة عشر عاماً

ولكن الكثرة العظمى من سكان بريطانيا لم تستطع أن تجارى بعض ساستها فيما ذهبوا اليه ، وظلت السياسة السائدة هى سياسة الاقلال من الارتباط بعهود ومواثيق ، قدر الطاقة . ولقد استطاع رئيس وزارة بريطانيا الحالى أن يكون أبعد نظراً وأعمق إدراكا للحقيقة من أى سياسى آخر ، فعرض فى يونيه الماضى على فرنسا أن تتحد اتحاداً سياسياً مع بريطانيا ، فتصبح الدولتان دولة واحدة . استطاع المستر تشرشل أن ينادى بهذا فى وقت حرج فى تاريخ الدولتين . ومن الصعب أن تتصور أنه يتمكن من عرض مثل هذا الرأى وقت السلم والهدوء ، رغم اقتناعه بصوابه . إن سياسة بريطانيا الدولية التى أملتها البيئة الطبيعية ، لا تتغير الا ببطء شديد ، لان مضى القرون قد أكسبها رسوخاً ومتانة ، فلن تتحول إلا بتدرج كثير

***

وبعد فان من الواضح أن بريطانيا أصبحت أشد التصاقا بأوربا اليوم مما كانت عليه فى أى

يوم مضى . وقد بات هذا الالتصاق من الشدة والعنف بحيث أحسه كل ساكن فى الجزر البريطانية . وان لنا الحق أن نتوقع بعد أن تضع الحرب أوزارها أن نرى بريطانيا تقترب اقترابا شديداً الى أوربا ، وتعنى عناية خاصة بشئون تلك القارة

ومن حسن التوفيق أن عزلة الجزر البريطانية ، لا تزال ذات أثر حميد فى سير هذه الحرب . فبفضلها استطاعت بريطانيا أن تمتنع من العدو المغير ، وأن تدفع العدوان ، وأن تأخذ أهبتها للحرب ، وتستكمل عدتها . وأن تتحدى قوى الطغيان أن تغير عليها بل تدنو منها . ان هذه العزلة لا تزال عاملا حربيا جليل الخطر . ولكنها لم تعد عاملا سياسيا ذا شأن . ولا بد للسياسة البريطانية أن يعتريها فى المستقبل شىء كثير من التبدل ، وأن تعنى عناية خاصة بالشئون الاوربية بحيث تضمن — بمقدار ما تستطيع الطاقة البشرية أن تضمن — ألا تتعرض لما تتعرض له اليوم من المحن والويلات

محمد عوض محمد

من ذكريات الصبا

الدمع أقربُ من نوالك موردا ... وأبر منك ومن خيالك موعدا
أمَدى الصدور جعلت دهرك كله ؟ ... الدهر أضيق من صدودك ، والمدى
ما تنعمين بموعديك المنى ... إلا جعلت الثكل منها المولدا
هل كان ما تعدين إلا وقفة ... تشفي من البرحاء قلباً مكمدا ؟
حشد الوشاة جموعهم ، وحشدته ... جنداً من الحسن البديع مجندا
وغزوت (احمد) من هواك بباسل ... سلب الحشاشة ، واستباح المرقدا
لم أدر حين غشيتُ دارك باللوى ... أغشيتُ بعدك منزلا أم معبدا ؟
خشع الفؤاد ، فلت أنى ناسك ... وافى المصلى موهناً فتهجدا

* * *

يا سرحةَ الوادى ، تذكرنى الهوى ... أيام يجمع سربه المتبددا
سلبتنى الدنيا ظلالك ، والصبى ... وهوى الأحبةَ والزمان الأغيدا
هل تذكرين لنا مواسم لذة ... نحيي بذكراها القلوب الهمَّدا ؟
كانت مشارع صبوة فارقتها ... فعلمت أن الرى داعية الصدى
وصرفت عن مثوى الهوى ومحله ... نفساً أكلفها المحل الأبعدا

احمد محرم

فولتير وفردريك الأكبر

كيف تصادقا ، ولماذا افترقا

بقلم الاستاذ على أدهم

« فولتير » من الكتاب القلائل الذين اعتلوا ذروة المجد ، وبلغوا اقصى ما بلغه كاتب من الشهرة والتأثير ، وكان القلم بين انامله أكثر سطوة من الصولجان فى يد الملك المتوج ، وامضى حدا من السيف فى يمين الفاتح العظيم ، فهو يغير به الآراء ، ويوجه الافكار ، ويهدم ما شاء من المذاهب . وقد وطأ له هذا الملك الوسع فى عالم الفكر تعدد جوانبه وتنوع ملكاته ، ومشاركته فى فنون شتى وضروب مختلفة من المعرفة . فقد كان الشاعر المفلق الذى لا يشق له غبار ، وكان الناثر الذى خضعت لامرته اللغة وانقاد له مستصعب البيان ، وكان الناقد الذى تتقى نظراته وتخشى بوادره ، وكان المؤرخ المجدد القليل المثال ، والفيلسوف اللامع الذى يرسل الضوء فى مشكلات الفلسفة فتبدو جلية واضحة المعالم . وقد اجاد الاقتصاد وحذق فنونه ، وغاص فى لجج المسائل المالية والمشروعات الاقتصادية حتى كثرت ارباحه وتضخمت امواله ، ونال من الثروة الواسعة ما لم تدر مثله حرفة الادب الشحيحة على من ادركتهم واوقعتهم فى شباكها . وقد اعجب به عظماء عصره وكبراؤه واعيانه ، واتصلت بينه وبينهم الاسباب ، فاستزاروه فى قصورهم ورحبوا به فى مجالسهم ، وراسلته القيصرة كاترين الروسية والبابا بندكت ، وكان من مراسليه المعجبين بأدبه المكبرين لعبقريته الامير فردريك ولى عهد بروسيا الذى صار فيما بعد فردريك الاكبر

كان هذا الامير وهو يعانى الكرب والشدة ، ويذوق الغصص المتداركة ، قد وجد فى كتابات فولتير لذة الفكر ، ومتعة الروح . ففى سنة ١٧٣٦ ارسل اليه رسالة يزف اليه فيها اعجابه ، ويقدم له تقديره ، وكان منى نفسه ان يسطع فى سماء الشعر الفرنسى نجما ثاقبا ، وكان غمر البديهة موفور الذكاء ، يجيد النثر الفرنسى ، ولكنه كان مع ذلك يشعر بكثرة الاخطاء التى تتسرب الى اسلوبه ، وتدب الى شعره ، فتفسده وتشوه جماله . وكان من الطبيعى ان يشعر بالتقدير الكبير والاعجاب الفائق بالرجل الذى جلى فى هذا

الميدان ، واوفى فيه على الغاية ، والذى اجمع نقاد عصره على انه اكبر شعراء المأساة فى أوربا ، واقدر الناثرين وارسخهم قدما ، وقد بدأ الامير فردريك رسالته هكذا :

« سيدى

« ولو انى لم احظ بعد بمعرفتك معرفة شخصية ، فانك معروف عندى بمؤلفاتك ، فهى كنوز العقل ... »

وقد سر فولتير لهذه الرسالة ، فقد كان تطلعه الى الجاه لا ينقضى وكان ظمؤه الى الشهرة لا يرتوى ، واجاب الامير مطريا شعره مثنيا على أدبه مبديا الاعجاب بتفكيره ، وكان رده يكاد يقطر من البشاشة ويسيل من الرقة

وتوالت الرسائل بينهما ، وكانت رسائل بين استاذ وتلميذه . وكانت ميول فردريك موزعة بين الفلسفة الالمانية والشعر الفرنسى ، وقد تناولت هذه الرسائل فيما تناولت مسألة حرية الارادة وما اليها من المسائل الفلسفية والنظريات الاخلاقيــة ، ولم يقصر فولتير فى استرعاء نظر تلميذه الملكى الاريب الى ما كان يقع فيه من اخطاء وتقده نقدا لينا رفيقا وكانا فى هذه الرسائل يتقارضان الثناء ويتبادلان المجاملة . وكان فولتير يوازن فيها بين تلميذه وبين ابولو والسيبادير ومرقس اورلياس ويقول بجودة مواهب فرجيل مقترنة بمواهب اغسطس او يقول : « ليس سقراط عندى بشىء وانما قد استأثر فردريك بحبى » وكان فردريك فى ردوده يقول له : « لا تحسبنى ادفع الشك الى اقصى مداه فأنا اعتقد ان هناك الها واحدا كما ان هناك فولتيرا واحدا . ولم يكن اعجاب فردريك بفولتير خاليا من الاخلاص ، وكان فولتير من ناحيته يعتقد انه فى ذات يوم قد يجلس على احد عروش اوربا الاقليمية ملك متوج قد وهب حياته للفلسفة والفكر والادب ، ولكن سرعان ماذهبت السكرة وجاءت الفكرة واستيقظ الاثنان من الاسترسال فى الاحلام الجميلة والامانى الحسان

ففى سنة ١٧٤٠ اصبح الامير فردريك ملك بروسيا ، واستبشر الفلاسفة والمفكرون والكتاب ، واستفاض سرورهم ، واملوا خيرا كثيرا ، فقد ارتقى واحد منهم العرش ، ولا ريب انه سيسير سيرة الحكماء ويضع تعاليمهم موضع التنفيذ والاتباع

واراد فردريك ان يدعو فولتير الى بلاطه ، ولكن علاقته بعشيقته مدام دى شاتليه كانت عقبة فى سبيل ذلك ، فقد كانت هى لا تسمح له بالذهاب وحده ، ولم يكن فى الامكان ذهابها معه الى بوتزدام ، فقد كان المعروف عن الملك الشاب انه زاهد فى لقاء النساء ، معرض عن الاجتماع بهن فى المجالس ولوكن اديبات مفكرات من طراز مدام دى شاتليه

ولكن برغم ذلك كان فردريك يتحرق شوقا الى رؤية فولتير ، واجتلاء محياه والائتناس بمحضره ، ومطارحته الحديث ، ومناقلته الاخبار ، ومبادلته الافكار ، فرتب لقاء فى

على أدهم

(البقية على صفحة ٤٩٣)

طلبنا الى معالى الدكتور على ابراهيم باشا وزير الصحة أن يدلى برأيه فى الحفاء
فأعطانا هذا البحث مطريا صاحبه العلامة قائلا : « لقد حلت مشكلة الحفاء
وما يستتبعها من الناحية الصحية بهذه المقترحات المبنية على أساس علمى عملى »

الحفاء : مساوئه الصحية ومكافحته

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير معهد الأبحاث
ومدير أقسام الامراض المتوطنة بوزارة الصحة

موضوع الحفاء الذى بدأت الحملة لمقاومته فى المملكة المصرية ، تنفيذاً للرغبة الملكية الكريمة يجب درسه من نواح متعددة : احداها ناحية الوقاية من الامراض ، وهى وحدها التى ستعالج فى هذه العجالة ، على أساس أقل ما يجب توفره فى لباس القدم ليكون واقيا من الامراض

وبالطبع ، اذا رئى ان هذا النوع لا يفى بالمظهر اللائق أو الكرامة ، فأنواع النعال الراقية تؤدى الغرض الصحى أيضاً ، ولا يقف فى سبيلها سوى النفقات ومقدرة الفلاح على الاستمرار فى تجديدها كلما بليت ، على أن يراعى ملاءمتها لأعمال الفلاح الزراعية وتكوين قدميه

الحفاء وعدوى الامراض

الانكلستوما والبلهارسيا ، مرضان منتشران في مصر انتشاراً كبيراً ، تسببهما ديدان تدخل يرقاتها الى الجسم بواسطة القدم العارية ، وهذا يكاد يكون الطريق العادى لعدوى الانكلستوما ، وهو احدى طرق العدوى بالبلهارسيا ، وإن لم يكن أهمها . وتصيب الانكلستوما حوالى ٥٠٪ من المصريين وتسبب المرض المشهور بـ « فقر الدم المصرى » ، وتصيب البلهارسيا حوالى ٧٥٪ وتسبب البول الدموى ونوعا من أنواع الدوسنطاريا

وتعيش ديدان الانكلستوما فى أمعاء الانسان حيث تضع بويضاتها . وهذه البويضات تخرج من الجسم فى البراز ، وتجد المكان الملائم لنموها فى الأراضى الرطبة فى طرقات القرى وزرائب المواشى وفى الارض الفضاء حول القرية وبالقرب من الماء على شاطىء النيل أو الترع أو المساقى

القريبة من القرية حيث يذهب الكثيرون لجلب الماء للاستعمال المنزلي أو الشرب

وعند ما تفقس البويضات ، تخرج منها صغار ديدان الانكلستوما التي تتطور سريعاً — بعد غذائها على المواد البرازية ونحوها — الى الدور الذي يخترق قدم الانسان اذا ما لامسه عارياً ، وتنفذ الى الدم وتستقر نهائيا في الأمعاء ، حيث تعيش على الغشاء المخاطي للامعاء وتمتص الدم وتفرز فيه سماً من غدد في جسمها ، وتسبب فقر الدم والضعف والهزال ، وتعوق نمو الاطفال بدنياً وعقلياً ، وتجعلهم أكثر استهدافا للامراض وأقل مقاومة لها ، وتحط من انتاج الأفراد الى حد ذريع

أثر النعال في الوقاية من عدوى الانكلستوما

أجمع الباحثون في مرض الانكلستوما على أن أي لباس للقدم يحول بينه وبين تربة الارض ، له أثر كبير في مقاومة العدوى بالانكلستوما واليك نبذاً مما قيل في هذا الصدد :

(١) قارن « سميلي » في البرازيل عدوى الانكلستوما بين ٢٩ فرداً من الفلاحين الذين اعتادوا لبس الأحذية بالعدوى وبين ١٤٨ فلاحاً يعملون معهم حفاة . وكانت الأحذية ضخمة وثقيلة ومصنوعة من جلد لم يحسن دبغه ، وتكثر فيها الخروق (أي في الأحذية) فكان متوسط عدد الديدان في الفرد من الذين يلبسون الأحذية ٢٧ ، بينما يأوى الفرد من الحفاة في المتوسط ٢٥١ دودة

(٢) وقد لاحظ شاندلر سنة ١٩٢٩ ان سكان مقاطعة « شان » في « بورما » يلبسون الصنادل ويخلعونها عند قيامهم بالعمل في الحقول أو عند ما يدخلون منازلهم ، وقد عزا قلة الاصابة بالانكلستوما بينهم الى هذه العادة ، وكان عدد الديدان في المصابين منهم قليلا جداً الى حد يجعل الاصابة ، بالانكلستوما في هذه المقاطعة تافهة لا تستحق الاهتمام

(٣) ويعزو مجاو سنة ١٩٢٠ قلة الأصابة بالانكلستوما بين المسلمين في المديريات المتحدة في الهند عنها بين الهنود ، الى انتشار لبس الأحذية بين المسلمين

(٤) وقد قرر دافنيس سنة ١٩٢٥ في جنوب البرازيل : أن علاقة لبس الأحذية في فئات العمر المختلفة بعدوى الانكلستوما للذكور والاناث ، لا تدع مجالا للشك في أن لبس الاحذية هو أهم عامل في الوقاية من عدوى الانكلستوما في المنطقة التي فحصها

(٥) وقد شوهد في الأقاليم الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية ، وكذلك في أستراليا ، أن الاطفال يسيرون حفاة الى أن يبلغوا سن الرابعة عشرة ، ثم يلبسون الأحذية بعد ذلك ، وأن عدوى الانكلستوما تنتشر بين الأطفال الى سن السادسة عشرة ، ثم تقل جداً بعد ذلك ، كما نلاحظ من الاحصاء التالي :

السن				عدد ديدان الانكلستوما فى كل فرد فى المتوسط
٧ سنوات				٦ر٦
٨ »				٩١
١٠ »				١٣٨
١٢ سنة				١٤٤
١٤ »	بعد لبس الاحذية			١٨٠
١٦ »	»	»		١٩٨
١٨ »	»	»		٩٤
٢٠ »	»	»		٢٤
٢٢ »	»	»		٨

والديدان تعمر عدة سنوات فى أمعاء الانسان ، ولذلك لايظهر أثر لبس الأحذية الا بعد عدة سنوات من انقطاع أو قلة العدوى الجديدة

وفى البيئات التى لا تلبس الأحذية ، لا تلاحظ أى قلة فى عدد ديدان الانكلستوما التى يأويها الفرد حتى يبلغ الخمسين من عمره

الاعمال الزراعية وعدوى الانكلستوما ولبس النعال

يصعب العمل على لابسى الأحذية أو غيرها من أنواع النعال فى الأراضى الزراعيـــة المروية حديثاً ، خصوصاً فى الأرض السوداء الثقيلة والخفيفة والارض الصفراء . وقبل بلوغ التربة درجة الجفاف التام تصير بعض الاراضى لزجة جداً بحيث يلصق الحذاء العادى بالارض وتخرج القدم منه عارياً

وقد دعا هذا سكان بعض المناطق الزراعية خصوصاً فى «بورما» حيث يكاد يكون لبس الصنادل عاماً ، أن ينزع الفلاحون هذه الصنادل عند قيامهم بالاعمال الزراعية

وهذه ستكون الحال فى مصر فمن العسير القيام بالاعمال الزراعية فى حالة الانتعال، إلا اذا كانت الارض جافة . ولكن ليس فى هذا ضرر من وجهة العدوى بالانكلستوما ، كما دلت المشاهدات فى بورما : فان خطر العدوى مصدره السير بالقدم العارية في الاماكن الملوثة حول القرى وفى طرقها ، أما فى الغيط ولو أن التبرز يحصل فيه ، الا أنه قليل جداً بالنسبة لمساحته ، والفرصة أن يضع فرد قدمه فى المكان الذى تبرز فيه شخص مصاب قبله بمدة لا تقل عن خمسة أيام ولا تزيد عن ثمانية أسابيع ، قليلة ونادرة

أما وقت حرث الارض وهى جافة ، فالفلاحون مضطرون فى الوقت الحالى الى لبس نوع من النعال اسمه «الحدوة» لوقاية أقدامهم من الحصا وقطع الطين المتجمدة التى قد تصيب أقدامهم بأذى.

والحدوة تصنع عادة من جلد الجمل ، فتؤخذ قطعة واحدة مسطحة على قدر باطن القدم ، وتربط بأسفل الساق بقطعة من الدوبارة

وقد عمد بعضهم أخيراً الى صنع « الحدوة » من الكاوتشوك الذى يأخذونه من الاطارات القديمة التى يستغنى عنها أصحاب السيارات . ويتكلف النعل منها قرشاً واحداً . وهو من جهة اتقاء عدوى الانكلستوما وسهولة العمل فى الحقول الجافة ، كاف واف بالغرض

(٦) قال شاندلر فى كتابه عن مرض الانكلستوما سنة ١٩٢٩ نتيجة خبرته الطويلة فى الهند : « إننا حين نفكر فى لباس للقدم ، ينحصر تفكيرنا فى الاحذية المصنوعة من الجلد ، ونجد صعوبة فى التفكير فى أى نوع آخر . وفى الحقيقة أن كل ما يلزم لسكان البلاد الحارة ، قطعة من الخشب تحت القدم ، وهذه فى نظرنا نحن الذين تعودنا على لبس الاحذية تعتبر طريقة وحشية وغير مريحة ولا يمكن أن تطاق ، ولكن سكان البلاد الحارة يقتنعون بها ويفضلونها على حصر أقدامهم فى أحذية من الجلد نعتبرها نحن ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها

(٧) ولاحظ « سميلى » فى البرازيل سنة ١٩٢٢ ، أن أرخص أنواع الاحذية المصنوعة من الجلد تساوى فى الثمن ما يكسبه الفرد من عمله فى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع . وهذه عقبة كبيرة فى انتشار عادة لبس الاحذية هناك . وعلاوة على ذلك ، فالحذاء يعوق الفلاح عن عمله بتراكم الطين اللزج على الحذاء أثناء العمل فى الغيط

(٨) وقد لوحظ فى الهند أن لبس القباقيب المصنوعة من الخشب والتى تعلق بالقدم بواسطة سير من الجلد أو بواسطة أكرة تعلق بين أصابع القدم ، يقى الى حد كبير من عدوى الانكلستوما

وقاية الاطفال خاصة من الانكلستوما

الاطفال أكثر استهدافا لعدوى الانكلستوما من البالغين . وهى تؤثر عليهم تأثيراً سيئاً : فهى تعوق نموهم البدنى والعقلى ، وقد يبلغ مقدار ذلك فى العدوى المتوسطة ٢½ سنة فى طفل عمره ١١ سنة : أى أنه يساوى فى ذكائه طفلا فى الثامنة والنصف من عمره حسب مقاييس الذكاء

وقد شوهد فى أكثر البلاد الحارة ، وفى مصر أيضاً ، أن متوسطى الحال من الفلاحين ، بل وبعض كبارهم أيضاً ممن يلبسون الاحذية ، لا يجدون حرجاً فى ترك أطفالهم حفاة

ونقترح أن يكون لبس الاحذية أو النعال إجبارياً فى جميع سنى العمر ، ويعتبر الحفاء مخالفة يعاقب عليها البالغ والمسئول عن القاصر

مرض البلهارسيا

يخترق مذنب ديدان البلهارسيا (أحد أطوار حياة هذه الدودة) القدم أو أى جزء من

الجسم العارى الذى يلامس المياه التى توجد بها القواقع التى تعيش فيها البلهارسيا

وهذه القواقع تكثر فى مجارى الرى الصغيرة وتقل جداً فى النيل والترع الكبيرة خصوصاً تلك التى تجرى بها المياه على شىء من السرعة ، ويقل نمو الحشائش بجوانبها

وعلى ذلك ، فكل عمل يؤدى الى غمر أى جزء من الجسم فى المياه المذكورة ، يؤدى الى العدوى . ولا شك فى أن القدم والساق الى الركبة ، أكثر تعرضاً من باقى الجسم أثناء عمليات الرى ، خصوصاً استعمال الطنبور أو تحويل المياه أثناء الرى أو تنقية حشائش

وللوقاية من هذه الديدان ، يوجد طرق عديدة هى الآن على وشك التنفيذ فى مديرية الفيوم ، وهى حملة تؤيدها وزارة الصحة والحكومة والبرلمان ، ومفتوح لها اعتماد قدره ٥٠ ألف جنيه فى السنة المالية الحالية

على أن وقاية القدم والساق من عدوى البلهارسيا بتغطيتهما بنوع من الاحذية لا تعتبر طريقة عملية للأسباب التالية :

(١) أنها تتطلب نوعاً خاصاً من الاحذية ليس فيها مسام ينفذ منها الماء ، وتكون طويلة الرقبة حتى تبلغ الركبة . وهى النوع المسمى Jack Boots

(٢) وجد بالتجربة أن هذا النوع من الاحذية يعوق لابسه كثيراً فى قيامه بأعماله فى الماء ويؤدى الى التزحلق والوقوع فى الغيط

(٣) يستدعى ذلك استعمال نوعين من الاحذية لكل فلاح : أحدهما للمشى والآخر للاشتغال فى الماء ، مع ملاحظة أن وقاية الأرجل الى الركبتين لا يمنع العدوى ، فانها قد تحدث بالاستحمام أو غسل اليدين أو الشرب

(٤) ثمن هذه الاحذية مرتفع جداً وليس فى مقدور عامة الفلاحين مطلقا دفعه

(٥) علاوة على ذلك تبقى الايدى معرضة للعدوى ويجب تغطيتها بقفازات من الجلد ليست بها مسام

وعلى ذلك لم يقدم أى باحث له إلمام بأحوال المملكة المصرية على اقتراح هذا النوع من الحذاء لمقاومة البلهارسيا ، ولو أنه مذكور فى بعض المراجع كطريقة نظرية للوقاية ، مقصورة فقط على العلماء الباحثين الذين يضطرهم عملهم الى فحص الاماكن الموبوءة بأنفسهم

دكتور محمد خليل عبد الخالق

خطرات ذاهب

لشاعر الاقطار العربية الاستاذ خليل مطران

هذه خطرات نفيسة جادت بها قريحة شاعر الاقطار العربية الاستاذ خليل مطران فى ساعة من ساعات التأمل والتفكير فى الحياة والناس . وقد وصف فيها نفسه تمام الوصف ، كما أبدع فى تحليل حياته تحليلا صادقا ، فيه أدب وفيه فلسفة وفيه عاطفة فياضة بالخير والتضحية وإيثار المثل الاعلى ، وهى أخص ما فى حياة شاعرنا الكبير

ماذا يُريدُ الشِّعرُ منى ... أخنَى عليهِ علوُّ سنّى
هلْ كانَ ما ذهبتْ به ... الأيامُ منْ أدبي وفنّى
أحسنتُ ظنّى والليالى ... لم تُوافقْ حُسْنَ ظنّي
ورَجعتُ منْ سُوقِ عرضـ ... ـتُ بضاعتى فيها بغبْنِ
أفكانَ ذلكَ ذنبَها ... أمْ كانَ ذنبي لا تَسَنّى
خمدتْ بىَ النّارُ التى ... رفعتْ بعينِ العصرِ شأني
هى شُعلةٌ كانتْ تُنيرُ ... قريحتي وتُنيرُ ذهنى
أيامُ لى طَرَبٌ وقلبي ... موقعُ السّهمِ المُرِنّ
لا تَندُبنّى للعظائم ... بعدَها لا تَندُبنّى
يا منْ يُحمّلُنى تكاليفَ ... الشبابِ أرفقْ بوهنى
زمني تولّى والأولى ... عمرُوهُ منْ صحبي قدعني

وَلّى الرَّبيعُ وَجَفَّ عو | دِي وَانقضى عهدُ التَّغنِّي
وَعدمتُ لذَّاتِ الرُّؤى | وَعدمتُ لذَّاتِ التَّمنِّي
إنِّي خَتمتُ العيشَ في | وَادي المخبلِ أوْ كأنِّي
فإذا بدَتْ لكَ هِمَّةٌ | مِنْ دائبٍ يشقى وَيبني
فَمَدِيرُهُ خوفُ التَّشبهِ | بالرَّحى مِنْ غيرِ طحنِ
وَيكدُّ كدَّ النَّحلِ | وَهي لغيرِها تجني وَتَجْني
أرضَى بأنْ تُقضَى منَّى | للآخرينَ وإنْ عدَتني
أخلي مكاني للذي | يَسمُو اليهِ بغيرِ حزنِ
وَلقدْ أهشُّ لمَن يُطاولُني | وإنْ يكُ تحتَ ضِبني
إنَّ الحقيقةَ حينَ نَبلغُها | لتكفينا وَتُغني
فيها الجلالُ بكلِّ معناهُ | وَفيها كلُّ حسنِ
تتشابهُ التركاتُ في | أنَّا نعدُّ لها وَنَفنى
فإذا تولَّينا فهلْ | أسماؤنا منَّا ستُغني
إنْ تبقَ والأرواحُ قدْ | ذهبَتْ فما الأسماءُ تَعني
لوْ لم يكنْ في الذكرِ للأ | عقابِ نفعٌ لم يشقْني
أمَّا الجزاءُ فإنَّني استو | فيتُ منهُ فوقَ وَزني
وَبحاضري استسلفتُ ما | سيقولُهُ النَّاسُ عنِّي

خليل مطران

أمبراطورية إيطاليا الاستعمارية

كيف قامت ، ولم انهارت ؟

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

قامت امبراطورية ايطاليا الاستعمارية منذ البداية على أساس العدوان المنظم والغدر وانتهاز الفرص . وفى قصة قيامها بالذات تبدو العوامل التى تؤدى اليوم الى انهيارها

تلقى ايطاليا الفاشستية فى الآونة الحاضرة جزاءها الحق ، فهى تلقى الضربة تلو الضربة فى مختلف الميادين التى زج بها اليها جشعها وغرورها وتفقد تباعا اجزاء امبراطوريتها التى اقامتها على العدوان والبغى ، لكى تستمد منها ألوانا من القوة والعظمة ليست لها ، ولكى تنهب مواردها وتستصفى ارزاقها لتطعم جموع المستعمرين الذين عجزت عن اطعامهم بغير السلب والنهب • واذا كانت العدالة الآلهية قد قضت بان نشهد بداية المأساة منذ اشهر قلائل انهارت فيها صروح الاغتصاب فى برقة وجنوبى الباتيا ، فان سير الحوادث يدل دلالة واضحة على اننا سوف نشهد خاتمة المأساة وانهيار الامبراطورية الايطالية كلها فى وقت قريب

قبل أواخر القرن الماضى لم يكن لايطاليا املاك فيما وراء البحار ، وكانت ايطاليا نفسها حديثة عهد بالوحدة والحرية والاستقلال ، غير انها لم تنس وهى فتية ناشئة ، ان تتشبه بالدول الاستعمارية الكبرى ، وان تسارع الى الاستيلاء على نصيبها من تراث القارة الافريقية ، وكان ذلك فى عهد الملك همبرت (امبرتو) الاول الذى تولى العرش فى سنة ١٨٧٨ ، وكان وزيره الشهير كرسبى Crispi من غلاة القومية الايطالية ودعاة الاستعمار ، وكان يميل فى سياسته الخارجية الى التطرف والعنف ، وكانت ايطاليا ترتبط يومئذ مع المانيا والنمسا والمجر بمعاهدة الحلف الثلاثى التى خرقتها فيما بعد فى الحرب الكبرى ، وتستمد منها القوة لسياستها الخارجية • وبدأت ايطاليا تنفذ برنامجها الاستعمارى منذ سنة ١٨٨٠ حيث بدأت باحتلال الصومال ، واستمرت فى احتلاله تباعا حتى سنة ١٨٩٠ وفى سنة ١٨٨٢ احتلت بقعة فى ارتريا ، وانشأت بها مستعمرة ايطالية ، واخذت تتوسع

فى احتلالها تباعا بالافتئات على الاراضى الحبشية ، ثم أخذت تطمح الى احتلال الحبشة ذاتها ، وجاهرت بادعاء حق الحماية عليها ، ولكن منليك الثانى امبراطور الحبشة دحض هذا الزعم بإباء وآثر ان يلتقى بالمعتدين فى موقعة « عدوه » الشهيرة (سنة ١٨٩٥) وفيها سحق الجيش الايطالى باسره ، وألقى على المغيرين العابثين بحريات الامم درس من أروع الدروس ، وارغمت ايطاليا على أن ترد الى الحبشة ما أخذته من أراضيها وان تعترف بوحدتها واستقلالها بمقتضى معاهدة اديس ابابا (سنة ١٨٩٦) وحطمت هذه الهزيمة سياسة كرسبى الاستعمارية وأدت الى اسقاطه واختتام حياته السياسية

ولما أعلنت فرنسا حمايتها على مراكش فى سنة ١٩٠٦ ، كانت ايطاليا تؤيدها وتعضدها مقابل تأييد فرنسا لها وتعضيد مطامعها فى طرابلس الغرب وكانت يومئذ من املاك الدولة العثمانية

وفى سنة ١٩١١ ، اعلنت ايطاليا الحرب على تركيا بحجة اعتدائها على حقوق الرعايا الايطاليين فى طرابلس ، وأعلنت ضم برقة وطرابلس اليها بعد حرب قصيرة الامد ، واضطرت تركيا ان تصادق على هذا الضم فى اكتوبر سنة ١٩١٢ بمقتضى معاهدة اوشى ، لانها كانت تواجه فى ذلك الحين خطر اعتداء الدول البلقانية عليها

***

تلك هى المرحلة الاولى فى قيام امبراطورية ايطاليا الاستعمارية . أما المرحلة الثانية فقد بدأت فى الحرب الكبرى ، وكانت ايطاليا عند قيام هذه الحرب ترتبط بدولتى الوسط (المانيا والنمسا) بمعاهدة التحالف الثلاثى ، ولكنها لما رأت انها لا تستطيع ان تجنى من هذا التحالف ما طمحت اليه من المغانم اتجهت نحو الحلفاء تطالب بثمن انضمامها اليهم ، وانتهت المفاوضات بينها وبينهم بعقد معاهدة لندن السرية فى ابريل سنة ١٩١٥ ، وفيها اعترف الحلفاء لايطاليا بحق ضم الاراضى التى تطمح الى ضمها من النمسا والحصول على بعض التعويضات الاستعمارية واعطيت فى الحال « قرضا » قدره خمسون مليون جنيه ، وفى مايو سنة ١٩١٥ اعلنت ايطاليا الحرب على حليفتيها السابقتين المانيا والنمسا ، بعد ان اطمأنت الى الثمن الذى تقاضته مقابل نكثها . وبر الحلفاء بوعودهم ، واستولت ايطاليا على بقاع عديدة من النمسا واعطيت حق الحماية على البانيا فى مؤتمر سان ريمو ، وسمح لها بتوسيع حدود طرابلس من ناحية مصر وناحية السودان الفرنسى ، هذا عدا ما تقاضته من التعويضات الالمانية أسوة بباقى دول الحلفاء

ثم كان قيام الفاشستية فى ايطاليا ودعايتها المستمرة بأن ايطاليا لم تنل فى معاهدة الصلح حقها كاملا ، وما بثته فى الشعب الايطالى من بواعث الكبرياء والغرور . وعادت سياسة ايطاليا الخارجية فى ظل الفاشستية الى عنفها القديم ايام كرسبى وعادت الى طريقها المأثور من الدس وانتهاز الفرص ، وملأت الاحلام الامبراطورية المغرقة أذهان زعماء ايطاليا الجدد . واتجهت ابصارهم الى تدعيم سياسة ايطاليا الاستعمارية ودفعها الى مغامرات جديدة

فعملوا على سحق العرب فى لوبية واغتصاب أراضيهم واستلاب اقواتهم بأشنع الاساليب الهمجية ، وأمعنوا فى قتل المعارضين وتشريدهم بأقطع الوسائل ، ويكفى ان نعود فى ذلك بالذاكرة الى ما فعله جراسياني بزعماء القبائل المعارضة من القائهم من الطائرات على ارتفاع عظيم ليهلكوا بهذه الطريقة الوحشية التى لم يسمع بمثلها ، ثم عملوا بعد ذلك على استدراج الحبشة وتوثيق الصلات بينها وبين ايطاليا بالمعاهدات والوعود المعسولة تطمينا لها وتخديرا لاعصابها ، وهم يدبرون ضربتهم للقضاء عليها ، فلما رأوا ان الفرصة قد حانت لم يتورعوا عن انتهاك العهود المقطوعة . وكان غزو ايطاليا للحبشة فى سنة ١٩٣٥ اشنع مثل للغدر الدنيء ، والنكث المشين الذى اصبح ظاهرة للسياسة الايطالية ، ولو لم يلجأ الايطاليون الى استعمال الطائرات والغاز الخانق للقضاء على مقاومة الحبشة لاصابهم ما اصاب اسلافهم فى موقعة « عدوه » من هزيمة ساحقة ، ولولا اختلاف انكلترا وفرنسا يومئذ تجاه السياسة الايطالية وتردد انكلترا فى مقاومة المطامع الفاشستية لما اتيح للغزاة مثل هذا النصر الذى اتخذوه أساسا لانشاء الامبراطورية الايطالية

ومن ذلك الحين ألقت ايطاليا الفاشستية بنفسها فى احضان المانيا النازية وأخذت الدولتان تأتمران بحريات الدول الاوربية الصغرى . ولما وضعت ألمانيا يدها على تشيكوسلوفاكيا فى مارس سنة ١٩٣٩ رأت ايطاليا من جانبها ان تضع يدها على البانيا فى ابريل من نفس العام ، وان تعلن ضمها الى التاج الايطالى ، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة والاخيرة فى قيام امبراطورية ايطاليا الاستعمارية

***

وهكذا قامت أمبراطورية ايطاليا الاستعمارية منذ البداية على أسس العدوان المنظم والغدر وانتهاز الفرص ، وفى قصة قيامها بالذات تبدو العوامل التى تؤدي اليوم الى انهيارها

فايطاليا التى لم تنل حريتها ووحدتها واستقلالها الا فى أواخر القرن الماضى كانت تعجل الحوادث وهى تطمح الى منافسة الدول العظمى فى حلبة الاستعمار ، ولم يكن نزولها الى هذا الميدان مقرونا بشيء من الغزو السلمى ، أو الاقتصادى أو الثقافى الذى امتازت به السياسة الاستعمارية الاوربية فى القرن التاسع عشر الى جانب وسائلها العنيفة ، وكان جل اعتمادها على العنف المقرون بأساليب الغدر دون سواه

وايطاليا لم تفز بامبراطوريتها الاستعمارية لانها أبدت عبقرية خاصة عسكرية أوسياسية فى افتتاح هذه الاراضى ، ولكنها كانت فى كل مشروع استعمارى جديد تنتهز بعض الظروف الطارئة ، وتستند الى معاونة دولة أو اكثر من الدول العظمى ، وحتى الحبشة لم تستطع فتحها الا بمعاونة السياسة الفرنسية وذهب فرنسا ، وكان كل غنم جديد تحصل عليه ثمنا لخيانة أو نكث ترتكبه حسبما بينا

وقد أبدت ايطاليا فى سياستها الاستعمارية قصر نظر شنيع ولم تفهم من الاستعمار الا انه وسيلة لنهب موارد البلاد المفتوحة وتجريد أهلها من املاكهم واموالهم واعطائها

للمستعمرين الايطاليين ، وارسال العاطلين الجياع من ايطاليا الى الاراضي الجديدة في جموع عظيمة لا تطيقها موارد هذه البلاد . هذا فضلا عن فقر ايطاليا في رؤوس الاموال وعدم استطاعتها ان تستثمر موارد مستعمراتها بطريقة اقتصادية منظمة تجنى منها الارباح المشروعة بتوظيف الاموال وتنظيم الاعمال والمشاريع العمرانية النافعة واعتمادها في هذا الاستغلال على سياسة السلب المنظم وحدها

وظنت ايطاليا الفاشستية مذ وضعت يدها على الحبشة والبانيا انها تستطيع بممالأة المانيا ان تتابع تحقيق أحلامها الامبراطورية بسرعة ، وزادت كبرياء وغرورا وانقلبت السياسة الايطالية على طول الخط سياسة وعيد وتحدي نحو فرنسا التي تطمح ايطاليا الى مشاطرتها امبراطوريتها الاستعمارية في افريقية ، ونحو انكلترا التي تحلم ايطاليا بسحق سيادتها في البحر الابيض المتوسط والاستيلاء على وادي النيل الذي تسهر على حراسته . ولم تحجم ايطاليا عن ان تدبر الاعتداء على مصر والسودان وان تغزو الاراضي المصرية بالفعل طامحة الى اقتناص هذه الدرة الخضراء ، وكان من أثر غرورها الاعمى انها لم تحسب حسابا لقوة بريطانيا العظمى ولم تقدرها قدرها الحقيقي ، فلما دفعتها شهوة العدوان والمغامرة الى اجتياح اليونان ولقيت درسها الاول في مفاوز البانيا ، ثم توالت الضربات السريعة القاضية على قواتها في الصحراء الغربية ولوبيه ، أدركت بعد فوات الوقت انها كانت سيئة التدبير قصيرة النظر وأخذت تجني عاقبة اثمها وبغيها وتشهد عاجزة متحسرة انهيار صرح امبراطوريتها حجرا بعد حجر

ولا ريب ان خاتمة المأساة لن تتأخر طويلا فجنود الامبراطورية البريطانية تتوغل بسرعة في اريتريا والحبشة والصومال . وحينما يتم القضاء على انقاض الجيوش الايطالية في لوبيه وشرقي افريقية ينتهي حلم الامبراطورية الايطالية ويقف الشعب الايطالي على حقيقة المصير المحزن الذي ساقتهم اليه الفاشستية وموسوليني

ان الامبراطوريات الاستعمارية لا تقوم على القوة الغاشمة وحدها ، وقد لجأت ايطاليا في انشاء امبراطوريتها الى الخيانة والعنف والعدوان والبغي وحدها ، ولم تفطن الى العوامل الادبية التي هي سياج كل سياسة استعمارية مستنيرة ، وهي تلقى اليوم جزاءها العادل

محمد عبد الله عنان



أنت وأنا

الانسان وليد المصادفة

بقلم الدكتور أمير بقطر

في هذا البحث العلمي الدقيق يتناول الدكتور أمير بقطر مسألة الوراثة فيشرح في وضوح النقط التالية :

١ – الانسان وليد المصادفة مثل ورقة اليانصيب الرابحة

٢ – معنى الوراثة

٣ – ما يورث وما لا يورث

٤ – لم يكون المولود ذكراً أو أنثى ؟

٥ – لم تعمر المرأة أكثر من الرجل ؟

١ – ورقة يا نصيب

غريب جداً أن تكون أنت أنت ، وأن أكون أنا أنا . غريب أن تكون أنت مديد القامة ، ممتلىء البدن ، أسود الشعر كثيفه ، روماني الأنف ، متسع الحدقة ، قمحي اللون ، حاد الذكاء ، وغريب أن أكون أنا متوسط القامة ، نحيف البدن ، أشقر الشعر خفيفه ، مستقيم الأنف ، منحرف العينين ، أبيض اللون ، ضعيف الذكاء . غريب ألا تكون أنت أنا وألا أكون أنا أنت

غريب أن تكون ابناً لأمك ، وقد كان يمكن أن تكون لواحدة من بضع مئات الملايين من غيرها من نساء العالم . وغريب أن تكون ابنا لأبيك . وقد كان يمكن أن تكون لواحد من بضع مئات الملايين من غيره من رجال العالم

غريب أن يتزاحم مئات الملايين من « الكائنات » الحية الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة ، على « بذرة » حية دقيقة لا ترى بالعين المجردة ، فلا يفوز بودها غير كائن واحد ، يلج بابها فتأنس اليه فتلابسه ، وتعتزل تلك الملايين غيره وتنقبض عنهم ، ثم تنسج حولها شبكة متينة ، مبالغة في الحرص ، حتي لا ينفذ الى دارها سوى ذلك الكائن الحسن الحظ ، وما هي إلا ثوان معدودات حتى يمتزج الضيف وربة البيت لحما ودما ، ويصبحا مخلوقا واحداً ، وبعد تسعة أشهر يشق ذلك المخلوق طريقه الى هذا العالم فيصبح أنت (أو أنا) . غريب أن يفوز ذلك الكائن الحي الصغير على أولئك الملايين ، فتصبح أنت أنت ، وكان يمكن أن يفوز آخر من هؤلاء الملايين فكنت تكون غيرك لا أنت

ولكن الأحدوثة لا تقف عند هذا الحد ، فالمسألة أشد غرابة من هذا بكثير . ذلك الكائن الحي الدقيق (الحيوان المنوى للذكر) يحمل في ذراته في الأصل ٤٨ قطعة في شكل قضبان

(أصبعيات (Chromosomes)) مرتبة أزواجا يختلف كل زوج منها عن الآخر رسما وحجما . وتحمل كذلك تلك البذرة الدقيقة (بويضة الأنثى) فى نواتها ٤٨ قطعة مرتبة أزواجا . على ان الحيوان المنوى للذكر قبل تلقيح بويضة الأنثى لا يتنازل لها إلا عن ٢٤ قطعة أى واحدة من كل نوع من الأزواج الأربعة والعشرين ، وكذلك البويضة قبل اتحادها بالحيوان المنوى لا تتنازل إلا عن ٢٤ قطعة أى واحدة من كل نوع من الأزواج الأربعة والعشرين . واذا علمت ان هذه القطع أو القضبان أو الأصبعيات هى التى تحمل عوامل الوراثة (genes) ، اتضح لك ان الفرد يأخذ عن أبيه النصف وعن أمه النصف الآخر ، وان مجموع هذه القطع أو القضبان ـ وهى فى الجنين (والمولود أو الفرد فيما بعد) ٤٨ مرتبة أزواجا كل زوج منها يختلف عن الآخر

ربما فاتك أن تزواج هـذه الأصبعيات كان يمكن أن يتخذ أشكالا لا حد لها . وأن يكون مجموعات لا حد لها . فهناك من ناحية الأب ٢٤ قطعة ومن ناحية الأم ٢٤ قطعة ، والمسألة المطلوبة هى بكم طريقة يمكن تكوين مجموعات تتألف من أزواج أصبعية من الأب بأخرى من الأم . هذه عملية جبرية فى التوافيق أو التباديل (لا أذكر) . وقد قدر أحد علماء التوالد ان عدد هـذه الطرق هو ١٦٫٧٧٧٫٢١٦ ، على ان هذا ليس كل شىء . فنحن نفرض فى هذه الحالة أن كائنا واحداً حيا لقح بذرة واحدة ، فى حين ان هذا الكائن واحد من ملايين كثيرة من الكائنات الحية التى كان يحتمل أن تلقح هـذه البذرة ، وعلى هذا يقفز العدد التقديرى الى حوالى ٣٠٠ مليون مليون ، أى أن وجودك فى الحياة على هذه الصورة مصادفة لا يقع إلا مرة فى كل ٣٠٠ مليون مليون مرة على الأقل . وأقول على الأقل لأن هناك عوامل أخرى اذا ذكرت ، قفز هذا العدد الى ما يفوق التصور البشرى بمراحل . من ملايين الملايين من أوراق خاسرة

٢ ـ معنى الوراثة

هى ما ينتقل من الأوصاف البدنية والعقلية من الوالدين الى الذرية . ولـكن كيف ؟ ومتى ؟ أما عن متى ففى اللحظة التي يتحد فيها الحيوان المنوي بالبويضة ، لا قبل ذلك ولا بعده ، ولا فى أثناء الحمل . أما عن كيف فلنعد بالقارىء الى تلك الأصبعيات (Chromosomes) التى توجد فى البويضة والحيوان المنوى عند اتحادهما ، وعددها كما قلنا ٤٨ أو ٢٤ زوجا نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم . أى انها ٢٤ نوعا فيما يتعلق بالحجم والشكل ، نصف كل زوج منها من أحد الوالدين . وتشمل كل من هذه القضبان الدقيقة سلسلة من الخرز مشتبكة حلقاتها . يطلق على كل من هذه الحلقات الاسم الحديث (genes) وقد وضع لها المجمع اللغوى الملـكى (المصرى) كلمة عامل الوراثة ، وهو الاسم القديم (factor) الذى أطلقه عليها العالم « مندل » وهذه العوامل هى وحدها التى تحمل الأوصاف من الوالدين الى الذرية ، ولـكل عامل منهـا وظيفة فى تكوين الفرد .

والبويضة الملقحة خلية حية . وهي الخلية الاولى . فاذا ما بدأت الخلية في النمو انقسمت الى نصفين، ثم انقسم كل نصف الى نصفين آخرين ، وهكذا دواليك ، ثم تتخصص كل من هذه الأقسام لتكوين أجزاء الجسم المختلفة ، وتبقى كل خلية منها محتفظة بعدد الأصبغيات (الـ ٢٤ زوجا) ونوعها كما كانت الخلية الاولى

ومنعا لكل إبهام نقول ان الرجل يولد مزوداً بأنسجة [١] خاصة تتولد منها الحيوانات المنوية منذ البلوغ فصاعداً . كذلك المرأة تولد مزودة بأنسجة تنمو فيها البويضات التي سبقت الاشارة اليها . والفرق بين الحيوانات المنوية والبويضات ان الأولى لا حد لعددها [٢] ، وان الثانية محدودة العدد . ونكرر القول إن هذه توجد منذ أن يتكون الجنين ، فلا زيادة فيها ولا نقصان بعد ذلك . وكل ما يحدث عند البلوغ هو أن تنضج الحيوانات المنوية وتكبر البويضات حجماً . من ذلك يتبين أن عوامل الوراثة تخلق بتكوين الجنين ، ولا يتغير ما تحمله في جنباتها من الصفات البدنية والعقلية ، بعد ذلك الحين . وقد أكد ذلك أحد العلماء بقوله : هب ان مثالا صنع لك تمثالا من المرمر ، هو صورة منك طبق الاصل ، وقد أخفى في جوفه عدة تماثيل صغيرة ، هي أيضا صورة منك طبق الاصل . وهبك بعد عشرين عاما أو أكثر أصلحت التمثال فقصرت من أنفه ، وجملت من ملامحه ، وضيقت من فمه ، أو هبك على النقيض من ذلك ، شوهت وجهه أو عضلاته ، فهل يؤثر ذلك في التماثيل الصغيرة الدقيقة في جوفه

وعلى هذا الأساس إذا تزوج جاهل وأنجب طفلا ، ثم شرع في نيل أكبر قسط من الثقافة والتربية ، وأتيح له بأعجوبة أن يفوز بدرجة جامعية ، ثم أنجب طفلا بعد ذلك ، فانهذا الطفل لن يكون من الناحية الوراثية أصلح من شقيقه الاكبر . ولو كان ذلك ممكناً لاتبع الواحد قبل زواجه دراسة ليلية أو بالمراسلة تحسيناً لنسله . كذلك إذا كانت المرأةجميلة في طفولتها ، ثم حدث لها حادث شوّه ملامحها ، فان ذلك لن يكون له أثر في الوراثة . والرجل الذي يستطيع أن ينجب ولداً في سن التسعين من عمره ، لن يكون ابنه أقل شأناً وراثياً من ابن آخر ولد له وهو شاب في سن العشرين . وطالما كان رحم المرأة سليما من المرض ، فولدها من ناحية الوراثة وهي في سن الخمسين لا يقل شأناً عمن أنجبت في سن الثامنة عشرة . أو بعبارة موجزة في اللحظة التي تتلقح فيها البيضة ، يكتب للمولود جميع الصفات والخواص الوراثية البدنية والعقلية منها ، من عيون خضر مثلا وشعر أسود ، وأصابع ستة ، وعمى لونى ، وقابلية للبول السكرى ، واتجاه الى التعمير طويلا الخ . وعلى ذكر الصفة الأخيرة نقول إن ما يقوله العامة من أن العمر « مقدر » قبل الولادة على كثير من الصحة من الناحية « الوراثية » . فالانسان كالسيارة يخرجها المصنع فيقدر لطرازها

---

(١) Spermatogenous Cells (٢) ولا صحة لما يزعمه الكثيرون من أن هذه الحيوانات ينضب معينها بسبب الافراط فيها ، ما لم يبلغ الافراط درجة يضعف فيه الجسم ضعفاً عاما .

عمراً معلوماً ، بشرط استعمالها استعمالا معتدلا ، ولا يدخل فى ذلك حوادث الاصطدام أو الحريق وغيرها . . وعوامل الوراثة كذلك تقرر سلفاً عمر الانسان بشرط ألا يصاب الا بما يصاب به الشخص العادى من أمراض وحوادث بسيطة

٣ - ما يورث وما لا يورث

ينبغى أن نعلم قبل كل شىء أن التشابه التام بين فردين مستحيل ، ولا يستثنى من ذلك إلا التوائم المتماثلة ، أى التى تولد من بيضة واحدة ، أما غير المتشابهة أى التى تولد معاً ولكن من بويضات مختلفة ، فان حكمها حكم الأخوة العاديين . ومع التشابه الذى يكاد يكون تاما بين التوائم المتماثلة (فى لون الشعر والعينين والقامة والوزن وبصمة الأصابع واتجاه خصل الشعر والذكاء الخ . .) ، فان هذا التشابه لا يمكن أن يقال انه تام ، ولا غرابة فى ذلك فالتشابه بين النصف اليمين والنصف الشمال للشخص الواحد ، ليس تاماً كذلك .. وسبب اختلاف الاخوة عن أشقائهم والأولاد عن والديهم يرجع إلى المصادفة التى تجمع الأصبعيات أزواجا كما سبقت الاشارة ، إذ أن هذه الأصبعيات هى التى تحمل عوامل الوراثة

ولا شك أن المرأة الحامل اذا مرضت أو ساءت تغذيتها ، أو أصابتها صدمة وجدانية ، فان هذا يؤثر فى الجنين ، غير أن هذا الأثر بيئى لا وراثى . كذلك يكون الحال اذا أدمنت المرأة الخمر أو التدخين فان الكحول والنيكوتين اذا بلغا حداً عظيما أضرا بالجنين ضرراً بليغاً ، ولكن هذا لا دخل له بالوراثة على الاطلاق . أما اذا كانت الحامل تتعاطى المخدرات كالمورفين والأفيون الى حد تشبعت به أنسجتها ، فان الولد يشب مدمناً . وكذلك لا يعد الادمان فى هذه الحالة وراثياً . ومثل هذه الأحوال كمثل جراثيم التيفوئيد والدفتريا والكوليرا والجدرى والانفلونزا والحمى القرمزية والحمرة وذات الرئة والملاريا ومرض النوم - كل هذه قد تصل الى الجنين من الأم وفى كثير من الأحيان يموت الجنين . ولكن الوراثة هنا لا ناقة فى الموضوع لها ولا جمل

وهناك خواص وراثية بحتة (أى تحملها أصبعيات الرجل والمرأة عند التلقيح) كألوان العينين والشعر (ونوع الشعر) والبشرة ، وشكل الأنف والعين وغيرها من أعضاء الجسم والملامح ، والذكاء الخ .. ولا يتسع المقام لذكر القوانين الوراثية التى تخضع لها هذه الخواص . فليس الصلع مثلا مرضاً الا فى النادر ولكنه فى أغلب الاحوال وراثى ، وفى هذه الحالة لا ينتقل الصلع التام الا الى الذكور ، على أن المرأة تحمل هذه الخاصة وتورثها لأبنائها (الذكور) . ومثل الصلع النزيف الخبيث الذى يعرف باسم (hemophilia) فانه خاص بالذكور وتحمله الاناث وتورثه للذكور من ذريتها دون الاناث . وكذلك الحال فى العمى اللونى

أما القامة فوراثية وان كانت قليلة التأثر بالبيئة ، وقد ذكر « بواس » - وهو من أشهر

علماء الانتروبولوجيا المعاصرين - أن مهاجرى اليابانيين واليهود فى أميركا زاد متوسط قامات أبنائهم عنهم بمقدار خمسة سنتيمترات . واذا كان كل من الزوج والزوجة طويل القامة أو قصيرها يشب المولود كذلك ، على أنه يرجح أن ينجب زوجان قصيرا القامة أطفالا طوال القامة عن أن ينجب زوجان طويلا القامة أطفالا قصار القامة . وذلك لأن قصير القامة علاوة على وجود عامل وراثى قصير فيه ، فانه يحمل كذلك عاملا وراثياً خفياً طويلا . وقد حاولت « كاترين دى مديتشى » أن تربى ذرية من الأقزام فزوجت الكثيرين منهم ولكن التجربة لم تنجح لأنهم لم يخلفوا نسلا . كما أن « فريدريك الأكبر » أراد أن يربى نسلا من الجنود الجبابرة فمات قبل ظهور النتيجة . على أن الوزن أكثر تأثراً بالبيئة من الطول ، ولكنه وراثى كذلك . أما شكل الجمجمة فكالطول والوزن يتوقف على العوامل الوراثية ، ولكن العلماء متفقون على أنه خاضع للبيئة كذلك ، أى أن الانسان يتغير شكل رأسه كثيراً أو قليلا تبعاً للبيئة . وكثيراً ما يكون شكل الرأس للمولود خاضعاً لشكل الحوض فى الأم . أما العيوب الجسمانية كما فى الآذان والأسنان والسلسلة الفقرية والأصابع الزائدة فانها وراثية تنتقل من جيل الى جيل ولا سبيل الى إزالتها

ولا يورث الادمان فى تعاطى المسكرات أو غيرها من العادات السيئة كما يزعم الكثيرون ، غير أن هذا لا يمنع أن يكتسبها الفرد عن والديه بفعل البيئة . وكذلك لا يتأثر المولود وراثياً لمجرد كونه ابن زنا أو لغير أبيه إذ أن الطبيعة لا يهمها عقود الزواج . ولا دخل للوراثة فى وجود الجنين فى رحم امرأة ، إذ أن هذا الرحم جهاز للتفريخ ، كما أنه لا صحة للزعم بأن الجنين يتأثر بدم أمه ، إذ أنه لا يوجد اتصال مباشر بين دم الأم ودم الجنين ، ولا توجد خيوط عصبية توصل بينهما . فبين الحامل والحمل حائط يصل اليه الدم من بعض الأوعية المفتوحة ، بيد أن دم الأم لا يصل الى الطفل بتاتاً ، ولا يوجد بينهما نقطة دم مشتركة واحدة . وكل ما يحدث أن المواد الغذائية فى دم الأم (وعلى الأخص الدهن والسكر والبروتين) تتسرب كما يتسرب ماء الرشح وتضغط على ذلك الحائط ومنه تصل الى الجنين بوساطة حبل الوريد . ومن هذا يبطل الزعم القائل إن هناك فرقاً بين الطفل المتبنى والطفل الأصيل عند الأم ، سوى ما يجسمه الوهم والخيال . أما ما يقال عن علامات « الوحم » وأثرها فى الطفل وكون المرأة الحامل التى تطيل النظر فى الصور الجميلة والاستماع الى الألحان العذبة تحسن نسلها . . . كل ذلك خرافات وأباطيل

وهناك خرافة الزهرى المشهورة . إن جرثومة الزهرى لا تورث ولم تورث فى الماضى ولن تورث فى المستقبل . وما يقال عن « ميكروب » الزهري يقال عن ميكروب السيلان وكل مرض آخر معروف . فقول الناس إن الزهرى فى ذلك الشخص وراثى خطأ أو تساهل فى التعبير إذ كل ما يحدث أن المرأة قد تكون مصابة بعدوى الزهرى فينتقل الى الجنين قبل ولادته أو بعدها

ومهما كان مرض الزهرى مستفحلا فى الرجل فانه لا يمكن بتاتاً أن ينتقل منه مباشرة بوساطة الحيوان المنوى عند التلقيح . فالحيوان المنوى لا يمكن أن يؤدى وظيفته وهو يحمل جرثومة الزهرى أو أية جرثومة أخرى لمرض معروف . على أنه يمكن أن يكون السائل المنوى ملوثاً ، فيجد الميكروب طريقه الى الجنين بعد تكوينه ، وفى هذه الحالة يكون المرض مكتسباً لا موروثاً ويولد الطفل أعمى أو أطرش أو بغيرهما من العاهات . أما اذا انتقل المرض للجنين قبل الولادة بقليل أو أثنائها مثلا فلا يظهر المرض الا متاخراً . يفهم من هذا أن هناك فرقا كبيراً بين المرض الموروث (الذى ينتقل بوساطة عوامل الوراثة Genes من البويضة أو الحيوان المنوى) والمكتسب أثناء الحمل أو وقت الولادة (Congenital) . والفرق بين الحالتين أن فى حالة المرض المكتسب اذا عولج الطفل وشفى (كالزهرى وهو قابل للشفاء الآن) فانه لا ينقل المرض الى ذريته . أما الخواص الوراثية (كالنزيف والصلع والعيوب الجسمانية والعمى اللونى) فانه يكاد يكون من المؤكد أن تنتقل منه الى ذريته جيلا بعد جيل . فالكساح مثلا يشاهد منتشراً فى أسر دون غيرها ، ولكنه ليس وراثياً إذ يرجع للفقر وما ينتج عنه من سوء التغذية . ومعنى سوء التغذية نقص أو عدم توازن فى المواد الغذائية وقد يتعرض لها الأغنياء الذين يجهلون المبادىء الأولية فى التغذية

أما الجنون وضعف العقل فقد يكون بعضه وراثيا وبعضه مكتسبا بالمرض والحوادث ولا يتسع المقام هنا للتفصيل . وحسبنا أن نشير هنا الى أثر الغدد . فقد يتسبب عن نقص فى افراز الغدة الدرقية البله المعروف باسم (cretinism) عند الاطفال و (myxedema) عند الكبار ، كما أن أحط نوع من ضعف العقل قد يتسبب عن أمراض الرحم أثناء وجود الجنين فيه

وهنا نأتى الى الامراض التى يقال عنها وراثية . ومن المعلوم أن أشد الامراض فتكا بالانسان مرتبة حسب شدتها هى، أمراض القلب ، السرطان ، ذات الرئة ، أمراض الكلى (نفريتس) . نزيف المخ ، السل ، الانفلونزا ، البول السكرى ، الاعور . . فمن هذه وما يليها من الامراض لا يحتمل أن يورث إلا البول السكرى ونوع من أمراض القلب . أما السل مثلا فلا يورث مباشرة، وانما قد يضعف النسل فى ناحية من النواحى كجهاز التنفس الذى قد يجعل صاحبه عرضة لميكروب السل . ويعتقد بعض الثقات أن للسرطان أثراً وراثياً ، ولكن هذا الاعتقاد لم يؤيده الواقع بعد ، تأييداً قاطعاً

وقد أطلق بعضهم على العوامل الوراثية التى تحمل صفات غير مرغوب فيها « العوامل السوداء » . وذلك لأن المولود قد يرث من والده أو جده أو جد جده أو ما هو أعلى من ذلك عامل الصلع ، أو سواد البشرة ، أو القابلية لمرض القلب ، أو ضعف العقل ، أو الجنون ، أو الظهر المحدودب ، أو العمى اللونى ، أو العيون المنغولية ، أو الأصابع الزائدة . كل هذه يطلق عليها بحق اسم العوامل السوداء . وكلما بعد الجد عن ذريته ، قلّ ظهور احتمال العامل الأسود

(أو الأبيض) فى هذه الذرية ، ومن ذلك يتضح لنا فساد ما يفاخر به بعض الناس من أنهم ينتمون لعظيم ، أو دم ملكي « أزرق » يرجع عهده الى شرلمان أو رمسيس الثانى ، أو نابليون بونابارت ، إذ أنه علاوة على بعد ذلك الجد بعداً لا يحتمل أن يورث به ذريته إلا مرة فى كل مئات المرات — علاوة على ذلك فمن يدري أن ذلك العامل الوراثى الذى ينتقل الى الوارث من ذلك الجد النبيل لا يكون عاملا أسود ؟ ألم يكن جد وليم الفاتح ولداً غير شرعى ضعيف العقل غير مرغوب فيه ؟ وهل يولد الناس متساوين كما جاء فى وثيقة الاستقلال الاميركية ؟

٤ — لم يكون المولود ذكراً أو أنثى ؟

الفرق يرجع الى اختلاف زوج واحد لا غير من أزواج الأصبعيات الأربع والعشرين التى يتكون منها الجنين عند تلقيح البيضة . والمسئول عن هذا الفرق الرجل لا المرأة . وذلك أن بويضة الأنثى عند تأهبها للتلقيح يكون لديها ٢٤ من الأصبعيات كاملة العدد . وذلك بغير استثناء سواء أكان المولود ذكراً أم أنثى . أما الحيوان المنوى للذكر ، فاما أن يكون من النوع الذى يحمل قبيل التلقيح ٢٤ من هذه الأصبعيات أو من ذاك الذى يحمل ٢٣ فقط . فاذا كان الأول اتحدت هذه الأصبعيات أزواجاً نصف كل زوج من الرجل والنصف الآخر من المرأة وكان الجنين أنثى . أما فى الحالة الثانية فيبقى الزوج الأخير ناقصاً (١) ولذا يكون الجنين ذكراً . وقد نشط علماء التوالد أخيراً في محاولة التحكم فى هذه الحيوانات المنوية ، وعزل ما يحمل منها ٢٤ زوجاً من الأصبعيات (الكروموزوم) ، من التى تحمل أحد هذه الأزواج ناقصاً ، حتى يتوصلوا الى نتيجة تستطيع الأسرة بها أن توصى على ذكر أو أنثى بحسب الطلب . وتدل الدلائل على أنهم شديدو التفاؤل بالنجاح ،حتى انهم يقولون إنه يخشى أن تكون أكثر المواليد من الذكور فى بادىء الأمر ، وتقل الاناث ، ولكن سرعان ما تتعادل النسبة وتسير الأمور سيراً طبيعياً

٥ — لم تعمر المرأة أكثر من الرجل ؟

نجد الجواب فى مسألة الزوج الناقص من الأصبعيات ، المشار اليها فى الفقرة السابقة . وذلك أن بعض العوامل الوراثية السوداء تنتقل من الوالدين الى الذكر عن طريق هذا الزوج الناقص . فاذا كان المولود أنثى فقلما يحدث أن يتكون زوج من الأصبعيات يحمل العامل الأسود فى كل من شقيه ، لذلك لا تصاب الأنثى ، إذ أن الشق الآخر يكون بمثابة العجلة الاحتياطية للسيارة ، فيما اذا أصيبت إحدى العجلات بعطب . أما الذكر فان هذا الزوج الناقص لا توجد به إلا شقة

(١) يعبرون عن هذا الزوج الاخير بـ (س س) فى حالة ما اذا كان المولود أنثى و (س ص) فى حالة ما اذا كان المولود ذكراً وص رمز الى أن الأصبعيات تنقصها واحدة ، أو توجد ولكنهاصغيرة جداً فلا يمكن أن تؤدى وظيفتها

واحدة ، فاذا كانت مصابة بعامل وراثى أسود ، فلا توجد هناك الشقة السليمة الاحتياطية التى يمكن أن تؤدى وظيفتها . مثال ذلك نزيف الدم الذى لا يتجمد المسمى (hemophilia) فان المرأة لا ترثه الا اذا كان عامله الأسود فى كل من الأب والأم وهذا محتمل نظرياً ، ولكن لا تعرف حالة من هذا القبيل ، لأن الجنين فى هذه الحالة يموت قبل ولادته . ومن الغريب أن هذا المرض سبب مصادفة الثورة الروسية ، وذلك لأن إصابة نجل قيصر روسيا به هو الذى حدا بالقيصر والقيصرة الساذجين أن يتصلا بالراهب الداهية راسبوتين ، وما نتج عنه من تطرق الفساد فى الأسرة المالكة وما تبعه من قيام الثورة . وترجع المسألة الى فكتوريا ملكة الانجليز . فقد كانت تحمل هذا العامل الأسود ، فلم تورثه لابنها ادوارد ولا ذريته ، ولكنها ورثته لحفيدتيها ، ملكة اسبانيا ، وقيصرة روسيا . فورثت ملكة اسبانيا الداء لابنها فمات فى حادثة سيارة سنة ١٩٣٨ فى ميامى (فلوريدا) بأميركا بسبب نزيف لا يجمد ، وورثت القيصرة المرض أحد أبنائها كما ذكرنا

ونختم مقالنا بالحقائق الآتية عن المواليد الذكور والاناث ونصيب كل منهما فى الحياة :

١ ــ حمل الذكور يزيد عن حمل الاناث بمقدار اختلف العلماء فى تقديره (من ٢٠ الى ٥٠ ٪) والسبب كما يستنتج أن عدد الحيوانات المنوية التى تحمل ٢٣ من الاصبعيات (كرموزوم) بدلا من ٢٤ أكثر احتمالا لتلقيح البويضة من تلك التى تحمل العدد كاملا (٢٤)

٢ ــ يبلغ عدد الأجنة التى تولد ميتة ٢٥ ٪ من مجموع الأجنة الحية منها والميتة

٣ ــ يزيد ما يموت من الأجنة الذكور على الاناث بمقدار ٥٠ ٪

٤ ــ كثيراً ما يقال إن امرأة حامل ، وبعد أسابيع يكذب النبأ . ويعتقد علماء التوالد أن فى كثير من هذه الحالات يكون الحمل قد تم فعلا ، ولكن البويضة ماتت . ولعل هذه حيلة تلجأ اليها الطبيعة للابقاء على الاصلح فقط

٥ ــ تبلغ الأجنة التى تموت فى الشهر الثالث نسبة ٤ للذكور و١ للاناث ، وفى الشهر الرابع ٢ : ١ ، وفى الخامس ٤٥ : ١٠٠ ، ويولد من الذكور ١٠٥ مقابل كل ١٠٠ أنثى

٦ ــ يزيد عدد الذكور بين الأطفال الذين يموتون فى خلال السنة الأولى من أعمارهم عن الاناث بمقدار ٣٠ ٪

٧ ــ فى سن المراهقة يتساوى عدد الذكور والاناث

٨ ــ فى سن النضوج يزيد النساء على الرجال بمقدار ١٥ ٪

٩ ــ فوق الستين يكون الاحياء من النساء ضعف الرجال . ولا صحة لما يقال من أن الحروب والتعرض للاخطار هى وحدها سبب زيادة النساء على الرجال . إذ أن جميع الدلائل تتجه الى أن المرأة أقوى بنية من الرجل ولعل الطبيعة أرادتها أن تكون كذلك للحمل وتربية النسل

أمير بقطر

الفراعنة وبريطانيا

بحث تاريخي طبي

بقلم الاستاذ حسن كمال

وكيل تفتيش صحة القاهرة

صلة الفراعنة بأوربا في العهد التاريخي وقبله — اتحاد المصريين والبريطانيين قبل العهد التاريخي — العنصر المصري القديم والعنصر البريطاني — توافق العادات والعقائد والميزات الجسمية بين المصريين والبريطانيين القدماء — تأثر الجزر البريطانية بالحضارة الفرعونية

للحضارة الفرعونية عصران : عصر التكوين وهو خارج عن موضوع اليوم ، وعصر الانتشار وهو الذي توثقت فيه عرى الاتصال بين مصر والامم الاخرى . ومنها غرب أوربا موضوع مقالنا هذا . والى الفينيقيين يرجع الفضل في نشر حضارة الفراعنة وتهذيبها بحضارة بابل

وفينيقيا مشتق من كلمة (Poivos) ومعناها أحمر اطلقه الرومان على الفينيقيين بسبب لون جلدهم . وهم قوم رجل من اصل فارسي استوطنوا الشاطيء الشرقي للبحر الابيض المتوسط وبرعوا في فني البحر والتجارة بعد ان تعلموا الفلك من المصريين . وقد اسسوا لتجارتهم مدنا عظيمة مثل صيدا وبيروت وعكا وسمارا

بدأ الفينيقيون عملهم منذ ٣٠٠٠ سنة ق. م. وأخذوا عن المصريين العلوم والفنون والصناعة مثل صناعة المعادن ونسج الكتان والزجاج والكتابة . وحوروا الكتابة المصرية القديمة الى ما يطابق لغتهم السامية

وظهر مع الفينيقيين قوم آخرون في القرن الثلاثين قبل الميلاد . موطنهم جزيرة كريت اطلق عليهم قدماء المصريين اسم (خفتيو) أو (كفتيو) اتصلوا بالمصريين منذ عهد بناء الاهرام وتعلموا منهم الصناعات المعدنية والاواني الخزفية . وكان ازهى عهدهم ايام ملوك

(كنوسوس) ذلك العهد الذى كان مطبوعا بالطابع المصرى الواضح ، وأهم ما أخذه أهل كريت عن مصر صناعة النحاس والكتابة . وكان الكريتيون اسلاف اليونان فى الحضارة التى نشأت من غزو برابرة اليونان لكريت واعقبتها الحضارة اليونانية

هذه اول خطوة فى العهد التاريخى (أى التالى لعهد مينا) لانتقال الحضارة المصرية الى جنوب أوربا . وهى كما يرى القارىء نتيجة التجارة والحروب

وفى القرن السادس قبل الميلاد بدأ النفوذ اليونانى يغزو مصر ، ويأخذ عنها الحضارة والعلوم وينقلها الى تساليا وايطاليا وصقلية وبلاد الغول (فرنسا) . وقد وافق ذلك ظهور نفوذ الفينيقيين الذين اسسوا مدينة (قرطاجنة) ونقلوا المدنية والمصرية والعلوم المصرية الى تونس فجبل طارق . وهناك نافسوا (روما) فأخذت منهم روما علوم وحضارة مصر . وفى أواخر القرن الاول قبل الميلاد انتزعت (روما) السلطان من (قرطاجنة) واسست أكبر امبراطورية عرفها التاريخ ضمت بريطانيا ومصر معا

ولم تتأثر أوربا عامة وبريطانيا خاصة بالحضارة المصرية من حيث العلوم والآداب والاجتماعيات فقط بل تعدت ذلك الى اللغة أيضا . قال الاستاذ فيرمان (Fairman) فى محاضرة حديثة بالجامعة الامريكية بالقاهرة ان بعض الكلمات المصرية القديمة ما تزال مستعملة فى اللغة الانكليزية مثل ليبيا (Libya) وواحة (Oasis) وابنوس (Ebony) واسد (Lion) والنطرون (Natron) والبازلت (Basalt) . وان هناك الفاظا فرعونية ادخلت حديثا فى اللغة الانكليزية مثل (Adobe) التى تعنى طوبة ادخلها الامريكيون فى اللغة الانكليزية بعدما أخذوها عن اسبانيى امريكا الذين أخذوها عن مواطنى اسبانيا الذين أخذوها عن العرب (طوبة) الذين أخذوها عن القبط (طوبى) . وهناك تعابير انكليزية مثل (Splitting Headache) ـ أى ألم الرأس المفلق ـ وهى فى الحقيقة ترجمة حرفية لتعابير مماثلة لها فى المصرية القديمة . ويقال ان بعض الأسماء مثل (Mary) مارى ـ أصلها (مريت) باللغة المصرية القديمة أى (المحبوبة) ، و (Humphrey) وهو اسم علم دارج بالانكليزية اصله مصرى قديم ومعناه (خادم الشمس) . اما لفظ (Egypt) فأصله بالهيرغليفية (حاكبتاح) اسم منف القديم

وبلغ من تأثر الرومان بالديانة المصرية ان اقام الامبراطور (كاركلا) معبدا للمعبود المصرى (سرابيس) وهو عبارة عن امتزاج المعبودين (ازوريس) و (ابيس) . واقام الامبراطور (هدريان) مسلة فى (روما) نقشها بالخط الهيرغليفى . وما أكثر تماثيل ازيس التى كان يجدها السائح على ضفاف نهرى (الرين) و (الدانوب) لا على انها مصرية ، بل على انها من مواطنى تلك البلاد . قال بعض الأثريين ان أهم ما تعلمه الرومان من مصر هو نظام الحكم والمعاملات

الصلة قبل العهد التاريخي

كل هذه حقائق تاريخية حديثة لا جدال فيها • انما الغريب ان المصريين لم يهتموا كثيرا بفضل الحضارة المصرية قبل العهد التاريخي على الامم الغربية الراقية والبعيدة عن القطر المصري • ولعل السبب الاكبر لذلك هو وفرة ما خلفه لنا الفراعنة من آثار استحوذت على اذهان الباحثين ، فلم يكن لديهم متسع من الوقت للبحث عن كيفية تسرب المدنية الى بلاد العالم النائية ، ولا كيفية تأثر تلك البلاد البعيدة بالحضارة النيلية • وكان أول ما لفت الانظار تأثير المدنية المصرية في آسيا ، ونجم عن ذلك أن استكملت معلوماتنا عن مصر جزءا كبيرا مما نقصته معلوماتنا عن الامم الاسيوية المجاورة • والغريب ان المعترف به الى عهد قريب هو انه طغى على اوربا قوم من آسيا قبل العهد التاريخي جلبوا معهم حضارتهم ومعلوماتهم ، لذلك لم يفكر أحد بمجهود مصر ولا بفضل مصر على تلك القارة الغربية التي تتزعم الآن مدنية عصرنا الحاضر • والمعروف انه في أواخر العصر الحجري لما ظهر في اوربا هؤلاء الاسيويون العريضو الجماجم ذو السجايا الجسمانية الخاصة والمختلفون تمام الاختلاف عن الاوربيين المعاصرين لهم حينذاك ـ لوحظ ان هؤلاء الأسيويين انتشروا في جبال (الالب) وفي الوديان والسهول على حد سواء • على الشاطيء الجنوبي الدافيء وعلى الشاطيء الشمالي الغربي البارد حيث تقع الجزر البريطانية (١) • وقد وجدت آثار هؤلاء الأقوام بالجزر البريطانية نفسها كما وجدت في جزر البحر الابيض المتوسط وعلى شاطيء افريقيا الشمالية من مصر الى مراكش وجزر الخالدات • ان مثل هذا الانتشار الشاسع لهؤلاء الاقوام الاسيويين لا تفسره البيئة ، لان الجهات المتباينة التي انتشروا فيها تختلف كثيرا من حيث الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف والعلو والانخفاض

اما تأثير المدنية المصرية على قارة اوربا فحصل قبل الغزو الاسيوي ، لان الطابع الاسيوي لما دخل اوربا كان غريبا متباينا • ودلنا البحث الطبي الحديث لجماجم وعظام الآدميين الاقدمين ان ساكني القطر المصري قبل العهد التاريخي وقبل الغزو الاسيوي المعروفين باسم (Proto-Egyptians) كانوا من نفس العنصر الذي استوطن شمال افريقا وجنوب اوربا في العصر الحجري • وهذه الاستنتاجات أتت من بحوث علمية هامة قام بها الاستاذ سرجي (Seegi) والاستاذ اليوت سميث • ولما كانت مصر هي الدولة الوحيدة التي قامت بنهضتها وخلصت نفسها من المدنية الحجرية فقد تزعمت تلك المدنية التي أنشأتها بأيديها وبمجهودها بابتدائها بالعهد النحاسي وما يليه من عهود كالعهد البرنزي

وبالبحث في عادات هؤلاء الأقوام وعقائدهم ـ وهم السابقون للغزو الاسيوي لاوربا ـ اتضح انهم بدأوا رحلتهم من القطر المصري غربا • وقد امكن الاهتداء الى ظهور عادات جديدة مختلفة تماما بين اهالي المناطق المذكورة • وذلك على الآثار الحجرية مما يثبت

(١) The Ancient Egyptians, by Elliott Smith, Chapter II.

بدون شك وجود عامل مشترك وقتئذ بين جميع هذه الشعوب • من هنا علمنا ان المدنية المصرية لما بلغت اوربا فى الازمنة الحجرية تأثرت كثيرا بالطابع الاوربى بعدئذ • لكن مصر بقيت حافظة لزعامتها المدنية • وكلما تقدمت مصر خطوة فى الحضارة انتشرت تلك الخطوات الى ما جاورها من البلدان حتى القارة الاوربية • وهكذا امكننا ان نلخص تأثير الحضارة الفرعونية فى اوربا بانها ترجع اولا الى انتشار العنصر المصرى فيها قبل العنصر الاسيوى وذلك فى العهد الحجرى ، وثانيا الى سرعة تأثر العنصر المصرى الجديد فى البلدان الاوربية بالتقدم العلمى والحضارة التى اسسها اجدادنا بوطنهم الاصلى وهو مصر • وهذا أمر مشاهد فى كل الظروف المماثلة • فان افراد العائلة اذا انتشروا فى جهات متباينة وكانت رئاسة هذه العائلة فى تقدم ورقى فاننا نلاحظ ان سائر افرع هذه العائلة يتأثرون بسرعة بهذا التقدم متبعين خطوات رؤسائهم نحو الرقى

ولعل اقدم العادات الدالة على أصل الانسان طريقة دفنه • وقد دلتنا المباحث على ان طرق الدفن فى مصر قبل العهد التاريخى هى هى بنفسها التى كانت متبعة فى اوربا فى أواخر العصر الحجرى • ولما كانت الاخيرة مأخوذة حتما من الاولى فان هذا دليل على ان سكان اوربا وقتئذ كانوا مصريين • وتتلخص هذه العادة فى دفن الموتى على الجانب الايسر مثنية الافخاذ والارجل • لكن فى عصر الاسرتين الرابعة والسادسة (عهد الاهرام) بدأ المصريون يدفنون موتاهم مفرودى الاعضاء • واكتشف الاستاذ اورزى (Orsi) ان هذا التغيير فى الدفن ظهر ايضا بجنوب اوربا وصقلية حوالى ٢٨٠٠ ق • م • وهذا مثال ناطق لطريقة نشر العقائد والعادات المصرية فى أوربا مما يدل على علاقة قديمة متينة تجارية ودموية بين سكان مصر واوربا وقتئذ • لان المعروف ان العادات الدينية كدفن الموتى من أشد العادات مراعاة واصعبها تغييرا • ومنه يستدل على شدة نفوذ المصريين وقتئذ ، ذلك النفوذ الذى مكنهم من السيطرة على عقائد اهالى اوربا فى ذلك الحين • وجعلهم يتكيفون بعقائد اجدادنا الجديدة • وما يقال عن العصر الحجرى يقال عن العصر المعدنى ذلك العصر الذى انتقل بمدنيته وعاداته وعقائده من مصر الى اوربا كى ينفذ بنفس الطرق التى نفذ بها فى الوطن الاصلى وهو مصر

ولم يقتصر الامر على هذا بل تعداه الى سبب الغزو الاسيوى لاوربا ، ويرجع الفضل فى هذا الغزو الى مصر لان الاسيويين تغلبوا على اوربا بالآلات المعدنية التى ابتكرها المصريون • فالمدنية المصرية انتقلت الى آسيا حيث تعلم الاسيويون العلوم المصرية ثم حاربوا بها اوربا ، فتكون حينئذ الحضارة المصرية قد غزت اوربا بطريقين : طريق مباشر من الجنوب ، وطريق غير مباشر (عن طريق آسيا) من الشرق • وهكذا انفردت مصر بانها صاحبة اليد الطولى على مدنية اوربا • ولم تقتصر اهمية مصر على ابتكار الحضارة ونقلها الى اوربا بل على المحافظة على طريق ابتكار هذه الحضارة وتعليمها للغير • ولاتزال

الآثار المصرية ولا يزال الخط المصرى القديم شاهدين على مجهود مصر منذ آلاف السنين العديدة فى العلوم والفنون بمصر واوربا

ومما ساعد على ذلك كثيرا مركز مصر الجغرافى الممتاز بين اوربا وآسيا وافريقا ، وكذا جفاف طقس القطر المصرى الذى حفظ آثار اجدادنا آلاف السنين وحفظ جثثهم من العفن فكان سببا فى تحفزهم لابتكار طرق التحنيط وايجاد فكرة الخلود للاموات والبعث بعد الوفاة . كل هذا ساعد على تكبير القبور وجعلها كافية لاحتواء المومیا وادواتها المنزلية والغذائية الخ . فكان سببا لحفظ الجزء الاكبر من العاديات الفرعونية بل جثث الفراعنة انفسهم . لقد خلف لنا اجدادنا كنوزا علمية كثيرة اهمها نقوشهم وتماثيلهم التى اظهرت لنا ميزات المصريين فى تلك العصور وميزات الاجانب الذين تغلب عليهم اجدادنا ، فاستطعنا ان نستنتج الكثير من علاقة العنصر المصرى بالبلدان المجاورة، كما أمكننا الرجوع الى العظام التى وجدت بمقابر الفراعنة ان نصل الى نتائج تاريخية قيمة عن علاقة المصريين بغيرهم

وبحكم موقع مصر بين ثلاث قارات ، وبحكم كونها مبعث المدنية والحضارة ومنشأ العلم والفن ، وبحكم احاطتها بالصحارى والبحار ، كانت بعيدة عن التأثر بالبلاد المجاورة كما جعلها تهيمن وتشرف على مدنية وحضارة البلاد الاخرى الخارجية كغرب اوربا . هذه العوامل هى التى جعلت (دنون) Denon يعتقد عام ١٧١٠ م. ان العنصر الاوربى من أصل مصرى

هذا باختصار وصف لطريقة انتشار مدنيتنا المصرية فى العصور التى قبل التاريخ وبعده الى القارة الاوربية والجزر البريطانية

وصف المصريين قبل العهد التاريخى

ان الباحث فى التاريخ الطبيعى للانواع البشرية يجد بالقطر المصرى كثيرا من المواد المفيدة الهامة . فحرارة الطقس وجفافه ورملية الارض حفظت جثث وعظام سكان القطر المصرى منذ ستة آلاف سنة . وهذه العوامل ايضا كانت سببا فى حفظ العظام والجلود والشعور والعضلات بل بعض اجزاء الاجسام الرخوة كالمخ والاعصاب وبلورات العين مما سهل لنا بحث جثث اجدادنا قبل العهد التاريخى

وقد امكن الدكتور اليوت سميث (كتابه فى أصل المصريين الاقدمين فصل ٤ ص ٤٨) ان يستنتج من امعاء ومعدة المصريين قبل العهد التاريخى بعض الاغذية التى أكلت قبل الوفاة بقليل . واستنتج بمعونة الدكتور فريتز نيتولتزكى ان غالبية هذه المواد من الشعير كما ان بعضها من الدخن (Millet) الذى انقرض الآن والمعروف باسم (Colonum Panicum) وهذا الدخن كثير الشبه بالدخن المزروع الآن بجزر الهند الشرقية . كما وجد ايضا حب العزيز (Cyperus esculentus) مما يدل على قدم هذا النبات بمصر . وقد عثر بالقرب

من هذه الجثث على سنانير لصيد السمك وهي اقدم الأدوات المعدنية التي ابتكرها اجدادنا في العالم • كما عثر في الامعاء على عظام السمك المعروف بالبلطي (Tilapia Nilotica) واستدل من وجود عظام من ذوات الثديين بامعاء هؤلاء الاقوام على انهم كانوا من آكلي اللحوم والنبات معا وعلى انهم استأنسوا الضأن والماعز والابقار • ووجد ايضا بامعاء الاطفال بقايا الفيران مما يدل على ان هؤلاء القوم كانوا يعالجون اطفالهم بهذه الحيوانات وهي عقيدة انتشرت كثيرا حتى بلغت بلاد اوربا وما تزال موجودة بمديرية قنا .

وقد قسم العهد السابق لحكم الاسر الى حديث واوسط وقديم ، على النمط الذى قسم به العهد التاريخي واطلق اسم (Proto-Egyptians) على سكان مصر قبل حكم الاسر اى قبل العهد التاريخي • وترجع معلوماتنا عن اجسام مصريي ذلك الوقت الى الجثث التى عثر عليها الاستاذ (ريزنر) بنجع الدير التى تبعد ١٠٠ ميل شمال طيبة ، والدكتور (مالك ايفر) في العمرة بالقرب من العرابة المدفونة ، وايضا الجثث التى عثر عليها في النوبة • واتضح من بحث هذه الجثث انها كانت مدفونة بمقابر بيضاوية الشكل او مربعة يتراوح طولها بين ٨٠ سنتيمترا و٢١٠ سنتيمترات وعمقها بين ٨٠ و١٢٠ سنتيمترا واخذ اتجاه طول المدفن يأخذ تدريجا وصفا موازيا لمجرى النيل • اما الجثث فكانت تدفن على جانبها الايسر منثنية الذراعين والرجلين بحيث تكون اليدان بين الركبتين والوجه • وتوضع الرأس عادة متجهة نحو الجنوب بما يتفق مع سير النيل ، وتوضع حصيرة تحت الجثة وفوقها ، وتلف الجثة بقطعة من الكتان او جلد الماعز مما يدل على مهارة هؤلاء الاقدمين في نسج الانسجة الكتانية • واعتاد القوم ان يدفنوا وقتئذ مع موتاهم بعض الاوانى الخزفية والحجرية والالواح الاردوازية والتماثيل العاجية والخرز وبعض الادوات الذهبية والنحاسية والمديات والاسلحة الحجرية ، ويبلغ طول هؤلاء القوم حوالى ١٦٥ سنتيمترا للرجال و١٥٠ سنتيمترا للنساء ، وكانوا نحيفي القوام قويي العضلات كما يستدل على ذلك من بروز العظام • وهذه الصفات عينها موجودة في سكان اوربا الذين عاصروا المصريين قبل العهد التاريخي

أما شعور اجدادنا السابقين للعهد التاريخي فكثيرة الشبه بشعور سكان جنوب اوربا الحاليين وسكان اسبانيا ، وذلك من حيث كونها شديدة السواد مسبلة عادة مجعدة احيانا لا شبه فيها لشعور الزنوج • واعتاد القوم وقتئذ ان يرسلوا شعر الذقن دون اللحية جميعها وهي عادة كانت متبعة بين سكان خليج بسكاى (١) • ولم نعثر للآن على الوشم أو ثقب حلمات الاذنين للبس الاقراط

قال الاستاذ (جسبى سرجى) في كتابة (Mediterranean Race) ان الشبه عظيم جدا بين سكان بريطانيا قبل العهد التاريخي وبين سكان البحر الابيض المتوسط ومصر والصومال • ومن رأيى انه لما كانت علاقة مصر بالصومال قديمة جدا كعلاقتها بسائر

(١) Prof. Westermarch : History of Human Marriage.

بلدان البحر الابيض المتوسط فان هذا الاستنتاج لا يمكن الا ان يعني ان العنصر المصري قبل العهد التاريخي كان منتشرا في العالم من الصومال الى بريطانيا العظمى

وتمتاز جماجم سكان كل هذه البلدان التي ترجع الى ما قبل العهد التاريخي بانها طويلة الجون رفيعة ، بيضاوية الشكل ، قليلة البروز في أعلى العينين ، قصيرة الجبهة أملسة مع بروز واضح في مؤخر الجمجمة ، تجاويفها البصرية مستديرة ، وعظام الوجنتين مبسوطتان . اما الانف فمتوسط الحجم عريض نوعا . وتمتاز الذقن بانها مدببة والفك بانه صغير الحجم والوجه عموما بانه قصير بيضاوي الشكل . أما الاسنان فصغيرة . كل هذه الصفات وغيرها مما سبق ذكره وجد في سكان العهد السابق للتاريخ في القطر المصرى وشبه جزيرة اسبانيا وفرنسا الغربية والجزر البريطانية ، مما يثبت وجود صلة دموية كبيرة بين هذه الشعوب قديما . ومن المؤكد ان هؤلاء الاقوام كانوا ذرية أم واحدة . قال الاستاذ اليوت سميث (ص ٦٧ من كتابه عن قدماء المصريين) : « اننا اذا أردنا ان نتتبع وطن هذه الام في شمال البحر الابيض المتوسط وجنوبه فان الابحاث التاريخية وعلم العاديات يتحدان معا في ان هذا الوطن هو ساحل افريقيا الشمالى ــ وهذا الساحل كان مركزا في مصر اولا واخيرا »

المصريون والبريطانيون قبل العهد التاريخي

ورد بكتاب الاستاذ اليوت عن قدماء المصريين في الباب التاسع ما تعريبه : « ان الرأى الغالب الآن هو ان اقواما من ارمينيا غزوا اوربا عن طريق شمال وجنوب البحر الاسود واستوطنوا بها وانجبوا أهالى الالب والعنصر السلافي . وان هذا الغزو الكبير سبقته رحلات كثيرة غير مصحوبة بغزوات مماثلة . وهذا الغزو وهذه الرحلات كانت خاتمة العهد الحجرى . ومن اهم ما ادخله هذا العنصر الارمني في اوربا عادة حرق الجثث بعد الوفاة ــ وهى عادة تختلف تماما عن آراء وعقائد سكان العهد الحجرى الاوربى ، وهى في الوقت نفسه برهان قاطع على ادخال العنصر الاجنبي في اوربا في مبدأ العهد المعدنى

وقال الاستاذ ريلى في كتابه The Races of Europe ان العنصر الارمنى أتى من هضبة بامير شمال الهندوكوش فلما غزا أوربا طغى عليها بشكل واضح الا بريطانيا لانها بانعزالها عن القارة كانت اقل البلاد الاوربية تأثرا بهذا الغزو شأنها في ذلك شأن القطر المصرى المنعزل عن آسيا بصحراء طور سيناء والبحر الاحمر . لذا نجد في العهد البرنزى ان مقابر البريطانيين حافظت على نفس النمط المتبع في مصر وقتئذ (ص ١٦٦ كتاب قدماء المصريين للاستاذ اليوت سميث) . وهكذا نجد ان العنصرين المصرى والبريطاني كانا كثيرى الشبه من حيث العزلة التاريخية ومن حيث استمرار المزايا العظيمة فيهما الخاصة باصحاب الجماجم الطويلة (dolichosephalic) . ومما يدل على اتحاد الاخلاق بين المصريين والبريطانيين

قبل العهد التاريخى ان كلا الشعبين لم يتأثرا بعادات العنصر الاسيوى الغازى كحرق الجثث بعد الوفاة

الابحاث الدموية

ان ما سبق ذكره يعطى القارىء فكرة عامة عن طريقة بحث موضوع مقالنا وعن مقدار الصعوبة التى تعترض هذا البحث . كما انه يقنعه بان العنصر المصرى القديم والعنصر البريطانى كانا على الارجح من اصل واحد لتوافق العادات والعقائد القديمة بينهما وتوفر الميزات الجسمية والعظمية وغير ذلك . لكن هناك ناحية أخرى حديثة هامة نرجو ان يكون لها فضل كبير فى اظهار حقائق هذا الموضوع تلك ناحية الروابط الدموية . فالمعلوم ان دماء الآدميين اربعة فصائل وان هذا التباين يستعمل حديثا لاثبات البنوة فى الطب الشرعى فالبحث الذى يقوم عماده على هذه الناحية سيكون عظيم الاثر فى استجلاء مسائل تاريخية هامة . خصوصا اذا لاحظنا ان اساس تقسيم الدماء وجود مواد بها غير قابلة للتغير على مرور الزمن

جاء بمجلة Chronique d'Egypte, (عدد ٢٣ سنة ١٩٣٧ ص ٤١) بحث فى هذا الموضوع يتلخص فى ان الدكتور كانديلا الاستاذ ببروكلين بامريكا وجد طريقة لاستخراج بقايا الدماء القديمة داخل عظام يرجع تاريخها الى ٣٣٠٠ سنة ، وامكنه فحصها لمعرفة الفصيلة التى تنتمى اليها . وهكذا امكننا معرفة نوع الدماء التى كانت تجرى فى عروق هؤلاء القدماء . وقد قام الدكتور كانديلا بمباحثه على عظام سيدات مصريات يرجع تاريخهن الى سنة ١٥٠٠ ق. م ايام حكم الاسرة الثامنة عشرة موجودة بدار تحف بروكلين . واصبح متيسرا معرفة العناصر الآدمية المختلفة فى انحاء العالم المنتمية الى فصيلة دموية واحدة . فقد اتضح مثلا ان هنود امريكا واهالى الباسكة (شمال اسبانيا) والكلت هم من الفصيلة الدموية الثانية . كما اتضح ان سكان الهندوس وقبائل الامازون بامريكا الجنوبية من فصيلة الدم الثالثة . كل هذه أمور هامة لها تأثيرها الخطير فى تاريخ الانسان القديم لدقتها وصحتها . وقد اثبت البحث الحديث امكان فحص دماء قدماء المصريين بطرق فنية تتلخص فى استخراج بقايا الدماء من عظامهم الجافة التى يرجع تاريخها الى مبادىء العصر الحجرى !

وطبق هذا البحث اخيرا على عضلات الموميات واعضاء اجسامها الباقية بنجاح . لان المادتين المرقوم لهما بالحرفين (ا) و (ب) اللذين يترتب على وجودهما تقسيم الدماء الآدمية الى اربعة فصائل قليلة التأثر بمرور الزمن (١و٢) . وقد بحث بهذه الطريقة مائة وثلاثون

(١) Boyd & Boyd : An attempt to determine the bld groups in Mummies in Proc. Soc. Exp. Biology & Med. 31, 671, 1934.

(٢) Boyd & Boyd : Blood Grouping by means preserved muscles; Science: 78-578-1933. Groups Specificity of dried muscle and saliva; Journal of Immunology 26,489-1934.

موميا مصرية قديمة • واثبت البحث وجود المادتين (ا) و (ب) فى جثث المصريين الاقدمين• وكانت احدى هذه الجثث من قبل العهد التاريخى الذى يرجع زمنه الى اكثر من خمسة آلاف سنة من عهدنا الحاضر

واثبتت المباحث الحديثة ان المادة (ا) توجد بدماء اهالى القاهرة الحاليين بنسبة ٣٧ ٠/٠ واهالى اسيوط بنسبة ٣٤ ٠/٠ اما المادة (ب) فتوجد بدماء سكان القاهرة الحاليين بنسبة ٢٥ ٠/٠ واهالى اسيوط بنسبة ٣٠ ٠/٠ وهذه النسب تنطبق الى حد بعيد على النسب التى كانت موجودة فى العصور القديمة بقدر ما سمحت بها المباحث الحديثة على المومبات ((Chronique d'Egypte) – يناير ١٩٣٧ – ٤٤)

ان البحث فى فصائل الدماء الآدمية لا يبعد ان يكون بعيد الاثر فى جهات التاريخ المتعددة • خذ مثلا موميا مصرية مجهولة الصاحب وجدت بين موميات معروفة اصحابها• فان بحث دماء هذه الموميات قد يرشد الى العلاقة الدموية بين الموميا المجهولة والموميات المعروفة

كذلك اذا عثر على عضو من اعضاء موميا ، كما يحصل ذلك كثيرا اثناء الحفر عن الآثار ، ووجدت بعد ذلك قطع موميا بنفس المكان ، امكننا ببحث دماء هذه القطع ان نردها الى صاحب واحد •وغير ذلك من الامثلة العديدة

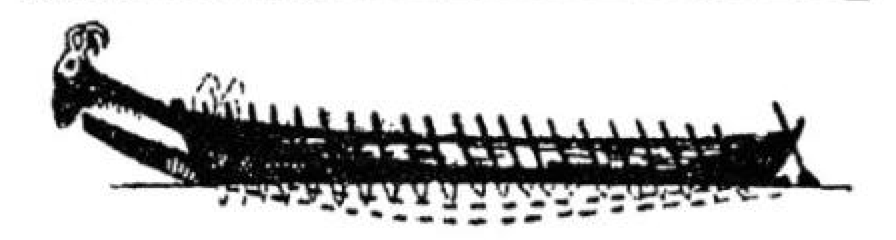
ونرجو ان يمتد هذا البحث فيشمل فحص دماء عدد كبير من موميات قدماء المصريين كى تتبين مدى انتشار فصائل الدم بينهم فنقارن نتائج ذلك بامثالها ببريطانيا

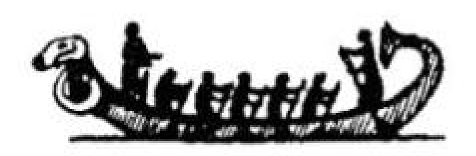
تأثر الجزر البريطانية بالحضارة الفرعونية

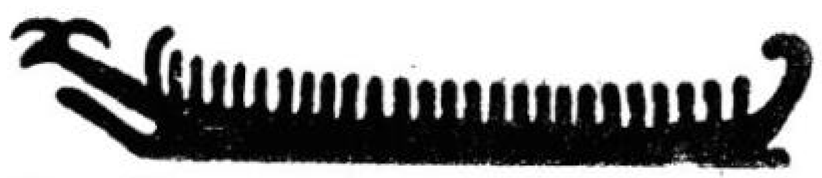
معلوم ان الحضارة المصرية بدأت من الناحية الزراعية ثم تشعبت بعد ذلك فشملت نواحي المجتمع المتعددة

ولعل اول خطوة فى تقدم بريطانيا هو ما تعلمته من مصر من صناعة النحاس وعمل الاسلحة وما تبع ذلك من قطع الاحجار لبناء المبانى الشامخة والنقش على الاحجار وذلك عن طريق شبه جزيرة اسبانيا وفرنسا (اليوت سميث ـ قدماء المصريين ص ١٩٢) • اما صناعة البرنز فلا يزال الشك دائرا حول موطن ابتكارها • والرأى الغالب انها نشأت فى خراسان بآسيا

واورد الاستاذ اليوت سميث فى كتابه المذكور ايضا (ص ١٩٧) رسوما لسفن منقوشة على صخور شواطىء اسكانداوة تبين السفن التى اقلت سكانها الاقدمين الى تلك البلاد السحيقة • وبفحص هذه الرسوم اتضحت انها صورة طبق الاصل للسفن المصرية القديمة التى كانت مستعملة فى مصر ايام الامبراطورية الحديثة (حوالى ١٥٠٠ ق•م•) والتى اصبحت الآن السبب الاول والاخير فى سيادة بريطانيا العظمى على العالم







تتشابه هذه السفن الثلاث برغم تباين العهد والمواطن التى استعملت فيها . فالعليا تمثل نوع السفن المستعملة الآن بشرق افريقيا ، والوسطى تمثل سفينة فرعونية ، والسفلى وجدت صورتها منقوشة على صخور اسكاندناوة فى العهد البرنزى (مأخوذة من الأستاذ اليوت سميث)

والى مصر وحدها يرجع الفضل فى ابتكار طريقة رى الحياض وحفر الترع المستعملة الآن فى سائر بلاد العالم ومنها بريطانيا العظمى ، لانها توافق طبيعة اراضى تلك البلاد لتباين ارتفاعها وغزارة امطارها . وقد انتشرت هذه الطريقة الزراعية بآسيا وامريكا الشمالية والجنوبية ومدغشقر ، مما يدل على ان مصر لم تكن صاحبة الفكرة فى الحضارة فقط بل كانت العامل النشيط الدائم فى رقى العالم (راجع كتاب الاستاذ برى (Perry) المسمى (The Children of the Sun))

وهناك ــ الى ذلك ــ صناعة نسج الكتان والنجارة وقياس الزمن والخط ونظم الحكم وغيرها مما نشأ فى مصر وعم العالم ووصل الى الجزر البريطانية فى الوقت المناسب

حسين كمال

الذهب الهارب

المانيا تجهد فى الوصول الى ذهب البلاد المحتلة ، والذهب يفلت من بين أيديها !

كان الذهب على الدوام فى مقدمة الهاربين من الحرب ، فلا تكاد نذر الحرب تبدو فى الأفق حتى يجد الذهب طريقه الى خارج البلاد المهددة بالخطر ، أما اذا تلكأ الذهب برغم تلك النذر، فانه لا يعدم من ينقذه فى أحرج الاوقات . وقد أفلت الذهب البولونى والفرنسى قبل أن تصل اليه أيدى الالمان ، واستطاع ذهب الدانمرك وهولندا سبق الخطر والوصول الى شواطىء الامان ، أما فى النرويج فقد هرب الذهب تحت سمع الألمان وبصرهم

ولنعد إلى ما قبل الحرب بمدة ، فنرى أوربا قد أودعت سبائكها خزائن مصفحة بالحديد فى غرف بنيت من الاسمنت المسلح داخل دهاليز فى باطن الأرض ، لا تصل اليها أيدى الطامعين ولا يؤثر فيها انفجار القنابل

ودقت طبول الحرب فجأة ، بعد أن تلبد أفق السياسة الدولية حيناً بالغيوم ، فماذا حدث ؟

الذهب البولونى

جحافل الالمان تتقدم بسرعة ، والذهب البولونى مهدد بالوقوع فى قبضة الغزاة . .

لقد تطوع عشرة رجال – بل قل عشرة غلمان من الجنود والكتبة والميكانيكيين – لانقاذ الذهب الاحتياطى وقدره ٢١ مليونا من الجنيهات .. ولكن كيف ينقلون هذا القدر من سبائك الذهب وقد وضع الجيش يده على جميع سيارات النقل ، واستولت لجان ترحيل السكان على جميع سيارات الركاب ؟

جد هؤلاء العشرة فى البحث حتى وقعوا على خمس سيارات عتيقة أبت لجان ترحيل السكان والسلطات العسكرية استخدامها لأنها غير صالحة للعمل ، وحتى هذه السيارات الخمس لم تكن تكفى الا لنقل ما يعادل مليون جنيه من سبائك الذهب

قاد هذه الشرذمة من الشبان اليافعين الكولونيل انياس ماتوسيفسكى – وزير المالية السابق فى عهد بلسودسكى – فجلس الى عجلة القيادة فى السيارة الأولى تتبعه السيارات الاربع الأخرى فى طرق قلبت سطحها قذائف الالمان . كانوا يسيرون ليلا ويحصلون على ما يلزمهم من

وقود من خزانات الآلات الزراعية المتروكة فى المزارع والحقول ، ويضطرون نهاراً الى الاختباء وتغطية السيارات بفروع الأشجار لاخفائها عن أعين الطيارين الألمان

استمرت القافلة فى طريقها تقصد برست ليتوفسك ، فلم تكد تقترب منها حتى افتضح أمرها وأذاع الراديو سرها وطريق سيرها ، وعمل رجال الجستابو على اقتفاء أثرها ونسف الطرق والقناطر التى تقع فى طريقها

وحاول ماتوسيفسكى أن يستشير ولاة الأمور فى وارسو ، ولكن أسلاك التليفون والبرق كانت قد قطعت ، ففكر فى العودة إلى وارسو طائراً فلم يجد طائرة تحمله اليها

وأخيراً استطاع أحد الميكانيكيين من المتطوعين اصلاح طائرة معطوبة كانت قد نزلت بالجهة التى وصلت اليها القافلة ، بعد أن سرق ما يلزمها من قطع وأدوات من مدرسة الطيران فى تلك الجهة ، وفى هذه الطائرة رجع أحد المتطوعين الى وارسو ، فلم يجلب العون والمدد وانما أقفل راجعاً يحمل الأمر بعودة القافلة

واستغرقت الرحلة يومين ، وما أن وصل المتطوعون بقافلتهم الى وارسو حتى وجدوا سيارات أخرى حملت بقية الذهب ، وقد وضعت خطة السير الى الجنوب ودبر أمر الوقود

وفى هذه المرة أيضاً اكتشف الالمان سر قافلة الذهب فلغموا طريقها الى الجنوب وصبت عليه الطائرات الألمانية وابلا من قنابلها ولم تكف عن التحليق فوقه ومراقبته ، بيد أن سيارات الذهب تركت الطريق العام وراحت تشق طريقها فى الحقول مفضلة بطء السير ووعورة المسالك على أخطار السير فى طريق اكتشفه الالمان . وعلى مقربة من الحدود الرومانية نقل الذهب الى قطار كان فى الانتظار ، وتحرك ذلك القطار قبل الموعد المحدد له بساعة فعبر الحدود بسبائك الذهب البولونى . ولو أن هذا القطار تحرك فى موعده لما نجا الذهب البولونى من الوقوع فى أيدى الالمان ، فقد كان فى طريقه الى الحدود قنطرة نسفت بعد اجتيازه لها بنصف ساعة

وفى أحد موانىء البحر الاسود نقل الذهب مرة ثانية الى ظهر سفينة أمريكية ، ولكنها لم تقلع فى موعدها اذ غادرها بحارتها وقد رشاهم الالمان، وراح البولونيون يبحثون هنا وهناك حتى استطاعوا جمع نفر جديد من البحارة . وأقلعت السفينة متجهة إلى روسيا

فى ذلك الوقت أعلن أن روسيا قد غزت بولونيا من الشرق فغيرت السفينة طريقها واتجهت الى تركيا حيث طلب من البولونيين مبلغ ٦٠٠٠ جنيه نقداً أجراً لقطار خاص

ولقد رفض ماتوسيفسكى أن يبيع جزءاً من الذهب ليدفع نفقات القطار ، محتجاً بأنه لا يملك حق التصرف فى هذا الذهب ، فظل الذهب فى مكانه حتى تقدمت احدى شركات البترول الامريكية وعرضت إقراض ماتوسيفسكى نفقات القطار الخاص

ورحل الذهب البولونى بعد ذلك الى سوريا ومنها نقل الى فرنسا فى حراسة طرادتين فرنسيتين

ذهب البلاد المغزوة

فى غضون ذلك الوقت كانت هولندا قد أدركت ما يهددها من خطر ، فأرسلت نصف ذهبها واحتياطيها من النقد الخارجى - وهو مبلغ ١٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه - إلى أمريكا ، بينما أخذت تهرب النصف الثانى الى عدة دول محايدة . أما فى الدانمرك فقد نقلت سبائك قدرها ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فى سيارات نقل الأثاثات الى الموانىء ومنها إلى أمريكا

ولقد كان هتلر يأمل أن يجد فى أوسلو كنزاً من الذهب ، ولكن الذهب النرويجى - وقدره ٣٣٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات - أفلت فى آخر لحظة وراح ينتقل من قرية إلى قرية متقدماً القوات الألمانية الزاحفة الى أن بلغ نهاية وادى جود برانزز ، ومن هناك نقل هذا الذهب تحت سمع الألمان وبصرهم

كانت خدعة عجيبة قام بها أطفال النرويج فنقلوا سبائك الذهب فى صناديق صغيرة ثبت كل واحد منها على زحافة صغيرة من النوع الذى يلعب به الأطفال . ولقد شك الالمان بادىء الأمر فى تلك الزحافات الحاملة للصناديق ، ولكن الزحافات الأولى كانت تحمل صناديق فارغة فاقتنع الالمان بأن أطفال النرويج اعتادوا اللعب بزحافات تعلوها صناديق صغيرة

ولقد دامت هذه العملية ستة أسابيع متوالية ، كان الاطفال ينقلون فيها السبائك بالتتابع ، فينقل الطفل محتويات صندوقه مسافة ٢٢٠ ميلا ويسلمها الى طفل من القرية التالية لينقلها بدوره مسافة أخرى إلى طفل ثالث . وهكذا تم نقل الذهب الى مقربة من الشواطىء فتسلمته النساء ونقلنه ليلا فى طرق وعرة المسالك خطيرة الانحدارات الى السفينة « بوما » التى عنى باخفائها تحت كميات كبيرة من فروع الأشجار فى أحد الخلجان الصغيرة المنعزلة

وفى ليلة غاب فيها القمر خرجت « بوما » تحت ستر الظلام الى عرض البحر ، فوصلت نيويورك فى صباح يوم مشرق جميل

وحتى السويد المحايدة حرصت على ألا يفاجئها الخطر ، وأرسلت ٧٤٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه من ذهبها الى الخارج

أما فى فرنسا ، فقد كانت عملية نقل الذهب من سراديب بنك فرنسا ما تزال مستمرة والالمان يدخلون باريس ، والمعتقد أن ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه نقل من فرنسا على الطرادة الامريكية « فانسين »

واليوم فى أمريكا نحو ٨٠٪ من ذهب العالم ، وهو فى أمان داخل خزائن « فورت نوكس » المنيعة التى يحرسها الرجال والمدافع والدبابات

[عن مقال للكاتب ويستر نوسبت]

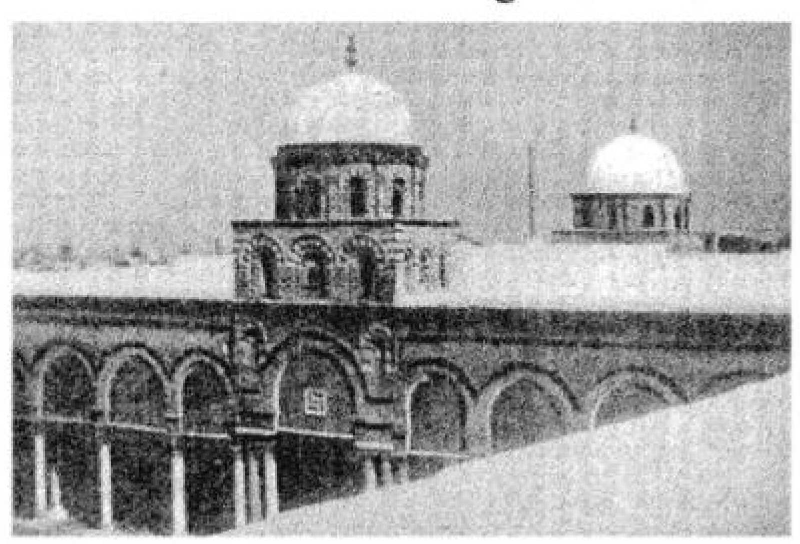
مسجد الزيتونة في تونس

بقلم الدكتور أحمد فكرى

أمين دار الآثار العربية

تحتل البلاد التونسية مركزاً ممتازاً بين الممالك الاسلامية فى بلاد المغرب ويرجع بعض الفضل فى ذلك الى جامعة « الزيتونة » التى قد تلى فى المرتبة جامعتنا الأزهرية . وتقوم هذه الجامعة الاسلامية فى مسجد كبير عتيق واسع الشهرة هو المسجد الجامع فى تونس

أقيم هذا المسجد سنة ١١٦ الهجرية فى ولاية عبيد الله بن الحبحاب وجدد بناؤه وأضيفت اليه قبة المحراب بأمر الخليفة العباسى المستعين بالله ، تحت ولاية أبى ابراهيم أحمد بن محمد من أسرة الأغالبة ، ولاة تونس حينئذ ، وقد تم ذلك سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤ م) . ولهذا المسجد أهمية كبرى من وجوه عدة ، ترجع أولا الى أنه لم يدخله أوروبى بعد ، فظل فى مجموعه الى اليوم مجهولا من الوجهة الأثرية ، ولم ينشرعنه من قبل غير صفحات وصور قليلة . وقد كان لنا شرف الأسبقية الى نشر تسع صور لهذا المسجد ، كما نشرنا بيانات ضئيلة عنه فى عامى ١٩٣٤ و١٩٣٧ وتزداد أهمية هذا المسجد فى تاريخ العمارة الاسلامية لقلة عدد المساجد التى أقيمت فى القرون



منظر عام خارجى لمسجد الزيتونة تظهر فيه القباب بحالتها الجديدة بعد رفع غطائها الجيرى فى سنة ١٩٣٦ فظهرت عليها زخارف تنتمى الى القرنين الثالث والرابع الهجرى

عواطف !

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

لم أعثر فى معجمات اللغة ، ولا فيما وقع لى من تعبيرات المتقدمين ، أنهم كانوا يطلقون كلمة (عاطفة ـ عواطف) على مايطلقها عليه أهل هذا العصر الحديث ، وأعنى هذا الاطلاق العريض . فأصل (العطف) ، على وجه عام ، الالتفات . ومنه : عطف إليه : مال . وعطف الشىء : أماله وحناه . وتعطف عليه : رق له وبره . وعطفت الناقة على ولدها : حنت ودر لبنها . ومن هذا المعنى ، فيما أظن ، جعلت هذه اللفظة تتسع فى إطلاقها حتى أصبحت تدل على نوازع النفس وأهواء القلب جميعاً . وكذلك تتطور الألفاظ ، مع اطراد الزمان ، حتى تكاد تلابس ، فى كل عصر ، معنى جديداً

وإذا كانت لفظة (العواطف) تدل اليوم أكثر ما تدل على خوالج القلوب ولواعج الكبود من هوى وصبابة ، ووله لاحق ، وغمز على الحشا من عشق وتبريح غرام ـ فان هذه(العواطف) كثيراً ما يكون لها مثوى آخر غير القلوب وغير الكبود !

نعم لقد يكون لها مثوى آخر ، وإن كانت جمهرة الناس لم تأبه له ولم تلتفت إليه ، على أن من هـذه (العواطف) ما هو أشد وأعنف ، ومنها ما هو أطغى وأجرف ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون !

لقد يروعك مرأى عاشق أدنفه الحب ، وبرحت به الصبابة . وقد هجره المحبوب قلى أو تجنياً ، فبات المسكين يساهر النجم ، ولايغمض جفنه عن تصفح وجه البدر ، لعله يصيب فيه بعض الفناء عن وجه الحبيب . ولعمرى ما هو بمغن عنه شيئاً ، وإلا فما هذه الأنفاس الحرى كأنما يتفرج بها من الحشا سعير بركان !

تشهد هذا المشهد ، فيخيل إليك أن هذا العاشق المسكين لا يرى الوردة وقد تخرجت من كمها ، والنرجسة وقد حنت على ثدى أمها ، والنسيم وقد تلطف ، والجدول فى الروض وقد تعطف ، والأرج وقـد شاع في الجو وتردد ، والهزار وقد شدا على الأيك وتغرد ـ اللهم إنه لا يشهد شيئاً من ذلك إلا ذكر به الحبيب . بل إنه ليرى هذا كله من بهاء الحبيب . ولولا

الثلاثة الأولى للاسلام ، والتي ظلت محتفظة بمظاهرها وعناصر بنيانها القديمة دون أن يخل بها ما أدخل عليها من الزيادات أو ما أصابها من آثار التجديد والاصلاح

وقد كشف لنا البحث عن أن مسجد الزيتونة هذا أثر فريد بين الآثار كلها بما يحويه من نقوش تاريخية . فهو متحف تاريخي قائم بذاته ، وفيه سجل واف بتفاصيل ماضيه لا حاجة للباحث فى إثباتها الى كتب المؤرخين أو أحاديث المعمرين

وقد استطعنا أن نقرأ جميع النقوش الكتابية التى يحويها المسجد والتى تسجل بياناً دقيقاً لما جدد أو أضيف أو أقيم فيه فى سنة ٢٥٠ الهجرية و ٣٨١ و ٣٨٥ و ٤٥٧ و ٤٧٤ و ٦٤٨ و ٧٢١ و ٨٤١ و ٩٩١ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١١٧٧ و ١٣١٢ . وهكذا نرى أنه لم يمر قرن واحد من الأحد عشر قرناً التى مر بها المسجد إلا وسجل أهل تونس على بنيان مسجدهم الجامع شهادة بأنهم لم يمسوه بالتعديل أو التغيير ، وأنهم اذا كانوا قد أضافوا اليه أو أصلحوا ما فسد فيه ، فانهم مع هذا حافظوا على حرمته الأثرية ، ووضعوها أمانة للعلم والتاريخ

ويشغل المسجد مساحة طولها ٦٩ متراً تقريباً وعرضها ٦٤ متراً . وطول بيت الصلاة فيه ٥٦ متراً وعرضه ٣٠ متراً ، وبه خمسة عشر رواقاً عرض كل منها ثلاثة أمتار ونصف تقريباً ما عدا رواق المحراب فعرضه خمسة أمتار وربع ، وبه ثمانية أساكيب عرض كل منها ثلاثة أمتار ونصف تقريباً ، ما عدا أسكوبا المحراب والبهو فعرض كل منهما أربعة أمتار ونصف . وتمتد أعمدته فى خطوط متوازية لجدار القبلة ، وتتجه عقوده نحو القبلة وتقف عند عقود أسكوب المحراب فلا تخترقها وتمتد فى صفوف غير متوازية . ويخترق صفوفها صف من العقود يتوسط بيت الصلاة بين الاسكوبين الرابع والخامس ، ولكن هذا الصف من العقود يقف عند حدود رواق المحراب فلا يخترقه

وللمسجد صحن مستطيل غير منتظم الأضلاع ، طول ضلعه المجاور لبيت الصلاة ٤٦ متراً يقابله ضلع طوله ٤٧ متراً ، ويحده من الشرق ضلع طوله ٣٠ متراً ، ومن الغرب ضلع طوله ٣٤ متراً

وللمسجد مئذنة مربعة يبلغ ضلع قاعدتها ٩ أمتار . وأضيف الى جدار المسجد الشرقى صحن للجنائز طوله ٢٦ متراً وعرضه ٧ أمتار ومقصورة لشيخ الجامع وقاعة للمكتبة وداموس

وبالمسجد الى هذا منبر ينتمى الى عصر الأغالبة وزخارف منحوتة على الحجر من القرن الثالث الهجرى . وقد استطعنا أن نزيل غلافاً من الجير كان يكسو قباب المسجد فتكشفت تحته زخارف منوعة ترجع الى القرن الرابع (العاشر الميلادي) . وجمعنا فى المعرض الذى أقمناه بدار الآثار العربية بعضاً من الصور التى التقطناها لهذا المسجد الكبير

أحمد فكرى

أنه أعار الطبيعة كلها بعض جماله ما سطع فيها بدر ، ولا تأرج زهر ، ولا ضحكت الورود على الأغصان ، ولا صدحت القواخت على الأفنان . كلا ! بل لشاه كل جميل ، ولاستحال ديوراً هذا النسيم العليل ! بل إنه لا يرى الحياة كلها إلا جحيما لا يطاق فيه العذاب ، ولا يرجى ، على الدهر ، منه ثواب

لقد يروعك الأمر ، إذ تشهد هذه العواطف ، ويتعاظمك . وسرعان ما ترثى للقلب وترثى للكبد ، أو سرعان ما تغبط القلب والكبد ، إذ استأثرا من دون سائر الجوارح بجولان هذه العواطف التي تشقى المرء كل هذا الشقاء ، وتسعده أحيانا بجميع ذلك الهناء !

وإنني أؤكد أن من ظن هذا فقد ضل ضلالا بعيداً !

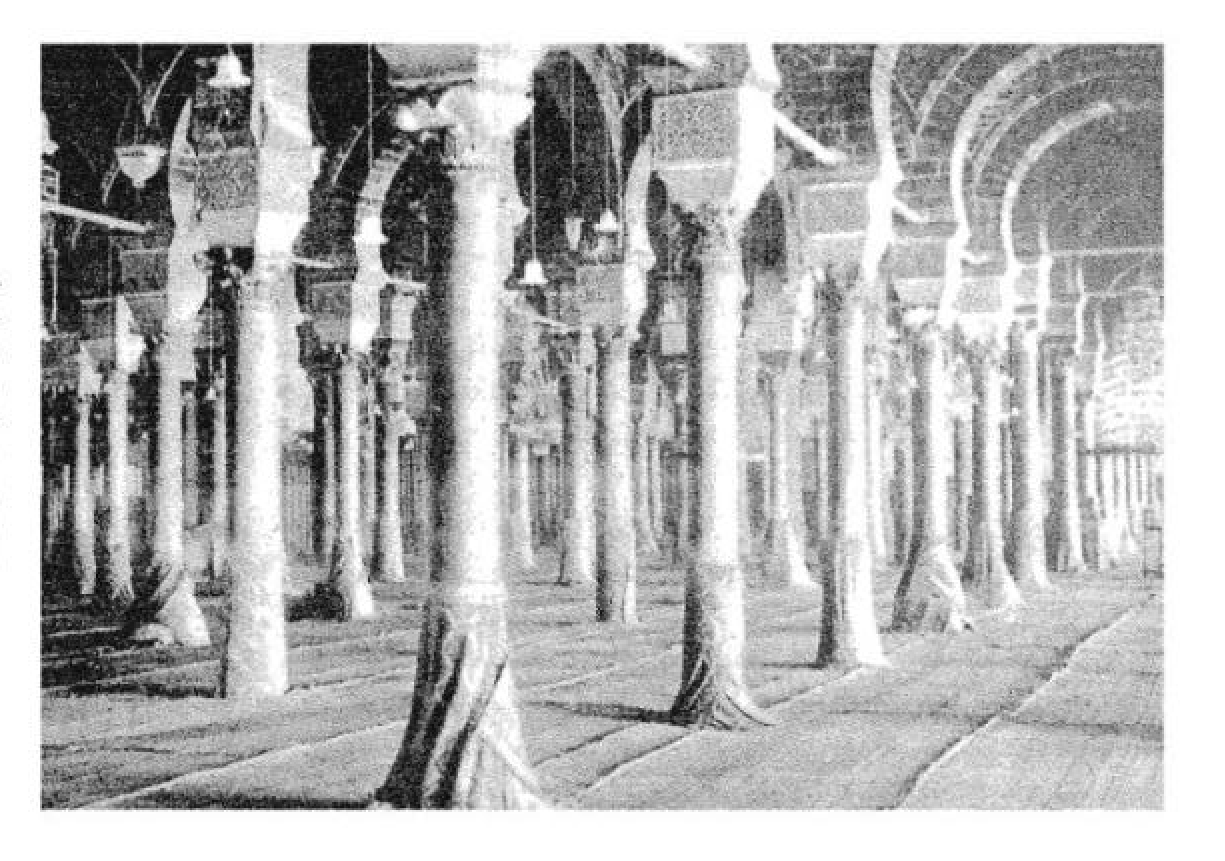
ولقد أسلفت عليك أن هناك ألواناً من العواطف تثوى الى غير الكبود وغير القلوب . وأن منها ماهو أشد وأعنف ، ومنها ما هو أطغى على المرء وأجرف . وإنى ملم اليوم منها بثلاث فحسب : أولها عواطف البطن ، وثانيتها عواطف الغرام (بالدرجة) ، وهذه مقصورة علينا نحن معشر الموظفين الحكوميين دون سائر العالمين . أما ثالثتها فحب الشهرة وذهاب الصيت

ولعلك تظن بى القصد الى المزاح حين أزعم لك أن للبطن و (الدرجة) والشهرة عواطف تجيش وتترقرق . بل إنى لأزيد أنها قد تبلغ من بعض الناس ما لم يبلغ غرام قيس بن الملوح بليلاه ، ولا هيام قيس بن ذريح فى لبناه !

وأرجو ألا تظن ان هذا العاشق المهجور الذى طوى ليله وهو يساهر النجم ، ويتصفح صفحة البدر ، يذكر به الحبيب ، ويتمنى عليه اللقاء القريب ، بأشد حرقة ، ولا أعظم لوعة من هذا الذى يتشهى الاكلة الشهية ، ويتمنى الوجبة الجنية . وإنه ليتمثل صينية (البطاطس) وقد ديفت بالطماطم والبصـــل ، ورصعت بالثوم ترصيعاً . أما ما جلات به من مزَع اللحم السمين ، فجدير أن يزدرد بالشمال وباليمين !

ولا تنس هذا الطاجن الذى حشى رزّاً معالجاً بالزبد ، وقد دفن الحمام السمين فيه دفناً ، وظل فى الفرن الهادىء ساعات ، حتى نضجت قشرته ، واحمرت بشرته !

وأما صفحة (الكنافة) فما أروع دلالها ، وأحلى وصالها ، خصوصاً إذا فاضت سمناً وسكراً ، وحشيت زبيباً وفستقاً وصنوبراً ، وغشى وجهها بالقشدة الخالصــة . وما شاء الله ! وسبحان من أحسن وتفضل ، والشكر لمن أنعم وتطول



منظر عام داخل بيت الصلاة فى مسجد الزيتونة تمتد فيه الأعمدة الى ما لا يدرك النظر نهايتها وترتفع عليها العقود الى مايقرب من ضعف ارتفاعها وتتوج جدرانها زخارف منوعة بعضها منحوت على الحجارة ينتمى الى القرن الثالث الهجرى — والبعض الآخر من الجص ينتمى الى القرن الحادى عشر

اللهم إن هذا العاشق الصب ليقضى ليله الأطول فى تمثل هذا وتمنيه ، وله من شدة اللوعة زفير ، أحمى من نار السعير

ولقد يعمد فى هيامه الى باب (الحاتى) وكبرى المطاعم ، فيجد ما يسطع من ريح القتار ، أزكى مما تجد أنت من النسيم جاز بالروضة المعطار !

أفليس هذا وأمثاله محبين عاشقين ، بل محبين والهين . لا يفتأون يشكون لوعة البطون ، كما يشكو غيرهم لوعة الكبود ؟

أما حب (الدرجة) وما أدراك ما (الدرجة) ! الله أكبر ! هل سمعت بالسيل الجارف لا يصده حدّ ، ولا يثبت بين يديه سدّ ؟ وهل سمعت بالريح الصرصر العاتية ، تدمدم رائحة أو غادية ، فتمتلخ فى مغارسها الاشجار ، وتتتلع من مبانيها الاحجار ، وتأتى على كل قائم بالخراب والدمار !

هو كل شغل القلب ، أستغفر الله ! بل إنه لحب قد استولى على كل نوازع النفس ، وملك جميع أقطار الحس ، حتى لقد تقول للصب المتيم : لقد اشتد البرد يا (فلان) فى هذه الايام ، فيجيبك من فوره : يشاع أن « لجنة الترقيات » ستنعقد فى صدر الاسبوع المقبل !..

ولقد تقول لمتيم آخر : ما أهول هذه الحرب وما أروع فظائعها . فلا يكون جوابه إلا : أيجوز أن يرقى فلان الى الدرجة الرابعة ولما يعض عليه أكثر من خمس سنين فى الخامسة ، فى حين أننى سلخت فيها ثمانياً ؟

ولقد تقول لأحد هؤلاء المتيمين الوالهين على (الدرجة) : إن (فلاناً) رجل فكه حاضر البديهة حسن الحديث . فيكون رده : لقد رقى الى (الدرجة) الثالثة فى العام الماضى . وهكذا ! . . .

وماله لا تكون (الدرجة) كل شغله ، وماله لا يجعل فى (الدرجة) حديثه أجمعه . أليست (الدرجة) هى عينه التى بها ينظر ، وأذنه التى بها يسمع ، ورجله التى بها يسعى ، ويده التى يعالج بها ما تعالج أيدى الناس ؟

ولقد يكون العاشق المدنف من أصحاب القلم ، أو من المنتحلين لصناعة القلم . فلا يستحيى ، اذا لاح له شبح (الدرجات) ، من أن يكتب للناس : هل أدلكم على أكبر أديب وأعلم عالم ؟ إنه والله للوزير القائم . ولقد عقدت له إمارة البيان ، فأضحى ولا يتعلق بغباره فيها إنس ولا جان . وأما من يليه فى هذه الامارة ، فهو ، ولا ريب ، سعادة وكيل الوزارة ! وهكذا كما

معرض بدائع الفن الاسلامى
فى دار الآثار العربية

حملت الظروف الحالية الحكومة على أن تتخذ قراراً بغلق المتاحف ونقل تحفها الثمينة الى مخابىء تقيها أذى الطوارىء . وقد يخشى من وراء ذلك أن تنقطع صلة الجمهور بالمتاحف مدة طويلة . وقد كان افتتاح هذا المعرض الذى أقامه الدكتور أحمد ذكرى الامين المساعد بدار الآثار العربية محاولة ترمى الى ربط هذه الصلة والى احياء ذكرى هذه التحف الثمينة والدعاية لما توحيه من جمال وإبداع فنى . ونحن ننشر هنا بعض محتويات المعرض من تحف دار الآثار العربية

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا تظهر كأنها محاطة بشبكة من حبال مجدولة مربوطة تحصر بينها زهوراً أوراقها مختلفة الألوان من أزرق وأخضر وأحمر ، وعليها كتابة باسم السلطان حسن (٧٦٤ هـ)

انصرف وزير ووكيل ، وخلفهما وزير ووكيل ، ولو تصرم الجيل بعد الجيل !

ولعمرى ، لو قد ذكر الله تعالى أحدُ هؤلاء بعض ذكره (المدرجة) ، لرقى فى الآخرة الى (درجة) الصديقين ، وتبوأ مجلسه معهم فى أعلى عليين !

* * *

وأما غرام الشهرة فشأنه أعجب وأغرب . وإن من هؤلاء المتيمين بالشهرة وذهاب الصيت لمن يرجو أن تعيد الحكومة شنق المجرمين فى الميادين العامة ، حتى إذا عدم الوسيلة الى بعد الصيت ، وسيرورة الذكر ادّعى على نفسه جرماً لم يقترفه ، وقتلا عمداً لم يجترحه ، ليحظى بالشنق على أعين الآلاف المؤلفة من الرجال والنساء والأطفال

ولهذا غرام الشهرة مذاهبُ وفنون لا يتسع للتصرف فيها هذا المقال . ولعل من أبدع وأروع ما قد رأينا فى الماضى القريب ، أن خلقا من الخلق مغرمون متيمون بأن يشتهروا بالعلم والأدب ، فى حين ليست لهم وسيلة الى شهرة فى العلم والأدب ، ولا ينعتهم أحد بعلم ولا أدب . إذاً فليزجو الى الصحف المقال بعد المقال لا يضمن شيئاً إلا تزكية أنفسهم ، والاشادة بفضلهم ، والهتاف بتفردهم بالأدب والبيان ، وبراعتهم فى هذا كل إنسان !

على أنه أيضاً لم تظهر لهم شهرة ، ولم يسر لهم ذكر ، ولم ينعتهم بشىء منه أحد

إذاً فكيف الحيلة ، يا ناس ، فى إطفاء هذه اللوعة وإراد هذا الغرام ؟

لم يبق من سبيل الى هواه الا أن يهدم كل من يظن ، أنهم بسابقتهم وموضعهم من أهل الفضل والأدب ، يحولون بينه وبين مناه ، حتى يصبح وإياهم بدرجة سواء

ولكن أنى له ذلك كذلك ، وليست له ساق يقوم عليها لهدم ولا ابتناء ؟

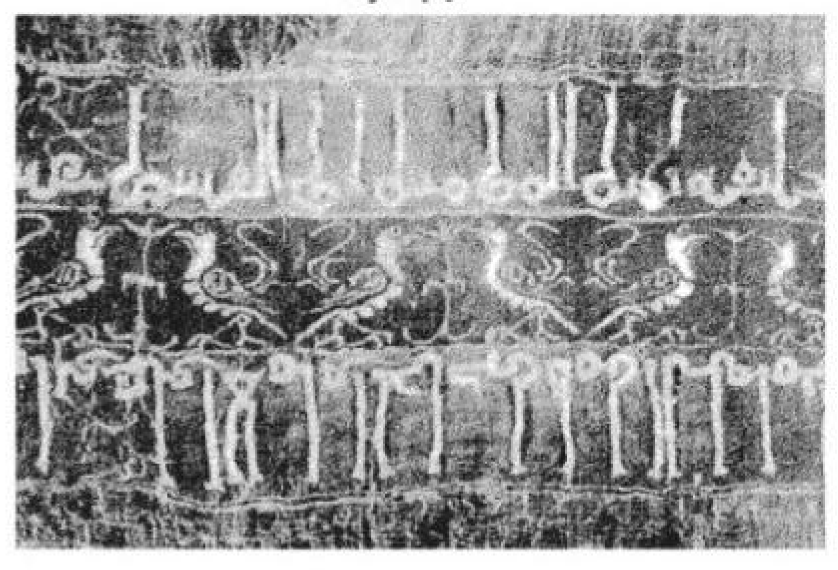
يا سبحان الله ! وهل لا بد للتطاول من قدم وساق ؟ اللهم إن له فى النباتات المتسلقة (كاللوف واللبلاب) لمثلا جليلا ، وإذاً فليتسلق على كل مرتفع عال من الناس . فاذا عدم الهدم ، لخذلان يده ، لم يعدم أن يؤذّن بعلمه وفضله ، وأدبه وبيانه ، من هذا المرتفع السامق !

* * *

أصدقت ، يا سيدى القارىء ، أن هنالك عواطف ليس جماعها القلوب ولا الكبود . وأن هنالك غراماً غير ما يعهد الناس من الغرام ، له سعير أحمى من كل سعير وضرام ألذع من كل ضرام ؟

عبد العزيز البشرى

تفصيل من لوحة خشبية منحوتة من مخلفات العصر الفاطمي وتظهر على هذه اللوحة صورة راقصة رشيقة الحركة



قطعة من قماش من الكتان ، منسوجة بها طيور من حرير أبيض على أرضية من حرير أزرق ، وعليها نقوش كتابية باسم الخليفة الحاكم وولي عهده — من أوائل القرن الخامس الهجرى

الانقلاب الاجتماعي
في أوربا بعد الحرب

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

لا شك أن الحرب العالمية التي اضطرمت نيرانها من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ لم تكن حربا مجدية ، نعني أنها لم تكن ذات عائدة خير على العالم . فقد يروى التاريخ حديث جميع الحروب التي اجتازها العالم ويستخلص من كل حرب نفعاً قام على أنقاضها شملت فائدته الغالب والمغلوب ولا يسمح المقام بضرب الامثال فهذه حقيقة يعرفها قراء كتب التاريخ جميعهم

وقد حاولنا أن نرى للحرب العالمية الماضية أثر خير شمل العالم فأعيتنا المحاولة ، حتى عهد جامعة الامم وهو خير ما أنتجته قرائح واضعي قواعد الصلح لم يكن بالجديد ولم توضع مبادئه موضع التنفيذ منذ ظهوره حتى وأده القوم منذ عهد قريب

على أننا نذهب الى أبعد من هذا المدى ونزعم أن الحرب الماضية أولدت جرثومة هذه الحرب وأنه اذا كان الخير قد يأتي من الشر فسيكون عقبى هذه الحرب خيرا للعالم يشمل جميع أهله ولماذا ؟

اننا نلاحظ بادىء الأمر أن المتحاربين كلهم اليوم يقولون بنظام جديد سيضعونه للعالم عندما تضع الحرب أوزارها

هذا شيء لا نزاع فيه . فما هو هذا النظام وكيف يكون ؟

اننا نفرض فوز الديموقراطيات . فاذا فازت هل يكون نظام العالم خيراً مما هو الآن ؟

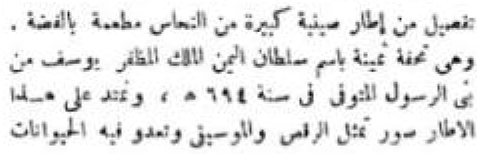
هذا هو محور البحث

ولا نعلق أهمية ما على الألفاظ فالديمقراطية سواء أكان أصحابها صادقين أم كاذبين ستكون هي نفسها موضع تغيير كبير . والحاكمون بأمرهم مهما تستقم لهم الأمور فلا مندوحة لهم عن الأخذ بما يرضي الشعوب ويضمن لهم بحبوحة العيش لان بقاء نظامهم رهن بذلك

١ - النظام الاقتصادي قبل هذه الحرب

لا نحاول أن نشرح النظم الاقتصادية وتفضيل أحدها على الآخر فهذا أمر يطول شرحه والمفروض أن القراء المثقفين واقفون على أهم المبادىء الاقتصادية التي تسيطر على الكيان العالمي





تفصيل من إطار صينية كبيرة من النحاس مطعمة بالفضة . وهى تحفة ثمينة باسم سلطان اليمن الثالث المظفر يوسف من بنى الرسول المتوفى فى سنة ٦٩٤ هـ ، وتمتد على هذا الاطار صور تمثل الرقص والموسيقى وتعدو فيه الحيوانات

إلى اليسار : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى عليه صورة سيدة جالسة بين سيدتين متكئة على مسند تقبض يدها اليسرى على زهرة وتتناول باليمنى آلة موسيقية وهذا الصحن من العصر الفاطمى



تفصيل من الكتابة الممتدة حول الجزء الأسفل من عنق شمعدان من نحاس مطعم بالفضة من القرن السابع الهجرى . وهذه الكتابة على هيئة أشخاص تتخللها رؤوس الطيور والحيوانات ، وضعت بعناية فنية تعبر عن رشاقة الحركة وقوة الحياة

ولا شك أن العالم ـ وخصوصاً العالم الانجلو أميركي والفرنسي ـ كانت تسيطر عليه مبادىء الرأسماليين أي أن طبقات كثيرة العدد هي الاكثرية في كل بلد ، كانت تتمتع بحرية سياسية لا شك فيها ولكنها كانت حرية سياسية فقط لم تكن لتتناول تعديل النظام الاقتصادي لمصلحة هذه الاكثريات

وليس هذا هو المقصود من نظام يريد الخير للجميع . فالطبقة الوسطى ـ وهي أصحاب المصارف والمصانع والسفن وما اليها من موارد الثروة ـ كانت بحكم النظام السياسي المفروض تتمتع بالوسيلة لابقاء النظام الاقتصادي كما هو أي في مصلحتها . ودع عنك ما يسمونه الطبقة العليا أو الارستوقراطية فهذه لا وجود فعلي لها الآن انما وجودها اسمى لا غير

ومعنى ما تقدم هو أنه كان في العالم قبيل الحرب فئة تتمتع بحياة هنيئة مادية وأدبية وكان في يدها الأداة السياسية التي تسيطر على نعيمها الاقتصادي أن يخرج من يدها

وكانت هناك أكثرية ساحقة ـ هي كل الطبقات المحرومة من الملك ومن ضمان أسباب العيش في البطالة وفي المرض وفي الشيخوخة ـ تسعى الى تحسين مقامها بالوسائل السلمية متخذين نقاباتهم وجمعياتهم سلماً الى البرلمان ثم أخذ هذا ذريعة الى تغيير التشريع القائم

ولا تنكر أن الأمر في الروسيا لم يكن متخذاً هذا الاسلوب فالقوم المحتاجون في روسيا أضرموا ثورة ١٩١٧ ووسعوها وأثاروا حرب الطبقات بغية تسلمهم زمام الأمور

وليس الأمر كذلك في الديموقراطيات الغربية ، وفي انجلترا على التخصيص . فانهم في هذا البلد الحكيم يريدون تحسين الحياة الاجتماعية بوسائل سلمية تأتى من باب الاقناع لا من باب الارهاب والثورة . فالذي يريد الخير للانسانية يريده في متناول الجميع لا وقفاً على هيئة دون أخرى . فاذا كان العالم يشكو من الظلم يأتيه من فوق فليس معناه انه يرضى بظلم يأتيه من تحت

٢ ـ الحال عند وقوع الحرب

وكانت الديموقراطية تتوقع حرباً تثيرها النازية والفاشية ولكنها كانت تحاول أن توجهها وجهة غير ذات خطر على نعيمها الاقتصادي

فالقوم الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور في انجلترا وفرنسا كانوا يؤثرون بقاء العالم على ما كان عليه وكانوا على استعداد أن يضحوا بشيء غير قليل من الكرامة في هذا السبيل

وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم أصحاب سياسة التهدئة . فقد كان الابقاء على الأمور كما هي مبدأ سياستهم وأمنية حياتهم . وكانوا على كرههم للحرب يؤثرون اتفاقاً مع هتلر ومع موسوليني على تغيير في نظام اقتصادي تسوده المبادىء الاشتراكية

ولم تكن سياسة مونيخ الا مظهراً بارزاً لهذه الأمنية . فكم كانت تحلو لرجال مونيخ سياسة

تقذف بالمطامع الألمانية ناحية الروسيا وكم كانت تلذ لهم أن يضحوا بتشكوسلوفا كيا لو وثقوا من أن هتلر وزمرته يقفون عند هذا الحد أو يقفون حقيقة فى وجه المطامع الاشترا كية الروسية .
لذلك كان الحزب الاشترا كى فى انجلترا (وهو حزب العمال) يأبى التعاون مع تشمبرلن لأنه كان يعلم أن ميوله وميول الطبقة التى يمثلها وهى الطبقة التى كانت تتولى زمام الأمور فى انجلترا لم تكن بميول ترمى الى انهاض حزب العمال أو الأخذ بمبادئه

وكان كتاب هذا الحزب يرمون الطبقة التشمبرلينية بشتى التهم

فكانوا يزعمون أنها آثرت الأخذ بيد موسولينى على الحبشة سنة ١٩٣٥ حباً بالمبادىء التى يمثلها الفاشيون . وأنها سكتت عن التدخل الألمانى والايطالى فى أسبانيا تنفيذاً لهذه الرغبة أيضا وأنهم يلينون للنازية والفاشية لأنها تعبر عما يخالج أفكارهم من المبادىء

ولم تكن الفاشية (وهى مثل النازية) إلا نظاماً استبدادياً قام على اضطهاد العمال وعلى مناصرة أصحاب الأموال وأرباب الصناعات الكبيرة

وليس على القارىء الا الرجوع الى تاريخ موسولينى وهتلر منذ قيامهما الى أخذهما السلطة كاملة فى أيديهما حتى يثق بصحة ما تقدم

ولم ينقلب الكثير من أصحاب الأموال والصناعات على هتلر بألمانيا الا لما علموا بأنه خانهم لأنه عند ما انفرد بالسلطان دونهم لم ينفذ رغائبهم ولم ينفذ رغائب أعدائهم العمال بل قام بحكومة هو وأتباعه الكل فى الكل فيها يضعون ما يشاءون من النظم الاقتصادية بله الاستئثار بالسياسة وبالادارة وبالحرب

٣ ـ التغير الذى حصل

وبقى حزب العمال فى انجلترا بعد الحرب واقفاً وقفة من قعد فى جفن الردى وهو نائم

فانهم ـ أى أهل اليسار فى انجلترا ـ كانوا عالمين علماً لا يتسرب اليه الشك بأن فوز النازية سحق لمبادىء الديموقراطية كما يفهمونها وعفاء على الحرية بكل مظاهرها وبأسمى معانيها . وكان علم جهادهم مرفوعاً لسحق النازية وسحق كل ما تمثله من تعاليم ومبادىء

ولكنهم كانوا يعتقدون من ناحية أخرى أن الحكم فى انجلترا لحكومة قائمة على مصالح الطبقات المتمتعة بالامتياز ـ الامتياز السياسى والامتياز الاقتصادى

وكانت وطنيتهم تأبى المجاهرة بالعداء لعلمهم أن الانقسام فيما بينهم وبين مواطنيهم يؤدى الى انتصار الأعداء فظلوا على أحر من جمر

الى أن كانت الحملة الخائبة على النرويج

فقامت انجلترا على بكرة أبيها مفتحة الأعين ترى أنها إن ظل زمام أمورها فى يد الفئة الممتازة

خسرت الحرب وأضاعت الامبراطورية . وكان حوض صبرهم قد جفت ميـاهه بما لاقوه من الانخذال فى كل غرب أوربا منذ بولونيا حتى النرويج

فعصفت الزوبعة بتشمبرلين وبطبقته . . وجاء تشرشل

وقد أدرك هذا العبقرى سر الأمور وعلم أن القوة الانجليزية لا تـكون على أتمها الا اذا قام بها الشعب ، وأدرك بثاقب نبوغه أن العالم الآن وبعد الحرب ليس بالعالم الذى مات بموت سياسة مونيخ

فـكان أن ألقى مقاليد الأمور فى الامبراطورية للمبادىء الاشترا كية ، وقام على نصرة تشرشل أعظم زعماء الاشترا كية الانجليزية

وكان القرار الذى اتخذه البرلمان البريطانى فى ذلك اليوم أعظم قرار اتخذته السياسة الانجليزية منذ ما أجبروا ملكا لهم بتوقيع عهد (الماجنا كارتا)

٤ ـ لماذا تم هذا

فهذه الحرب التى دخلت الامبراطورية البريطانية ميدانها لا يستطاع الفوز فيها الا بعزم الأمة الجامع الحديد . وباجماع الأمة على ذلك

وظاهر أن الأمة مجمعة حازمة أمرها ، وظاهر من مبادىء العدل التى يدين بها الانجليز أن الغرم بالغنم وأنه اذا تساوى القوم بتحمل الأعباء فلا مندوحة عن التساوى بنوال الجزاء

فـكان لا بد من توزيع الجهد على الجميع بجعل الأشخاص نفوسهم وأموالهم ملكا مشاعاً للأمة تتصرف فيها الحكومة كيفما تشاء ابتغاء النصر

وكيف يتم النصر وما هى أدواته ؟

الجواب على ذلك يقرأ بحروف كبيرة واضحة

ليست الحرب الآن حرب جيش يتخصص أفراده وقواده لمهنة الحرب كما كان الأمر فى الماضى إنه لو كان كذلك لسهل على الطبقة الممتازة احتكار قيادته وتسييره وابقائه فى خدمتها منفصلا عن مجموع الأمة الباقى

ولـكن الحرب اليوم حرب أمة كلها ، فانك لا تدرى كيف توزع العبء فيها

هل يحمله الجنود النظاميون

وهل يستأثر به الطيارون

وهل يقوم به الأسطول

أم هل هو نصيب المدنيين بما يلاقون من أهوال تذهب بأرواحهم وأموالهم ! ومن نصيب العمال فى المصانع على اختلاف أنواعها

أم من نصيب المتطوعين لأعمال الوقاية وما اليها

وهل يقوم العبء على كاهل الرجال أم النساء . الشيوخ أم الشبان . ويشاركهم فى ذلك الأطفال ؟

وليس على السائل الا أن يقرأ الألف والياء فى هذه الحرب حتى يدرك أنها حرب الجميع

٥ ـ الفائدة للجميع

فاذا كان الأمر كذلك ـ وهو واضح لا يحتاج الى تدليل ـ كانت عقبى هذه الحرب خيراً سيتناول الجميع

لأن الجميع بذلوا وضحوا لحق للجميع الجزاء

وأول هـذا الجزاء وخيره هو المساواة فى المرافق الاقتصادية فسنرى المبادىء الاشتراكية الصحيحة مسيطرة على النظام البريطانى

فاذا سار عليه العالم البريطانى سار الناس خلفهم

فما هي هذه النظم

اننا لا نحاول أن نضع الآن تفصيلا وافياً عن المبادىء التى يطلب حزب العمال وضعها موضع التنفيذ . وانما نكتفى بذكر المبدأ الاساسي وهو فى جوهره ضمان للكافة بأن يتمكنوا من العمل وضمان بأجر يرفع مستوى المعيشة ، وضمان للعجوز وللمريض وللطفل ، وفرصة مؤاتية تتاح للجميع للتمتع ببركة التعليم بعد بركة الغذاء الكافى الوافى

وهو فى جوهره أيضاً مزيل للفقر لا يجعله ضربة لازب على فئة يلازمها من الميلاد حتى الوفاة هادم للثروات تؤخذ من دم العامة لمتاع خاصة لا تتجاوز النسبة المئوية فيها واحداً فى أمة تعد بالملايين

***

على هذه المبادىء سيقوم نظام العالم بعد الحرب ولا رجعة فى ذلك لان القائمين بالحرب الآن فى انجلترا القابضين على زعامة الجهاد يدينون بها ووضعوها موضع التنفيذ فى أثناء القتال فهل ترى يرضى الذين نالوا الحظ منها أن يعودوا الى النظام العتيق البالى

ليس هذا بالامكان مهما جهد الذين تحجرت عقولهم وقلوبهم

فالانقلاب الاجتماعى فى أوربا بعد الحرب آت لا شك فيه وانه آت على الطريق التى رسمناها رسماً اجمالياً فيما تقدم ، وانه انقلاب سيكون خيراً على الشعوب كلها فى أوربا وفى غير أوربا

ومن يعش يره

سامى الجريديني

الألفاظ المصرية القديمة

الباقية فى لغتنا العامية

بقلم الاستاذ محرم كمال

كبير مفتشى آثار مصر الوسطى

يظن كثير من الناس أن اللغة المصرية القديمة ، سواء أ كانت الهيروغليفية أو القبطية ، قد اندثرت تماماً وذهبت دون أن تترك لها أثراً ، ولكننا نقول لهؤلاء السادة كلا ثم كلا ، فكما أثبتنا لمثل هذا الفريق من الناس فى كتاباتنا السابقة ان كثيراً من العادات المصرية القديمة لا تزال باقية فى مصر للآن ، سنحاول فى هذا المقال أن نثبت أن مئات الالفاظ بل جملا كاملة ما تزال مستعملة كل يوم فى لغتنا العامية أصلها مصرى قديم . وهذه الجمل والألفاظ والتعبيرات المصرية القديمة قد استمرت ، شأنها فى ذلك شأن العادات القديمة ، منبثة بيننا يتناقلها الخلف عن السلف من جيل الى جيل ، حتى وصلت الينا تراثا قديماً يذكرنا بأجدادنا العظام

ما يكاد المولود لدينا يرى نور الحياة حتى يسمع أمه تخاطبه بلغة غريبة عنه ، ولكنها فى الوقت نفسه أقرب ما تكون الى حسه وفهمه ، فهو اذا جاع قالت له أمه (مم) واذا عطش قالت له (امبو) فهل تصور أحدكم أن هاتين الكلمتين قبطيتان أخذتا بدورهما عن اللغة المصرية القديمة، فكلمة (مم) مأخوذة عن القبطية (موم) والهيروغليفية (أونم) بمعنى كل ، و (امبو) عن كلة (امبمو) القبطية بمعنى اشرب ، فاذا أحس الطفل بألم سألته أمه فى حنان وعطف عن مكان الوجع فقالت (واوا) فكلمة واوا هى بجميع حروفها هيروغليفية معناها ألم أو وجع أو ورم ، وإذا سألته عن الحشرة التى تعضه وتوجعه قالت له (بيبه) ومعناها برغوث ، واذا أرادت أن تنهره عن فعل شىء كريه قالت له (كخه) أو (كخ) ، و (كخ) كلة قديمة معناها قذارة . فاذا أصاب الطفل برد أو زكام قلبت الأم بيتها رأساً على عقب بحثاً عن (شايه) له تقيه برودة الجو وتشع فى جسم طفلها دفئاً لذيذاً ، فكلمة (شايه) هى أيضاً مصرية قديمة معناها قميص . أما اذا اشتد الطفل ونما وأرادت أن تعلم « اسم النبى بحارسه » طفلها المشى فانها تقول له (تاتا تاتا خطى العتبة) ، فما هى كلمة تاتا ؟ هي أيضاً الكلمة الهيروغليفية (تاتا) ومعناها امشى

فاذا أرادت الأم تخويف طفلها قالت له « أجيب لك البعبع ياكلك » . فكلمة (بعبع) هذه هى الكلمة القبطية (بوبو) وهو اسم عفريت مصرى استعمل فى العزائم السحرية واتخذوه

لتخويف الأطفال وصوروه بهيئة بشعة ومخيفة جداً . أما اذا أكثر الطفل من البكاء فان صبر الأم ينفذ وتقول له فى جزع ونفاد صبر « يا واد أنت تملى تأوأ كده » ومعناها « انت تملى تعاكس كده » إذ أن كلمة (تأوأ) أصلها القبطى (أوييه) أى يعاكس . فاذا استمر الطفل فى عناده وزاد فى بكائه وعويله فان الأم ترمى آخر سهم فى كنانتها بأن تلجأ الى التهديد فتقول له « انت حانكت والا أجيب لك البيخ » فتفعل هذه الجملة فى نفس الطفل فعل السحر وينقطع عن النحيب والبكاء ، فما هو هذا (البيخ) الذى كان له ذلك التأثير السحرى على الطفل ؟ هو كلمة قبطية (بيخ) ومعناها عفريت أو شيطان

فلا غرابة إذا رأينا هذا الطفل ــ وأطفالنا كلهم هذا الطفل ــ اذا كبر متمسكا بالألفاظ والتعبيرات والعادات التى درج على سماعها والتى رأى الناس يزاولونها أباً عن جد . فالولد اذا خرج الى الطريق سواء أكان (حارة) أو (زقاقا) وجد الأولاد يلعبون الكرة ، ونحن لا نقصد هنا كرة القدم فان الاشياء الحديثة والمودرن لا تهمنا هنا قط فهى مستحدثة علينا، وانما نقصد تلك الكرة الصغيرة التى يصنعونها من الجوارب القديمة البالية والتى نشأت وربت وترعرعت فى بلادنا منذ أقدم العصور ــ نقول اذا رأى الولد زملاءه يلعبونها انضم الى زمرتهم وبدأ يلعب بجد ونشاط فيقول (سنو) (كحكو) (شكا) . . . الخ فهذه الالفاظ جميعها هيروغليفية : (سنو) معناها اثنان و (كحكو) هى كلمة (كحك) الهيروغليفية ومعناها ينحني و (شكا) ومعناها يضرب . . . الخ . وفى أثناء لعبهم اذا اختلف الاولاد قال أحدهم للآخر « يا أخى انت بتحمرأ علىّ » أو « بلاش حمرأة » فكلمة « حمرأ » هى الكلمة القبطية (حمرق) ومعناها تغيير الكلام فى اللعب أو خلافه

ولكن وا أسفاه ما يكاد الاولاد يستمتعون بلعبتهم المفضلة حتى يداهمهم المطر فيملأ الأزقة والحارات ويكون فيها بركا وأنهاراً فينقطعون عن لعب الكرة ويستبدلونها باللعب فى مياه الأمطار والبرك ويطلبون المزيد صارخين بأعلى صوتهم « يا نطرة رخيها رخيها خالى البط يعوم فيها » ، فما من ولد فيهم فكر فى معنى كلمة (رخ) والواقع انها كلمة قديمة ومعناها نزل أو سقط فيكون معنى ندائهم « يا نطرة انزليها وكونى بركا يتمكن البط من أن يعوم فيها » فاذا انتهى الأطفال من لعبهم عادوا الى منازلهم فقابلتهم أمهاتهم بوجوه كالحة وأوسعنهم ضربا موجعاً ، فاذا سألتهن لماذا ؟ أجبنك على الفور « لأن السخمين سخموا هدومهم وحلة وسخموا روسهم طين » فهل فكرت الام انها لا تتكلم العربية حين تستعمل كلمة (سخم) التى هي كلمة قبطية بمعنى نجس أو لوث أو غطى بالوحل

نسمع كل يوم الباعة الجوالة وهم ينادون بأعلى أصواتهم على ما لديهم من سلع فهل فكر أحدكم فى ان كثيراً منهم ينادون بألفاظ كثيرة قديمة واليكم المثال :

ينبعث صوت رقيق ينادى (حالوم يا جبنه) أما الجبنه فكلنا يعرفها ولكن من منكم يعرف معنى

كلمة (حالوم) ؟ الواقع ان (حالوم) هى كلمة قبطية ومعناها جبنة فكأن البائعة تنادي على ما عندها بكلمتين إحداها قبطية قديمة والأخرى ترجمة الكلمة تماماً باللغة العربية

ولا تكاد تمر دقائق معدودة حتى نسمع صوتاً أجش يقول (الشلبة يا عاوزين الشلبة) ، فاذا لم يأبه به أحد نادي « يا باريه بحرى بحرى » فالشلبة والبارية هما نوعان من السمك الصغير اسمهما الحالى مأخوذ من اللفظتين القديمتين (شلفاو) و (بارى) . فاذا انتظرنا لحظة سمعنا رجلا ينادى « الشراق المال الشراق » ، و (الشراق) أو (الاشراق) هو خشب ذو مادة دهنية يستعمل فى إيقاد النار والفحم وما شاكل ذلك ونفس الكلمة مأخوذة عن كلمة (شرقة) ومعناها خشب (شى) و (رقه) الحريق

أما فى أطعمتنا الوطنية المصنوعة من الفول فما يزال على الأقل صنفان منها محتفظين باسمهما القديم أولها (المدمس) ومعناها الفول المستوى فى الفرن بواسطة دفنه أو طمره فى التراب واسمه القديم (مثمس) والثانى (البيصارة) واسمها القديم (بيصورو) ومعناها الفول المطبوخ

ويقول عامتنا حين يتحدثون « داشىء ياما » ، فلفظة « ياما » هى الكلمة المصرية (آما) ومعناها كثير . والأغرب من هذا أننا نترجمها حرفياً فى لغتنا العامية فنقول أحياناً « وياما من ده كتير » فكأننا قد ذكرنا اللفظة العربية ومعها أصلها القديم أيضاً . واذا حدثك أحد العامة عن رجل أعجب بقوته ودهائه قال عنه « دا راجل يغلب العنتيل » وكلمة (عنتيل) أصلها (انتورى) ومعناها القوى الشديد . واذا خاطبك رجل من الصعيد قال لك « عاوز آش » ونحن فى مصر نستعمل كلمة (إش) أيضاً انما بشكل أرق فنقول « وانت إش لك فى كده » ، فلفظة (إش) أو (آش) هى القبطية (آش) وأصلها الهيروغليفى (آخ) وهى حرف استفهام بمعنى ماذا

يستعمل العامة عندنا كلمة (باش) فى قولهم « العيش باش خلاص » ، فكلمة (باش) ليست عربية وانما هى قبطية نقلت عن أصل هيروغليفى ومعنى الكلمة لان وطرى . ومن مشتقات هذه الكلمة لفظة « بشبش » بمعنى « يبلل » فى قولهم « الله يبشبش الطوبة اللى تحت راسه » أو قولهم « شوف الواد بشبش هدومه مايه وغرق روحه خالص » ، فالكلمة مرادفة تماماً للفظة « يبلل » العامية وأصلها القديم هو (بشبش) . أما كلمة (بك) فى قولهم « ضربته لما بك الدم من عينه » فهى كلمة (بك) القبطية ومعناها نزل . وقع . سقط . تدحرج فيكون معنى الجملة أنه ضربه « لما نزل الدم من عينه »

ونسمع كثيراً كلمة (بوش) فيقول الرجل اذا اعتراه اليأس « يا خسارة تعبى كله طلع بوش » فلفظة (بوش) هذه قبطية معناها أصلا سلب . نهب . عرى واستعملت منذ العصور القديمة مجازاً بمعنى فارغ . خالى . معدوم

يقول الفلاح لزميله اذا رآه جالساً فى تكاسل « قوم كده وانت قاعد زى التليس » ، و « تليس » كلمة قديمة معناها زكيبة فكأنه يقول لزميله « قوم كده وانت قاعد زى الزكيبه » أما اذا قال له « قوم ياواد علم الطاش » فانه يستعمل كلمة قديمة هى (طاش) بمعنى حد أو فاصل ولذا يقول الفلاحون أيضاً « احنا النهارده طوشنا الغيط كله » أى وضعنا حدوده وأبنا معالمه

يضيق الحال بفلاحنا اثر عاصفة اجتاحت أرضه أو أضرت بمحصوله فيعتصم بالصبر ويقول « ان شاء الله بكره يطلع طياب » فكلمة « طياب » هى اللفظة القديمة لهواء أو ريح يأتى من الشمال . ومما يدخل في هذا الباب كلمة « ماريس » فى قولهم « ياهوا ياماريسى نشفلى قميصى » ، و (ماريس) لفظة قديمة معناها قبلى أو جنوبى أو آت من جهة الصعيد فيكون معنى الجملة « ياهوا قبلى نشفلى قميصى »

واذا زارت سيدة صديقة لها فى منزلها ووجدتها مشغولة قالت لها « انت يااختى مالك مطهومة كده طهمة كبيرة » ، كلمة (طهمة) قديمة ومعناها عزومة وقد احتفظنا بالمعنى فى أقرب نواحيه فى قولنا « هل بت قربت طهمة الفرح » أى عزومة أو لمة الفرح

ونسمع من الكثيرين كلمة (كوش) فيقولون « الراجل ده كوش على كل حاجه ولافاتشى شيء أبداً » والكلمة قديمة ومعناها تركه لا يملك شيئاً أو تركه عريان

أما العبارة المألوفة « آه يا كاسى منك » ففيها كلمة « كاس » قديمة ومعناها فى اللغة القبطية تعب أو وجع أو ألم . فيكون معنى العبارة « آه ياعذابى منك » أو « آه يا ألمى منك » الخ

ولعل من اللذيذ حقاً أن نعرف أصل عبارة « كانى . . . مانى » التى نستعملها كل يوم فى مختلف المناسبات فنحن نقول مثلا « وبعدين ياسيدى قعد يقوللى كانى ومانى ودكان الزلبانى » فلفظتا كانى ومانى ليستا عربيتين وانما أصلهما قبطى ومعناهما سمن وعسل أما كلمة دكان الزلبانى فهى اضافة تفسر معنى « كانى ومانى » إذ يوجد فى مثل هذا الدكان السمن والعسل وماشا كلهما من الفطائر التى يدخل فى صناعتها السمن والعسل

ويطلب الموظف الصغير من زميله أن يعيره نصف جنيه لأول الشهر لأن « شهر العيد كان طويل عليه واللاهية خلصت عن آخرها » فيجيبه زميله فى أسى وحسرة « والله فلوسى أنا كان الشهر ده على القيط خالص » فترى ما هو هذا القيط ؟ « القيط » أيضا لفظة قديمة قبطيـة وهيروغليفية معناها « المطلوب أو اللازم أو الكفاية أو التمام » فيكون معنى العبارة « ان فلوسه هى أيضا على التمام أو على قدر المطلوب بدون زيادة ولا نقصان ويادوب تكفيه »

أما اذا حل أول الشهر وتسلم الموظف المسكين ماهيتـه فانه ينتقم لنفسه من الضنك الذى أصابه فى الايام الاخيرة من الشهر و « يدور يمهيص فى الدنيا » فما معنى (يمهيص) اذن ؟ هي كلمة عامية ، ولكن أصلها قديم فهى تتكون من كلمتين (مه) ملأ أو أتقد ومن (يص) السرعة أو

العجلة أو النط ، فيكون معنى العبارة انه يدور ممتلئاً بالرغبة فى النط والقفز

تسمع العامة يقولون وقد فقدوا كل حياء ولياقة « جاك أوا يبلعك النوا كل عشرة سوا » فاذا سألتهم ما هو هذا (الأوا) حاروا جواباً ، والواقع انها لفظة قديمة (أوى) معناها الويل أو لحسرة أو تباً لك . واذا أنت جلست الى امرأة عجوز فأكرمت وفادتها ونفحتها « باللى فيه القسمة » من نقود دعت لك فقالت « الله يخليك ويراشيك ويطرح البركة فيك » فكلامها كله مفهوم ما عدا لفظة « يراشى » لأنها ليست من أصل عربى اذ هى فى الواقع قبطية (روش) ترجع الى أصل هيروغليفي ومعناها يعتنى وهذا ما يجعلنا نستعملها تماما مرادفا للفظة يعتني فنقول للخادم « خد يا محمد الولد معاك بس ابق راشيه » أى اعتنى به و « خد بالك منه »

أما اذا تشرف المنزل العامر فى يوم ما بزوار ظرفاء فاننا نستبقيهم للغداء وعندما ينتهون فاننا لا نسمح لهم بالخروج لأن الدنيا «صهد» أو لان « النهار ده صهد يسلخ العينين » ونرجوهم ألا يخرجوا «فى عز النقرة » وانما « لما تطري الطراوة » ، وهنا نكون قد استعملنا كلمتين هما « صهد » و « نقرة » من أصل قديم الاولى (صهد) ومعناها نار أو لهيب والثانية نقرة (نجره) وهى مكونة من كلمتين (نخ) شديد أو قوى و (رع) ومعناها شمس أى الشمس القوية أو الشديدة

وتسمعون كثيراً كلمة « شأشأ » فى قولهم « ولما الفجر شأشأ » أو « لما يشأشأ النور » الخ فهل فكر أحدكم فى ان الكلمة قبطية تنطق (شاهشا) ومعناها سطع أو التهب أو أنار ؟

وكم من مرة سمعنا امرأة تشكو وتقول « شبار علىّ على إيه كدا دى حالتى بقت عبرة يتعجب منها العدو والحبيب » فكلمة « شبار » قديمة أيضا ومعناها عجيب أو عجب أو غريب فيكون معنى « شبار على » ان حالى عجيب أو مذهل يستحق الاشفاق . أما كلمة (هبأ) فى قولهم « انت كنت فين النهار ده كله هابىء وطافش من البيت » فهى الكلمة القديمة (هبق) ومعناها كثير المشى أو الاكثار من السير

يقول الرجل وقد أعياه الفقر « أنا خلاص ما عنديش حاجه أبداً زى ما انت شايفنى حاتا باتا على البلاط وايش ها ياخد الريح من البلاط » فلفظتا « حاتا باتا » هنا قديمتان إذ تعنى (حات) فى القبطية والهيروغليفية قلب ومجازاً جلد و (بات) ومعناها ضلوع أو عظم ، فيكون المعنى ان الجلد على العظم كناية عن شدة الفقر ورقة الحال

محرم كمال

كبير مفتشى آثار مصر الوسطى

أثر الإسلام

فى تقدم الفنون الجميلة

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

تشريف القرآن للقلم أدى الى ابتداع فن الخط ـ تحريم التصوير أثمر ابتداع أسلوب زخرفى رائع ـ الاساس النفسانى الذى تقوم عليه الأرابسك ـ تحريم استعمال الحرير والذهب أدى الى ابتكار طرق جديدة فى الفن الجميل ـ تحريم الربا دفع المسلمين الى استخدام الفائض من أموالهم فى اقتناء التحف وتشجيع الفنانين ـ نظام الحسبة والنقابات فى الاسلام أدى الى تحسين المنتجات الفنيـة

أوجد الاسلام ، بعض توجيهاته ونواهيه ، أثراً واضحاً فى الفنون الجميلة عامة . فلقد خلق عناصر زخرفية ، وأوجد مبادىء جديدة أثمرت نوعا من الزخرف طريفاً ، وأبدع طرقا صناعية لم تكن معروفة من قبل ، وبث فيها بتعاليمه روحاً قوية ساعدتها على الرقي والتطور ، وحماها بنظمه ، وأوسع لها من صدره فنمت فى ظله وأينعت ، وآتت أكلها ثماراً شهية تملأ أقطار العين جمالا ، وتشيع فى النفس سحراً حلالا

أقسم الله فى القرآن الكريم بالقلم وما يسطر : « ن والقلم وما يسطرون » . ويمكن القول ان هذه الآية قد شرفت فن الخط وعظمته ، الأمر الذى دفع بالفنان المسلم الى ابتداع فن جميل لم يستوح فيه فناً من فنون الأمم السابقة عليه ، بل إبتكره بوحى من الاسلام فأجاد وأحسن الابتكار

لفتت نظره الحروف العربيـة برءوسها وسيقانها ، وأقواسها ومداتها ، فخلق منها طرازاً زخرفياً تجلت فيه صور من الجمال شتى : بعضها يجيش بالقوة والجلال ، وبعضها يفيض بالرقة والاناقة . ولقد أرضى فى هذا السبيل الفن الجميل على حساب قواعد الخط ، فضحى بالكثير من هذه القواعد ، وراح يصعد ببعض الحروف أو برءوسها أو بنهاياتها الى أعلى لتكون على مستوى

واحد مع الحروف القائمة ، كما أخذ يرسم أقواساً تحت الحروف التي لا أقواس لها حتى تكون متقابلة مع الحروف ذوات الأقواس . وهكذا سار الخط العربي في سبيل التطور شوطا بعيداً حتى انتهى آخر الأمر الى أن يصبح مجرد زخرفة يقصد بها وجه الفن فحسب

على أن سمو مكانة القرآن في النفوس قد شحذت همم الفنانين الى تجويد الخط عند نسخه ، فضلا عن الاستعانة بالتذهيب والزخرفة ثم التجليد ، فلبست المصاحف حلة من الجمال سائغة حتى صارت تحفاً فنية تعتز بها المتاحف في عصرنا الحاضر ويتنافس الأغنياء في اقتنائها

ولئن كان تشريف الاسلام للقلم وما يسطر قد أنتج فن الخط الجميل ، فان تحريم التصوير قد أثمر ابتداع أسلوب رائع من الزخرفة كان لها في الفنون الجميلة أبعد الأثر

حقيقة ان القرآن لم يتعرض لهذا الفن بشيء ، ولكن كتب السنة المختلفة قد تناولته بشيء من التفصيل إذ ورد بها أحاديث عدة معظمها ينص على التحريم ويوجه الفنانين الى سبيل آخر يسلكونه في فنهم . فلقد روى « عن سعيد بن أبي الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما إذ أتاه رجل فقال يا أبا عباس : « انى انسان انما معيشتى من صنعة يدى وانى أصنع هذه التصاوير » . فقال ابن عباس : « لا أحدثك الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول من صوّر صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » . فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه . فقال : « ويحك ان أبيت الا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح » (١)

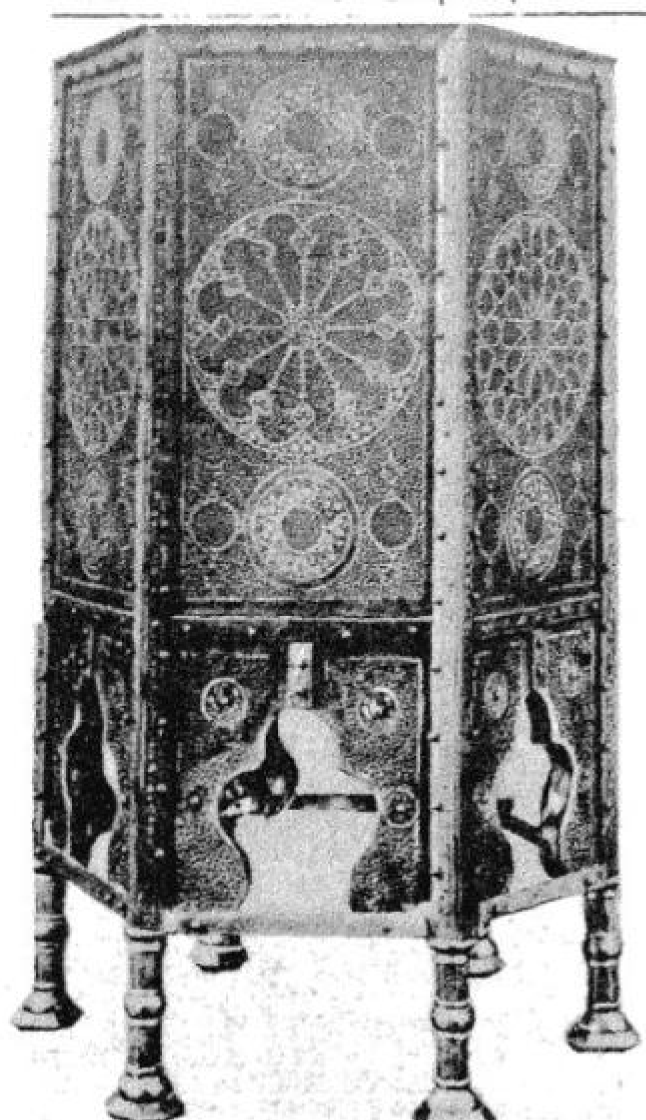
واذا أضفنا الى هذا الحديث قوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » ، « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ، استطعنا أن نفسر الأساس الفلسفي الذى تقوم عليه الزخرفة الاسلامية المعروفة باسم « الأرابسك » Arabesque (٢)

ذلك أن المسلمين جميعاً يعتقدون أن البقاء لله وحده ، وأن العالم بمن فيه وما فيه مآله الى الزوال كما تعبر عن ذلك الآيتان سالفتا الذكر . وقد انعكست هذه العقيدة في فنهم الجميل بأوضح صورة . إذ كان الفنان المسلم يرى أنه ليس من اللائق أن يخلد بفنه شيئاً من هذا العالم الذى كتب الله عليه الفناء ، فليست به حاجة الى تخليد جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلا صحيحاً صادقاً ما دامت سائرة الى الزوال

لذلك كان يأخذ من عناصر الطبيعة ما يريد ، ثم يهذب فيها ما شاءت له ميوله ومواهبه ، ثم يكوّن من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت الى الطبيعة بصلة ، قوامها أغصان نباتية متشابكة ،

(١) صحيح البخارى كتاب البيوع ص ٨٢ ج ٣ طبعة بولاق سنة ١٣١٤

(٢) لا يمكن أن تترجم هذه الكلمة بالزخرفة الاسلامية لأن هذا التعبير عام ينصرف عند اطلاقه الى كل الزخارف الاسلامية بينما كلمة الارابسك تعنى نوعاً خاصاً من الزخرفة هو الذى بيناه فيما بعد



كرسي نحاسي مكفت بالفضة ، من القرن الرابع عشر يتجلى فيه جمال الزخرفة الهندسية الاسلامية

يتفرع بعضها من بعض ، وأوراق أشجار مختلفة يخرج بعضها من بعض ، وأزهار وفواكه وحيوانات منسقة قد تتخلل الأغصان وقد لا تتخللها

وكان يكرر هذه العناصر ، ويغمرها بالتفاصيل الدقيقة حتى تبدو زخرفته أمام الرائى وقد صارت خليطاً لا يستقر النظر فيها على شيء ، ولا ينطبع منها فى الذهن صورة واضحة محدودة لأمر معين ، تحتل بؤرة الشعور . فهى بذلك لا تبعث فى الفنان الغرور بنفسه ، ولا تجعل الناظر اليها يستغرق فى جمالها ، وينسى فى إعجابه بها مبدع الكائنات بل يشغل فكره بالتنقل من غصن ملتف على نفسه الى ورقة نابتة من ذلك الغصن ، الى زهرة متصلة بتلك الورقة ، الى طائر جاثم بين الأغصان وهكذا . على أن هناك عقيدة دينية أخرى من الجائز أن تكون قد أثرت كذلك فى الزخرفة الاسلامية ، مؤداها أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير . قال الله فى حق ابراهيم عليه السلام : « فلما جن عليه الليل رأى



قطعة من النسيج من بلاد إيران ترجع الى القرن الثانى عشر الميلادى ، عليها ...

كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »

واقد ترجم الفنان المسلم عن هذه العقيدة فى فنه أحسن ترجمة ، فكثيراً ما نرى زخرفاً مكوناً من طائر له رأس آدمية وينتهى ذيله بفرع نباتى مما يصح اعتباره دالا على ظاهرة التغير التى هى من طبيعة المخلوقات والتى هى من أهم ما يلفت النظر فى الفن الاسلامى . فالمخلوقات تتغير من حالة الى حالة ، وجميعها لديه سواء ، يستوى عنده الحيوان والانسان ، والنبات والجماد ، باعتبار أنها مظاهر لصفات الحق وليس لها الا وجود زائل سائر الى الفناء (١)

وما كانت الزخارف سالفة الذكر وحدها هي التى نتجت عن تلك الافكار الدينية التى أشرنا اليها ، ولكن الفنان المسلم قد اتجه الى الزخرفة الهندسية ، وأقبل عليها يفتن فيها ويبدع ، حتى ليصح لنا أن نقول فى اطمئنان انه بعث فى الزخرفة روحاً من لدنه فبدت فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن لها قبل الاسلام . تفنن فى استخدام الاشكال الهندسية المختلفة ، وبرع فى تلك

(١) أنظر :

1. Louis Massignon: Les Méthodes de Réalisation Artistique des peuples de l'Islam.
2. Carl Johan Lamm : The Spirit of Moslem Art.



... « وفى القبر وحدتى وفى اللحد وحشتى » وهى تدل على تطور الكتابة العربية

الزخارف النجمية المتعددة الاضلاع ، وبالغ فى التقسيم والتحليل ، وتأنق فى توزيع الالوان فأتى فى ذلك بالمعجب المدهش

وبرغم تحريم التصوير فى الاسلام واتجاه الفنانين الى تلك العناصر الزخرفية فقد وجدت طائفة منهم ترخصوا فى هذا الامر ، وتسامحوا فيه ، فزاولوا تصوير الاحياء ، وعملوا بعض التماثيل . وقد شمل نشاطهم جميع فروع الفن الاسلامى وجميع العصور تقريبا من القرن الثامن الميلادى الى القرن الرابع عشر (١)

أثر تحريم استعمال الحرير والذهب

ولقد وردت فى السنة أحاديث عدة تنظم استعمال الحرير والذهب والفضة . وما كانت هذه النظم لتصرف الصناع والفنانين عن العمل أو تحد من نشاطهم ، بل بالعكس دفعت بهم الى تهذيب الطرق الصناعية المألوفة لديهم وابتكار طرق جديدة أرضوا بها الفن الجميل ووقفوا عند حدود الدين

أما الحرير فقد حرم لبسه على الرجال إلا لضرورة ، وأبيح للنساء إطلاقا من غير قيد ولا شرط . وقد كان فى هذا التحريم وفى تلك الاباحة غنم كبير للحياة الفنية . فى ظل التحريم ازدهرت طريقة التابترى أى الزخرفة المنسوجة من الحرير فى ثوب من الكتان أو الصوف .

(١) موضوع التصوير فى الاسلام من الموضوعات التى اتسع فيها نطاق البحث وتحدث فيه علماء الدين من القدماء والمحدثين ، وتناوله علماء الآثار والمؤرخون من الغربيين والشرقيين وسنفرد له بحثا على حدة

وقد تمشت هذه الطريقة مع ما أقره الفقه الاسلامى من جواز اشتمال الثوب على قدر أصبعين أو ثلاثة من الحرير ، فكنت ترى الثوب وقد نسج فيه شريط من الحرير المختلف الالوان ، يتضمن زخرفة مدهشة تدل دلالة قاطعة على مدى ما بلغه المسلمون من الخبرة الواسعة بالاوضاع الزخرفية ، والاساليب الفنية ، والمقدرة الفائقة على اختيار الالوان ، حتى اننا ونحن نشاهد هذه المنسوجات لا ندرى أموضع السحر فيها جمال الزخرفة ، أم التناسق بين الالوان

أما فى ظل الاباحة للنساء فقد تقدمت صناعة نسج الحرير وراجت رواجاً كبيراً ، ولم يمض زمن طويل حتى تسلم المسلمون زعامة تجارته فى العصور الوسطى

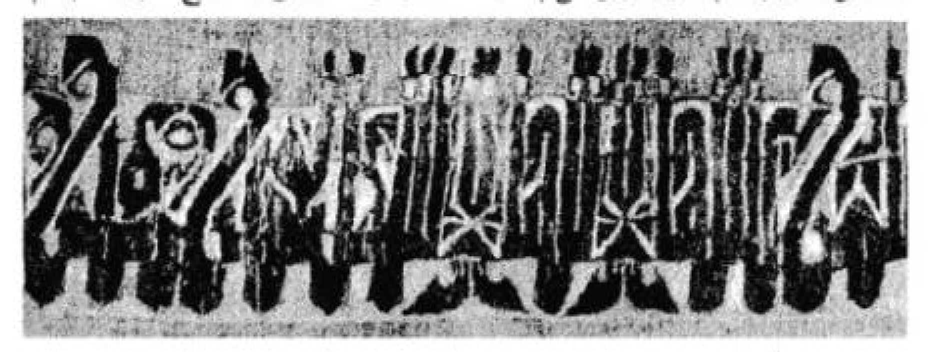
وقد دفع تحريم الصحاف والاوانى الذهبية والفضيـة الصناع الى ابتكار الخزف ذى البريق المعدنى ، كما أثمر فن التكفيت أى تطعيم التحف النحاسية بالذهب أو الفضة أو بهما معاً . وقد امتزجت فى هذه المصنوعات عبقرية الفنان بدقة الصانع فأبدعا تحفا فنية تفصح عن الجمال الفنى والذوق السامى

أثر تحريم الربا

ولقد عاون تحريم الربا فى الاسلام على تقدم الفن ونضوجه وازدهاره وانتشاره اذ دفع بالمسلمين الى استخدام الفائض من أموالهم فى توفير وسائل الترف فى حياتهم . وكان المال الذى توفر لديهم حافزاً لهم على اقتناء التحف ، والسخاء العظيم فى بذل الثمن لها ، مما بعث فى الفنانين روح المنافسة ، فأخذوا يتبارون فى إتقان مصنوعاتهم ويغالون فى زخرفتها

أثر نظام الوقف

وكما عاون تحريم الربا على تقدم الفن فقد ضمن نظام الوقف — "وهو نظام أوجده الاسلام — استمرار الفنانين والصناع والمهندسين ، كما ضمن اطراد حركة التطور فى الفنون المختلفة لا سيما تلك التى تتصل بالمساجد والمدارس من بناء وصناعة وزخرفة . ونحن فى الواقع ندين له بمعظم



قطعة من الكتان عليها كتابة نصها « الحاكم بامر الله لا اله الا الله أكبر معين » وهى تدل على تطور الكتابة العربية



حشوة من الخشب قد يكون اصلها من احد ابواب القصور الفاطمية تفصح زخرفتها المكونة من رقبة حصان وفروع نباتية (متكررة) عن ظاهرتى التكرر والتغير فى الفن الاسلامى

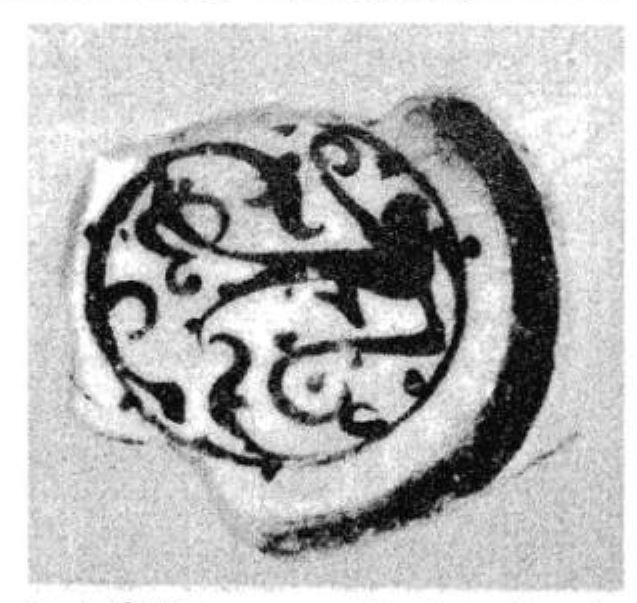
ما وصل الينا من روائع التحف والآثار الاسلامية . هذا فضلا عن أن فى الوقفيات التى حبست فيها الأعيان المختلفة معيناً لا ينضب من الاصطلاحات الفنية التى تيسر للباحث فى الآثار الاسلامية سبيل دراسته

أثر نظام الحسبة ونظام النقابات

ولقد كان لنظام الحسبة ونظام النقابات الاسلامية أثر بعيد فى الفنون الجميلة

أما الحسبة فنظام دينى قوامه الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر اذا ظهر فعله ، والاصلاح بين الناس . وقد كانت أهم أعمال المحتسب مشارفة الأسواق ، والنظر فى المكاييل ، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشرى من مأكول ومصنوع وغير ذلك من الوظائف التى تقوم بها وزارات الداخلية والصحة والشئون الاجتماعية فى نظامنا الحديث

أما النقابات الاسلامية فسواء أكانت ترجع فى أصلها



قطعة من الخزف من القرن الثالث عشر تفصح زخرفتها المكونة من طائر وفروع نباتية عن ظاهرة التغير فى الفن الاسلامى



قطعة من الخزف من القرن الرابع عشر عليها صورة سمكة قد غيرها الفنان الى زخرفة نباتيه ، وهذا يفصح كذلك عن ظاهرة التغير


حشوة من الخشب قد يكون اصلها من احد ابواب القصور الفاطمية تبدو زخرفتها من نوع الارابسك (من القرن الثانى عشر)

الى النقابات البيزنطية التى كانت موجودة قبل الاسلام، أوكانت من ابتداع الفرق الدينية الاسلامية كالاسماعيلية وغيرها فانه نظام ازدهر وارتقى فى ظل الاسلام ، وساهم بأوفر نصيب فى تقدم الصناعة ، إذ كان لكل صناعة نقابة خاصة يرأسها شيخ الصنعة ويليه النقيب ثم الأساتذة ثم الأسطوات ثم المبتدئون . وكانت أسرار الصناعة تدرس عمليا فى هذه النقابات . وكان لكل منها قانون يدور حول حماية المستهلك والمنتج على السواء . فيضمن للاول جودة المصنوع واتقان الصناعة ، ويضرب بيد من حديد على الغش والتدليس . ويضمن للثانى سهولة الحصول على المواد الخام اللازمة لصناعته ، ويمنع الاحتكار الذى يضر بالعمل ، ويسعى لرفع مستواه الاجتماعى . ولقد قضى على هذا النظام بعد أن تغيرت الأسس الاقتصادية التى تسير عليها الأمم الاسلامية فى الوقت الحاضر . على انه لم تزل له مظاهر تذكرنا به أهمها سير نقابات الحرف المختلفة فى موكب اثبات رؤية هلال رمضان

وأما الأثر الذى أحدثه هذان النظامان فيكاد ينحصر فى تحسين النتجات الصناعية والعمل على رفع مستواها ، والعناية باخراجها فى أحسن صورة ممكنة . ففى ظل النقابات واشراف المحتسب خطت الصناعات الاسلامية خطوات واسعة فى سبيل الرقى حتى بلغت الغاية القصوى وعندئذ سمت عن دائرة الصناعة المألوفة الى مستوى الفن الجميل



الى اليمين : قطعة من الخزف ذى البريق المعدنى من القرن الثانى عشر ، عليها زخرفة مكونة من طائر له رأس آدمية وينتهى ذيله بفروع نباتية . وهى تفصح عن ظاهرة التغير



تمثال من البرونز من القرن الرابع عشر يمثل ضاربة على الدف جالسة متربعة يعلو رأسها تاج مرصع عثر عليه فى اطلال الفسطاط . وهو يدل على ان بعض المسلمين تسامحوا فى صناعة التماثيل

يضاف الى كل ما تقدم ما عرف عن الاسلام من التسامح فى كل ما يتصل بمباهج الحياة ما دامت لا تتعارض مع أصوله فى شىء ، وما دامت لا تخرج عن دائرة الاعتدال . فلقد شحذ فى الانسان قوة الملاحظة وهى من أسس الفنون الجميلة ، وبصره بما فى الوجود من زينة وحببها اليه : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . فأقبل المسلمون على الفنون الجميلة زاولوها بنفس راضية مطمئنة ، وأخرجوا ذلك الفن الرائع الذى ترك فى فنون أوربا أثراً اعترف به الغربيون قبل أن يفكر الشرقيون فى دراسة الفن الاسلامى

فالحروف العربية ، والزخارف الاسلامية نباتية كانت أو هندسية قد لعبت جميعها فى فنون أوربا دوراً هاما . وللمصنوعات الاسلامية من خزف وزجاج ، ومعادن وعاج ، ومنسوجات وسجاد ، كلها كانت مثلا تحتذى فى بلاد الغرب

كما أن مشهورى المصورين فى عصر النهضة الأوربية أمثال روفائيل وهلبين وغيرهما انما مدينون للسجاد الشرقى فيما وصلوا اليه من الابداع فى تلوين الكثير من لوحاتهم الخالدة

محمد عبد العزيز

مشاهد من الحياة العامة عند قدماء المصريين

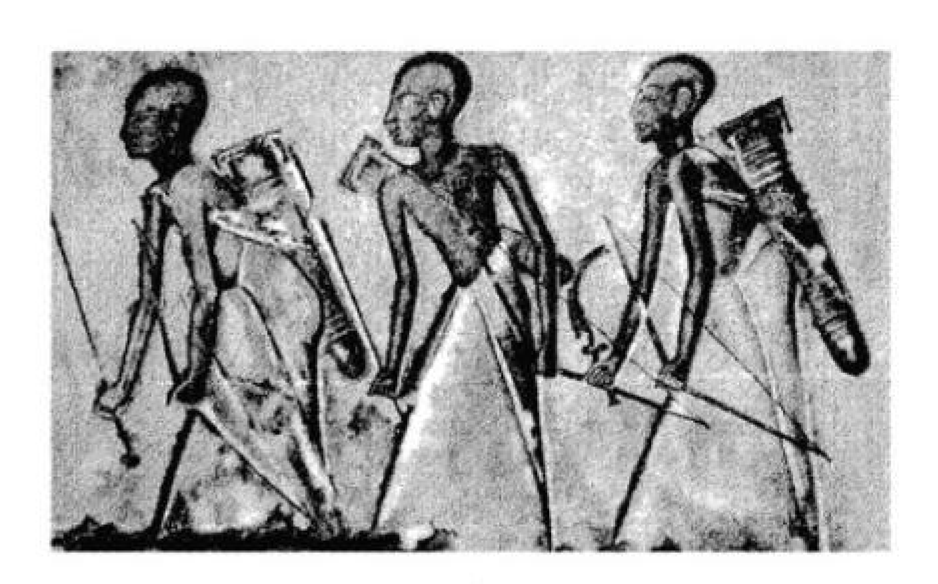
توارثها الاحفاد عن الاجداد فى مدى ثلاثين قرنا

تزدان آثار أجدادنا قدماء المصريين ، من معابد ومقابر وغيرها ، بكثير من مناظر الحياة العامة فى تلك العصور الغابرة التى تفصل بينها و بيننا آلاف السنين . وقد جمعنا على هذه الصفحات بعض المشاهد المنقولة من آثار عصر الامبراطورية الحديثة الفرعونية (منذ حوالى ٣٠٠٠ سنة) وهى من محتويات القسم الفرعونى فى متحف فؤاد الأول الزراعى . ومن عجب أن معظم هذه المشاهد شبيه بمظاهر من حياتنا العامة فى هذا العصر ، بل منها ما ورثناه عن أجدادنا دون كثير من التحوير أو التبديل



ثور الضحية

فلاح يسوق ثوراً من النوع المبرقش العديم القرون وقد زين عنقه بزهر اللوتس وثمار الرمان دليلا على التضحية ، وهذا الرسم من إحدى مقابر الأقصر حوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . ولقد كانت الثيران تفضل فى التضحية فى المواسم والحفلات الدينية على غيرها من الماشية

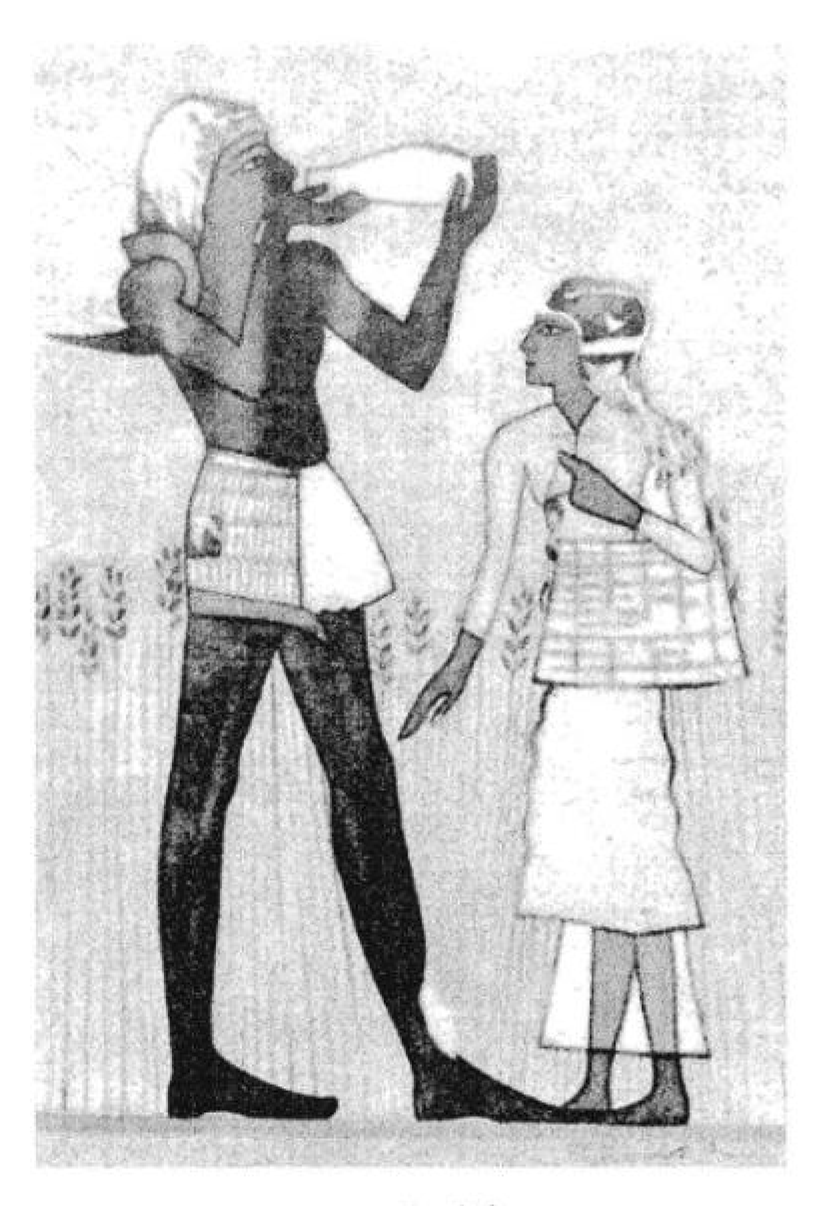


الجند شاكو السلاح

جند الملك رمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٧ ق . م) كاملو العدة يحملون الأقواس والسهام والخناجر

قاطفو العنب وصيادو الطيور

هذان رسمان يرجع تاريخهما الى ١٤٢٠ سنة قبل الميلاد . فأولهما يمثل قطف العنب وعصره وتخزينه ، ويلاحظ أن العنب كان ينمو على « مكعبات » كما ينمو اليوم . أما الثاني فيمثل صيد الطيور بالشباك وتنظيفها وتمليقها ، ولا تزال الشباك عماد الكثيرين من صيادي الطيور في مصر خصوصا في صيد السمان



التعاون الزوجي

تعاون الفلاحة المصرية المعاصرة زوجها معاونة فعلية في جميع انواع عمله ، ولم تكن الفلاحة المصرية القديمة أقل معاونة لزوجها الفلاح من حفيدتها ، فهذه زوجة حصاد قد أتت اليه في الحقل تحمل اليه الماء ليروي ظمأه وحملت كيسا لتجمع فيه ما يحصده من سنابل القمح الناضجة (من احدى مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة حوالي ١٤٠٠ ق . م)

« بحجر بحجر »

هذان راقصان مصريان من القدماء يرقصان على طريقة « بحجر بحجر » التي ما زال بعض العامة يرقصونها في بعض أنحاء مصر . ويلاحظ انه قد تدلى من غطاء رأس الراقصين كرتان تدوران حولهما اثناء رقصهما (من مقابر الاقصر من عصر الدولة الحديثة)



العمل في الحقل

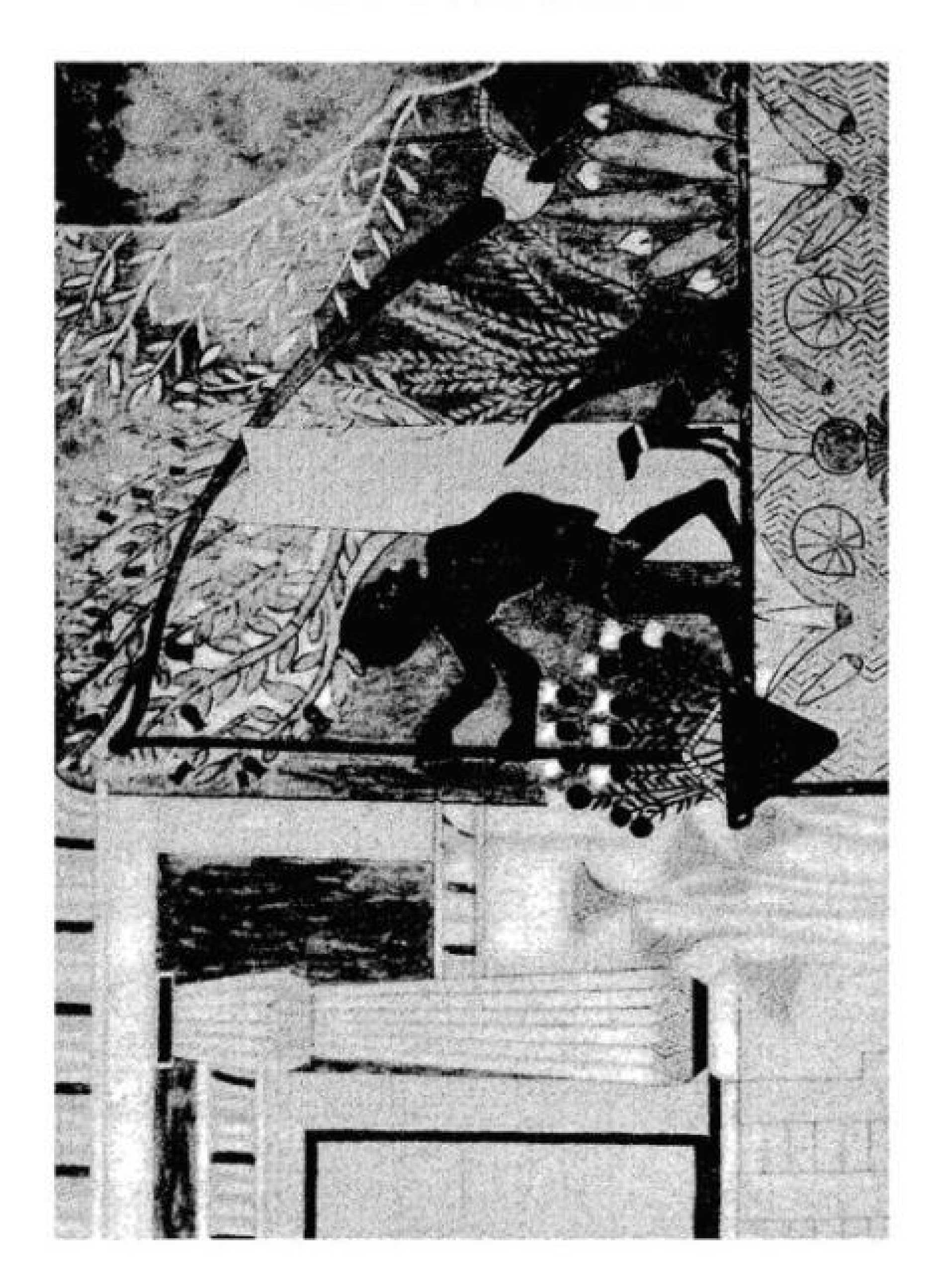
الشريف ناخت في مظلته يراقب الحرث والبذر في الحقل حيث يقوم الفلاحون بقطع وتقليع الحشائش وتكسير سطح التربة بالفوس (من احدى مقابر طيبه حوالى ١٤٢٥ ق . م) ، وما أشبه هذا المنظر بمنظر صاحب الزراعة المعاصر أو ناظر العزبة وهو يشرف على زراعة الارض



الملك يفتتح موسم الحصاد

يفتتح الملوك والزعماء المعاصرون مواسم الحصـاد السنوية فى بعض الدول الزراعية . ولقد سبق قدماء المصريين المعاصرين الى هذا التقليد ، فى هذا الرسم ترى الى اليمين الملك رمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٧ ق . م) يفتتح موسم حصاد القمح وقد أمسك المنجل بيمناه مفتخراً بحصد أول قبضة من القمح الناضج ، والى اليسار تراه يتعبد الى إله النيل شاكراً له فيضه الذى أنتج الحب ووفر القوت لسكان أرض مصر

الري بالقادوف
وهذا فلاح من قدماء
المصريين يروي حديقة
صغيرة بالقادوف وحوله
أشجار الرمان والزيتون
والتوت والجميز
والتين . فهذه الطريقة
التي كان يمارسها
المصريون حوالي سنة
١٣٠٠ قبل الميلاد
ما تزال شائعة معروفة
في جميع جهات القطر
المصري





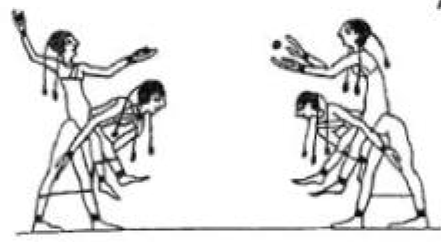
نادبات

نساء ثكالى ، ينتحبن ويئن حزنا وأسى ، ويندبن وقد أمسكن فى أيديهن بالطار كما تفعل « الندابات » الآن

الالفاظ المصرية القديمة

الباقية فى لغتنا العامية

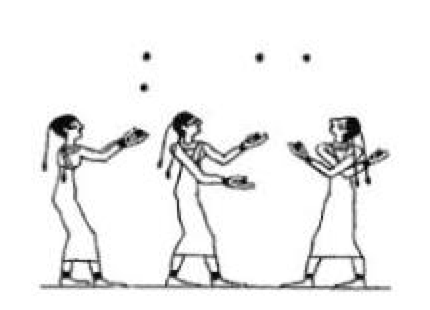
[انظر المقال على صفحة ٤١١]

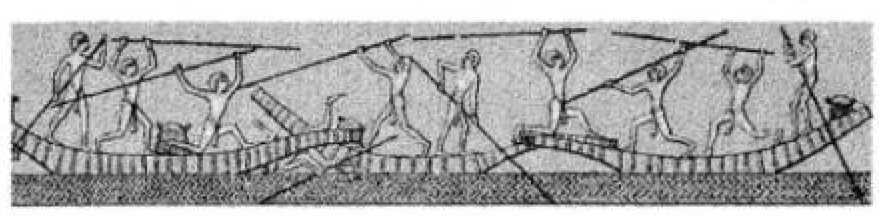




« سنو » .. « كحكو » .. « شكا »

ينادى لاعب الكرة الصغيرة (التى تصنع من الجوارب القديمة البالية) سنو .. كحكو.. شكا.. الخ . وهذه الالفاظ الباقية الى يومنا هـــذا هيروغليفيـة ، فلفظ « سنو » معناه اثنان ، و « كحكو » معناه انحناء أو ينحنى ، و « شكا » معناه يضرب . وترى الى اليسار رسمين منقولين عن الرسوم المصرية القديمة لهذه اللعبة التى ما يزال يمارسها أطفال العامة فى عصرنا هذا





« هيبهيليصا »

يقول المراكبية « هيبهيليصا » ، واللفظة قديمة مركبة من « هى » بمعنى سقط أو وقع ، و « هيليص » أو « ليص » بمعنى وحل أو طين ، فيكون معنى العبارة « سقطنا فى الوحل » . وهذا الرسم المصري القديم يشبه فى كثير حركات مراكبية اليوم عندما يعملون « المدرة » فى دفع سفنهم النيلية



« علم الطاش »

يقول الفلاح لابنه « قوم يا واد علم الطاش » ، أو لزميله فى افتخار ومباهاة « احنا النهار ده طوشنا الغيط كله » ، وكلمة طاش ومشتقاتها من كلمة هيروغليفية معناها « حد » فيكون معنى عبارة « طوشنا الغيط » وضعنا حدوده . ويمثل هذا الرسم « تطويش الغيط » عند قدماء المصريين

الركن الإسلامي

فى حياة كمال أتاتورك

بقلم الاستاذ محمد محمد توفيق



وضع الاستاذ محمد محمد توفيق مؤلفاً نشرته دار الهلال عن سيرة كمال أتاتورك ولقى من الرواج والاعجاب من مختلف الاقطار الشرقية ما يستحقه . وترجم الى اللغة الايرانية ونشر فى إيران فراج رواجاً كبيرا . وهو يحدث القراء الآن عن جانب لم ينشر من حياة بطل تركيا الأوحد ومنقذها العظيم

كانت حياة كمال اتاتورك رحمه الله مثلا خالدا من مثل البطولة والتضحية ، وكانت سياسته القومية لانقاذ تركيا ورفعها الى مصاف الدول المستقلة ذوات السيادة والقوة والمنعة من اسمى السياسات فى مختلف العصور

وليس فى حياة كمال اتاتورك من مطعن الا الناحية الدينية . فقد كان العالم الاسلامى يود أن يتوج الدين تلك النهضة المباركة ويرعاها ويضفى عليها الخير والبركة . وما درى المنتقدون أن تركيا الحديثة لها ناحيتها الدينية التى لا تخفى على الدارس المنزه عن التعصب والتحيز

وبدهى ان الغاء الخلافة التركية لا يعد خروجا على الدين . وليس ثمة ما يمنع من قيامها فى أى قطر اسلامى آخر اذا توافرت فيه القوة والسيادة الدنيوية

وبدهى أيضا أن الحكومة العلمانية لا تعنى حكومة لا دينية ، وانما هو تعبير قانونى دولى عن الدولة التى لا تتحيز لدين من الاديان طالما أن الشعب الذى تتألف منه يدين بأكثر من دين سماوى . وكل هذا الثوب الحديث ليس الا لونا جديدا تغطى به تركيا الجمهورية ماضيها القديم الذى قام على القوة والفتح فلما اضمحلت القوة وزالت الفتوحات لم يعد بقاؤه ممكنا ولا فى الطوق الحفاظ عليه

انما المهم هو هذه الشعلة الدينية المقدسة التى تتجسم فى هتاف الجيش التركى عند الحرب : الله .. الله !

هو هذه المساجد العامرة بالمصلين من الشعب والشباب ، وقد رأينا ذلك ورآه غيرنا ممن

كثروا في هذا الموضوع . والصلاة مع الشعور بالعزة والقوة والكرامة اعمق وابلغ من صلاة الخائف أو الذليل

هو توفير الزى الديني بتحريمه على غير المشتغلين بالدين

هو تنزيه الدين عن الشوائب بقصر تعليمه على معهد عال يدخل ضمن كليات الجامعة

هو ابعاد الدجالين امثال ابى الهدى ، والنصابين والكسالى من القابعين فى التكايا

هو غير هذا وذاك مما اعجب به اشد الغيورين على الدين من الشرقيين

ولست أود ان اسهب فى كل ذلك وانما هى عجالة ادخل بها فى صميم الموضوع الذى اخترته للهلال واحب ان يتفضل بنشره مشكورا

ايمان اتاتورك

لم يكن كمال اتاتورك كافرا والعياذ بالله ، بل كان مؤمنا ، والله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وأول مظاهر ايمانه الاعتداد بالقوة ، وان لا بقاء لشعب ضعيف ، ومن ثم لا دين له ورمز القوة عند كمال سيفان أهديا اليه من العالم الاسلامى يتوسطهما مصحف شريف . وهذا الرمز كان — وما يزال — معلقا فى قاعة مكتبته التى كان يجلس اليها حال الكتابة والعمل رحمه الله

وفى هذا الرمز ابلغ معانى الايمان : فالدين والدنيا ، العبادة والجهاد هما رمز الاسلام وشعار العالم الاسلامى عندما كان الدين قويا عزيزا منيعا فى عهد الصحابة والخلفاء الاربعة ومن تبعهم من الائمة والفاتحين

وهذا الرمز نفذ مغزاه عمليا ولم يعلق على الجدار فوق رأس اتاتورك رياء ولا نفاقا . وكم من رموز تعلق نفاقا ، وكم من مظاهر دينية يتظاهر بها الناس نفاقا . والنفاق اخبث عناصر الشر فى بنى الانسان

وقد جاء اتاتورك يطبق مبادىء العزة والقوة وهو رجل حرب . ولم يتح له تطبيق قواعد الدين لسببين : أولهما ان الشعب نفسه متدين ، والسبب الثانى انه ليس رجل دين فى زمن خرجت فيه ظروف المسلمين عن مجراها القديم واصبح المسلم اما ان يصبح رجل دنيا واما ان يكون رجل دين ، ولم تسر الثقافة الحديثة ولا عملت الحكومات على الجمع بين الدين والدنيا فى جميع افراد الدين الواحد . ولم نسمع عن عصر الصحابة الذهبى ان فلانا كان رجل دين وعلانا كان رجل دنيا ، انما كان الصحابة جميعا مجتهدين فى الدين ، ومحاربين ، ورجال دولة وسياسة وزراعة وتجارة وصناعة فى الوقت نفسه

فاتاتورك انقذ وطنه من الكوارث والدمار ورفعه الى مصاف الدول الكبرى بقوة استوحاها من الرمز الذى نصبه لنفسه وبهتاف « الله .. الله .. » عند القتال .. وما حارب شعائر الاسلام معاذ الله ، ولكن حارب الدجالين والمخادعين واصحاب العمائم الخضر والحمر

والسود ممن يتكسبون ببيع البدع للبسطاء . وصان وقار رجال الدين بقصر ازيائهم ووظائفهم على ذوى الاجازات العلمية منهم . وتوسل بضع كلمات تخط على ورقة الدستور للتملص من ايذاء الاجانب وادعاءاتهم الباطلة للابقاء على امتيازاتهم . وهذه الكلمات لاقيمة عملية لها كما نعرف عن يقين . ففى الوقت الذى تقول فيه المادة الاولى من الدستور ان الدولة علمانية ، نرى المجلس الوطنى الكبير يخرج احد الاتراك من الجنسية التركية لانه ترك الدين الاسلامى . وفى الوقت الذى يباح فيه زواج المسلمة من غير المسلم ، نرى ان هذه المسلمة اذا ما تزوجت اجنبيا خرجت من الجنسية التركية . اما زواجها من غير مسلم من رعايا الحكومة التركية فلا يسمح به بحال من الاحوال . وفى الوقت الذى تقول فيه الحكومة انها علمانية نراها تضحى باضاح حكومية فى عيد الاضحى . الى غير ذلك مما يعرفه الخاص والعام . انما هى حكمة ووسيلة مشروعة ـ وقد اجاز الدين للمسلم اخفاء شعائره عند الخوف من عدو قوى ـ نقول انها وسيلة مشروعة للتخلص من اغلال امتيازات جائرة وغير مشروعة بنقل خلاصة القوانين الاوربية الى تركيا لئلا يكون لدولة اجنبية حجة على الترك عند محاكمة رعاياها امام المحاكم التركية

أتاتورك يتداوى بالقرآن

وأى دليل على ايمان اتاتورك ابلغ من انه كان رحمه الله يتداوى بآى الذكر الحكيم قال الله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »

وكان كمال اذا اصيب بمرض أو نوبة شديدة يتداوى بما فى القرآن الكريم من شفاء ورحمة

وكان الداء العضال او النوبة الشديدة تزيلهما باذن الله تلاوة القرآن من شيخ تركى وقور كان اتاتورك يتوسم فيه الصلاح والتقوى ويتبرك به

ولست أذكر اسم هذا الشيخ الصالح . ولكننى أعرف عن يقين ان كمالا كان يزوره كثيرا ليتلقى دعواته الصالحات . وسمعت ممن أثق فى اقوالهم انه اصيب مرة بنوبة شديدة كادت تودى بحياته . واشيع فى انقرة فعلا ان اتاتورك مات . وكان ذلك فى عشية يوم احتجب فيه الزعيم . فما كان من كمال الا ان طلب استدعاء شيخه الصالح فى منتصف الليل ليداويه بتلاوة القرآن .. فاندهش الاطباء وظنوه يهذى . ولكنه اصر على استدعاء الشيخ ـ وكان يقيم فى بلد بعيدة عن انقرة ـ فأمر ضابط تركى طيار بالتوجه بطائرته الى بلدة الشيخ والعودة به على جناح السرعة .. وقد كان . وطار الضابط الى بلد الشيخ وذهب الى منزله وايقظه من نومه وقص عليه النبأ .. فاستمهله الشيخ الى الصباح ولكن الضابط لم يمهله . وحمله حملا الى الطائرة والشيخ لم يركب الطائرة فى عمره ، وبدهى ان يتردد فى ركوبها ، ويخشى اخطارها واهوالها .. ولكن الضابط اقنعه بان الرحلة ستكون ممتعة وسليمة من الاخطار ..

وبعد مدة وجيزة كان الشيخ الصالح على سرير اتاتورك المريض .. فتلا آيات من القرآن الكريم ونفخ من زفيره حوله ، ودعا له بالحياة والصحة ..

وبقوة الايمان وحدها قام اتاتورك من فراش مرضه ـ بل من فراش موته .. قام صحيحا قويا وذئبا اغبر اللون متألق العينين على عهد الناس به .. وفى صبيحة اليوم التالى هبط من عرينه على زابية ، تشان قايا ، الى انقرة ، وتوجه الى المجلس الوطنى الكبير ، وخطب فيه اكثر من ساعتين بصوته العميق السحار وسط دهشة النواب الذين لم يصدقوا أعينهم فقد ترامى اليهم نبأ موته ، فكان كالذى بعث من الموت !

عواطفه الدينية

والذى يقرأ خطبة كمال اتاتورك فى المجلس الوطنى الكبير عند الغاء السلطنة والخلافة يندهش من المامه الواسع بسيرة المصطفى صلوات الله عليه ، واخلاصه وحرارته فى خطبته

كان اتاتورك فى هذه الخطبة يروى جوهر الدين الاسلامى بحرارة المؤمن القوى الايمان . ويتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا كله قوة وسحر . ويثبت ان الخلافة لم تعد بعد الخلفاء الراشدين ذات معنى دينى وانما غدت ملكا عضودا . ويعرض لتنقلها بين الشرق والغرب ، وبين دول اسلامية شتى ، والتلاعب بها وسط عواصف سياسية وتيارات حربية جارفة ، ثم انتقالها الى تركيا بعد فتح السلطان سليم لمصر وقد غدت شبحا هزيلا يتلاعب به الحاكم ولا يخرجه الا فى المواكب الصوفية ، فيجمع بين ايمان المسلم ودقة المؤرخ الاسلامى مما لم نقرأه فى أى مقال أو كتاب عن الخلافة الاسلامية . فهو اذن مؤمن بان الخلافة لم تعد من الدين فى شىء . وهو اذ يلغى الخلافة لا يمس الدين بضر والعياذ بالله ، انما يمحو آثار تراث خرج عن جوهره وغدا شكلا وهميا لا عبرة به وما له من خطر . وهو لا يلغيه الا لضعف تركيا عن تحمل اعبائه وما يوحيه فى الدول الغربية من التعصب والحقد والعمل على زوال هذا الكابوس الذى قد يهددها يوما ما . وما دامت الخلافة قد انتقلت الى تركيا من غيرها ، فلم لا ينقلها قطر اسلامى آخر اليه اذا توفرت فيه القوة والسيادة .. اما هو فقد رأى أن تركيا لم يعد فى طوقها تحمل اعباء الخلافة اكثر مما تحملتها

يشرع فى وضع كتاب فى السيرة

وكأن اتاتورك شعر بأن بعض المسلمين يتشككون فى عقيدته ، فهم فى أواخر ايام حياته بوضع كتاب فى السيرة المحمدية ..

نعم .. كمال اتاتورك الذى درس السيرة فى مصادرها المختلفة ، هم بوضع كتاب فيها يتكلم فيه عن سيدنا محمد البطل ، القائد ، المحارب ، الثورى ..

وقد يكون كتب فصولا من هذا الكتاب قد تظهر فى المستقبل . ولكن يكفى انه انتوى

وضع هذا الكتاب عن نبينا الكريم دون غيره ـ وان يكون هذا الكتاب مؤلفه الوحيد في حياته ـ لندرك ناحية من نواحي ايمانه القوى واسلامه المكين

وكأنه ايضا رأى غلبة البدع على جوهر الدين عند عامة المسلمين ، فأحب ان يصدر لشعبه كتابا فيما كان عليه الاسلام في عصر الرسول ، ليقول ان الاسلام ليس عبادة وحسب انما هو عبادة وجهاد ، ونصر ومجد أو استشهاد ، واختار من سيرة الرسول الناحية الثورية والحربية ليحمل شعبه على الثورة على كل ما ليس من جوهر الدين ، والاستمساك بعقيدة البقاء مع القوة في عصر يزول فيه الشعب الضعيف وتدوسه الاقدام

وقصة الاخوين اللذين كان احدهما يتعبد والآخر يعمل ، وان الذى كان يعمل ثبت انه أعبد من أخيه ، مشهورة ومعروفة ..

ولو كان اتاتورك مجتهدا من مجتهدى الدين الى جانب عبقريته الحربية والسياسية لكان له في الشرق الاسلامي شأن آخر . ولكن يكفي انه كان مؤمنا . وانه لم يثر ولم ينبذ الا ما ثبت انه ليس من الدين ، وانه صان جوهر الدين بما اشرت اليه في اول هذا المقال من عمل على توفير العلوم الدينية والعلماء

نعم هو لم يسق المسلمين الى الصلاة بالسياط كما كان يفعل عمر بن الخطاب . ولكن اين هو عمر ، واين هو ابو بكر ؟ ان بيننا وبينهما ثلاثة عشر قرنا أو تزيد انحط فيها المسلمون وضعف الايمان في قلوبهم

ولكن يكفي انه صاغ شعبا جديدا . ودولة قوية بهتاف الحرب « الله .. الله .. »

ويكفي انه محا البدع وحارب الجهل والخرافات التي ليست من الدين وواجب على رجال الدين انفسهم ان يحاربوها

وسياسته بعد ذلك كانت اطلاق الحرية لمختلف العبادات

وبقي عبء النهضة الدينية على هذا الاساس الجديد على كواهل علماء الترك دون غيرهم من رجال الدولة

واحسب انه من الجور ان نطالب كمالا برسالة دينية مع رسالته الحربية والسياسية ، فكل ميسر لما خلق له

محمد محمد توفيق



أعداء انجلترا الخمسة

بقلم سير تشارلز بيتري

التاريخ يعيد نفسه ، هذا ما أثبتته الحرب القائمة مرة أخرى ، فما يحاول هتلر اليوم الا ما حاوله من قبل فيليب الثانى ولويس الرابع عشر ونابليون الأول وغليوم الثانى ، أولئك الذين أرادوا أن يبسطوا سيادتهم على أوربا كلها ومن ورائها العالم جميعاً ، وتجاه كل رجل من هؤلاء الخمسة وقفت بريطانيا تعترض طريقه وتجابه إرادته ، فتطفىء جذوته بعد أن احتدم لهيبها ، وتطوى آماله بعد ان شارفت ذروتها

فيليب الثانى ملك اسبانيا (١٥٤٧ ـ ٩٨)



فيليب الثانى

أخلص هؤلاء الرجال أمراً وأصدقهم قولا . وقد آتاه من الفرص السانحة أكثر مما آتى الآخرين ، فكانت انجلترا فى عهده واهنة القوى مفككة النواحى، بينما كان عدوها يسيطر على أرجاء أوربا وعلى آفاق أمريكا بأسرها

كانت أخلاقه مزيجاً غريباً من الكبرياء والتواضع . فقلما نجد على العروش من يماثله فى أبهة الملك وسطوة الحكم وقسوة القلب التى تلغ فى الدم وتقارف الجريمة . ولكن عند ما كان يقيم قصره الباذخ « الاسكوريال » كان لايتحرج من أن يخالط العمال يمازحهم ويجاريهم ، ويقصد معهم يوم الاحد الى قسيس القرية يتلمس منه البركة والرضى . وكان يرعى الفنون الجميلة رعاية كريمة باذخة ، ويحب الاطفال ويداعبهم ، ويعشق الزهور وزهو زينتها ، وكما اعتقد لينين أن رسالته هى اتخاذ روسيا وسيلة يشيع بها الشيوعية فى العالم جميعاً . كان فيليب يشعر أن واجبه هو حشد كل قوى أسبانيا لتعزيز الكاثوليكية والقضاء على جميع الكافرين بها

كان متعصباً الى حد لم يتردد عنده من أن يسفح الدم فى سبيل غايته . ولكن هذا التعصب

كان يجمع به الى وسائل تضحك منه وتزرى به ، فمن ذلك أنه جاء الى انجلترا يخطب يد ماري تيودور ، فأخذ يشرب البيرة وسط الناس حتى يثمل ويترنح ويعربد عسى أن يؤلف قلوب الناس ويحظى بمودة الجماهير !

ولكنه أخفق فى تحقيق غاياته لأنه اصطدم بعرش انجلترا حين تربعت عليه اليزابث التى كانت تماثله حزماً صارماً وارادة عنيفة ، وتتفوق عليه فى الذكاء والخديعة والحيلة ، فاستطاعت هى ووزيرها برجلى أن يلعبا بفيليب أمداً طويلا ريثما تعتد انجلترا بما يلزمها من وسائل الدفاع حتى تلقاه آمنة خطره صامدة لأذاه

وكان رأى هذا الملك الاسبانى فى الشعب الانجليزى رأيا طائشاً ، إذ حسب انه لن يؤيد مليكته فى دفع عاديته حين يغزو بلاده ، هذا الى أنه كان يجهل كثيراً من أمر الحرب فى البحر وعدتها وخططها

ورغم أن أسطوله الأرمادا كان أعظم قوة عرفها العالم فى ذلك الحين ، إذ كان مكونا من ١٣٢ سفينة حربية تحمل أكثر من ثلاثين الف بحار عدا عدد عظيم من القسس والرهبان يزكون نار الحماسة فى القلوب صائحين بالليل والنهار « فلتقم أيها الرب ولتثأر من أعدائك » — رغم ذلك ارتد فيليب الثانى مدحوراً بعد أن غابت الأرمادا فى جوف المحيط ، وذلك عند ما لقيه الشعب الانجليزى تحت إمرة اليزابث التى هبت الى المعركة وهى تقول : « إما أن أعيش وسط شعبى واما أن أموت فى طليعته . فى سبيل الهى ووطنى وشعبى أهب دمى . انى امرأة ضعيفة الجسم ، ولكنى أحمل قلب ملك — ملك انجلترا »

لويس الرابع عشر (١٦٣٨ — ١٧١٥)

هو العدو الثانى وكان من طراز آخر فلم يكن الرجل الغارق فى اللذائذ المنصرف الى الاهواء كما يصوره بعض القصص والمؤرخين ، فهو وان أسرف فى ارضاء نفسه واظهار بذخه فى عهد الشباب الا أنه لم يهمل يوما ماواجبه قبل قرننا . ولكنه وقع فى الهفوة الكبرى حين ظن أن لا سبيل الى ضمان سلامة وطنه الا بأن يتحدى جيرانه ، فخرج به من منطقة الدفاع الى دائرة الهجوم ، وجر عليه بذلك شر الجرائر



لويس الرابع عشر

ومن أهم الأخطار التى تنجم عن الحكم المطلق والسيطرة التامة اغراء الحاشية والجمهور بالملق والنفاق . فاذا أحيط المرء بكل ما أحيط به لويس من الزيف والفتنة والخداع ، صار

عسيراً عليه أن يحتفظ بالرأى الصادق والحكم السديد ، فأدى به هذا الى طريق سار بين أشواكه وأخطاره شوطاً طويلا دون أن يتنبه الى مصيره القاتم ، حيث ينقلب عليه القدر فيفوق اليه السهم السام

ومع هذا فقد كان لويس عظيما فى ساعة هزيمته أكثر مما كان عظيما فى ذروة سطوته . فى سنى حكمه الاخيرة عندما كانت فرنسا تترنح تحت الضربات التى هوت عليها من قبضة القائد الانجليزى مارلبورو كان لويس الشيخ يمثل وطنه المتألم العانى ، فاستطاع ببراعته السياسية أن ينقذ فرنسا من الهزيمة المنكرة ووخيم عاقبتها

ولم يمقت لويس يوما خصومه الانجليز كما مقتهم نابليون أو هتلر ، ولكنه ظل دهراً يقلل من شأنهم ويزدريهم . وكان على حق فى هذا فانه كان يأجر مليكهم شارلز الثانى ــ الذى عاش فى رحابه أثناء نفيه من انجلترا فى عهد كرومويل ــ بمعاش من المال ، مع انه لم يكن بالرجل الذى يوثق به ويعتمد عليه ، وكذلك كان ثمة عشرات من رجال البرلمان الانجليزى يقبلون على أنفسهم الرشى الفرنسية ، ولم يستطع لويس أن يدرك إلا بعد فوات الأوان أن هذا الملك وهؤلاء الساسة ليسوا هم « انجلترا » ، فلما أراد أن يفرض على عرشها شخصا معينا ، انتفض الشعب الانجليزي رجلا واحداً يقاومه ويحاربه ويهزمه

نابليون (١٧٦٩ ــ ١٨٢١)



نابليون

هو ثالث أعداء انجلترا من حيث الترتيب التاريخى وأولهم جميعا من حيث ما أحدث من الفزع والألم فى النفس الانجليزية . وقد قال عنه قاهره ولنجتون هذه الكلمة الصائبة : « انه لم يكن جنتلمان » . وهذا حق بدليل هاتين الحادثتين ، فانهما تؤكدان رأى القائد الانجليزى : فقد سير ذات مرة كتيبة من جنوده الى الموت ، وهو على بينة من مصيرها الفاجع لتشهد احدى خليلاته كيف يكون هجوم الجيوش ، كما أعلن انه يمنح مكافأة كبرى لمن يغتال خصمه ولنجتون . وكذلك كان يرى فيه وزيره تاليران رأى خصمه الانجليزى ، فقال لقيصر روسيا : « ان نابليون ليس رجلا متمدينا » . وكذلك وصفه مؤرخ انجليزى حديث بأنه : « أمبراطور ذو وجهين : وجه رجل ووجه وحش »

ولكن اذا كان نابليون الرجل لا يستحق أن يذكر كثيراً فان نابليون الجندى يستحق أن

يطرى دائماً . فالناس يتكلمون الآن كثيراً عن شيء اسمه « حرب الاعصاب » ، ولكن أجدادنا عرفوا هذه الحرب العنيفة فى عهد نابليون . فقبل أن يغرق نلسون أسطول العدو فى الطرف الأغر ، كان الانجليز فى فزع دائم من أن يتمكن الجيش الفرنسى على حين غرة من أن يعبر اليهم البحر ويستقر فى أرض انجلترا ، وكان يقال إن ثمة رمثا معاكسة قد تحمل اليهم وتلقى بينهم أعظم جندى عرفه التاريخ

وهكذا كانت حرب هذا « الكورسيكى » حرب أعصاب . فكم جمعت الحكومة البريطانية حولها من حلفاء كان يرجى منهم النصر والغلبة ، ولكنهم لم يلبثوا أن سقطوا صرعى تحت مطرقة نابليون العاتية ، ووقفت انجلترا أمام عدوها الرهيب عزلاء من الانصار

وكان نابليون يعرف ان انجلترا تعيش بتجارتها ، ولكنه لم يتبين أبداً أنه ما دامت تسيطر على البحر المحيط بها فلن يكون حصارها نافذاً مجدياً . نعم ، إن النظام القارى المشهور الذى أعده لمنع التجارة مع الجزر البريطانية فيموت أهلها فقراً وجوعا قد أدى الى تحميل هذه الجزر خسائر جسيمة ، ولكنه أدى كذلك الى تحميل شعوب أوربا الصغيرة خسائر أفدح وأقسى

ولا شك ان نابليون كان يتوقع أن تغنى التجارة المتبادلة داخل القارة الأوربية بين فرنسا وما يحالفها ويخضع لها من الشعوب عن التجارة الخارجية التى كانت ترد الى أوربا وتصدر منها عبر البحار . ولكن لم يلبث أن تبين خطل رأيه وخيبة أمله ، ولم تلبث أن ثارت به وتألبت عليه الشعوب التى تحالفه ، وفى مقدمتها روسيا والسويد ، وذلك عند ما تبين لها أنها تستطيع الثورة والانتقاض ...

يقال إن صحته أخذت فى آخر سنى حكمه تعتل وتسوء ، ولكن سقوطه لا يمكن أن يعزى الى ما أصاب جسمه من وهن أو مرض ، وإنما دفعه الزهو المسرف الى أن يوسع نطاق أعماله ومسئولياته بينما قلل من كفاءته ومقدرته على أدائها واحتمالها ، وقد ظل يسير فى الحرب والسياسة على الخطة التى حققت له النصر فى أول الأمر ، ناسياً أن الظروف تغيرت وأن خصومه تأهبوا للقائه ومقاومته وتحديه ، فلما يكن ثمة بد من أن يقضى السنين الأخيرة من حياته أسير جزيرة مغمورة فى البحار

غليوم الثانى

وليس من السهل أن يعرف موقع غليوم الثانى فى هذه الشرذمة من الطامعين فى السيادة العالمية . فكل الدلائل تشير الى أنه قبل أن تنتهى ــ وربما قبل أن تنشب ــ حرب السنوات الأربع الماضية لم يكن هذا الرجل الذى يبدو لشعبه ويبدو للعالم حاكما بأمره وحده قابضاً على الأزمة كلها ــ لم يكن الا ألعوبة فى أيدي قواد الجيش الألمانى ترقص كلما جذبوها أو دفعوها


غليوم الثانى

لقد أسرف الناس فى اطراء غليوم عندما كان على العرش اسرافهم فى التنديد به بعد أن توارى فى المنفى . فهو لم يكن كما يتهمه الكثيرون جباناً رعديداً ، فان هروبه الى هولندة والمعركة دائرة الرحى لم يكن من رأيه وتدبيره ، وانما يسأل عن ذلك بعض القادة والزعماء وفى مقدمتهم هندنبرج . أما كبرياؤه وعناده وميله الى الزهو والظهور فى الماضى ، فمرجعه من غير شك الى ما أحيط به وهو أمير شاب من مظاهر التذلل والخضوع البيزنطية

ومن الواضح أنه لم يكن الروح الذى أثار وأدار الحرب الماضية ، كما كان الأمر فى الحروب التى شنها فيليب ولويس ونابليون . ولكن سياسته الطائشة وأخلاقه المتهورة كانت تنبئ بأنه يسوق بلاده الى النكبة الكبرى . فان صلابته المجردة من كل حيلة أو براعة شلت كثيراً من وزرائه ، بينما أودى به « مركب النقص » المتأصل فى قرارته الى الشعور بالحقد والخوف كلما كان يتصل فى أمر ما بخاله ادوارد السابع ملك انجلترا ، فانتهى الأمر الى تسميم العلاقة بين ألمانيا وانجلترا بسم زعاف

ومن المحتمل أن القدر أساء اليه وقسا عليه إذ جعله امبراطوراً ، وكان الأوفق له والأجدى عليه أن يكون عيناً من أعيان الريف النبلاء

ادولف هتلر


أدولف هتلر

وأخيراً يأتى أدولف هتلر الذى سيضطرب ويتناقض المؤرخون دهراً طويلا حين يتحدثون عن أخلاقه ودوافعه ونزعاته . فهو لا يشارك زملاءه الأربعة فى كثير من الأمر الا طموحه المسرف وجموحه العنيف . فليس فيه تعصب فيليب والا لتعذر عليه أن يحالف روسيا التى أمضى حياته يحقرها ويلعنها ، فان تحالفاً يعقده هتلر مع ستالين لا يختلف عن تحالف كان يعقده فيليب مع سلطان تركيا المسلم ضد ملكة انجلترا المسيحية مثلا . . . وليس فيه شىء من خلق الجنتلمان العظيم لويس الرابع عشر ، ولا من عبقرية الجندى الأكبر نابليون . أما زهو غليوم الثانى فيزخر به صدر هتلر ويموج

ومهما يرد الانسان أن يكون عادلا منصفاً فان من العسير أن يجد شيئاً يمدح به الفوهرر ويعليه . فأولئك الذين أسرفوا فى الكتابة عنه متلمسين له الأعذار عدداً من السنين ، سواء

فيهم الكتاب الانجليز والأجانب ، لم يستطيعوا أن يسجلوا له عملا واحداً يدل على الكرم والنبل الصادق

وحياته العامة سلسلة متصلة من أعمال البطش والقسوة والانتقام ، ولا شك أن أبشع جرائم التاريخ الحديث هي معاملة هتلر لشوشنج مستشار النمسا ، التى ما تزال تصرخ للسماء تطالب الثأر لها والنصفة

ولم يأن الوقت للكلام عن تفكيره وتدبيره . ولكن أليس من الغريب على الأقل أن هذا الرجل لم يحاول مطلقاً أن يتعلم لغة أجنبية مثلا . وليس له أى نصيب من الثقافة المنظمة . وقد تعمد أن يحيط نفسه بشرذمة من البرابرة الغلاظ ، لم يسبق أن سيطر مثلها على أية دولة أوربية راقية

[مقال لسير تشارلز بيترى فى تشامبرز جورنال التى تصدر فى ادنبرة باسكوتلندة]

أمثال انجليزية

— الصانع الردىء يتشاجر مع أدواته
— الضرير لن يشكرك على إهدائه مرآة
— الشمعة تضيء للغير وتحرق نفسها
— رفض برقة خير من منح بخشونة
— اليد النظيفة لا تحتاج الى غسل
— عدو شجاع خير من صديق جبان
— العصا المعوجة ظلها معوج
— الجسم المشوه قد يحوى نفساً جميلة
— لن يصيح الكلب إذا ضربته بعظمة
— العطف المغتصب لا يستحق الشكر
— الصديق الذى تشتريه ، يشترى منك
— كلب حى خير من أسد ميت
— سريع الوعد سريع النسيان
— الرجل يعرف بأصدقائه
— رب عثرة تمنع سقطة
— ساعة فى الصباح تساوى اثنتين فى المساء
— ساعة ألم تعادل يوم مسرة
— الفرصة الضائعة لا يمكن تعويضها
— الزوجة المطيعة تحكم زوجها
— غضب الرجل الطيب يزول سريعاً
— الباب المفتوح قد يغرى القديس
— كهنة السوء يجلبون الشياطين الى الكنيسة
— لا تكن خبازاً إذا كان رأسك من زبد
— اليأس يخلق الشجاعة في الجبان
— قوة المرأة فى لسانها
— البداية الحسنة تقود إلى نهاية حسنة

الديمقراطية : ضمان الرقى الانسانى

بقلم المرحوم فخرى ابو السعود

[بعث الينا بهذا المقال المرحوم فخرى ابو السعود قبل وفاته بقليل . وهو مقارنة قيمة بين الديمقراطية والديكتاتورية]

لم يظهر الحكم الديمقراطى فى الدول القديمة الا نادراً ، فعرفته مدن الاغريق وروما فى بعض عهودها ، ولم يظهر فى العصور الحديثة الا أخيراً ، اذ تتابعت الحركات الوطنية فى بلاد أوربا والعالم المتمدين جميعاً مطالبة بالدستور مصرة على حكم نفسها بنفسها مقتبسة النظام البرلمانى الانجليزى . وهذه الندرة وهذا التأخر فى ظهور النظم الديمقراطية دليلان على أنها نبت عزيز لا يزكو فى كل البقاع والظروف ولابد لنموه من توفر صفات خاصة فى الشعب ووصوله الى حد معلوم من الرقى والتنور والنضج . فالشعب الحائز لهذه الصفات هو الذى يصر على حكم نفسه بنفسه ويستطيع القيام بذلك . أما الشعب الذى لم يسر التنور والنضج السياسى بين أفراده فيستسلم للحكم المطلق

الديمقراطية وخصومها

على أن الديمقراطية لم تعدم خصوماً منذ القديم ، لا من الطغاة المستبدين الراغبين فى استعباد الشعوب وحدهم ، بل من كبار المفكرين أحرار الفكر الذين يسوءهم ما يرون فى الديمقراطية من مكانة للعامة وحفاوة بالدهماء لا يستحقونها ، فيدفعهم حبهم للتسامى عن كل ما هو سوقى ومبتذل وطموحهم الى المثل الأعلى الى النقمة على الديمقراطية والمناداة بالارستقراطية الذهنية أو الى تفضيل المستبد العادل ظالمين الديمقراطية فى ذلك وآخذيها بغير جريرتها ، وحاكمين عليها بشرارها ، وانما يجب أن يحكم على الديمقراطية بالمبدأ الجليل الذى تقوم عليه ، وهو أن يحكم الشعب نفسه . وليس الشعب كله سوقة جهالا . والديمقراطية هى نظام الحكم الوحيد الذى ينتهى الى تحسين حال أولئك العامة وتنورها ورفع مستواهم حتى يعودوا مواطنين صالحين كغيرهم

فقد صور أفلاطون الديمقراطية صورة زرية : فلا نظام هناك ولا مسئولية ، وكل فرد يهمل عمله ويتدخل فى شئون غيره ، والمهرجون يستثيرون العامة فيكثر اللغط ولا ينفذ عمل . وفى العصر الحديث سدد سهام النقد الى الديمقراطية مفكران عظيمان مجددان ينتميان الى مهد

الديمقراطية الحديثة ويعدان فيها من رواد الحرية وطلائع الاشتراكية ، وهما برنارد شو ، وولز ، فالأول يرى أن البرلمانات تتكلم بدل أن تعمل ، والوزراء يضيعون وقتهم فى الرد على السفسطة بدل أن يحكموا ولا يتساءلون حين يقدمون على عمل : « هل هذا ما يتطلبه الموقف ؟ هل هذا صواب ؟ » وانما يسألون أنفسهم : « هل هذا يحوز الرضى ؟ هل هذا يثير معارضة ؟ » وتغدو صفات البراعة الجدلية والمقدرة الخطابية أهم لديهم من صفات الحكمة والحزم والنظر البعيد ، وتحرم البلاد خدمات الساسة الذين يترفعون عن تملق العامة فيزهدون فى الحكم

ويرى شو كذلك أن الفرد العادى لا رغبة له فى الاشتراك فى الحكم ، ولا يحب أن يفكر فى وسائله . وانما يؤثر أن يتولى ذلك عنه آمر يأمره فيأتمر ، ويلقنه فيعتقد ، وأن نزعة الانقياد هذه الكامنة فى نفس الفرد العادى هى التى جعلت الكنيسة والجيش فى مختلف العصور أحب الأنظمة الى نفسه وأعلاها مكانة لديه . ويرى شو أن الفرق بين الديمقراطية والدكتاتورية أن الدكتاتور يحكم بأمره دون تردد ، بينما الحاكم الديمقراطى يتملق الشعب ويخادعه ليفهمه أنه انما ينفذ مشيئته ويحكم على هواه ، وفى كتابه « يوتوبيا حديثة » دعا شو الى حكومة من المفكرين الخبراء

أجل من المفكرين الخبراء : فمن الآراء الشائعة اليوم أن الخبراء فى الاقتصاد خاصة هم وحدهم الذين يستطيعون أن يحكموا الدولة الحديثة بعد ما عظم حجم هذه الدولة وتشعبت شئونها وتعقدت مصالحها ، وبعد أن ارتدت العوامل الاقتصادية التي تسود العالم الآن هائلة معقدة مترامية التأثير من جراء التقدم العلمى والصناعى الحديث ، ومن جراء رقى وسائل المواصلات الذي رد العالم أجمع وحدة اقتصادية يتأثر قاصيه بدانيه ، فى مثل هذا العالم لم تعد الديمقراطية فى نظر أولئك المفكرين نظاماً للحكم صالحاً ، لم يعد رجل الشارع مرجعاً يهتدى برأيه فى تسيير أمور الدولة ، وانما مرجع ذلك الخبير العالم

فهذا عيب من عيوب النظام الديمقراطى فى نظر خصومه . وهو جهل الفرد العادى الذى هو مرجع قيام الحكومات وتعيين سياستها بشئون العالم الحديث المعقدة

والعيب الثاني بطء النظام الديمقراطى وتعثر خطواته فى عصر السرعة المندفعة ، ولا سيما فى أوقات الأزمات والحروب . ثم هناك عيوب أخرى فى نظر ناقدى الديمقراطية ، منها أن النظام الحزبي بطبيعته مفسد للسياسة معرقل لأعمال الحكومة ، فالمعارضة تعارض لمجرد الرغبة فى النقد والتجريح . واذا ما تولت الحكم بعد خصومها نكثت فتلهم وعفت على أعمالهم وبدلت سياسة بسياسة . وبذلك تحرم البلاد الاستقرار والاطراد اللازمين لكل رقى ونجاح

يرى نقاد الديمقراطية أن هذه العيوب تجعل الديمقراطية شكلا للحكم غير صالح للعصر الحديث ويرون أن هذا سبب تقلصها من كثير من الدول حيث حل الحكم المطلق محلها فجارى عصر السرعة والتقدم العلمى والتوسع الاقتصادى وقام بجلائل الأعمال

الديمقراطية والتطور العلمى الآلى

والحق أن الرقى العلمى الحديث ، والانقلاب الصناعى ، وتتابع المخترعات ، ورقى سبل المواصلات ، وتعقد عوامل الاقتصاد ، وصيرورة العالم وحدة اقتصادية يتأثر أدناها بأقصاها ، قد أظهر فى النظم الديمقراطية مناحى من النقص تحتاج الى اصلاح . فتلك النظم بطيئة حقاً لا تماشى حاجات العصر . ولا عجب فى ذلك اذا عرفنا أن النظام البرلمانى حين نشأ فى انجلترا لأول مرة لم ينشأ للتشريع وان سمى مجلساه اليوم بالهيئة التشريعية ، وانما نشأ ليكون هيئة تناقش فيها شؤون الشعب وتفحص ظلاماته وتراقب أعمال الحكومة فلا تخرج عن الجادة ولا تستغل الحكم لمصلحتها بدل مصلحة الشعب

وصحيح كذلك أن الفرد العادى عاجز عن الاحاطة بالعوامل الاقتصادية التى تتنازع الدولة بل تتنازع الدول جميعا ، بل صحيح ان كبار الساسة أنفسهم يعجزون عن الاحاطة بالكثير منها ويقصرون دون السيطرة عليها ، ثم صحيح ان الأحزاب والساسة ربما أساءوا استعمال الحرية والنظم الديمقراطية ، وجعلوا الشعب واستجلاب رضاه نصب أعينهم دون المصلحة الحقيقية للدولة . كل هذا صحيح ولكنه لا يغض من قيمة الديمقراطية ولا يهدم المبدأ القائمة عليه ولا يفضل غيرها من نظم الحكم عليها . ولا يدعو الى الاستغناء عنها . وليس العيب فى كثير من تلك الأمور راجعا اليها ، وانما هو تطور الزمن قد أبلى بعض نظمها ووسائلها . وما زال مبدؤها سليما وجوهرها صحيحا ولن يزال صحيحا . فالشعب يجب أن يحكم نفسه ، أما الوسائل التى يستعين بها من أجل ذلك فتتبدل وتصلح من آن لآن كى تماشى العصر — وهذا ما حدث مراراً فى تاريخ الديمقراطية

لقد سبق أن شعر أبناء الأمم الديمقراطية كانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة فى خلال القرن الماضى بأثر التقدم الصناعى والانقلاب الاقتصادى وتخلف النظم البرلمانية عن ذلك التقدم ، فلم يحتج الأمر الى أكثر من اصدار تشريعات لتعديل تلك النظم . وعلى هذا النحو منح أبناء الطبقة الوسطى وطبقة العمال تدريجا حقوقا سياسية لم تكن لهم ومنحت النساء حق التصويت والنيابة ، واقتبست الدولة كثيراً من مبادىء الاشتراكية الناهضة ، فليس يعيى الديمقراطية أن تواصل تلك السنة من التجديد ومماشاة كل حال تجد

والقول بأن المواطن العادى أجهل اليوم بتدبير شؤون الحكم مما كان فى القديم قول عجيب : إذ المعروف أن التعليم انما سرى بين طبقات الشعب فى العصور الحديثة ، ولم تمنح طبقة من الطبقات حقوقها السياسية الا حين دفعها تنورها الى المطالبة بها ، وعلاوة على انتشار التعليم الالزامى فى الأمم الديمقراطية الراقية ، فان وسائل نشر الثقافة فى صفوف الشعب تتعدد بفضل

رقي العلم والصناعة ثمن رخص الكتب والصحف الى الراديو الى السينما . واذا كان المواطن العادى عاجزاً عن الاحاطة بالعوامل الاقتصادية الهائلة التى تتحكم فى الدولة والعالم ، فان الساسة كما تقدم القول عاجزون عن ذلك مثل عجزه ، بل الخبراء الذين ينادي بهم نقاد الديمقراطية عاجزون كذلك فى أكثر الأحوال وقد مرت بالعالم أزمات اقتصادية كبيرة كان باع الاقتصاديين الخبراء فيها قليلا

ان العوامل الاقتصادية فى العصر الحديث من التعقد والتشعب والضخامة بحيث لا يحيط بها فرد ولا أفراد ، ولا سبيل الى السيطرة عليها لرجل سياسيا كان أو مواطنا عاديا أو خبيراً ولا لحكومة ديمقراطية كانت أو مستبدة مطلقة ، وانما جهد الحكومة أن تعالج تلك العوامل الاقتصادية العالمية وتخفف عن الشعب مغباتها وتتغلب على ما يمكن من صعابها . وقد قبضت الحكومات المستبدة على ناصية الأمور فى دول ، واعدة بتنظيم الحالة الاقتصادية ومحاربة البطالة ، فعالجت ما عالجت من ذلك بوسائل تعسفية لم تأت بالمقصود ، وكان الفرق الوحيد بينها وبين الحكومات الديمقراطية أن هذه تقبل النقد فعيوبها معروفة لشعوبها وللعالم أجمع ، بينما الدكتاتورية بسيطرتها على سبل الدعاية وتقييدها الأفكار تخفى اخفاقها وتشغل شعوبها عنه بالحديث فى شؤون القومية والمطامع الوطنية والحرب والغزو

لقد راع أكثر المفكرين سرعة تقدم العلم الحديث وتطبيقه فى عالم الصناعة وتأثيره فى حياة الناس . وقد كانت له آثار حسنة كثيرة ، منها توفير وسائل الراحة ومزج الشعوب ونشر التنور وروح النقد والنزعة العلمية والقضاء على الخرافات وكثير من أسباب التعصب . ولكن رقى العلم وتطبيقه العملى كان لهما بجانب ذلك آثار وخيمة كثيرة لم يهتد العالم بعد الى كيفية معالجتها ، من اضطراب الأحوال الاقتصادية بحيث يعاني الكثيرون البطالة والجوع على حين يعج العالم بالخيرات ، الى سيطرة الآلات على حياة الناس وتغلغل المادية فى نفوسهم ، وجنوح الحياة البشرية الى التماثل من جراء ما تخرج المصانع من آلات ومصنوعات متماثلة وما تهيئه الصناعة من وسائل متماثلة فى الأعمال ووسائل تزجية الفراغ .

عبر المفكرون عن تلك النزعة الحديثة وعن توجسهم من نتائجها على صور شتى : كتب كارل كابك مسرحية مشهورة تتناول ذلك الموضوع ، وألف أولداس هكسلى قصة خيالية تصور ما ينتهى اليه العالم اذا استمر هذا التطور العلمى الصناعى الآلى ، وصاغ الممثل الفنان شارلى شابلن قصة سينمائية فى هذا الصدد سماها « العصر الحديث » ، وتنبأ برتراند رسل بمجتمع علمى تستغل فيه جميع موارد علم الحياة وعلم النفس حكومات لا يزعها وازع فى سبيل اخراج أفراد آليين متماثلين كل التماثل ، واستعاذ الدكتور انج كبير أساقفة لندن من مجتمع كهذا قال : « ان مجتمعا تسود فيه الآلات سيادة تامة هو مجتمع تختنق فيه كل حياة روحية وعقلية ، وأكمل مثال لهذا

النوع من المجتمعات يتجلى فى خلية النحل أو جحر النمال »

هذا التطور العلمى الآلى الحديث ، هو الذى أدخل الاضطراب فى حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية ، حتى تبرم منهم من تبرم بالنظم السياسية القائمة لتخلفها عن مسايرة هذا التطور وقصورها عن حل مشكلات القوم وتوفير مطالبهم . وهذا جعلهم يقبلون فى بعض الدول النظام المطلق المستبد ، إذ استغل الدكتاتوريون هذه الظروف القلقلة واستغلوا أتم استغلال وسائل الدعاية التى وفرها العلم الحديث كالراديو وغيره ، وساعدهم ذلك الاستغلال على الوصول الى الحكم ثم ساعدهم على الاحتفاظ به والبطش بمعارضيهم ، ولكن الاستعاضة عن الديمقراطية بالدكتاتورية ليس هو الحل المعقول لمشكلات الدولة الحديثة ، انما الحل المعقول تعديل بعض نظم الديمقراطية ووسائلها لكى تساير التطور وتعالج الأحوال الجديدة

الديكتاتورية نظام شاذ

إن الدكتاتورية أو الحكم المطلق بطبيعته نظام شاذ ، إذ يستبد فرد بالسيطرة على مصاير أمة فلا يقوم هذا النظام إلا فى شعب لم يبلغ بعد حد النضج السياسى والثقة بنفسه ، أو شعب فقد تلك الثقة بعد أن كان حائزاً لها وأسلم مقاليده الى فرد ارتقى الى قمة الحكم فى أعقاب انقلاب . ولشذوذ الدكتاتورية فى منشئها تظل دائماً أبداً شاذة فى وسائلها : يرتقى الدكتاتور الى الحكم للتغلب على أزمة أو حالة طارئة ، ولكنه بعد انحسار تلك الأزمة يأبى التخلى عن الحكم ، إما استمراء له أو مخافة انتقام معارضيه . ولشعوره بوجود أولئك المعارضين يلجأ الى وسائل الارهاق والمصادرة وخنق الحريات . وقد عرف من قديم أن ليس شىء يفسد الخلق الانسانى مثل حيازة السلطة المطلقة ، ومن ثم فان الدكتاتور الذى يستولى على الحكم وملء نفسه رغبة الاصلاح كثيراً ما يرتد شريراً ويمعن فى الفساد

وحتى حين يظل الحاكم المطلق خيراً طيب النوايا تجاه شعبه ، كثيراً ما يشقى به ويحكمه الشعب ، لأن الحاكم يشرع للشعب ولا يخضع لتشريعاته تلك ولا يستطيع أن يضع نفسه موضع شعبه ، وواجب ألا يسن القانون إلا من يخضع له ويحس بأثره ، وقد رأينا ان الدكتاتورية لا تنجح فوق نجاح الديمقراطية فى معالجة شؤون الاقتصاد وعوامله الهائلة التى يتخبط فيها العالم ، وانما الدكتاتورية لتخفى حبوطها وتخمد المعارضة وتبرر وجودها وتدعو الشعب الى معاضدتها والوقوف بجانبها ، ما تزال تعنى بالمظاهرات والاستعراضات وإقامة الحفلات والأعياد القومية ، وتغالى فى تمجيد القوة الحربية والاشادة بالأماني القومية والدعوة الى الذر والتغلب والاعلان انها تحكم لتدفع خطراً أو تحمى الدولة أو تفتح امبراطورية أو تحمى المدنية ، وما تزال فى خطبها الرنانة وحماستها المفتعلة حتى تنساق الى الحرب راغبة أو مكرهة

فالحكم الدكتاتورى لا ينجح كما يتبجح به فى السيطرة على العوامل الاقتصادية العالية التى تأبى على السيطرة ، وهى تشغل الشعب عن سوء حالته بسفاف الامور وتهيج فيه غرائز وعواطف ليست هى بخير ما فى البشرية من غرائز وعواطف وقد تسوقه هذه الانفعالات الى الحرب ثم ان الدكتاتورية فوق هذا وذاك تخمد النشاط الفكرى فى بلادها أيما إخماد ، فهى لا تطيق النقد ولا تقوى على احتمال المعارضة وهى لذلك تشرد كل ذى رأى وتسجن أو تعدم كل معارض ، وهى تحل الجماعات والنقابات الحرة وتستغنى عنها بالجماعات الرسمية التى تشرف عليها الحكومة وهى تحجر على الصحافة والأدب والفن والعلم لا تنطق هذه كلها إلا بما تشاء الدكتاتورية وإن جانف الحقيقة ، وهى تستأثر بوسائل الدعاية من كتابة وخطابة وصحافة وراديو وسينما وتقيم للدعاية وزارة خاصة تحاول السيطرة على عقول الناس وهى بعد ذلك تسيطر على التعليم وتوجهه

تتحكم الدكتاتورية فى مناهج التعليم وكتبه وأغراضه ، فلا يلقن النشء الا ما تريد أن يلقنوه ، وينشأون على تمجيدها والايمان بها . لا تحاول تنمية عقولهم بل تنمية استعدادهم لقبول ما يلقنون من آراء الآخرين . ولا تعمل على إبراز شخصياتهم مختلفة متباينة ، بل تسعى لصبهم فى قالب واحد معلوم ، واخراجهم متماثلين فكرة واتجاهاً وعقيدة ، ليكونوا لها جنداً متصاعين . فالدكتاتورية تضيق ذرعاً بالفردية والشخصية المتميزة ، والعلاقة بين الدولة والشعب فى هذا الصدد متبادلة : كلما تماثل أفراد الشعب واتحدت عقلياتهم كلما ساعدوا على قيام الدكتاتورية وتوطدها ، وكلما بقيت الدكتاتورية وتوطدت عملت على توحيد العقليات ومحو التميز والاختلاف

ان الحكم الدكتاتورى يقف تقدم الانسانية ويرجع بها الى الوراء لأنه مضاد للحرية والحرية أساس كل نشاط انسانى ، محارب للحقيقة وبغيرها لا يكون تقدم ولا هداية ، مخمد للنقد وهو سبيل كل إصلاح ، مقيد للعقل وهو أساس الحضارة . فالفرق بين مجتمع متحضر ومجتمع متوحش أن الأول يسود فيه العقل والثانى تتحكم الغريزة والعاطفة والخرافة والوهم ، ومن ثم تنتكس القيم فى الأمة المبتلاة بحكم الفرد المستبد ، ومن ثم تضمحل العلوم والفنون فى ظل الحكم المطلق على حين تزدهر فى كنف الديمقراطية . فقد ازدهرت العلوم والفنون فى بلاد اليونان الديمقراطية ولم ينبغ فرد واحد فى علم ولا فن فى بلاد مقدونيا الملكية المطلقة ، وظهر الشعراء والخطباء فى روما الجمهورية وانحدرت الخطابة والشعر والفنون عامة فى ظل الامبراطورية

وازن حالة الارهاب وخنق الحريات واضطهاد الآراء فى ظل الحكم المطلق ، بما يسود فى فىء الديمقراطية من تسامح وحرية ورحابة صدر بالنقد وترحيب بالجديد من الأفكار وحرص على توخى الحقيقة : قال الفايكاونت مورلى : « ان من يعبث بالحقيقة لأى غرض كان يعبث بالقوة الحيوية الدافعة للرقى الانسانى » ، وقال جون ستيوارت مل : « لا يجوز للبشر أن يعدوا من

حرية فرد منهم في العمل الا لغرض واحد هو حماية أنفسهم » ، وقال أيضاً : « لو كان البشر أجمعون إلا واحداً على رأى ورجل واحد على نقيضه لما جاز للبشر مجتمعين أن يسكتوا ذلك الفرد ، أكثر مما يجوز له هو لو أوتى القوة أن يسكت البشر » ، وما ذلك الا لايقان أولئك المفكرين أن توخى الحقيقة هو سبيل الهداية والرقى وأن التسامح الفكرى والتعاون العقلى لازمان للاهتداء الى الحقيقة

ليس الحكم المطلق اذن هو وسيلة علاج ما يعانيه المجتمع من متاعب ، وليس نجاح ذلك الحكم فى توطيد أقدامه فى بعض الدول دليلا على صلاحيته وأفضليته على النظام الديمقراطى ، بل هو ثمرة حالة قلاقل اجتماعية واقتصادية أدى اليها التطور الصناعى وزادتها الحرب الماضية تفاقماً ، واستغلها الدكتاتوريون الذين لا تخلو منهم حقبة . وليس النزوع عن الديمقراطية الى حكم الفرد الاستبدادى تقدماً للمجتمع البشرى بل هو نكسة الى عهود الجهل والخمول ، ولن ينجح الحكم المطلق فى معالجة متاعب المجتمع بل سيزيدها بلاء بشذوذ أساليبه وافتعال وسائله ومجانبته للحق والحرية

انما وسيلة خلاص العالم من متاعبه الاقتصادية وسبيل رقيه المطرد فى حاضره ومستقبله أن يتشبث بالديمقراطية لا يبغى عنها حولا ويدافع عن الحرية التى نالها بجهاد طويل فى متتالى العصور فان الحرية لا تكتسب مرة واحدة ينام بعدها صاحبها ملء جفنيه ، بل يجب أن يظل حياته يدافع عنها . قال جون ستيوارت مل : « إن ثمن استبقاء الحرية هو اليقظة الدائمة » ، وقال دانيل وبستر : « إن الله لا يمنح الحرية الا أولئك الذين يحبونها والذين هم على استعداد دائم للدفاع عنها » ، ولن تأمن الحرية يوماً ما سطوات المغيرين عليها ، وأكبر أعدائها دوام تطور المجتمع البشرى الذى يستدعى تعديل نظم الحكم من آن الى آن ، فاذا قصرت الديمقراطية فى مماشاة العصر على هذا النحو كانت النتيجة اضطرابات اجتماعية واقتصادية يستغلها المشرئبون الى الاستبداد

وواجب أبناء الديمقراطيات لذلك تعديل بعض النظم القديمة التى ثبت بطؤها وتخلفها عن حركة العصر ، ومن الآراء القيمة فى هذا الباب أن يرجع البرلمان الى وظيفته الأولى التى كان مقتصراً عليها فى أول أمره : وهى وظيفة الاشراف على شؤون الحكومة وأمور الشعب اشرافا عاما متخليا عن وظيفة التشريع لهيئة خاصة تنهض بذلك ، ثم ان على الديمقراطية أن تنشط فى تنظيم الحالة الاقتصادية أكثر مما نشطت الى الآن ، وفى موازنتها وتخفيف آثار مضاعفتها عن الشعب العاجز عن السيطرة على عواملها المترامية ، فانه ما دامت الحالة الاقتصادية مضطربة فستظل الحالة السياسية كذلك وسيظل الباب مفتوحا للمذاهب المتطرفة وللمغامرين من ذوى المطامح

ان الديمقراطية هي شكل الحكم الطبعي المعقول المحالف للعلم والرقي بينما الحكم المطلق يتعسف ويتحدى العلم والتاريخ ويساير الغريزة والعاطفة العمياء، فتغتدي الدولة في ظل الدكتاتورية غاية في ذاتها ويعتقد الطغاة أن الفرد خلق لخدمة الدولة ولم تخلق الدولة كما يدل المنطق ويشهد التاريخ لخدمة الفرد ، ومتى كانت الدولة غاية في نفسها في نظرهم كان بدهيا أنها خالدة ، وان كان التاريخ يشهد بأنها حلقة في سلسلة رقي تنقل فيها المجتمع الانساني من الأسرة الى القبيلة الى الدولة ، وكان المعقول أن يطرد ذلك الرقي فتأتلف الدول جميعا مكونة الدولة العالمية وقد صار تحقق الدولة العالمية بعد أن تقاربت الأمم وتوثقت علاقاتها وغدت وحدة اقتصادية أمراً ضروريا لا محيص عنه اذا قدر للمدنية البقاء

والديمقراطية هي التي تمهد السبيل لتحقق الدولة العالمية ، بما تنشره بين الناس من مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وبازدهار العلم في ظلها ازدهاراً ينشر النزعة العالمية بين المثقفين شيئا فشيئا ، ويشعرهم بوحدتهم في الانسانية وبغرور أسباب التعصب والتنابذ . فاذا قدر للدولة العالمية التحقق يوما فلن يكون تحققها على أيدي الغزاة الفاتحين أمثال الاسكندر وقيصر ونابليون وأضرابهم من المحدثين ، انما ستحقق بالوسائل السلمية ، بانتشار النظرة الانسانية الشاملة وتضاؤل التعصب القومي كما تضاءل التعصب الديني الذي لقيت منه الانسانية صنوف البلاء في سالف العصور . وفي سبيل هذه النزعة السلمية العالمية قد خطت الديمقراطية الى اليوم خطوات واسعة

فخري أبو السعود

من أقوال العظماء

أحق الناس بالشفقة أناس يطمحون بأبصارهم الى السحب وهم غارقون في الوحول (جبران)

الحياة أحلام تنتهي برقاد الموت (شكسبير)

لا شيء أجدى من البحث عن الصديق ولا شيء أحلى من تجربته وأفيد من حفظه (أوغسطينوس)

من شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه (الفضل بن عياض)

أغنى الناس المقتصد وأفقرهم البخيل (شامفور)

كل يحسب أنه يستطيع الصبر على مصائب غيره (لاروشفوكو)

هل يمكن الاستغناء عن الذهب؟

بقلم الاستاذ على الجريتلى

مدرس ادارة الاعمال بكلية التجارة

يجتاز العالم الآن مرحلة من أدق المراحل فى تاريخ البشرية . فالحرب الدائرة الرحى بين النظم الفاشية والنظم الديموقراطية لم تصل بعد الى نتيجة حاسمة ولا تزال تجر على المحاربين وغير المحاربين ألواناً من الشقاء والحرمان والخوف لم يرها العالم من قبل . ولا شك انه سيصحب انتهاء الاعمال الحربية ظهور مشاكل اجتماعية واقتصادية تفوق فى خطرها المشاكل التى انتابت العالم بعد الحرب العظمى الماضية ، فنطاق التخريب لا يقتصر على الفلاندر كما كان الحال عندئذ بل يشمل الموانى والمدن الصناعية والطرق التى دمرتها الطائرات ، كما أن التحول من انتاج المواد الحربية الى الانتاج السلمى سيكون أكثر صعوبة فى هذه المرة لأن معظم موارد الدول المتحاربة موقوف على انتاج وسائل التدمير التى تتطلبها الحرب الآلية الحديثة ، ومن المرجح ان الدول التى ستخرج من هذه الحرب منهوكة القوى ستجد صعوبة فى إيجاد الموارد اللازمة لأعادة العمران الى مدنها والتوازن الى اقتصادها القومى ، ولدفع التعويضات الطائلة لعائلات القتلى والجرحى خصوصاً ان أعباء الميزانيات ستزداد زيادة كبيرة نظراً لاضطرار الحكومات الى عقد قروض كبيرة لتمويل الحرب

ويدور البحث من الآن فى تلك المشاكل وأشباهها حتى لا تؤخذ الحكومات على غرة ، كما ان المفكرين فى الدول الديموقراطية يوالون الدرس بغية تعرف عيوب النظام السياسى والاقتصادى الحالى والوصول الى حل يكفل اجتناب أسباب الشقاق بين الشعوب حتى لا ينكب العالم بحرب عالمية أخرى فى المستقبل القريب ، ويرى البعض فى تكوين ولايات متحدة أوربية ضماناً للسلام إذ توحد السياسات الاقتصادية والمالية ويعهد بها الى هيئة دولية ، تضع خطط الانتاج والاستثمار فى أوربا وتقوم بادارة المستعمرات ومناطق الانتداب حتى لا يثير النزاع على المجال الحيوى والمواد الخام صعوبات جديدة . ومن رأى البعض الآخر الاحتفاظ بالتقسيم السياسى العالمى على حاله مع تعديل مبدأ السيادة بحيث تؤخذ من اختصاص الحكومات تلك المسائل السياسية والاقتصادية التى لها صبغة دولية ، ويعهد بها الى لجنة فنية تكون قراراتها نافذة على الحكومات المختلفة مثلما تسرى قرارات حكومة واشنجتون على الولايات المتحدة الامريكية فى المسائل التى تهم الولايات جميعا

السياسات النقدية والحرب

وتعتبر السياسات النقدية والمالية من أخطر المسائل التي يتطلب حلها عناية كبيرة من الباحثين، إذ أن اتباع كل دولة لسياسة خاصة دون النظر الى مصالح العالم قاطبة يؤدي الى الاضطراب العام ويتضح ذلك بجلاء من دراسة تاريخ العالم في العشرين السنة الأخيرة فسياسة الاكتفاء الذاتي ـ أي عزل الاقتصاد الأهلي عن الاقتصاد العالمي وتعميم اشراف الدولة على نواحي النشاط الاقتصادي الفردي ـ قد جعلت من العسير التعاون على مكافحة الكساد العظيم الذي حل بالعالم سنة ١٩٣٠ ، كما أنها بما تستلزمه من تقييد انتاج السلع الاستهلاكية وتوسيع الصناعات التي تمت الى الحرب بصلة لا تصلح أساساً لسياسة دائمة يقصد من ورائها توفير الخيرات للملايين الذين ما زالوا يعيشون في ظل الفاقة ، فضلا عن أن عدم الاستقرار النقدي في السنوات الأخيرة وكثرة تغير قيمة النقود في الداخل والخارج بفعل السياسات النقدية المتضاربة قضى على استقرار الأسعار وزاد مشكلة تعطل العمال سوءاً . ولا يخفى ما لتبدل قيمة النقد من أثر على العلائق بين الطبقات المختلفة للدولة . فان تدهور قيمة العملة وارتفاع الأسعار ارتفاعاً كبيراً يعودان بالضرر على الأفراد من ذوي الدخل الثابت ، وقد يؤدي استمرار هبوط قيمة العملة الى القضاء على مدخرات الأفراد الذين يستثمرون الفائض من دخلهم في سندات حكومية أو يودعون في البنوك وصناديق الادخار ـ ففي سني التضخم المالي الألماني قبل سنة ١٩٢٤ انخفضت قيمة النقود انخفاضاً مروعاً وأصبحت السندات الحكومية عديمة القيمة ، وكان ضياع مدخرات الطبقة المتوسطة سبباً في زعزعة ايمانها بالنظام الديموقراطي وفي تمهيد الطريق لنجاح الحزب الاشتراكي الوطني

ثم أن اضطراب أسعار الصرف « الكامبيو » أوقع بالتجارة الدولية والاقراض العالمي اضراراً كبيرة ، لأن التجارة في وقتنا هذا تعتمد على الائتمان فالبائع يمنح المشتري مهلة تتراوح بين شهر وعدة سنوات والمقرض لدولة أجنبية يحصل على قيمة دينه بعد فترة تقصر أو تطول . ومن هنا ضرورة ثبات سعر الصرف حتى يطمئن البائع أو المقرض الى امكان تحويل العملة الأجنبية التي يحصل عليها عند الاستحقاق الى عملته الوطنية بسعر ملائم ، ولذا نجد أن العشرين السنة الأخيرة تمتاز عن الفترة التي سبقتها باستمرار النقص في قيمة التجارة الدولية ويقدر بنك التسويات الدولي أن إنتاج العالم الصناعي زاد في سنة ١٩٣٦ ٢٠ ٪ عما كان عليه سنة ١٩٢٩ في حين نقصت كمية التجارة الدولية سنة ١٩٣٦ بمقدار ١٠ ٪ عما كانت عليه سنة ١٩٢٩ ، كما ان الاقراض الدولي الذي كان ظاهرة هامة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد اختفى تماما بعد الحرب العظمى ، اذا ما استثنينا القروض الامريكية لألمانيا وفرنسا والقروض التي منحتها انجلترا وفرنسا لبعض الدول بقصد مساعدتها على التسلح

وعلاج هذه الحالة هو فى الرجوع الى نظام الحرية الاقتصادية ، وإيجاد عملة ثابتة القيمة نسبياً تكون أساساً للتبادل ومقياساً للقيم ، حتى يصبح العالم وحدة اقتصادية تتحقق فيها مزايا تقسيم العمل والتخصص فى الانتاج ، تلك المزايا التى جعلت القرن التاسع عشر عصراً من عصور التقدم الاقتصادى المنقطع النظير . فى نظام الحرية الاقتصادية تتخصص الدول فى إنتاج السلع التى تؤهلها مواردها الطبيعية لاتقانها أكثر من غيرها ، وتصدر الفائض عن حاجتها فى نظير استيراد السلع التى تحتاج اليها من الخارج — وتقوم الدول الغنية برؤوس الأموال باقراض الفائض عن حاجتها للدول الأخرى التى لا تستطيع استغلال مواردها الطبيعية بدون الحصول على قروض طويلة الأجل . فوجود عملة دولية يسهل التجارة والاستعمار بين الدول ، كما يحقق وجود عملة واحدة سهولة التبادل داخل القطر الواحد . غير أن هناك اختلافاً فى الرأى بين الخبراء على نوع العملة الذى يحقق الاستقرار المنشود ، فهل يرجع العالم الى عيار الذهب المعروف أم يستعاض عنه بعملات ورقية مستقلة لا ترتبط بالذهب بتاتاً

الرجوع الى عيار الذهب

يقول أنصار الرجوع الى عيار الذهب إنه نظام معروف سبقت تجربته بنجاح كبير ، ففى فترة نصف القرن التى سبقت الحرب العظمى أو يزيد كانت الدول تصدر نقوداً ذهبية من فئات متعددة ، كما أن القوانين المالية كانت تحدد قيمة العملة الورقية التى يسمح للبنوك المركزية باصدارها بقيمة وزن معين من الذهب ، كما كانت هذه البنوك تتعهد بصرف قيمة البنكنوت ذهباً — ولضمان الاستبدال كان القانون يضع حداً أقصى للنقد غير المضمون ، أو يقرر نسبة معينة بين قيمة البنكنوت المصدر والاحتياطي الذهبي . ونظراً لأن بنوك الايداع كانت تحتفظ بنسبة معينة بين البنكنوت المودع لديها والقروض والاعتمادات التى تمنحها ، فانه يمكن القول بأن كمية النقود المتداولة — بما فيها الودائع المصرفية — كانت تتوقف على مقدار الذهب الموجود لدى البنك المركزى ، تزداد بازدياد المتورد من الذهب ، وتقل اذا ما اختل الميزان التجارى وبدأ الذهب فى التسرب الى الخارج . وباتباع معظم الدول لعيار الذهب أصبح المعدن النفيس عملة دولية بالمعنى الصحيح . ومع أن اتباع عيار الذهب لا يمنع الاضطرابات المالية بتاتاً ، فان الثبات النسبي لقيمته يجعل تلك التقلبات قليلة الخطر ويضع حداً للاسراف فى إصدار العملة الورقية وتذبذب الأسعار

غيرت الحرب السابقة كل هذا — ففى أثنائها حرم تداول الذهب فى معظم الدول ، وأعفيت البنوك من التزام صرف قيمة البنكنوت ذهباً ، وأصبحت العملة الورقية عملة قانونية لها قوة مطلقة على إبراء الديون — وبسبب مغالاة الحكومات فى الاقتراض وإصدار النقد لمقابلة مصاريف الحرب انتابت الدول بعد الحرب موجة شديدة من الاضطراب المالى . ففى الروسيا وبولندة

والنمسا وألمانيا انحطت قيمة العملة وارتفعت الأرقام القياسية للأسعار ملايين المرات بالقياس الى ما كانت عليه قبل الحرب ولم تنج فرنسا وانجلترا من داء التضخم المالى إلا أن مشاكلهما لم تتخذ شكلا خطيراً كما كان الحال فى الدول التى خسرت الحرب . وما أتت سنة ١٩٢٥ حتى فكرت الحكومة الانجليزية فى العودة الى عيار الذهب ، اعتماداً على أن عظمة سوق لندن المالى كفيلة باغراء الأسواق المالية الأخرى على الاقتداء بها . وبذا يعود العالم الى استعمال الذهب والى الاستقرار النسبى الذى يصحب اتباع تلك السياسة اذا ما تعاونت البنوك المركزية والحكومات على حسن ادارته طبقاً للقواعد الفنية . وبالفعل رجعت الدول الى الذهب واحدة تلو الأخرى ، إلا أنه استغنى فى النظام الجديد عن استعمال الذهب في التداول الداخلى واقتصر الدور الذى يلعبه على ضمان العملة ، وعلى سداد الديون الخارجية التى تنشأ عن عدم كفاية الصادرات لسداد قيمة الواردات . ورجال الاقتصاد مجمعون على أن العودة الى عيار الذهب كانت سابقة لأوانها ولم تستند الى دراسة دقيقة ، إذ حدد بعض الدول قيمة للعملة لم تتناسب مع مقدرتها الشرائية فى الداخل والخارج ، فنتج عن ذلك اختلال فى التوازن التجارى العالمي زاده من جديد تعقد مشكلة ديون الحرب والتعويضات وكثرة العراقيل التى وضعتها الحكومات في سبيل التجارة الدولية — وفى سنة ١٩٣١ تركت انجلترا عيار الذهب وتبعتها الدول الأخرى

الذهب فى أزمة سنة ١٩٣٠

وابان الأزمة العالمية التى اجتاحت العالم من ١٩٣٠ الى ١٩٣٤ ادعى الكثيرون بأن الذهب هو أصل مشاكل العالم ، وبأن الخضوع لسيطرته هو العقبة الوحيدة التى تحول دون ارتفاع الأسعار من المستوى السحيق الذى هبطت اليه . فالانتاج السنوى من المعدن النفيس فى رأيهم ، يقل عن حاجة العالم المطردة الى النقود ، كما أن توزيع الذهب لا يتناسب وحاجة الدول المختلفة إذ أن بنك فرنسا وبنوك الاتحاد الأمريكى تستحوذ على الجانب الأكبر من الذهب مما يوقع الدول الأخرى فى ارتباكات عنيفة

وحمل بعض الاقتصاديين المحترفين بزعامة مستر كينز حملة شعواء على عيار الذهب ، بحجة أن الدول قد تضطر الى تضحية الرفاهية الداخلية فى سبيل المحافظة على سلامة العملة ، إذ بمجرد تسرب الذهب الى خارج القطر بمقادير كبيرة يستولى الرعب على قلوب مديرى البنك المركزى فيرفعون سعر الفائدة بقصد وقف التوسع وتخفيض الدخل الأهلى والأسعار حتى تأخذ العلاقة بين الأسعار الداخلية ومستوى الأسعار العالمى مجراها العادى . كما ندد كينز بسخافة السياسة الحالية التي تضطر العالم الى صرف مبالغ باهظة ، وتسخير ألوف العمال لاستخراج الذهب من باطن الأرض لا لغرض سوى تكديسه فى سراديب البنوك المركزية الكبرى

وقد استغلت البروباجندا الألمانية « أزمة الذهب » ودعت الى التخلص من العقلية المسيطرة على الدول البلوتوقراطية والتي تجعل النشاط الاقتصادى العالمى معلقاً على إنتاج الذهب . وتسمع نفس النغمة فى خطبة هتلر الأخيرة التى أنكر فيها إمكان انتصار الذهب

ولقد كان لنجاح الروسيا والمانيا فى إدخال تعديلات هامة على الصرح الاقتصادى القومى ، وفى خلق رواج كبير دون التقيد بالتقاليد المالية المألوفة أثر كبير فى تدعيم الرأى القائل بامكان الاستغناء عن الذهب . فى كلتا الدولتين مضت الحكومة فى التوسع الصناعى والتجارى الداخلى دون أن تضع نصب عينيها الاحتفاظ بنسبة معينة بين الاحتياطى الذهبي وبين المتداول من النقود والودائع المصرفية . وليس للذهب أثر يذكر فى الحياة الاقتصادية فى الروسيا ، فالبنوك تفتح الاعتمادات للصناعات المختلفة وللتسليف الزراعى تبعاً للخطط الموضوعة فى مشروع الخمس السنوات . وبالرغم من أن البنك المركزى يحتفظ باحتياطى ذهبي ، الا أنه لا يتقيد فيه فى سياسته وهو يستعمله فى دفع قيمة الواردات اذا لم تكن لديه عملة أجنبية كافية

وليس هناك خطر على سلامة العملة طالما أن الرقابة الداخلية على الأسعار ناجحة ، وطالما أن الحكومة هى التى تتولى كافة عمليات التجارة الخارجية

الاستغناء عن الذهب فى المانيا

أما فى المانيا فيرجع الاستغناء عن الذهب الى سنة ١٩٢٣ حين نجح الدكتور شاخت فى إنقاذ المانيا من الاضطراب المالى العنيف ، فقد وقف العمل بالمارك القديم وأصدر عملة جديدة ـ الرنتنمارك Rentenmark ـ بضمان الأراضى الزراعية والصناعة والتجارة الالمانية

وفى السنوات التالية لتثبيت المارك عمد البنك المركزى الى تكوين احتياطى كبير من الذهب والعملة الأجنبية بلغت قيمته ٣٤٠٠ مليون مارك سنة ١٩٢٨ ، الا أن الصعوبات الناجمة عن الكساد الفظيع الذى حل بألمانيا بعد ذلك أدت الى تناقص هذا الاحتياطي حتى بلغ ٨٠٠ مليون من الماركات قبل انتقال مقاليد الأمور الى يد النازيين . وبرغم إحداق الخطر بالمارك رفضت الحكومات المتعاقبة فصله عن الذهب أو تخفيض قيمته لأن مثل هذا التصرف يلقى الرعب فى قلوب الألمان لأنه يذكرهم بكارثة التضخم . ولم تقف قلة الذهب حائلا بين حكومة هتلر وبين سياسة التوسع التى وضعتها لتشغيل الملايين من العمال العاطلين . فالخبراء الاقتصاديون من رجال النازى يؤمنون بأن العمل والانتاج هما أساس الثروة ، وأن كمية النقود يجب أن تزداد بازدياد الانتاج . وخوفاً من أن يؤدى ازدياد الدخل الأهلى الذى يصحب فترات الرواج الى ارتفاع الأسعار ، حددت الحكومة استهلاك بعض السلع ، ووضعت حداً أقصى للاسعار ، وفرضت الضرائب على الدخل والاجور ، وعمدت بشتى وسائل الدعاية الى حث الأفراد على استثمار الفائض من دخلهم

فى شراء السندات الحكومية ، كما أنها ضيقت نطاق الصرف على الكماليات . وتشرف الحكومة على سوق النقد الخارجى بطرق شتى ، بقصد الاقلال من الطلب على العملة الأجنبية . فالمصدر يجب عليه أن يسلم الى البنك المركزى كل العملة الاجنبية التى يحصل عليها ، كما أن امتلاك العملة الأجنبية ممنوع منعاً باتاً ، والمستورد لا يحصل على العملة الاجنبية اللازمة لسداد قيمة مشترياته الا اذا كان قد حصل على ترخيص بالاستيراد من الغرفة التجارية التى ينتمى اليها ، كما أن دفع الديون التى على رعايا الريخ معلق على وجود عملة أجنبية كافية ، فالمدين الألمانى يدفع دينه فى حساب خاص لدى البنك المركزى ، ويعتبر ذلك كافياً لابراء ذمته . والدائن الاجنبى الذى يود الحصول على قيمة دينه يضطر الى قبول مبالغ تقل كثيراً عن دينه الأصلى

وبهذه الطريقة استولت الحكومة على مبالغ طائلة استعملتها فى دفع اعانة للصادرات لكي تحصل على العملة الاجنبية التى تحتاج اليها لشراء المواد الخام والسلع اللازمة لانجاز مشروع التسلح. فديون المانيا القصيرة الاجل التي كانت ١٢ مليارمارك سنة ١٩٣١ هبطت فى سنة ١٩٣٩ الى مليار واحد . وقد أدت تلك الحيل الى امتناع التجار الاجانب عن بيع بضائع لألمانيا إلا إذا حصلوا على ضمانات تكفل دفع ديونهم بعملتهم . فالمصدر السويدى أو الانجليزى الى المانيا يخطر بنكه المركزى بقيمة دينه ، كما أن المستورد فى تلك البلاد يدفع ثمن البضائع الالمانية التى يشتريها فى حساب خاص لدى البنك المركزى ، وبهذه الطريقة تجرى المقاصة بين السويد والمانيا ويقبض المصدر السويدى قيمة دينه من ذلك الحساب

ثم ان الرغبة فى توفير العملة الاجنبية أدت الى الرجوع الى استعمال المقايضة ، فتصدر المانيا الى مصر مثلا كميات من السماد مقابل استيراد كمية مساوية لها فى القيمة من القطن المصرى ، دون حاجة الى استعمال العملة . ولا يخفى ما لهذه العمليات من أثر سيء على التجارة ورجوع بها الى الطرق البدائية ، الا أن الالمان يعتذرون عن ذلك بفقرهم فى العملة الخارجية

هل يتغلب الورق على الذهب

وقد يبدو لأول وهلة ان الوقت قد حان للاستغناء عن الذهب بتاتا ، وليس من شك فى إمكان تحقيق ذلك ، فانه من المعقول نظريا أن تنجح الدول فى إصدار عملة ورقية تحقق الاستقرار الداخلى . كما أن اتفاق الحكومات على تحديد سعر ثابت للتبادل بين العملات الرئيسية كفيل بتحقيق معظم الفوائد التي تنتج عن ربط العملات المختلفة بالذهب . الا أن التاريخ الاقتصادى للعالم يبين لنا أنه ما من عملة ورقية استطاعت أن تصمد مدة طويلة دون أن تهبط قيمتها نتيجة للافراط فى إصدارها أو لسوء إدارتها . واتباع نظام العملة الحرة يغرى الحكومات على تحديد القيمة الخارجية للعملة بحيث تعطي المنتجين المحليين ميزة فى المنافسة الدولية . فخروج

انجلترا عن عيار الذهب سنة ١٩٣١ أعطى المصدرين الانجليز ميزة وقتية ، إلا أن الدول الاخرى شعرت بالغبن الواقع على منتجيها فعمدت هي الاخرى، إما الى ترك عيار الذهب ، أو التلاعب بالقيمة الخارجية للعملة ، أو بفرض ضرائب جمركية حامية أو مانعة لمقابلة ذلك التخفيض . وعندنا فى مصر ضريبة اسمها ضريبة فرق العملة تفرض على واردات البلاد التى تقوم بمثل هذا التخفيض ، وخصوصاً على اليابان التي برعت فى تنفيذ تلك السياسة براعة فائقة ، وليس من السهل الحكم على التجارب الروسية والالمانية فالروسيا تتبع نظاماً اقتصاديا وسياسياً لم يلق لدى العالم الخارجى قبولا ، كما أن الاشراف الحكومى على نشاط الأفراد الاقتصادى وعلى عمليات التجارة الخارجية فى المانيا يؤدى الى عرقلة التجارة ويقابله رجال المال والاعمال بالسخط الشديد نظراً لشدة تعقيده، علاوة على أنه يكلف الدولة نفقات باهظة . وقد وصف الدكتور شاخت تدخل الحكومة فى هذا الصدد بأنه نظام قبيح لا يطاق وأنه ينتظر أول فرصة لتعديله

المستقبل للذهب

نخلص من ذلك الى ترجيح الرأى القائل بالعودة الى اتخاذ الذهب أساساً للعملة ، لان التجارب قد دلت على ان مضار عيار الذهب أقل بكثير من مضار نظام العملات الحرة فضلا عن ان الجماهير لا تزال ترى فى استعمال الذهب مدعاة للثقة ، ولا يخفى ما لهذا العامل النفسانى من الأهمية وخصوصا فى بلاد الشرق ، ولكن يشترط لضمان حسن سير الأمور أن تكون العودة تدريجية وأن تسبق التثبيت القانونى فترة من التثبيت الفعلى ، كما يستحسن جعل النظام أكثر مرونة مما كان عليه فى الماضى ، بمعنى انه اذا نقص انتاج الذهب فى العالم لسبب من الاسباب لوجب تخفيض النسب القانونية بين الاحتياطى الذهبى وكمية النقود حتى لا يتأثر الاقتصاد الاهلى بندرة الذهب . وأخيراً يجب العمل على زيادة التعاون بين البنوك المركزية الكبرى وبين بنك التسويات الدولى الذى أنشىء فى سويسرا بعد الحرب الماضية ، ويقتضى ذلك زيادة رأس المال المدفوع لهذا البنك زيادة كبيرة ومنحه سلطات واسعة لمراقبة أسعار الصرف ولاجراء المقاصة بين عمليات البنوك المركزية توفيراً للذهب ، كما يقوم لهذه البنوك بنفس الخدمات التي يقوم بها البنك المركزى فى انجلترا لبنوك الودائع فيساعد من يقع منها فى صعوبات طارئة ويراقب الحالة العامة لسوق النقد فى الدول المختلفة ، حتى لا يؤول اضطراب الحال فى بلد ما الى سريان عدوى الأزمة الى الأسواق المالية الاخرى

على الجريتلى

نظام هتلر الجديد فى أوربا

من الوجهتين السياسية والاقتصادية

١ - من الوجهة السياسية

تنبأ هتلر بأنه سينشيء المانيا كبرى عدد أفرادها مائتان وخمسون مليونا ، وليس معنى هذه النبوءة ان تترامى أرجاء الريخ دفعة واحدة فوق هذه الملايين العديدة عقب ظفره فى المعركة القائمة ، بل يريد بها هتلر أن ينشيء فى أوربا نظاما سياسيا واقتصاديا يؤدى الى بسط لواء الجنسية الالمانية فوق مائتين وخمسين مليون أوربى فى خلال خمسين عاما. وتأتى هذه السيادة عن طريقين : أولهما ، أن يؤدى ما يتاح للشعب الالمانى من السيادة السياسية ومن الرخاء الاقتصادى الى نمائه نموا سريعا فتزداد نسبة المواليد فيه حتى يرتفع متوسط عدد الاطفال فى الاسرة الالمانية من طفلين ونصف طفل الى اكثر من أربعة أطفال .. وثانيهما ، أن تحمل السيادة الالمانية أفواجا من شعوب أوربا المترامية على حدود ألمانيا على اتخاذ جنسيتها سعيا وراء ما تتيحه لاصحابها من الفرص والحقوق

ان الحرب ما تزال دائرة الرحى لاهبة اللظى ، وليس النصر بأقرب الى هتلر فى هذا اليوم عما كان يوم أوقد نارها ، ولكن الالمان يسيطرون الآن سيطرة مباشرة على آفاق تضم مائة وثمانية وخمسين مليونا من الافراد ، أى ان ٧٥ مليونا من « الشعب السيد » يقررون مصير ٢٠ مليونا من البولنديين و٨ ملايين من التشيك ومليونين من السلوفاك ، هذا فى الشرق عدا من فى الشمال وهم ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ من النرويجيين و٣٫٧٠٠٫٠٠٠ من الدنمركيين ، وعدا من فى غرب أوربا وهم ٨ ملايين من الهولنديين و٨٫٥٠٠٫٠٠٠ من البلجيكيين و٢٥ مليونا من الفرنسيين . أضف الى ذلك الآفاق التى يفرضون عليها بطريق غير مباشر من السيادة والنفوذ ما يقررون به مصير اكثر من سبعة وأربعين مليونا من الانفس المتناثرة فى حوض الدانوب وأرجاء البلقان ، أى فى رومانيا التى بقى فيها بعد ما تناثر من اشلائها ١٣٫٥ مليونا من الافراد ، وفى هنغاريا التى تضم بعدما أضيف اليها من جاراتها ١٣٫٥ مليونا ، وفى بلغاريا وعدد سكانها ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ بعدما ضمت اليها دوبرجة الجنوبية



تبين هذه الخريطة البلاد التى يسيطر عليها الألمان الآن سيطرة مباشرة (وهى البيضاء فى الخريطة) . وتضم هذه البلاد ١٥٨ مليونا من الأفراد . ويلاحظ أن يوجوسلافيا خارجة عن هذه البلاد

كيف يقرر هتلر مصير هذه الشعوب التى هوت فريسة جيوشه أو دعاته ، وكيف يقرر مصير كل شعب يقع تحت سطوته غدا ؟ لنرجع الى الماضى القريب نستقرئه شرحا للمستقبل الآتى :

تعهد هتلر فى ميونيخ الا يمس استقلال تشيكوسلوفاكيا بعد أن اقتطع منها منطقة

السوديت ، ثم لم يلبث ان استدعى رئيسها « هاشا » وأملاه أمرا باستدعاء الجيش الالمانى لاجتياحها ، وبينما كان الشيخ المسكين ملقى مغمى عليه بين يدى هتلر كان الغزاة الالمان يقتحمونها خاضعة ذليلة . ولكنه تعهد مرة أخرى بأن يحترم استقلال التشيك السياسى والثقافى داخل نطاق الحماية التى فرضها ، غير ان هذا التعهد لم يكن الا من قبيل سلسلة وعوده المنكوثة ، اذ لم يلبث أن أعد نظاما يفنى هذا الشعب فى خلال فترة لا تتجاوز على الاكثر خمسة وعشرين عاما ، فلم تعد تشيكوسلوفاكيا منذ ذلك اليوم سوى مستعمرة ألمانية يحكمها وزير المانى له مطلق السيادة على رئيس جمهوريتها «تيسو» ورئيس وزارتها « توكا » ...

كذلك كان الامر فى بولندة ، فلم تستقر قدمه فيها بعد هزيمتها بأيام حتى أصدر فى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٣٩ قرارا يضم الى الريخ ولايات بولندة الغربية وعدد سكانها ١٠٫٢٥٠٫٠٠٠ نسمة مع أن نسبة الالمان فيهم لا تزيد عن ٦ ٠/٠ فحسب . اما ما بقى من بولندة وعدد أهله ١١٫٨٦٣٫٠٠٠ فرد ـ عدا ما نزل عنه لستالين ـ فأقام فيه حكومة بولندية ، ولكن ادارتها لم تسند الى بولندى بل الى ألمانى هو وزير الدولة «هانز فرانك» وكان هذا الوزير يؤمل ان يجد من البولنديين من يعينونه على اقامة حكومة بولندية تسير تحت امرته ، ولكنه لم يلق فيهم أمثال هؤلاء الناس حتى بعد تلك الضربة القاصمة التى نزلت بهم يوم ان هوت فرنسا تحت أقدام ألمانيا . فأصدر هتلر فى ٢٥ اغسطس سنة ١٩٤٠ أمره الى هانز فرانك ان يكون حاكما عاما مطلق الامر فى بولندة ، فلم يعد لها أى وجود سياسى بل غدت ـ على حد تعبير الالمان ـ وطنا قوميا للبولنديين تحت السيادة والادارة الالمانية

أما فى شمال أوربا وغربها فما زال هتلر يصرف الامر على حذر وفى روية قلما يحرص عليهما فى تصريف الامر فى شرق أوربا وجنوبها الشرقى . وذلك لامرين : أولهما ، ان هتلر ما زال يزعم ويعلن ان من المحتمل أو فى الامكان ان يصالح بريطانيا فلا يريد ان تتخذ خطوته فى الغرب الطريق الذى لا صلح فيه ولا سلام ، وثانيهما ، فرقه من ان يطول أمد الحرب ويتسع نطاقها فلا يريد ان يمهد للدبلوماسية البريطانية الطريق الى ما ترجوه من الثورة فى اسكندنافيا ـ والاراضى الواطئة ، وفى فرنسا على الاخص

ففى اسكندنافيا نجد السويد التى يبلغ سكانها ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ فرد ما تزال مستقلة ومحايدة من وجهة القانون ، ولكنها فى واقع الامر منفصلة من سائر العالم بالحاجز الالمانى من جانب والحاجز الروسى من جانب ، فلم يعد مركزها الاقتصادى يختلف عن مركز سائر الدول التى احتلتها ألمانيا . واذا لم يكن فى ستوكهلم « حاكم ألمانى عام » فذلك يرجع الى أن هتلر وستالين تفاهما ، صراحة أو ضمنا ، على ان يرجأ الى ما بعد الحرب احتلال ألمانيا للسويد واحتلال روسيا لفنلندة

واذ كانت دنمرك قد أسلمت أمرها الى ألمانيا بغير قتال أو كفاح فقد ظل الحكم فى الظاهر للملك كريستيان وحكومته ، اما الواقع فالحكم لوزير ألمانيا المفوض والحاكم الالمانى العسكرى

وأبت النرويج أن تسلم فظلت فى حرب مع ألمانيا • ولهذا حصرت السلطة فى يد حاكمها العام المنتدب من قبل الريخ وحاكمها العسكرى المعين من قبل الجيش الفاتح

فألمانيا تتخذ فى اسكندنافيا فى هذه الآونة خطة التهدئة والمسالمة ، أما اغراضها النهائية فظاهرة واضحة • واذا قدر لها النصر فى هذه الحرب فلن يكون الامر الا ان تضم دنمرك الى الريخ الالمانى ، وان تفرض على السويد والنرويج الحماية الالمانية • وذلك تنفيذا للغاية النازية التى أجملها فيلسوفها روزنبرج فى كلمة ألقاها منذ سنوات وهى : « علاقة الدم النوردية »

أما فى أوربا الغربية فنجد هولندة ، كبولندة والنرويج ، ما تزال فى حالة حرب مع ألمانيا ، ولهذا وضعت تحت امرة الحاكمين الالمانيين : مندوب الريخ والحاكم العسكرى • ومع ان مندوب الريخ أعلن ان هتلر يحترم حرية الشعب الهولندى وارادته ، ولكنه قد تقرر فى برلين ضم هذا الشعب الى الريخ حالما يخرج من الحرب ظافرا • ذلك ان تعاليم « الوطنية الاشتراكية » تقرر ان ليس هناك شعب هولندى ، بل قبيلة ألمانية فصلت من أمها فى خلال الحروب الدينية التى اضطرمت فى أوربا فى عهد الاصلاح الدينى باغراء بعض الدول التى تسعى منذ القدم لحطم الوحدة الالمانية

ولیس لبلجيكا من أمل فى الخلاص الا ان تنتصر بريطانيا وتنهزم المانيا • فنظرية النازى الجنسية لا تعترف بوجود شعب بلجيكى ولا بد ان يؤدى انتصار المانيا الى القضاء على بلجيكا كدولة مستقلة • وليس يخفى ان المانيا كانت تسعى فى الحرب الماضية الى تفكيك الشعب البلجيكى ، فكانت تمول وتشجع الحركة القومية بين جماعات « الفلمنك » ليستقلوا بأمرهم عن الدولة البلجيكية ، وكان عميلهم النشيط حينذاك هو الدكتور بورمز الذى يقيم الآن فى انتورب حيث يستأنف جهاده عسى ان يوفق الى انشاء «دولة الفلاندرز الكبرى » التى تترامى حدودها بين نهر السوم وبين شواطىء بلجيكا وفرنسا ، وبذلك تضمن المانيا السيطرة على الجزء الاهم من سواحل أوربا الغربية • ولم يكن عبثا أو عفوا ان يمد هتلر سلطان حاكمه فى بلجيكا فيتعدى حدودها الى أرض فرنسا فيضم اليه الجزء الشمالى منها على طول ساحلها الغربى ، وانما يفعل ذلك تمهيدا لما يريده عقب الحرب من جعل هذه المناطق دولة واحدة خاضعة لامره منفذة لخطته فيما يريده لاوربا من نظام جديد

أما فرنسا فيريد هتلر أن يبت يد ايطاليا الطامحة الى كثير من أراضيها واملاكها ، فهى لا تقنع من أرضها بأقل من شامبرى وجرينوبل ومارسيليا ومن املاكها بأقل من كورسيكا

وتونس . ومن المؤكد أن ألمانيا الظافرة لا بد ان تنزل بفرنسا الى مستوى الدول المفروض عليها حمايتها وسيادتها ، بعد أن تقص اجنحتها وتحيف اطرافها ، فتأخذ من شمالها المناطق التى تضمها الى « دولة الفلاندرز » التى تريد تأليفها ، وتفصل من غربها مقاطعة « بريتون » وتبقيها تحت حمايتها المباشرة لتطل منها دائما على ساحل انجلترا ، وتنزل عن بعض المناطق فى جنوبها منحة لزميلتها اسبانيا

هذه هى الصورة المجملة التى تريد ألمانيا ان ترسمها لاوربا اذا هى خرجت بالنصر من المعركة الدائرة . ولهذه الصورة جانب نظرى وآخر عملى . فأما الاول فلا تنفرد فيه ألمانيا بالسيطرة على القارة الاوربية دون زميلاتها وحليفاتها روسيا وايطاليا واسبانيا . واما الثانى فيهيىء لالمانيا من السيادة والنفوذ ما لا يجعل لها فى أوربا كفءا ولا شريكا يتحداها

ولم يبتكر هتلر هذه السياسة التى ترمى الى فرض السيادة الالمانية على شعوب أوربا جميعا . وانما هو ينفذ فكرة الوحدة الالمانية التى وضعها ودعا اليها وأعد العدة لتنفيذها جمع من مفكرى ألمانيا ومؤرخيها وساستها فى خلال القرن التاسع عشر وعلى الاخص بعد غلبهم على فرنسا فى سنة ١٨٧٠ . وكان يقصد بالوحدة الالمانية فى بادىء الامر توحيد الجنس الالمانى فى نطاق دولة كبرى ، ولكنها لم تلبث ان تجاوزت هذا الاتحاد القومى واخذت تسعى الى هدف ابعد وأكبر هو « الامبراطورية الالمانية » . وقد بلغت هذه الحركة ذروتها فى عهد غليوم الثانى حين أخذت ألمانيا تطالب بالوحدة السياسية والاقتصادية بينها وبين النمسا وهنغاريا ودول البلقان وتركيا لتطويها جميعا تحت لواء سيادتها . وكان ذلك الخط الحديدى المزمع انشاؤه بين همبورج فى ألمانيا والبصرة فى العراق محور هذه الحركة السياسية الكبرى التى أرادت ألمانيا تنفيذها باثارة الحرب الكبرى الاولى . وقد بعث هتلر هذه الحركة واستأنف السعى الى تنفيذها فأثار الحرب الكبرى الثانية ليخلص منها الى اقامة الامبراطورية الالمانية المنشودة

ولكن هل من الممكن تحقيق الحلم الالمانى وانشاء هذه الامبراطورية ؟ بلى ، من الممكن ولكن على انقاض الامبراطورية البريطانية

ومع هذا فانا ان فرضنا انتصار ألمانيا وهزيمة بريطانيا فى هذه الحرب لقينا أمامنا سؤالا آخر : هل يمكن لهذه الامبراطورية الالمانية ان تبقى وتعيش ؟ كلا ، ذلك ان الشعب الالمانى مجرد كل التجرد من الروح الذى يمكنه من الاستعمار الموفق . فهو أقل شعوب العالم الكبرى ألفة وعرفا وحسنى ، وقد يكون الفرد الالمانى مقبولا مألوفا اما الشعب الالمانى فلا يظفر بشىء من الرضى والقبول . لقد حاول الالمان ان يترجموا حكمة الانجليز الخالدة « عش ودعنى أعيش » ويتخذونها شعارا ، ولكن الالفاظ لا تغنيهم شيئا ما داموا مجردين من هذه الصفات الخلقية التى تمكنهم من تنفيذ هذا الشعار فى حياتهم وسياستهم

ان حلم هتلر حلم عظيم ، ولكن لا سبيل اليه ، لان الروح الالمانى روح ضئيل

٢ - من الوجهة الاقتصادية

يبدو من الآراء والانظمة النازية ان نظام أوربا الجديد من الوجهة الاقتصادية هو على هذه الصورة المجملة :

تؤلف أقطار أوربا جميعا ، باستثناء روسيا وايطاليا ، وحدة اقتصادية لا تضم فحسب ألمانيا الكبرى والدول الخاضعة لحمايتها وهي بوهيميا وبولندة ودنمرك والنرويج وهولندة وبلجيكا ، بل تمتد كذلك فتشمل الدول المستقلة استقلالا اسميا وهي فرنسا وهنغاريا ورومانيا • وليس لاى قطر من هذه الاقطار ان يتخذ سياسة اقتصادية مستقلة ينفرد بها من سائر اجزاء الوحدة العامة • وستكون برلين مركز هذه الوحدة الكبرى فتضع وتدبر الخطط التي يجرى عليها اقتصاد القارة الاوربية بأسرها

فما هي المبادىء التي يقوم عليها هذا النظام الاقتصادي ؟ انه يمكن اجمالها في هذه القواعد العامة :

١ - تتربع ألمانيا في المركز الرئيسي في هذا النظام • فرخاؤها وقوتها وعظمتها هي الاهداف الرئيسية التي توجه اليها كل القوى وتتخذ لها كل الوسائل • فجميع الدول الواقعة في هذا النظام تدخل في نطاق « مجال ألمانيا الحيوي » فمقدر عليها ان تلبي مطالب سيدتها ولو أدى بها الامر الى تضحية مطلبها

٢ - يخضع نظام الانتاج في أقطار هذه الوحدةالاقتصادية لخطة التخصص بأدقمعانيها، فتبني هذه الأقطار بناء اقتصاديا جديدا يضع في يد ألمانيا كل الصناعات الرئيسية - وعلى الأخص الصناعات الحربية - بينما تختص الأقطار الاخرى بانتاج المواد الخام ومواد الطعام• وعلى جميع هذه الأقطار ان تهيىء للصناعة الالمانية أسواقا تصرف فيها ما ترسله اليها من المنتجات

ولا داعي للقول بأن هذه الخطة لا يقصد بها الا أن تشق ألمانيا طريق الاستعمار السياسي بعد أن تمهده بالاستعمار الاقتصادي • ذلك ان تنفيذها لا بد ان يؤدى الى هذه النتائج :

« ا » سيادة ألمانيا الحربية ما دامت قد اختصت واحتكرت صناعة السلاح والذخيرة وما اليها من الانتاج الحربي

«ب» سيادة ألمانيا الاقتصادية لان الصناعة تنتج من الارباح اكثر مما تنتج الزراعة والتعدين

« ج » زعامة ألمانيا الفكرية لان نموها الصناعي يؤدى - ويفتقر - الى تقدم العلم والتعليم فيها

وهكذا تنزل كل الشعوب الاخرى المفروض عليها هذا النظام الاقتصادي الى مرتبة الخدم والعبيد

٣ ــ يقوم التوزيع الجغرافى لنواحى الانتاج فى أرجاء هذا « المجال الحيوى » الذى تريد المانيا انشاءه على أساس فكرة اقتصادية وضعها بعض العلماء الالمان منذ قرن من الزمان • ومؤداها ان تكون كل وحدة اقتصادية مستقلة بأمرها معزولة عن العالم جميعه ، وفى وسطها مدينة كبرى هى مركز الاستهلاك فيها ، وتحيط بها سلسلة من المراكز الصغيرة تقوم بانتاج المواد اللازمة لهذه المدينة الرئيسية ، فأقرب المراكز اليها ينتج الخضروات والالبان ، وما يليها تنمو فيه الغابات والحدائق ، وما بعدها ينتج الغلال ، وبعد ذلك تترامى مناطق رعى الماشية وآفاق الصيد والقنص

ويبدو ان هذا النظام الاقتصادى الجديد الذى ينشئه هتلر يقوم على هذا الاساس • فألمانيا هى « المدينة » التى تتركز فيها عملية استهلاك ما تنتجه الاقطار التى تترامى حول جوانبها ، وهذه تتوزع فيها حركة انتاج مواد الصناعة ومواد الطعام وفق بيئتها الطبيعية المختلفة • وتتكفل ألمانيا باعداد الوسائل التى يطرد بها الانتاج المخصص لكل قطر من أقطار أوربا ، ومن هذه الوسائل القضاء على اى انتاج آخر فى هذا القطر والقضاء على أية مزاحمة تقوم بها الاقطار الاخرى

٤ ــ لا تتبع هذه الوحدة الاقتصادية نظام التخصص فى الانتاج وحده بل تتعداه الى نظام التوزيع كذلك • أى ان أوربا الجديدة لن تعرف مبدأ « الاقتصاد الحر » الذى يقوم على اساس حرية العرض والطلب ، وحرية تقدير الثمن والربح ، وحرية تقدير أجر العامل وسعر الفائدة • كلا ، وانما تخضع أوربا الجديدة « للاقتصاد المسير » الذى تحدده الدولة ــ وهى المانيا ــ بالاوامر والارقام ، فتعين الاسعار والاجور والارباح • ولا شك ان هذه السيطرة المطلقة على عمليتى الانتاج والتوزيع من شأنها ان تمكن رجال المانيا القائمين على أمر الشعوب الاوربية المقهورة من استغلالها أقصى استغلال لا يتيسر لهم اذا ما تركتها حرة فى حياتها الاقتصادية

ان مستوى الاجور والاثمان وسعر الفائدة والربح كل هذا سيقدر وفق المستوى الذى يمكن ألمانيا أن تفيد من أوربا أعظم ما يسعها من الفائدة • فمن ذلك أن يخفض أجر العمل فى انتاج المواد الخام ومواد الطعام ، بينما يرفع أجر العمل فى الصناعة واثمان المواد المصنوعة • وبذلك يفيد الالمانى فائدة مزدوجة : يشترى طعامه رخيصا بينما هو يتقاضى أجرا عاليا ، ويشترى المادة الخام بثمن بخس ويبيعها بعد صناعتها بثمن باهظ • ولا تقتصر فائدة الالمان على ما يجنونه من هذه الفروق الكبيرة التى يفرضونها بين اسعار ما يشترون واسعار ما يبيعون ، بل يفيدون كذلك من هذه الفوارق التى قد يحدثونها بين اسعار النقود المتداولة فى أرجاء أوربا • وذلك اذا فرضنا انه سيسمح لغير « المارك الالمانى » ان يتداول فى أوربا الجديدة • وكذلك يفيدون « سعر الفائدة » المرتفع الذى سيفرض حتما لرؤوس الاموال الالمانية التى تستثمر فى اقطار اوربا الخاضعة للسيادة الالمانية

ولكن هل يمكن ان يقوم على هذا النظام الاقتصادى بناء مدعم وطيد ؟ وهل يمكن ان

يؤدى هذا النظام الى الثبات والاستقرار ؟ وهل يمكن ان يقام على هذا الاساس سلام أوربى وعالمى طويل المدى ؟ ليس لكل سؤال من هذه الاسئلة الا جواب واحد هو : لا

ان هذا النظام لايكون قليل النفقة عظيم الجدوى الا اذا اتسع نطاق المنطقة التى يحكمها وكثر أهلوها . ذلك ان الغاية التى أقيم لها ووجه نحوها هى استغلال الشعوب الخاضعة لمصلحة الشعب المسيطر عليها . واذن فمن الطبيعى ان يدأب هذا الشعب على الاكثار من هذه الشعوب كلما واتته القوة أو الفرصة . أى ان هذا النظام يؤدى بطبيعة تكوينه الى نزاع دائم بين الشعب المسيطر وما حوله من الشعوب

ولو اقيم فى القارة الاوربية مثل هذا النظام لقامت بطبيعة الحال نظم عالمية مماثلة مراكزها روسيا وبريطانيا وامريكا واليابان . وهكذا تنشب حرب اقتصادية دائمة بين هذه القوى الاقتصادية الكبرى ، سعيا وراء مصادر المواد الخام ووراء اسواق التجارة . ومن شأن هذه الحرب أن تثير من الاطماع السياسية والدواعى الاقتصادية ما يحيلها من آن لآن حربا عسكرية . وهكذا ينتفى السلام العالمى كما انتفى السلام الاوربى

هذا هو النظام الاقتصادى الذى يراد فرضه على أوربا بقوة السياسة والسلاح . ولا سبيل الى خلاص أوربا من سطوته وعاقبته الا اذا تصدت لالمانيا قوة اكبر منها وأعنى لا من الوجهة الحربية فحسب بل من الوجهة الادبية كذلك . أى قوة تضع للمستقبل نظاما اقتصاديا يماثل النظام النازى من حيث وضوح اغراضه ودقة تفاصيله ، ولكنه أرقى واسمى منه من قبل ما يرمى اليه من المقاصد وما يريد تحقيقه من النتائج . فهلا نجد هذا النظام الذى لا يريد سيادة دولة على هامات غيرها من دول ، ورخاء شعب على حساب سائر الشعوب ؟

(عن مقال فى جريدة أوربا الحرة Free Europe الجزء الاول بقلم كازمير سوجورزوسكى . والجزء الثانى بقلم فرديناند زفايج)

صفات وفضائل عربية !

الوفاء ــ الشهامة ــ الفروسية ــ الضيافة ــ المساواة ــ إباء الضيم

ولن يستعيد العرب مجدهم الغابر الا اذا نمت فيهم هذه الصفات من جديد

هنري برجسون

الفيلسوف الذي زعزع عرش دارون

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

ولد هنري برجسون في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٥٩ في باريس . وهو منحدر من عائلة محترمة من يهود بولندا . تعهدته والدته بعناية كبيرة وعلمته بنفسها ، وقد كانت دراسته الاولى للرياضيات ، فنبغ بها وأخذ جائزة . وفي مدرسة النورمال التي بأستاذه رفيسون ووقع تحت تأثيره — وقد قال عنه برجسون إنه « يحمل روح فنان وشاعر ، وكان يخضع الفلسفة لقلبه وذكائه معا »

وقد عين برجسون فيما بعد مدرسا في النورمال ، ثم في الكوليج دي فرانس ، ثم عضواً في المعهد ، ثم عضواً في الاكاديمية . وقد كان لتعليمه شهرة عالمية . فكان الناس يفدون اليه من جميع الاقطار رجالا ونساء ويتناقشون في فلسفته في الصالونات وعلى موائد الطعام

وقد وصفه « سلوسون » بقوله : « إنه كان ساحراً ، وكان مريدوه يسمونه «الكروان» لأنه كلما علا وصعد ، أحسن الغناء . وكان شأنه شأن جون ديوي في أميريكا . كلاهما اشتق طريقا للفلسفة والتفكير بحب الناس له وبتأثيره الشخصي . وكانت عزلته الفلسفية يقطعها دائما زيارة الاصدقاء والمعجبين . وحينما كان في أمريكا دعاها « أرض الاحاديث المتقطعة » وأضاف « انى هنا (في أميريكا) ما أكاد أعثر بشخص يستحق الاهتمام ، حتى يقطع علينا الحديث آخر يستحق الالتفات كذلك »

أما من جهة فلسفته فقد بدأ من فلاسفة المادة ، وكان من عشاق الميكانيكا ، وكان له ميل لقوانينها وتطبيق تلك القوانين

ولكنه لما أخذ في تطبيقها مفسراً بها ظواهر الكون وجدها ناقصة ، إذ أنها لا تفسر له حقيقة الزمن ، فثار على تلك الفلسفة المادية وترك مذهب الجبرية . وتوضيحا لذلك كتب مؤلفيه الزمن والارادة الحرة ، والذاكرة والمادة

ثم أخذ يفصل المادة عن العقل ، وانتقل الى دراسة الشخصية والحواس والغرائز والذكاء في كتابه « التطور الخالق » . ومع أن وليم جيمس الفيلسوف الشهير كان معارضا لفلسفته فانه

ساعد مترجم ذلك الكتاب الى الانجليزية مساعدة قيمة

وقد شرح الفرق بين فلسفتي جيمس وبرجسون كثيرون . منهم ماير كالين ، ووضح أن فلسفة برجسون تقوم على تتبعه الفلسفات من قديمها لحديثها ، وأنه قال إن المادة هي الحقيقة « النازلة » ولا يمكن لها بقاء إلا بالقوة « الصاعدة » ، وتلك هي الحياة والوعى . وسر فلسفته اذن أنه وصلها « بالحياة » وجعلها سهلة واضحة مفهومة لا تعقيد فيها ولا غموض ، ومن العجيب أنه طبق « الحياة » على حياته هو ، فقد كان برغم عزلته يشترك فى كل ما هو « حياة » فى فرنسا فى الادب والعلم والاجتماع والاقتصاد

وبينما يكتب فى صميم الفلسفة كان يؤلف رسالات « فرعية » قريبة من الفلسفة ، كرسالته عن الاحلام والضحك . ومما قاله عن الاحلام إن ذكرياتنا تختزن تحت ضغط كبير لا منفذ له غير الاحلام . ويقول إن الاحلام تسري كأشباح غير منظورة ، غير أنها قد تتخذ لها بعض الاحيان ثيابا براقة ملونة . . . وتتخذ مظهراً من المادة

أما عن كتابه « الضحك » فهو كتاب جدير بالقراءة ومفسر لكثير مما غمض من فلسفة ذلك الرجل النابغ

يقول برجسون ان الضحك انسانى أصيل . ولا يمكن لشيء غير انسانى أن يضحك . ويقول ان العاطفة عدوة الضحك ، والضحك الحقيق لا يصحبه انفعال عميق ، والذكاء «صدى الضحك» ويقول ان الضحك « اشارة اجتماعية » والضحك « مصلح لأمورنا ، وبهذا يبين كيف تستعمل الطبيعة ما هو غير نافع فتجعله صالحاً مفيداً . ومن هذا يتبين صفة ذلك الفيلسوف الواضحة وهى « السرور فى المعرفة »

على ان برجسون بالرغم من شهرته التى طبقت الآفاق لم يعدم ناقدين ومعارضين أهمهم سانتيانا الفيلسوف المشهور . قال عن برجسون ان عمله « أسطورة ، خرافة ، عمل الشاعر الفنانى المؤثر » ، وعده من طراز بسكال الذى كان يخيفه كل شيء غير انسانى هائل فانه يفهمه ولكنه يرتعد أمامه . وأضاف سانتايانا « سيظل فى التاريخ كفيلم رائع ملىء بالسيكولوجية الصادقة »

والآن ما هى فلسفته الحقيقية ؟ انه زعزع عرش داروين ، وهزم تشاؤم تين ورينان ، وهو صاحب فكرة « الدوام » ، ان المادة خلقتها الحياة بل استخدمتها وهي تخلق أشكالا جديدة كانت المادة بدورها عائقا فى سبيل حريتها وانطلاقها ، وان خلف ستار التطور قوة دائبة فى التغير ، وليست هاته القوة مادية بل هى النسيج الذى منه تفكيرنا ووعينا

ان أشد حالاتنا الداخلية ثباتاً لشيء شديد التغير ، ان حالتنا الفكرية وهى تطرد فى سبيل الزمن تكثر بما يتجمع لها من ذلك الزمن وان رغائبنا واحساساتنا تتبع ذلك التغير ، وهذا التغير هو سر البقاء

وهذا « الدوام » لا يقاس ولا يقسم لأننا لا نقيس الا الثابت الذى لا يتغير

والدوام مقرون بالذاكرة ، والذاكرة أن يكون المخلوق شاعراً بذاته ومعنى أن يكون شاعراً بها ، هو أن يكون له حرية الاختيار . وهذه مسألة المسائل فى الفلسفة قديمها وحديثها

غير أننا كلما خطر لنا « العقل » خطر لنا بجانبه « المخ » و « المادة »

والواقع أن ما نسميه بالذكاء وُجد فى سلسلة التطور ليتصل بالمادة لتنظيم علاقتنا بالاشياء الخارجية وتحديدها ، وهو يفهم فى الجوامد ، فى الاشياء الثابتة ، ولا يستطيع أن يحيط بالزمن الذى هو روح الحياة والاشياء . وعلى ذلك كلما أدمنا التفكير عسر علينا فهم الحياة لان الحياة زمن لا فراغ ، تغير لا جمود ، صفة لا كمية ، سيال دافق وخلق مستمر

ما فائدة العقل إذن ؟ ان الذكاء الانسانى وظيفته الاولى أن يعمل قبل أن يتفهم ، ولكى يعمل لابد له من تجزئة العمل ، ولابد له أن يعمل فى شىء محدود ولابد له أن يتصوره كوحدة ، وعلى ذلك لن يحيط الذكاء بسبيل الاشياء الا قليلا ، ولا يحيط بالسبيل الابدى مطلقا

الواقع أن برجسون أتهم بأنه ضد العلم ، ما دام العلم ضد العقل

ولكنه يقول كلا « ان العلم يعودنا الدقة والاقتناع بالبرهان ويعودنا أن نفرق بين ما هو محتمل وما هو محقق »

لكن الفلسفة تبتدىء حيث يقف العلم . وهى تستعمل لغرضها طريقة مختلفة تماماً لطريقة العلم ، وهى « البصيرة » intuition التى لا تحتاج لتشكلات ولا للترجمة ولا للرموز

دكتور ابراهيم ناجى

طريق النجاح

« أقرر بكل اخلاص ان المال عندى لم يكن إلا غرضا ثانوياً ، ولم أعلق بالحصول عليه ذهنى طويلا

« وكل ما كنت أعتقده وأعول عليه أن من يؤدى عملا متقنا لا بد أن يكافأ عليه ويثاب

« سر فى طريقك وأد العمل الذى يطلب منك على أحسن وجه . وهذا وحده هو طريق النجاح » (هنرى فورد)

امبراطور يستعيد عرشه :

ملك الملوك هيلاسيلاسى

الذى قاتل فى سبيل التاج أربع مرات

دوخه منليك قبل الاعتراف بوراثته للامارة التى ورثها عن أبيه . . وعزله القدج ياسو من حكم هرر . . فلما ظفر به وجلس على عرش أثيوبيا ثار عليه الرأس جوكسا وكاد يخلعه من العرش . . فلما انتصر على ثورة الرأس جوكسا حرمه الايطاليون من عرشه . . وها هو ذا الآن يجاهد فى سبيل التاج من جديد

يندر بين الملوك أن تجد ملكا قاتل فى سبيل التاج أكثر من مرة . فالملوك إما أن يرثوا التاج وإما أن يقاتلوا فى سبيله مرة هى الاولى والاخيرة

ولكن ملك الملوك هيلاسيلاسى الذى يقود جيشه المظفر الآن فى أحراش الحبشة مبتدئاً بمقاطعة جوجام هو ملك فقد كرسى إمارته مرتين ، وفقد عرشه مرة ، وقاتل من أجله أربع مرات . . وفى كل مرة كانت الهزيمة أدنى من الانتصار . ولكنه كان دائماً أبداً ينتصر أخيراً . وهو فى المرة الاولى والثانية لم يفقد عرش الحبشة فهو لم يكن تربع عليه بعد . انما فقد عرش « هرر » . وهرر كانت امارة من الامارات الحبشية يحكمها « رأس » كان أيضاً يقال له « نجوس » أى ملك . أما عاهل الحبشة الاكبر فهو « نجوس نجاشى » ـ أى ملك الملوك ـ أو امبراطور بالاصطلاح الغربى

منليك يحرمه إمارة أبيه

والرأس تفرى (الامبراطور هيلاسلاسى) هو ابن الرأس ما كونن بن الدجازماتش ولد ميخائيل من زوجته كرعة النجاشى سهلى سيلاسى من نسل منليك الاول الذى يقول الاحباش انه من نسل سليمان الحكيم وملكة سبأ

تربى الرأس ما كونن والد الرأس تفرى فى بلاط منليك عاهل الحبشة المعروف . وفى الخامسة والثلاثين من عمره عين حاكما لمقاطعة هرر التى فتحها بنفسه . وفى سنة ۱۸۹۱ أنعم عليه منليك بلقب رأس

وولد للرأس ما كونن عشرة أبناء لم يعش واحد منهم ، فلما رزق بابنه «تفرى» فى ١٦ يوليه

سنة ١٨٨٢ دعا الله أن يبقيه له وأن يكون وارثه فى حكم الولاية . وعنى بتنشئته أوفر عناية ليكون أول « رأس » مثقف بين رءوس الحبشة الذين لم يكونوا يعنون الا بالقتال والغزو فعهد الى أحد رجال الدين فى تعليمه العلوم الدينية . وتصادف وجود أحد رجال الارساليات الفرنسية فى عاصمة ولايته فعهد اليه فى تعليمه اللغة الفرنسية وآدابها وبعض العلوم الحديثة

وفى الرابعة عشرة من عمره جمع مجلساً حافلا من أعيان الولاية وحكامها ونادى بابنه تفرى ولياً لعهده ووريثاً لامارته بعد وفاته

ولما توفى الرأس ما كونن فى ١٣ مارس سنة ١٩٠٦ كان المنتظر أن يرث ولى عهده كرسى الامارة ، فهو أولا فى الرابعة والعشرين من عمره . وهو ثانياً متعلم مثقف . ثم انه قد تمهر فى شئون الحكم تحت اشراف أبيه الذى نادى به ولياً للعهد قبل وفاته بعشر سنين

ولكن منليك الذى علمته تجاربه القاسية أن بقاء حكم احدى الامارات فى بيت واحد معناه الثورة والفتنة والقلاقل ، أبى أن يوافق على تعيين تفرى فى المكان الذى خلا بوفاة أبيه ، واستدعاه الى اديس ابابا بحجة رغبته فى أن يتم الامير الشاب علومه فى المدرسة التى أنشأها فى العاصمة . . ولما تململ تفرى من هذا الحرمان عينه حاكما اسمياً لمقاطعة « سلاليه » وأناب عنه من يتولى الحكم الفعلى فى الولاية . ثم جعله حاكما اسمياً لمقاطعة « باسو » ، ثم لمقاطعة « سيدامو » دون أن يسمح له بمغادرة العاصمة . فلما اطمأن الى اخلاصه وعدم احتمال قيامه بثورة ما فى مقاطعة أبيه عاد فى سنة ١٩١٠ فمنحه حكم هرر ــ وكان ذلك فى أواخر حكم منليك ــ بعد مادوخه بالحكومات الاسمية أربع سنين وأشعره بأن بقاء حكمه وزواله مرهون باشارة منه

والمرة الثانية يحرمه اللدج ياسو من إمارته

عاد الرأس تفرى الى امارة أبيه وظل يحكمها حتى قامت الحرب الكبرى فى سنة ١٩١٤ وكان منليك اذ ذاك قد توفى من غير وارث ، فأجلس رءوس الحبشة على العرش ابن كريمته من أحد رءوس الحبشة : اللدج ياسو

واللدج ياسو هذا كان أبوه مسلما ، فلما حاربه منليك وظفر به حمله على اعتناق الدين المسيحى . فقبل اعتناقها فى الظاهر ولكنه ظل على اسلامه سراً . وزوجه منليك لقاء ذلك احدى كريماته . فأنجبت منه هذا الامير الذى تربع على عرش جده بعد وفاته

كان اللدج ياسو فى عنفوان شبابه ، مديد القامة ، ممتلىء الجسم ، جبار القسمات ، نارى النظرات ، تعشق الفروسية من نعومة أظفاره فأصبح بعد من مغاوير الحبشة

هوايته الفروسية وسير فرسان المسلمين . ودرايته بأصائل الخيل لا تبارى . ويهوى الصيد والقنص فيخرج اليه مع طائفة من أتباعه الرءوس ، فيصطاد الاسود والفيلة وأفراس النهر ،

ويزور مختلف المقاطعات الحبشية زيارات مفاجئة فيطرب الرءوس لكلماته الحماسية وخطبه النارية وبراعته في الفروسية والبسالة التي تتجلى لهم في مغامرات صيده وسط أحراش الحبشة وغاباتها

وقبيل اعلان الحرب الكبرى أوفدت السلطنة العثمانية رجلين من أذكى رجالها هما المرحوم مظهر بك سفير تركيا في اديس ابابا . ووالد كاتب هذا المقال الشيخ محمد توفيق رحمه الله مبعوث السلطنة لضم الحبشة الى الجامعة الاسلامية التي كانت تعمل من أجلها السلطنة اذ ذاك

وقامت الحرب وتركيا كما نعرف في صف ألمانيا ، فوقعت في الحبشة حادثات هائلة لم يحن الوقت بعد لافشاء أسرارها — وربما كتبت عنها مؤلفاً عند ما تسمح الظروف — وتمخضت تلك الحادثات باسلام الليدج ياسو سراً ، وبميله إلى الألمان حلفاء الترك . وكانت النية متجهة الى تجهيز حملتين من الحبشة إحداهما تنجد الجيش التركي المحارب في الجزيرة العربية والأخرى لانجاد الجيش الالماني الذي كان يقاتل جيش الجنرال سمطس على حدود كينيا تحت قيادة الجنرال فون ليتوفوربيك

لم يتحقق شيء من هذه الآمال كما نعلم . فان الليدج ياسو لم يلبث أن اختفى من فوق مسرح الحبشة بالسرعة التي ظهر بها وعظم أمره . وانهزم الجنرال فون ليتوفوربيك واندحر الألمان في مستعمراتهم الأفريقية . وظل الترك في الجزيرة العربية يقاتلون وحدهم حتى أفضت ويلات الحرب إلى جلائهم عن بلاد العرب وسوريا قبيل اعلان الهدنة

فما السبب في هذا التغيير المفاجيء في مجرى الحادثات ؟

السبب هو الرأس تفرى ، بمساعدة الحلفاء الذين لمسوا تغلغل النفوذ التركي والألماني في الحبشة فعملوا على إحباطه

فان الليدج ياسو لاحظ على الرأس تفرى أنه لم يعد يوثق باخلاصه برغم تودده اليه وما كان يظهره لجلالته من الصداقة . فاستدعاه الى أديس أبابا وخلعه من حكم ولاية هرر

وترامت الاشاعات إبان ذلك بأن الامبراطور قد أسلم .. فوطد الرأس تفرى العزم على الانتقام والقيام بثورة على مليكه الذي نبذ دين أجداده وقامت الثورة فعلا واتخذت شكل حرب أهلية شعواء بين ملك وامبراطور يؤيده المسلمون ، وأمير مسيحي يؤيده المسيحيون

واتصل الرأس تفرى بنيافة الانبا كيرلس مطران الحبشة لطائفة الأقباط الأرثوذكس وبدعاة الحلفاء في الحبشة ، وعقد من بعض الأعيان النصارى ورجال الجيش برياسة المطران مجلساً في ١٧ سبتمبر سنة ١٩١٦ تقرر فيه خلع الامبراطور الليدج ياسو وتجريده من القابه وحقوقه هو وأسرته في العرش ، وإجلاس الاميرة زاوديتو كريمة منليك على عرش أثيوبيا

ولكن هذا التجريد من حقوق العرش لم يكن في مبدأ الامر الا قراراً نظرياً . فكل الشواهد كانت تدل على أن ثورة الرأس تفرى ستقمع بسهولة

ولكن جيش تفرى أخذ يقوى ويشتد شيئا فشيئا ، والحرب اتخذت شكلا رهيباً ، وظلت

المعارك سجالا بين الخصمين حتى انتهت فى سنة ١٩١٧ بهزيمة جيش اللدج ياسو وانتصار جيش تفرى

ولقد هم الرأس تفرى بقتل غريمه ولكن الرأس كاسا حماه وتعهد لتفرى بأن يسجنه ويحرسه ولا يدعه يفر من الأسر .. فاضطر الرأس تفري للاعتراف بهذه الحماية . وظل اللدج ياسو سجيناً فى قصره مغلولا بسلسلة ذهبية وحول قصره نطاق من حراس الرأس كاسا ، يليه نطاق من جنود الرأس تفرى

ولم يعد الرأس تفرى لولاية هرر بعد ذلك ، فقد كانت له مطامع أعظم من مجرد حكم ولاية حبشية .. وقد تحققت مطامعه عند ما اضطرت الامبراطورة زاوديتو الى الاعتراف به وليا للعهد ووصياً على العرش غداة انتصاره . . فعمل من ذاك الحين على جمع القوة كلها فى يديه واستمال الرؤوس بدهائه وجمع حوله أقطاب أثيوبيا فما بقى منهم الا أمير واحد سرعان ما ساقه الى ميادين الحرب من جديد

أما رجلا تركيا فمات أولها وهو مظهر بك فى هرر بعد مرض قصير . وغادر ثانيهما وهو المرحوم والدى الحبشة سراً حتى لا يبطش به عاهل الحبشة الظافر

ثورة تكاد تذهب بعرش تفرى

وظل نفوذ الرأس تفرى يقوى على مر الأيام

وكلما أضاف لنفسه حقاً جديداً أو سلطة لم تكن فى يديه ، توترت العلاقات بينه وبين الامبراطورة زاوديتو ابنة منليك

وكان التوتر يزداد حدة كلما تذكرت أن رؤوس الحبشة اضطروها الى تطليق زوجها الحبيب الرأس جوكسا عند ما عرضوا عليها تاج أثيوبيا بحجة أنه لا تجرى فى عروقه الدماء الامبراطورية ومن ثم لا يحق له الجلوس على عرش أسد يهوذا . وكان أول مطالب بهذا الطلاق الرأس تفرى الذى اتخذه وسيلة لابعاد الرأس جوكسا ولانفراده هو بالحكم الى جوار الامبراطورة المطلقة

وبلغ التوتر أقصاه عند ما فاجأها الرأس تفرى فى اكتوبر سنة ١٩٢٨ باعلان نفسه ملكا لمملكة « شوا » أعرق الامارات الحبشية فى تقاليد الملك

عند ذاك لم تطق زاوديتو صبراً على هذه الحال واعتزمت المقاومة الجدية ، فاتصلت بزوجها السابق الرأس جوكسا ـ أو على الاقل هذا ما أذاعه الرأس تفرى نفسه ـ وطلبت منه القيام بحركة ثورية .. فأعلن الرأس جوكسا العصيان والثورة . وأصدر منشوراً نادى فيه بوجوب خلع الرأس تفرى واعادة الامبراطور السابق اللدج ياسو الى عرشه

عندئذ أحس الرأس تفرى أن عرش أثيوبيا يتزايل من تحت قدميه .. ولا عجب فها هو ذا

أضخم رؤوس الحبشة يسير الى العاصمة فى جيش كثيف ينادى بخلعه واجلاس غريمه المسلم على العرش

فحاول أولا إغراء الرأس جوكسا بشتى الوعود والمواثيق . ولكن غريمه ظل على عناده ومطالبه ، وأبى أن يعود

فشرع الرأس تفرى عندئذ يجيش جيوشه فى مقاطعة تيجرى فى شمال غربى العاصمة أديس أبابا حتى بلغ عددها مائتى ألف مقاتل . وعين لقيادتها وزير حربية الدجازماتش موالاتشيتا

وسرعان ما زحف عليه جيش الرأس جوكسا من معقله فى إمارة جوندار . . والتقى الجمعان عند بلدة « زبرازبيت » شرق بحيرة تانا

الطائرات فى سماء الحبشة لأول مرة فى التاريخ

كان ذلك فى آخر شهر مارس سنة ١٩٢٩ . وهو يوم مشهود فى تاريخ هيلا سيلاسى المليء بالحروب والكوارث والمفاجآت

فها هو ذا فى قصره فى أديس أبابا يتلهف على أنباء المعركة التى توشك أن تدور رحاها عند بحيرة تانا . والامبراطورة زاوديتو فى قصرها أيضا تدعو الله أن ينصر زوجها الحبيب فيعود اللدج ياسو الى العرش . . اللدج ياسو ابن أختها الذى لم يثبت لديها اسلامه يقينا فهى ما تزال تحسب ان قصة اسلامه من نسج تفرى وحده

وهناك على كثب من « زبرا زبيت » اصطف الجيشان للقتال : أحدهما يقوده وزير حربية الحبشة نائبا عن النجاشى تفرى ، والآخر يقود الرأس جوكسا

والرأس جوكسا واقف فى قلب جيشه وحوله جناحان من أبرع فرسان الحبشة . . وقد أعد للمعركة عشاً بديعاً للمدافع الرشاشه ليحصد به قوات غريمه حصداً . .

ولكن النجاشى تفرى كان قد أعد للمعركة سلاحاً جديداً لم يكد الحبشان يسمعون به أو يرونه . .

أعد لها ثلاث طائرات مطاردة اشتراها من الحكومة الفرنسية سراً واستقدم لها ثلاثة من الطيارين الفرنسيين بقيادة الطيار الفرنسى أندريه ميليه . .

ولم تكد المعركة تدور رحاها حتى حلقت الطائرات في الجو ، ثم غطست على قوات الرأس جوكسا من ارتفاع ثلاثة آلاف قدم ، ملقية قنابلها على جناحى الجيش وقلبه ، وبمدافعها الرشاشة راحت تحصد الفرسان من السماء حصداً . .

ذعر الرأس جوكسا لهذه المفاجأة التى لم تكن منتظرة . . ولم يلبث أن أصيب بقذيفة من مدفع رشاش فسقط فى الميدان صريعا . ولما رأى فرسانه مصرعه وشاهدوا انقضاض الطائرات

عليهم كالصواعق داخلهم الرعب ودب فى قلوبهم الهلع وهموا بالفرار . .

فانتهزها الدجازماتش مولالاتشينا فرصة سانحة للهجوم . . وفى جولة أو جولتين كان العدو قد انهزم وراح يمعن فى الفرار تاركا خلفه عشرة آلاف قتيل . .

ولم يخسر جيش تفرى إلا ثلثمائة مقاتل

وبعد ما انجلت المعركة عن هذه الهزيمة الشنيعة للجيش الثائر ومصرع قائده ، فصل الدجازماتش مولالاتشينى رأس غريمه عن جسدها وسلمها لقائد السرب الفرنسى الذى طار بها بدوره الى أديس أبابا حيث سلمها للنجاشى تفرى فى جمع حاشد من أعيان أديس أبابا ومختلف رءوس الحبشة فاطمأن تفرى وهدأ باله بزوال آخر رأس من أتباع الليدج ياسو والامبراطورة زاوديتو

ومن أغرب المصادفات ان الامبراطورة المسكينة أذيع نبأ وفاتها فى اليوم التالى لهذه المعركة التى أودت بحياة زوجها . . فخلا الجو لتفرى الذى راح يستعد ليتوج ملكا للملوك . وتوج فعلا على ما يذكر القراء فى سلسلة من الحفلات الفخمة حضرها مندوبون من معظم الدول الغربية والشرقية . .

أما الليدج ياسو الذى نادى به الرأس جوكسا أمبراطوراً للحبشة فان هيلاسلاسى قبض عليه من جديد وسجنه فى معتقل بالقرب من هرر ووضعه تحت حراسة طائفة من أخلص جنوده له ، وظل سجيناً حتى هم الايطاليون بغزو الحبشة ، فخشى هيلاسلاسى أن يفك الايطاليون أسره ويضعوه على رأس حملتهم بدعوى انه أمبراطور الحبشة الشرعى . . ويزحفوا به على العاصمة فيضمنوا تأييد أنصاره له . فأخرجه من معتقله وأشيع بعد ذلك انه مات

* * *

وما وقع بعد ذلك من الحادثات ما تزال نذكره جميعاً . فان الايطاليين غزوا الحبشة وألجأوا الامبراطور هيلاسيلاسى الى الفرار ، فضاع من يده العرش الذى جاهد من أجله طوال تلك السنين . .

وها هو ذا الآن يعود الى الحبشة على رأس جيش من الوطنيين تؤيده فصائل من الجيش الانجليزى ليستعيد عرشه من جديد !

م . م . توفيق

المسئول عن هذه الحرب :

بروسيا

لا هتلر ولا المانيا

ليست بروسيا الا ولاية من ولايات ألمانيا الكبرى ، ولكنها تفرض روحها على الشعب الالمانى جميعا ، برغم ان الروح البروسى يناقض الروح الالمانى فى تطورهما التاريخى وفى اتجاههما الحالى

فالشعب البروسى شعب صقلبى انحدر من فيافى آسيا السحيقة ، فان زالت عنه بشرته الرقيقة من الحضارة الغربية تبدى مغوليا عاتيا . وظل هذا الشعب دائبا على وثنيته الاولى أجيالا طويلة الى أن أخذت المسيحية تنفذ اليه فى القرن الثالث عشر رويدا ، ولكن ما زالت تعتريه النكسة من دهر لدهر فيتوق الى وثنيته التى عاش فى حماها هائما فى حياة الكفاح سارحا فى خيال البطولة

اما الشعب الالمانى فمن هذه القبائل التى طواها الرومان فى أطراف امبراطوريتهم ، فأقام حضارته كما أقامتها شعوب أوربا الغربية على أساس الحضارة الاغريقية والرومانية ، واتفق مع الفرنجة فى مملكة واحدة ترامت انحاؤها بين يدى الامبراطور شرلمان ، وخضع خضوع أوربا بأسرها لسيادة روما واستمد منها مثله الدينية أجيالا

واذ كان الشعب البروسى أسيوى النشأة وثنى العقيدة فى بادىء أمره فان قوميته تبدت واتضحت فى عهد لم تتبين فيه شعوب أوربا معنى القومية . أما الشعب الالمانى فلم يكن له من الخصائص ما يميزه من سائر الشعوب التى تعيش فى غرب أوربا وجنوبها مندمجة فى ملك واحد ودين واحد متماثلة فى اللغة والحضارة . ولهذا أبت ـ أو عجزت ـ بروسيا عن ان تتخذ الحضارة الاوربية كما اتخذتها ألمانيا التى أشربت حينا ما الروح الاسبانى فى عهد أسرة هبسبرج وهى من أرومة اسبانية ، وطبعت حينا آخر بالطابع الايطالى عندما كان فن العمارة والمثالة فى ايطاليا يعمر قصور أوربا وهياكلها ، وتمثلت حينا ثالثا بالحضارة الفرنسية عندما كان كل أمير أوربى يتأثر لويس الرابع عشر فى حياته الباذخة وتنقل مجتمعات أوربا عن بلاط فرساى العظيم

فالفارق بين بروسيا وألمانيا هو الفارق بين آسيا وأوربا . فارق نشأ من الاصل والبيئة ونما على مر التاريخ . فكان لكل منهما فلسفة للحياة خاصة به وطراز من الحضارة يخالف

طراز الاخرى . فالالماني - كالفرنسي أو الانجليزي - يريد ان يحيا حياة هادئة ينصرف فيها الى الارض يزرعها ويأكل منها ، ويتوق الى البيت الوادع والاسرة المستقرة ، ويحب أن يجمل نفسه بالكتاب يطالعه وبالموسيقى يستمعها وبالصديق يحادثه ويزامله ، عازفا عن النضال والنزاع نافرا من القسوة والسطوة ، ما دامت الحياة تجرى آمنة رضية . اما البروسي - هذا المغولى التترى - فالحياة المثلى التى ينشدها هى حياته الاولى وسط الآجام والادغال وعلى العقائد الوثنية البدائية ، هى حياة « الملاحم » التى تمجد العنف والقسوة وتعيش فى جو الرعب والرهبة وتستسلم لقوى الكفاح والاستماتة . ذلك ان عقيدته ان المرء خلق للكفاح والنضال ، فدعة السلم تناقض فطرة الحياة وتفسد طبيعة الانسان ، أما وقدة الحرب فتذكى جذوة الحياة وتنمى قوى أبنائها . واذن فليس للوجود من معنى ووجهة الا سيادة قوم وهوان أقوام ، وفى سبيل هذا يستباح الدم المسفوح وتستحل السهام والنيران

هذا الروح البروسي العنيف العاتى ، الطامح الجامح ، هو الذى يثير الحرب فى أوربا من حين الى حين

لم تستطع بروسيا بادىء الامر ان تلتئم مع ألمانيا فى وحدة كبرى عندما أخذت أوربا تنقسم شعوبا متنافسة متناحرة . فأدى هذا الى أن ينشأ بينهما من النزاع والنضال ما أوقد نار الحرب بين أمرائهما دهرا طويلا كانت فيه بروسيا غالبا فى موقف المهاجم وألمانيا فى موقف المدافع . ثم توفق الفرسان الالمان فى القرن الثالث عشر الى غزو بروسيا وبسط سيادتهم عليها ، فأبدلوا وثنيتها بالدين المسيحى وأخذوا يشربونها قهرا الحضارة الاوربية . ولكن بروسيا التى خلقت للسطوة وللكفاح أبت ان تذعن لهذا المصير فترضى بأن تكون ولاية مجردة من السيادة والنفوذ ، بل أخذت تعد نفسها بالجيش والسلاح حتى غدت فى عهد فردريك الاكبر أقوى الامارات الالمانية وأحقها بالسيطرة عليها جميعا . وقد تحقق لها ذلك على يد بطلها العظيم بسمارك الذى اتخذ من الحديد والدم وسيلة الى بسط كلمة بروسيا على أرجاء ألمانيا كلها

ومن يقرأ آراء بسمارك ويعرض تاريخ سياسته يتبين هذا الروح البروسي واضحا . فالشعب عنده لا يستطيع ان يبنى مجدا أو يصيب هدفا وانما الملك العظيم أو الزعيم الكبير هو الذى يشيد الامجاد ويرفع الرؤوس . أما هذه الدساتير والمجالس النيابية فعبث يدل على جنوح الامم الى الدعة والتراخى اذ تتوهم ان فى سفسطة الخطباء والفقهاء ما يجديها نفعا أو يبلغها أملا . وهو يتساءل : « أهذه المشاكل العظيمة التى تعرض للشعوب تحلها الخطب البليغة وأغلبية الاصوات اذا نحن جردنا انفسنا من الحديد وضننا بالدماء ؟ وهل ثمة مبادىء وأخلاق يصح ان نبقيها قائمة اذ هى عاقت طريقنا الى المجد والسيادة والنفوذ ؟ »

ولهذا خاض هذا البروسي العبقرى - بسمارك - حربا اثر حرب حتى حقق لبروسيا

ما اراوته منذ عهد بعيد من السيطرة على الشعب الالمانى . وكان تحقيق هذه الارادة ـ لقسوة القدر ! ـ فى قصر فرساى بفرنسا التى دحرت أمام جيوشه الجارفة ، فجمع فيه أمراء ألمانيا وقوادها فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ وأعلن الوحدة الالمانية تحت امرة بروسيا

ومنذ أن سيطرت بروسيا على ألمانيا لم تنفك الحروب تثور فى أوربا حينا بعد حين ، ذلك ان رغبة هذا الشعب القوى المناضل لا تقف عند حد من حدود الامم والشعوب ، فلا يكفيه ان يسيطر على امارات ألمانيا كما كان أمره فى عهد فردريك الاكبر ، بل يطمح الى ان يسود شعوب أوربا كلها كما فكر فى ذلك فى عهد بسمارك ثم سعى اليه فى عهد غليوم الثانى ، وقد يجمح به الامر ـ كما يبدو فى عهد هتلر ـ فيتوق الى أن يحقق سلطانه ويبث نفوذه على ربوع العالم جميعا . والقوة الفعالة فى جميع هذه العهود ليست قوة الملوك والزعماء والقواد ، وانما قوة الشعب البروسى الذى ركز همه فى جميع أدوار تاريخه فى الجيش والحرب وفى الفتح والسيطرة

لقد عاش الشعب البروسى فى أوربا منذ عهد سحيق ، ودان بالمسيحية منذ سبعة قرون ، ولكنه ما زال يحن حتى اليوم الى العودة الى حياته البادية الفطرية وديانته الوثنية الاولى . فكان ثمة حركات فكرية شتى ترمى الى انقاذ ألمانيا ـ أو بروسيا على الاصح ـ مما تستهدف له من أخطار الحضارة الاوربية . وقد ساهم فى هذه الحركة جماعة البارزين من فلاسفتها وفنانيها ، حتى بلغت أقصاها فى كتب نيتشة وموسيقى واجنر . ففلسفة نيتشة تقوم على تسفيه الدين المسيحى والحضارة الاوربية وتنادى بشريعة القوة والكفاح والسيادة ، وفن واجنر يتلخص فى تمجيد الحياة البروسية الاولى ، حياة الآلهة المتحاربين والابطال المتناضلين والمردة الجبابرة والشياطين الاشداء !..

وتتلخص الفلسفة التى سيطرت على التفكير البروسى ووجهة السياسية البروسية فى نقطتين بارزتين : تمجيد الحرب وتمجيد الدولة

سأل امبراطور روما « جوليان » زعيم هذه القبائل التيتونية التى انحدر منها الشعب البروسى عما يدعوهم دائما الى التأهب للحرب واثارتها فأجابه : « انا نرى فى الحرب أقصى سعادة فى الحياة » . وفردريك الاكبر يقول : « ان الحرب هى الحرفة القومية فى بروسيا » وذكر فولتير ان فردريك قال له مفاخرا : « ان الحرب ثارت فى عهده مرة كل عشر سنوات ، وانه يعتقد انها ستظل تنشب هكذا أبدا » والقائد فون مولتكة يقول : « ان الحرب احدى عوامل الخطة الالهية لتنظيم العالم ، فلولاها لغرق البشر فى المادية الآثمة » ومن أقوال بسمارك الحافلة بكلمات الدم والنار والحديد قوله : « ان لم تكن المطرقة التى تهوى بالضربات فلا بد أن تكون السندان الذى يتلقى الضربات » ، وقوله : « ان الحروب ليست الا أوراقا حديدية تتساقط من يد الاله الذى يحب ابناءه، وليست هذه الاوراق الا السيوف والنيران » وكان اذا انتهى من سماع خطيب أو قراءة كتاب يقول : « الرصاص خير من اللسان والقلم »

وهتلر يتحدث عن « خطر الحرب ومرحها » وكيف يمتزجان معا فيجعلان لحياة المرء قيمة ولمكانة الشعب رفعة . ولكن ما بال هذا الرجل يتحدث هكذا وهو نمسوى لا بروسى؟ ذلك انه يعبر عن الشعب البروسى القابض على زمام الحياة الالمانية ، الموجه تيار التفكير الالمانى ، فلا بد له من ان يمجد الحرب وينكر السلم ، ومن أن يسرف فى هذا أسراف الدخيل الذى يتعصب ويغلو ، ليثبت انه ليس بأقل من الاصيل اخلاصا وايمانا . وهو لهذا يقول : « ان الحرب أبدية ، فكانت نارها موقدة منذ الابد ، وستظل نارها مشبوبة منذ الابد ، الحرب هى الحياة ، هى منشأ كل شىء فى الوجود »

وهكذا يتركز التفكير البروسى فى الحرب ، وهكذا يمجد الشعب البروسى روح الحرب . نعم ، ان البروسى يدين بالمسيحية التى قال رسولها محذرا : « من يمتشق السيف مقاتلا سيهلك بالسيف » ولكنه يدين كذلك بدين آخر خلاصته أن أقصى مايريده المرء من الشرف ان تنتهى حياته على نصل السيف ، ذلك ان الحرب هى التى تفصل فى أمر الفرد وأمر الشعب ، فتقضى على أحدهما بالفناء وتكتب لاحدهما الحياة المجددة

ان الحرب عند البروسى ليست مجرد صراع بين الشعوب وصدام بين الجيوش ، بل هى حركة دائمة لا تقف رحاها ولا تخمد نارها أبدا ، سواء فى وقت السلم أو وقت القتال وانما تتخذ الحرب صورا شتى وفق مختلف الظروف ، فهى تتخذ حينا ما صورة «السياسة» التى يسندها الجنود ويؤيدها السلاح ، وتتخذ حينا آخر صورة « القتال » الذى تتعارك فيه الجيوش وتراق فيه الدماء . ولهذا أنصف الناس حين سموا سياسة ألمانيا ــ أو بروسيا على الاصح ــ « بالسياسة المسلحة » ذلك انها ليست الا حربا تعبأ فيها القوى وتصف فيها الجيوش ، ولكنها تقف ساكنة متربصة حتى ينتهى الساسة من مهمتهم فيتولاها عنهم الجنود فى ميدان القتال ! ولهذا يقول أحد مفكرى ألمانيا ــ كلوزفيتز ــ ان الحرب ليست الا تكملة للسياسة . ولهذا كانت سياسة بروسيا قائمة على الاسس التى تقوم عليها الحرب ، فالبروسى لا يستبيح « الخدعة » فى الحرب وحدها شأن سائر الشعوب بل ينفرد بتطبيقها فى السياسة كذلك ، ووقت السلم عنده لا يختلف عن وقت الحرب من حيث استخدام « الدعاية » التى تحطم قوى أعدائه وتفكك وحدة خصومه

هذا عن تمجيد الحرب، أما عن تمجيد الدولة فيمكن ان نستخلصه من أقوال زعماء بروسيا ومفكريها . فمنذ القدم قال متخبها الاعظم فردريك : « ان الحرب تكون خيرة صالحة اذا اثيرت لتزيد من هيبة الدول وتحقق غرضها » . ومع ان هذا الرجل وضع كتابا ينكر فيه آراء مكيافيلى ويسفه وسائله الا انه اعتدى على سيليسيا على حين غرة وضمها الى أملاكه قائلا : انه يفعل ذلك لانه « يضيف به شيئا جديدا الى مكانة بروسيا وقوتها » . والقائد فون تريتشكه يقول : « انه لرجل احمق وانه لشعب زرى ذلك الذى يملك من القوة ما يضرب به عدوه ويقهره ثم يحجم عن ذلك لان الحق يمنعه او الخلق يصده » . وهذا شبيه بماقاله هتلر لرئيس مجلس الشيوخ فى دانزج من انه « لا يسمح لضميره ان

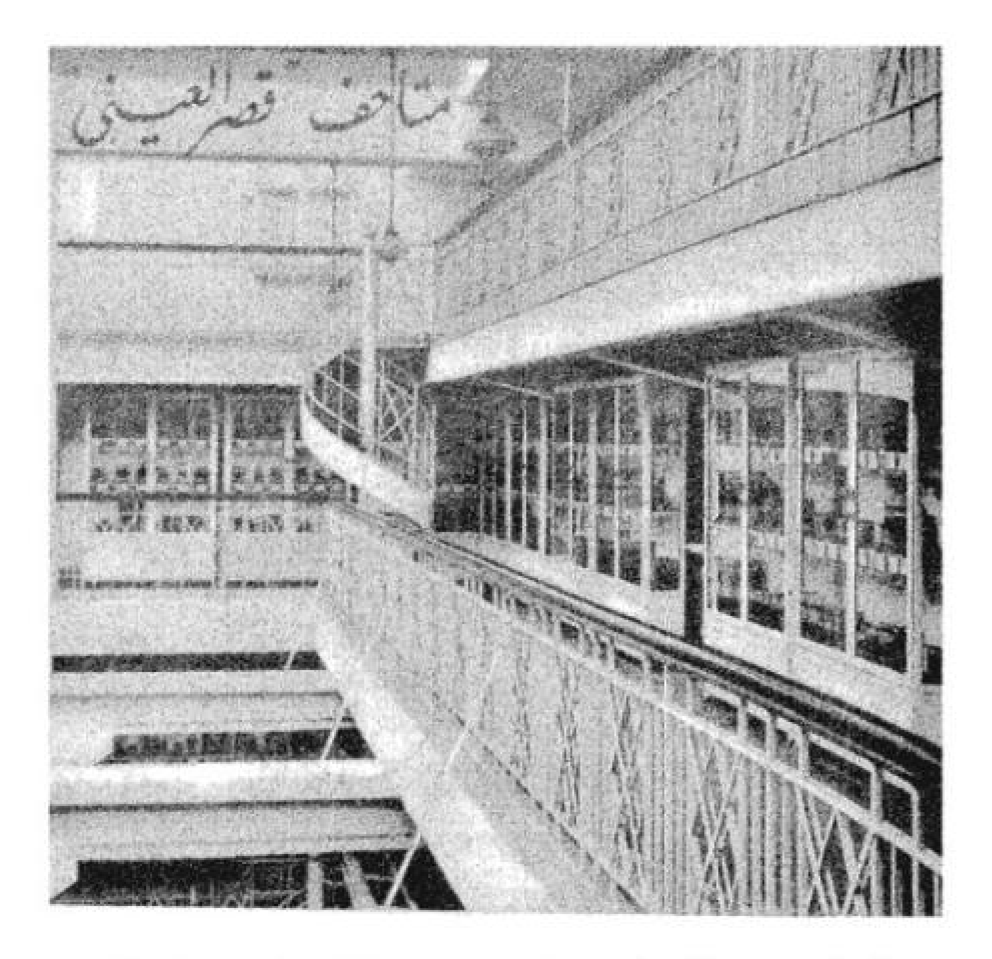
يصده عن نقض ما تعهد به وتنفيذ ما قر عليه رأيه » والفيلسوف فيخته يقول : « ليس بين الدول ما اسمه الحق والباطل ، وانما بينها فاصل واحد هو القوة والضعف » . وبسمارك يقول : « الاساس الوطيد الراسخ للدول العظيمة ليست المثل الخيالية وانما الانانية القومية» . والبروسيون على كل رذائلهم ومساوئهم يمتازون بفضيلة الصراحة التى تبلغ بهم مبلغ الحمق والتوقح ، كما يبدو من هذه الكلمة التى ألقاها المستشار فون بيلو فى سنة ١٩٠٠ فى الريشستاغ وهى : « لست أرانى متحرجا من أن أعلن على ملأ العالم جميعا أن ألمانيا لا تريد أن تتخذ الحق حكما عليها وإن تجعل منه عاملا نافذا فى حياتها »

والخلاصة ان بروسيا ـ لا ألمانيا ـ هى التى ترغب فى السيطرة والسيادة وتجنح الى السطوة والعدوان ، وهى التى لا تنفك تفترى الباطل على خصومها وتنكث الوعود مع حلفائها ، وهى التى لا تتحرج من اعلان كراهتها للسلم وانكارها للحرية ورغبتها فى الحرب ورضاها بالحاكم العاتى . وانما جريرة ألمانيا انها ألقت زمامها الى بروسيا عنوة أو عن رضى ، فمن الحق والنصفة ان يوجه الساسة همهم الى هذا الشعب البروسى فيخلصون ألمانيا من بين نواجذه ويعيدونها بذلك الى ساحة الحضارة الغربية التى أتخذتها منذ القدم واضافت اليها شيئا عظيما . وهذه هى الغاية التى أخفقت الحرب الكبرى الاولى فى اصابتها اذ لم يوفق الساسة الذين وضعوا الهدنة فى ان يفرقوا بين بروسيا وألمانيا ، فأخذوا الثانية بجريرة الاولى ، فهل يفوت الساسة المعاصرين عندما تضع هذه الحرب وزرها ان يقصروا همهم على اطفاء الجذوة التى توقد نار الحرب فى أوربا حينا بعد حين ، وما هذه الجذوة الا بروسيا التى تعد ألمانيا ذاتها احدى ضحاياها !..

ح . غ .

إذا شئت أن تحيا سليما

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت اليك معايباً ... فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتى هى أحسن



الجزء العلوى من متحف الدكتور نجيب محفوظ باشا . وقد بدت فيه الخزانات الزجاجية مملوءة بنماذج الحالات النادرة المختلفة

من أثمن وأندر المتاحف الطبية فى العالم

من بين المتاحف العالمية الثمينة متاحف مستشفى « قصر العينى » التى لها مكانة خاصة بين المتاحف الطبية فى العالم كله . والتى هى لهذا السبب كعبة القصاد من كبار الأطباء العالمين لمشاهدة « الحالات » النادرة المتنوعة التى تضمها فروعها المتعددة

والغرض الذى أعدت هذه المتاحف من أجله ، هو أن يستعين طلبة كلية الطب بمحتوياتها فى دراساتهم العملية . فليست هذه المحتويات الا نماذج طبيعية ـ لا تماثيل ـ لمختلف « الحالات » الجسمية الشاذة والعمليات الجراحية النادرة التى يقوم بها كبار أطباء المستشفى ، كل فى الفرع الذى تخصص لدراسته

هتاف الفنـــاء

قصة مصرية

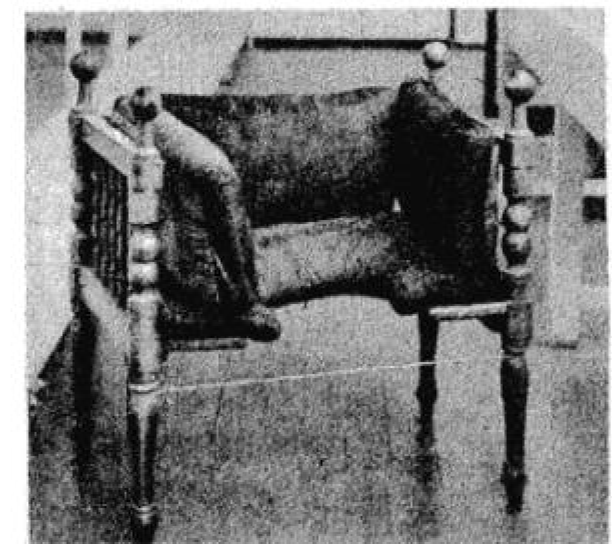
بقلم الاستاذ محمود تيمور بك

لا أدري لماذا عملت بنصيحة هؤلاء الاطباء الاغبياء ، وجئت الى هنا في الريف . كنت أحسن حالا حينما كنت في مصر . لقد أكدوا لي أن بضعة أيام أقضيها في الضيعة كافية لان تعيد الى صحتي . فالذي أشكو منه ليس الا ضعفا عصبيا نتيجة للحمى الشديدة التي انتابتني وكادت تقضي علي . فالراحة والرياضة البسيطة في الشمس والهواء الطلق والغذاء الصحي هو علاجي الوحيد . هذيان ! هذيان ! من أين لي بالراحة وهذه البومة تنعق بجوار نافذتي ؟ لم أسمع للبومة قبل اليوم صوتا في هذه الساعة . اني أرتجف عند سماعي لها وهي تلح في نعيقها كأنها تعلن للناس خبر كارثة على وشك الوقوع . عملت المستحيل لانحيها بعيدا عن مسمعي فلم أفلح . انها رابضة فوق رأسي ربوض الفناء فوق رأس المحتضر ! والهواء الطلق ، أين هو ؟ لقد مررت ـ وأنا آت بالعربة من المحطة الى الدار ـ على مستنقعات ملأى بالجيف المتفخة تتصاعد منها أبخرة حارة كريهة . لن أنسى مطلقا منظر احداها . كانت جثة طافية على سطح الماء ، أتكون حقا جثة لحيوان ؟ انها شديدة الشبه بامرأة حبلى متفخة السيقان . امرأة بلا رأس . أشعر بضيق تنفسي . يخيل لي ان حول الدار جيفا شبيهة بتلك متراصة بعضها فوق بعض تحيط به وتحاصره . ما أقبح رائحتها ! نبضي مائة في الدقيقة .. سأحاول تهدئة نفسي .. ولكن النبض يتزايد ، وأخشى ان يقف قلبي دفعة واحدة . لقد حدثوني حينما كنت صغيرا ان أبي مات فجأة وهو يصلي . كنت اذ ذاك في الرابعة من عمري . ولا أذكره الا في ساعته الاخيرة . رأيته محمولا ، وكان وجهه ممتقعا وأمي خلفه تبكي وتصرخ . فما ان وقع بصري على هذا المنظر حتى هربت . جريت وأنا أرتعش وارتميت في أحضان مرضعتي وأنا أخفي وجهي في صدرها وأشهق ... البومة ما زالت تنعق في اصرار عجيب ! انها تقطع علي سلسلة أفكاري . ألا يوجد في الدار بندقية تقضي على ما بقي لحياة هذه البومة من أيام ؟

***

الايام مجدة في السير ، وحالتي تزداد سوءا . أصبحت أخلاقي لا تطاق وتصرفاتي عجيبة الى درجة الشذوذ . بهذا سمعتهم يهمسون . لا أنكر أني أكلف زوجتي بعض

ثلاثة أجنة داخل جسم سيدة ماتت بمرض لا علاقة له بالحمل ، وحفظت أجنتها فى جسمها بمتحف أمراض النساء ، وترى كلا من الأجنة الثلاثة كامل التكوين



ومن أعجب هذه المتاحف وأغناها متحف « أمراض النساء » الذى يقول كل من زاره من الأطباء العالميين إنه متحف لا مثيل له . وقد أهداه الى المستشفى كبير أطباء هذا الفن فى مصر الدكتور نجيب محفوظ باشا منذ عشر سنوات تقريباً . وكل معروضاته عبارة عن نماذج طبيعية استخلصها الدكتور نجيب باشا من عملياته المختلفة ، سواء فى مستشفى قصر العينى أو فى

الاحيان بأمور مرهقة . أقول بعض الاحيان لا على الدوام ، ولكن علام التذمر . انها زوجتى ويجب ان تشاطرنى آلامى . أتريد منى ان أقضى الليل وحيدا أتقلب على فراشى وليس بجانبى أحد يسهر على راحتى . انى أكره الظلام ولا أستطيع النوم والمصباح مطفأ . أريدها دائما بجوارى فاذا شعرت بالوحدة مددت يدى أتحسسها .. أنا لست خائفا ، انه لشىء مضحك ومخجل ان أفكر فى هذا . مم أخاف ؟ لا يوجد شىء فى العالم يخيفنى ، ومع ذلك فأنا أرتعش

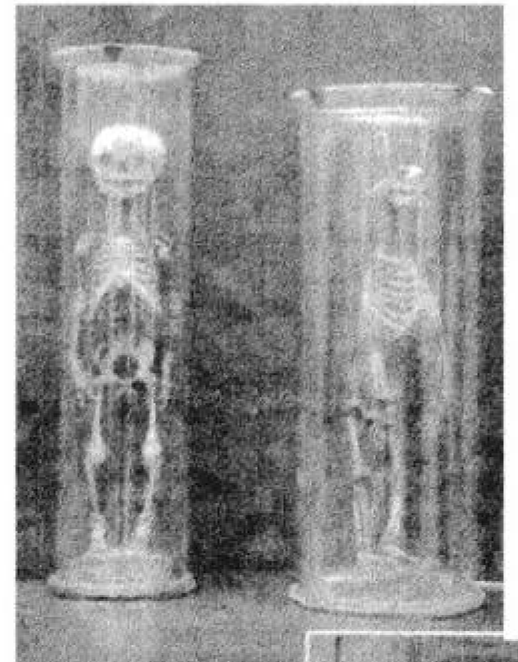
لم يغمض جفنى بعد . المكان هادىء ولكنه هدوء يقلقنى . أتوجد أنفاس أخرى تتردد فى الغرفة غير أنفاسى وأنفاس زوجتى ؟ هذا ما لا أستطيع ان أجزم به . أحس أن هناك أصواتا كالهمس كفحيح الثعابين ، لا يبعد ان يكون فى الحجرة ثعابين فى هذا الوقت .. أم هناك كائنات غير منظورة تسبح فى جو المكان ..؟ كائنات لها أجنحة كالخفافيش ..

لقد هززت زوجتى هزا عنيفا حتى استيقظت ، كم كانت بليدة فى نومها . وقضينا وقتا طويلا ونحن نبحث تحت السرير والمقاعد وفى جميع الاركان . لقد قلبنا الاثاث كله رأسا على عقب . ثم ارتأت زوجتى ان تطلق البخور لتطرد الارواح الشريرة ، فضحكت من فعلتها وأنا أعيرها بالجهل ...

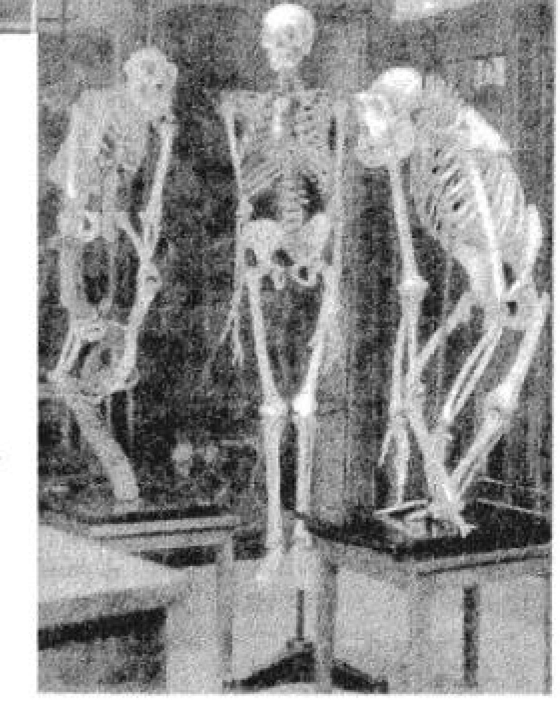
***

كيف يجوز للشعراء المجانين ان يتغنوا بجمال الريف . أين هذا الجمال ؟ انى أبحث عن جزء ضئيل منه منذ قدومى الى هذا المكان فلا أجد شيئا ... الخراب يحيط بى من كل جانب . صار لى الآن ما يقرب من الساعة وأنا ممدد فى الشرفة . ان ضوء الشمس لا يطاق . أشعر كأن بصرى يفقد من قوته ، فأضطر الى اغماض جفنى . أسمع منذ لحظة طائرا يصفق بجناحيه ولكنى لا أراه .. أثمة طائر محبوس يحاول الخروج فلا يقدر . تصفيق أجنحته مستمر ، أشعر بمحاولاته العقيمة للفرار من محبسه . انه يثير أعصابى بهذه الحركة الدائبة

الخادم يؤكد لى انه ليس ثمة طائر محبوس فى المنزل . الكل يؤكدون لى ذلك أيضا ، ولكنى ما زلت أسمع أجنحته تصفق ... يا لله ! أكاد أختنق ... يخيل لى أن الطائر قريب منى جدا... أيكون مختبئا فى ملابسى . ان جزء جلبابى الذى فوق صدرى يتحرك حركة غير عادية ... قلبى ... قلبى ... ينبض ١٣٠ فى الدقيقة... وظهرت البومة فى هذه اللحظة ووقفت على حاجز الشرفة . انها لجرأة غريبة منها... لقد بدأت تصوت وهى ترمقنى بنظرها الثابت الحاد . ان نظراتها أشد قسوة من صوتها . أشعر كأنها تخترق شغاف قلبى وتكشف عن أسرارى . وهذه الابتسامة الكريهة المرتسمة على منقارها الاعقف... انها تسخر منى . أف... لم أكره فى حياتى شيئا كرهى لهذه البومة ، لقد أخذت حجرا كان فى متناول يدى وسرعان ما قذفتها به ، ولكنى أخطأت المرمى فطارت الى شجرة ليست بعيدة عنى وعادت الى تحديقها الساخر ونعيقها المفزع...



هيكلان لطفلين حديثي الولادة حفظا داخل مخبارين من الزجاج . والهيكل الأيمن لطفل شاذ التكوين وقد ظهر انحدار قفصه العظمى وكتفيه مما أطال ذراعيه وجعله أقرب شبهاً للقرد منه للانسان . أما الهيكل الثاني فهو لطفل تام التكوين سليم العظام



وهذه ثلاثة من هياكل عظمية : أولها من اليمين لقرد من نوع الغوريلا ، وثانيها لانسان ، وثالثها لقرد من نوع الشمبانزي . وعلى هذه الهياكل الثلاثة يدرس الطلبة الفروق بين الهيكل العظمى للانسان وبين هياكل القردة

لا يمكنني احتمال هذا. سآتي بندقية ولو كلفني ثمنها أن أنزل عن كل ما معي ... ان نبضي يكاد يكون عاديا. لقد هبط من ١٣٠ الى ٨٠ !

***

أتراني قد ظلمت هذه السيدة التي أدعوها زوجتي باحضارها معي الى الريف . ليس لها أي متعة في هذا المكان الخرب الموحش. انها لا تتذمر ولكن وجهها ينطق بالشكاية الصامتة ومع ذلك تراها مستسلمة ، وتبالغ في تدليلي وتمريضي. مسكينة هذه المخلوقة. ربما صارت أرملة عن قريب !.. أرملة ؟ لا أدري لماذا نطقت بهذه الكلمة . وأي وحي أوحاها لي... ولكن لم تكون مسكينة وهي أرملة ؟ أليس في موتي راحة وسعادة لها ؟!

ما أكبر الانقلاب الذي اعتراها. ما زلت أذكر يوم رأيتها أول مرة . كانت أمام دارها تتحدث وتتماجن مع رفقة من صويحباتها . ولم تكن قد تعدت السادسة عشرة . وكنت قد أتيت في زيارة لابيها. وتقدمت الى وابتسامة الشباب المملوءة حياة وآمالا تلتمع على وجهها. وذهبت بي حيث كان والدها وتبادلت معها بعض الكلمات - كلمات غاية في السخافة ، ولكنها كانت بديعة رائعة عندي جعلت أستعيدها طول اليوم ... وبعد عامين من هذا التاريخ زفت هذه الفتاة الى... وها قد مضت عشرة أعوام على زواجي منها . عشرة أعوام عشتها كبقية الناس أو بالاحرى كبقية هذه الدواب الآدمية التي تسير في القطيع مطأطئة الرأس ذليلة . والآن أتلفت حولي فأجد زهرة الامس اليانعة المشرقة أصبحت عودا جافا مشققا يتهشم على مهل . يا للاصفرار الذي يعلو الآن وجنتيها ! ويا لهذه الابتسامة الفظيعة التي تلفظها شفتاها ! انها ابتسامة كريهة لا أستطيع النظر اليها . أتكفي عشرة أعوام لتحويل هذه الصبية النضرة الى عجوز ينتظرها القبر بفارغ الصبر ؟ أأكون أنا المسئول عن كل هذا ؟ يا الهي اني لاشعر بعطف عظيم نحوها . اني أحييها في تمجيد وتعظيم كبطلة من أبطال الانسانية ... ولكن لم كل هذا ؟ وأنا.. ألست أستحق من نفسي قبل كل شيء هذا العطف وهذا التمجيد ؟ أنا الذي احتملت هذه الحياة السخيفة المضنية في هذه الدنيا الموبوءة المجدبة

***

انها ليلة كريهة. لا أستطيع أن أغمض فيها عيني لحظة: لقد أمضيت قبلها ثلاث ليال متواليات وأنا قلق. أتقلب على فراشي والنوم بعيد عني. وفي مصر ، قضيت أيضا ليالي بأسرها وعيناي مفتوحتان أدور بهما في الظلام أطلب الهدوء لروحي والراحة لجسمي. ولكن هيهات ! أما هذه الليلة فيخيل لي أنها أشد ليالي هولا. نور المصباح ضعيف وزجاجه كدر . لا بد من استبدال آخر به ، أكبر وأنظف.. بدأت البومة تنعق. ولكن الحقير نفذ ارادتي فعاجلها بطلقة أردتها قتيلة. أشعر بشيء من الراحة... لقد مرت ساعتان على قتلها فازداد الليل صمتا وكآبة !.. أشعر بحنين غريب لسماع صوتها ! وكلما فكرت فيها وهي الآن ملقاة تحت نافذتي وعيناها مفتوحتان أحس ببرودة في بدني. متى يلقونها

مستشفاه الخاص وفى غيره من المستشفيات

وأهم ما يحويه هذا المتحف العجيب مجموعة من الاجنة مختلفة الاحجام والاعمار موضوعة فى أوعية بللورية مملوءة بالسوائل الكيمياوية التي تحفظ لها حيويتها لتظل فى الحالة التى نزلت بها من بطون أمهاتها اللواتى أجهضن أو متن لسبب من الاسباب. وكلها موضوعة بترتيب أعمارها ، من عشرة أيام فصاعداً ، بشكل يبين تطور الجنين فى بطن أمه حتى يكتمل

والى جانب هذه المجموعة النادرة مجموعة أخرى أندر منها وأثمن ، لأنها تحوى بضع عشرات من الأجنة الشاذة

* * *

ومن متاحف قصر العينى الغنية متحف التشريح . وهو عدة مجموعات من أجزاء الجسم المختلفة ليستعين بها الطلبة فى درس التشريح ، فضلا عن كثير من الحالات الشاذة التى كشف عنها التشريح



ساق موميا لأحد قدماء المصريين ، وقد ظهر من فحصها أنهم كانوا يلجأون فى حالة كسر عظمة الساق الى وضع الساق بين تجويف غلاف فرع شجرة ولفها بالكتان حتى يجبر الكسر

بعيدا عن المنزل. لقد اضطررت الى ان أضيف لحافا آخر فوق غطائي . أأكون محموما أم بدأ طقس الليل يبرد

قضيت اليوم كله وأنا منتظر ما فعله الخادم بالبومة ... ها قد حضر . لقد صدع بما طلبته منه. أحضرها لى محنطة وقد وقفها على حاجز الشرفة وثبتها عليه . لم يفقدها الموت شيئا. يخيل لى أنها على وشك الصياح... سأعمل لها صندوقا من الزجاج وسأحتفظ بها دائما عندى. لقد أمرت الخادم أن يأخذها وبعنى بلفها فى خرق نظيفة ويضعها فى مكان مأمون . لا أريد أن تأكلها القطط أو تشوهها الفيران

الليل بدأ يسحب رداءه الثقيل على القرية . أسمع أصوات بعض الفلاحين وهم يتشاحنون . ثم أذان المغرب. ثم كان صمت.صمت.صمت. أكاد أجن من هذا السكون. ألا توجد ضفادع أو صراصير تبعث فى هذا الجو الميت شيئا من الحركة ؟

فظيع أن يقضى الانسان الحى أيامه فى غياهب هذا المكان كما تقضى الجثة الهامدة أيامها فى غياهب القبر

لقد طلبت البومة فأحضروها لى. ووضعوها فى ركن من أركان الغرفة. انها مستقرة بهدوء فى خرقها كطفل نائم مستقر فى لفائفه يحلم أحلامه الذهبية... زوجتى تقول ان رائحتها لا تطاق ، ولكنى على العكس أستطيب هذه الرائحة . أشعر بهدوء غريب يشملنى ورغبة ملحة فى النوم

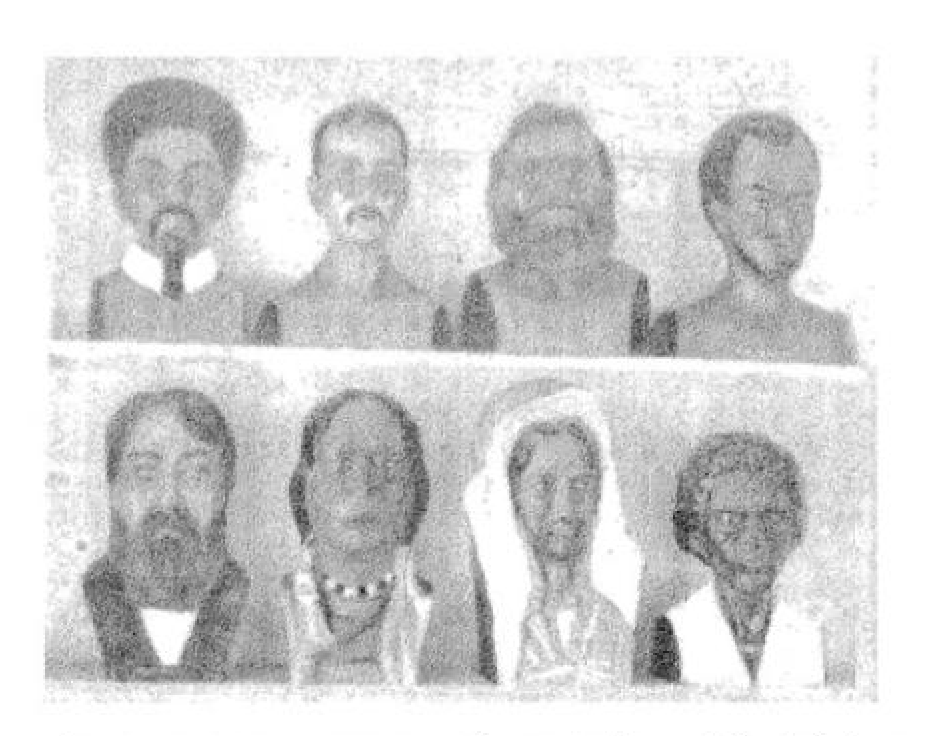
أستطيع أن أقرر أننى أهدأ حالا من قبل. قضيت الساعات الطوال صامتا أفكر . فى أى شىء ؟ فى مصائر الناس وأحوال هذا الوجود العجيب. أهناك فرق كبير بين أعظم رجل فى العالم وبين هذه البومة المكفنة فى لفائفها !.. منذ أيام أردت أن أصلى ، وما ان بدأت قراءة الفاتحة حتى مرت بخاطرى صورة أبى وهو مطروح بلا حراك على سجادة الصلاة ، فلم أستطع اتمام صلاتى ، واليوم صليت صلاة طويلة والطمأنينة تغمر نفسى . واشعر بأنى قد اتصلت بالله وقد استغفرته كثيرا من خطاياى

***

اليوم وأنا أقلب أشيائى عثرت على « الزجاجة الصفراء الصغيرة » . كيف ؟! من وضعها فى الحقيبة قبل سفرى الى هنا . انها ملفوفة فى عناية غريبة ... لا يستطيع أحد أن يلف القوارير هذا اللف المحكم غيرى ... انى أطيل فيها النظر.. هرعت الى زوجتى. أريد أن أسألها عمن وضع هذه الزجاجة فى حقيبتى ، ولكننى ما كدت أفتح فمى حتى أطبقته ثانيا وعدت أدراجى الى حجرتى وأنا صامت أفكر

أحكمت اقفال الباب، ووضعت الزجاجة على المائدة بالقرب من البومة المحنطة.واعتمدت برأسى على يدى وأطلقت العنان لافكارى ...

لقد أكلت الظهر بشهية أدهشت زوجتى . وكنت فرحا أحدثها بمختلف الاحاديث



مجموعة مكونة من ثمانية رءوس لأشخاص مختلفي الأجناس للمقارنة بينها وقد ظهر في الصف الاعلى من اليمين إلى اليسار : أسود من كينيا ، أسترالي ، أسيوى من اللابو ، صيني . وفي الصف الثاني من اليمين الى اليسار : أفريقي ، عربي ، هندى ، روسى

«فهذه مجموعة من الاذرع والاقدام والرؤوس الطبيعية لأشخاص توفوا فنزع من فوقها الجلد حتى يظهر تركيب عضلات الجسم وأليافه والتفافها ، وتلك مجموعة من الهياكل العظمية تشرح الاختلاف الكبير بين الهيكل البشرى والحيوانى ، وهذه مجموعة ثالثة للآذان والأنوف ومختلف أجزاء الجسم وقد نزع عنها الجلد لاظهار تلافيف اللحم على العظام

* * *

وثمة متحف ثالث ، وهو متحف الطب الشرعي ، وبه مئات « الحالات » التى كشفها الطب الشرعي وهى عبارة عن مجموعة أجزاء مختلفة من جسم الانسان موضوعة هى الأخرى فى أوعية زجاجية بطريقة تضمن حيويتها . فهنا ساق طفل دهسها الترام فظهر ما فعلته بها عجلاته ، وهناك رأس قروى قتل بطلق نارى على مسافة أقل من متر فظهرت به آثار الرش والكبسول ، وفى مكان آخر مجموعة من الأطفال حديثي الولادة قتلتهم أمهاتهم للتخلص من عارهم

وهناك عدا هذا وذاك مجموعة أخرى من أجزاء الجسم ، وعلى الأخص الرءوس ، كل منها

وأماجنها بفكاهات ونوادر. يحق لها ان تعجب من كل هذا. انها تستبشر وتقول : ان صحتى تتقدم فى اطراد

وقبل المغرب بقليل حمل الى الخادم « الكلب » الذى أوصيته باحضاره . كلب قد أنهكته الشيخوخة وطحنه المرض . جسمه متآكل كأنه مصاب بجرب ولا شعر يغطى جلده المشقق

أف لهذه الجيفة المتحركة ! انه مطروح أمامى يتنفس فى جهد ولكنه يرفع رأسه ويشم الهواء ويحاول ان يبصبص بذنبه . وعيناه الكدرتان النصف المقفلتين تستجديان شيئا ، ما هو ؟ أيكون طعاما يشبع معدته الخاوية ؟ أم دواء يخفف من آلامه المبرحة . اذا قدر لهذا الحيوان أن ينطق فماذا يجيب لو سألته عن الموت . وهل يفضله على حياته هذه ؟!

كنت أريد أن أوثق أقدامه ، ولكنه من الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة . فضلا عن انه مطمئن لوجودى ينظر الى دائما بهاتين العينين المستجديتين . صبرا يا صديقى. ولكن لا تعبنى بهذا الاستجداء الممض . انى أكره الشحاذين. لقد فتحت الزجاجة الصفراء فتصاعدت منها رائحة قوية كرائحة السوائل الكاوية . ان صديقى الصيدلى الذى سرقت منه هذا السائل لم يحدثنى كثيرا عنه . لا يهم. انى أذكر تماما قوله لى ان نقطتين تكفيان لدك أكبر صرح حى فى الوجود ...

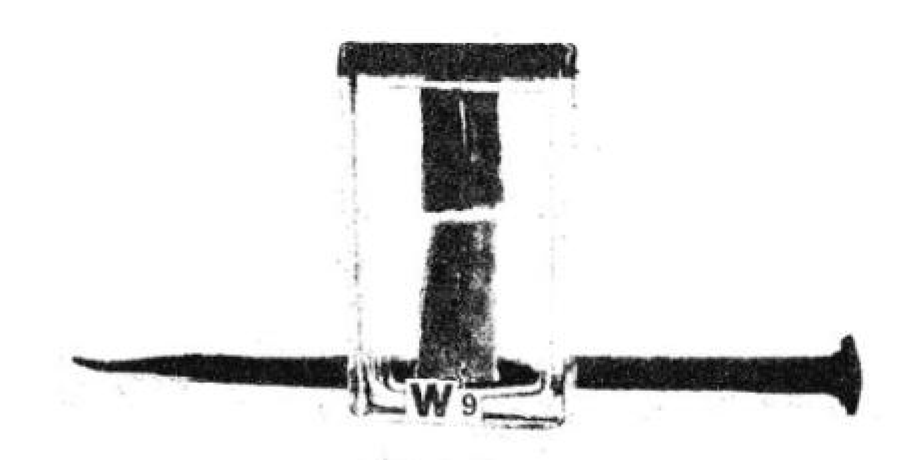
لقد سكبت على لسانه نقطة واحدة. واحدة فقط ، فاذا بذلك اللسان الباهت يحتقن ثم تعلوه طبقة كالغمام أو كالأبخرة ، كأنه يحترق . لقد أطبق الحيوان فمه أو بالاحرى ساعدته على اطباقه. ثم وضع رأسه على الارض . تنفسه يبطىء بالتدريج ويضعف ولا شكاية من ألم ولا أنين . انه يفنى فى هدوء غريب. وفى سهولة لم أكن أتوقعها. يخيل لى انه يبتسم

***

لماذا لا يبيحون للانسان ان يتصرف فى حياته كما يشتهى . ولماذا لا يساعدونه على ذلك ؟ أليس من العدل مثلا أن تقام أندية فخمة تخصص للانتحار . أندية تحوى الغرف الوثيرة الرياش ذات الالوان المختلفة . يقصدها من يرغب فى القضاء على نفسه بالوسائل التى يختارها وفى الجو الذى يطلبه . ولم لا تمنح الحكومات الجوائز المالية الضخمة للمكتشفين الذين يقدمون لها الاجهزة والعقاقير التى تعمل على اطلاق الارواح من محابسها ...

اليوم وأنا جالس فى الشرفة ــ وغير بعيدة عنى البومة المحنطة ــ لاحظت أن يدى ترتعش. لم يكن ذلك وهما. ان قدح القهوة كاد يقع منى وكادت القهوة ان تندلق على ثيابى. هذه ظاهرة جديدة لم احسها من قبل

بى رغبة ملحة فى الصمت وفى التفكير. لقد أمرتهم الا يقربونى. وأمضيت اليوم كله وأنا كالتمثال أحدق فى الافق البعيد . وأناجى من وقت لآخر بومتى المحنطة ، وأستلهم



[illegible] هذه الصورة في متحف الطب الشرعي . ولكل من محتويات هذا المتحف قصة لا تخلو من غرابة أو مراجعة . [illegible] المجموعة الظاهرة في هذه الصورة أن طفلا قتل ، فادعى القاتل بأن الطفل سقط فوق هذا المسمار الكبير [illegible] عليه ، ولكن الطبيب الشرعي جرب المسمار في جزء من جسم الطفل فتبين أنه لا يحدث في الجلد والعضلات إلا تمزيقاً هو الظاهر في القطعة السفلى من القطعتين المحفوظتين داخل المخبار الزجاجي ، في حين أن القتل حدث بضربة مطواة ظهر أثرها في القطعة العليا التي انتزعت من جسم الطفل المقتول

يبين « حالة » خاصة لقتيل أودت بحياته إصابة معينة تختلف عن غيرها ، حتى ليندر أن تقع حادثة من حوادث القتل دون أن يكون لها في هذا المتحف شبيه

* * *

وفي متحف « علم الصحة » مئات النماذج التي تشرح طرق المحافظة على الصحة وما يترتب على إهمالها من مختلف الأمراض ، كما يضم نماذج لأصابات العمال من تلف الرئة وتصلب الشرايين وغير ذلك مما ينجم عادة عن العمل في مصانع الاسمنت والطوب وما إليها

* * *

أما متحف الأسنان فيضم مجموعة عجيبة لجماجم الآدميين ورءوس الحيوانات البرية والطيور والأسماك لبيان أسنان كل نوع ، ومن بينها جمجمة اشترتها إدارة المستشفى من ألمانيا لشاب اللاف في الخامسة والعشرين ، تعتبر أسنانه مثالا لأحسن الاسنان وأصحها . وقد أخبرنا الدكتور بولجاكوف مدير متاحف قصر العيني . أن في ألمانيا تباع مثل هذه الجماجم للاغراض الطبية ، حتى لقلما تخلو منها عيادة طبيب

ومن محتويات هذا المتحف مجموعة أخرى من جماجم قدماء المصريين ، ظهر من فحص أسنانها أن « التسويس » في ذلك العهد كاد يكون معدوماً ، بفضل صلابة ما كان أهله يستعملونه

منها وحي أفكاري . ولما بدأ الليل يرخي ستاره قامت بي رغبة مستعرة لان أزور المستنقعات . هنالك وقفت طويلا أمام الجيف المبعثرة . ان الكلاب تتألب عليها وتفنيها في سرعة غريبة . ولكن لا يصبح الصباح حتى يأتي الجديد منها . هناك حركة مستمرة على ضفاف هذه المستنقعات . حركة نشيطة حقا

***

أي دنيا هذه التي نعيش فيها ؟! انها لشديدة الشبه بهذه المستنقعات الملأى بالجيف والكلاب

والعجب أني أرى أناسا يتكالبون عليها . يا للمساكين !

لقد خلا المنزل من جميع قاطنيه ولم يبق فيه سواي وبومتي المحنطة انها مثبتة على المائدة تحدق في بعيونها الفارغة . انها فارغة ولكنها عميقة ملأى بالاسرار

الجميع ذهبوا لحضور عرس ابنة العمدة . ولقد شجعت زوجتي على الذهاب . لقد أصبحت مطمئنة على . المكان ساكن سكونا رائعا ، والليل الذي تتوالى هجماته على في عنف لا يسمع فيه غير أصوات بعيدة . بعيدة جدا عني بجوار البومة . أريد ان أحس الظلام يلفني بعباءته السحرية أريد أن أحس روحه تنفذ الى شغاف قلبي . الظلام ! الظلام ! انه القوة الحقيقية المسيطرة على هذا الوجود ، ولكن أي شيء يسكن خلف هذا الظلام ؟ هناك عوالم أخرى مجهولة تتطلب دائما روادا ليكتشفوها

نقطتان فقط ، لا أكثر من نقطتين . هكذا . أريد أن أتمدد على الفراش بحيث يكون وجهي مقابلا لوجه البومة . انها آخر شيء أرغب أن يقع عليه نظري

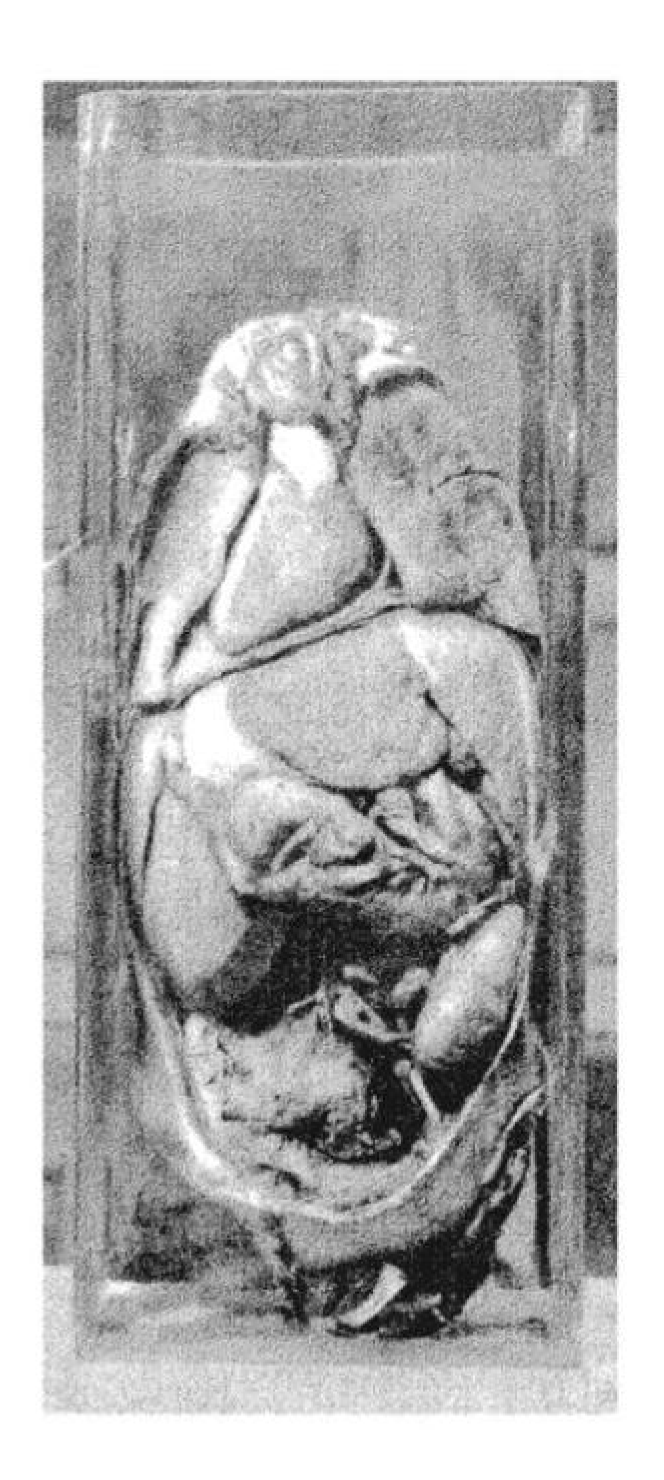
تلك هي أول نقطة أضعها على لساني . طعمه ليس كريها هذا السائل ! كالخمر المعتقة ، بل أقوى من الخمر المعتقة ، أشعر بجسمي كأن النار قد بدأت تشب فيه . تلك هي النقطة الثانية ، اني لأرى الابخرة التي كانت تتصاعد من لسان الكلب الاجرب تتصاعد من جسمي كله ، كأني سابح وسط الغمام ، اني أحترق ولكن في هدوء غريب ، هدوء لذيذ ، ما زلت أرى البومة ، أو بالاحرى عينيها الفارغتين فقط ، ها قد أصبحت يا صديقتي رائدا من جملة الرواد العظماء . الدنيا الجديدة تنتظر قدومي . الدنيا الجديدة بكنوزها العظيمة . نبضي يضعف .. الغيوم تتكاثف !...

محمود نجوم

في غذائهم وجفافه مما يفيد الاسنان ويحفظها على عكس أغذية العصر الحديث التي كثيراً ما تكون سبباً في تسويس الأسنان وتلفها حتى قد يبدأ التلف والنخر في سن الطفولة المبكرة

ومن بين أسنان الحيوانات التي يضمها هذا المتحف أضراس بعض الفيلة ، وقد بلغ من حجم بعضها أنه يكاد يوازي حجم ماكينة الكتابة ! ومجموعة أخرى من أسنان الأسماك يقرب طول إحداها من ثلاثة أمتار !

ويعد متحف الاسنان في قصر العيني من أغنى المتاحف



هذه صورة لحالة نادرة قل أن توجد في المتاحف الطبية ، فهي لجسم رجل في الستين من عمره بعد فصل الاطراف والرأس والكشف عن داخل الجسم. ووجه الغرابة في هذا الجسم هو أن كل شيء فيه معكوس الوضع . فالقلب الى اليمين والزائدة الدودية (المصران الأعور) الى اليسار ، والكبد الى اليسار وهكذا

الاستعمار : ماله وما عليه

أثر القومية فى الاستعمار وأثر الاستعمار فى القومية

يتساءل نفر من المفكرين : هل يجب أن ينكر الاستعمار ويكافح ، أم هل ثمة من الخير ما يسوغه ويبرره ؟ ويبدو فى هذا السؤال من الشمول والغموض ما لا تبين معه جميع الوجوه ، فلا بد من أن نتناول الامر من بدايته لا من نهايته لنرى لماذا يستعمر شعب شعبا ، وكيف تجرى هذه الصلة بينهما ، وماذا يجنى كل منهما من النفع أو الأذى ، راجعين الى كل ما يواتينا من الوقائع ففيها فصل الخطاب

القومية منشأ الاستعمار

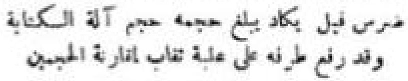
الاستعمار وليد القومية . فما أن تنشىء الجماعة وحدتها وتتميز من سواها بقومية ما ، سواء أكان منشأ هذه الوحدة أرض الوطن أم صلة الجنس أم رابطة الدين واللغة ، حتى يغدو كل عداء ينشأ بينها وبين أية جماعة أخرى عداء يرمى الى لون من ألوان الاستعمار . فما من قومية ظهرت فى التاريخ إلا أثارت — أو احتملت — من العداء بينها وبين غيرها من القوميات ما تريد به تأييد كلمتها وسيادتها أو تسعى به الى دفع الأذى عن حقها وحماها . وما ثارت الحرب بين القبائل والأمراء فى العهود الغابرة ، وما نشبت الحروب والمذابح بين الاديان والمذاهب ، إلا لأن كل قبيلة وأميرها أو كل دين واتباعه كانوا يمثلون « قومية » لها سماتها ونظمها ومصالحها . ولكن الاستعمار لم تتضح معالمه وتتبين مقاصده إلا عندما نشأت القومية الحديثة التى أقامت بين الجماعات حدوداً قاطعة فاصلة ، إلا عندما انقسمت الدنيا أوطاناً تعينها الحدود ويهم كل فرد أن ينتمى الى واحد منها ، هنا كانت القومية الواضحة الاكيدة فكان الاستعمار البين العنيف . وإذ كان القرن الثامن عشر فترة تعزيز القوميات وإبرازها ، فلا جرم أن يكون القرن الذى يليه فترة النضال بين هذه القوميات سعيا الى الاستعمار . ولا غرابة فى أن تؤدى القومية الى الاستعمار ، فالشعب — على رأى ميكيافيللى — إما أن يملك ويستعمر وإما أن تهن قواه ، هذا الى ان الشعب يجد فيما تهيئه له القومية من الوحدة والمناعة والقوى ما يثير فيه أطماع السيادة والسيطرة

وهكذا يتجه الشعب ويسعى الى الاستعمار ليصيب من أسباب القوة والثروة ما يمكنه من أن يحيا وسط هذا العالم الذى لا تنفك وحداته عن العداء والنضال ، ولا سبيل الى أن يحفظ الشعب وحدته وحريته وحياته إلا ان يملك من الآفاق ويحكم من الشعوب ما يمكنه من حرب أعدائه وكفاحهم . أى ان الدافع المادى واضح كل الوضوح فى الاستعمار الحديث ، فلم يعد ثمة « جنكيز



جمجمة ألمانى فى الخامسة والعشرين من عمره تعد أسنانها مثالا للأسنان السليمة الكاملة التكوين



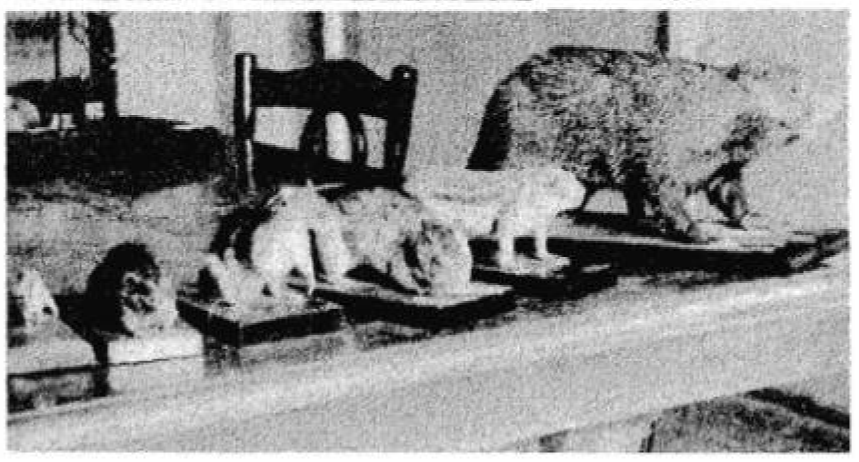


ضرس فيل يكاد يبلغ حجمه حجم آلة الكتابة وقد رفع طرفه على علبة ثقاب لإثارة المعجبين



إلى اليسار : الدكتور بولجاكوف أمين متاحف قصر الصين والذى يشرف عليها وينظمها

تحت : ستة أنواع من الجرذان والفئران التى تنقل الأمراض الفتاكة والأوبئة كالطاعون . وأولها من اليمين نوع كبير الحجم يعيش فى سيبيريا



خان » ينطلق فى الآفاق يقهر المدائن والمعاقل ويذل الملوك والامراء ويقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يندفع فى طريقه اندفاع العاصفة العاتية فى فجاج الصحراء دون ان يعمر او يفيد شيئا ، بل غدا المستعمر « تاجراً » لا يقدم ولا يحجم إلا بعد ان يوازن بين ما يدفع من الجند والمال وما يقبض من أسباب القوة او الثروة او المناعة . ولا ريب فى ان بعض حركات الاستعمار كانت خلواً من هذا التقدير ، بل جاءت عفو الصدفة او المغامرة

وإذ من المؤكد ان العالم كان منذ بدء التاريخ ، وسيظل الى آخره ، مؤلفا من شعوب غير متكافئة فى القوة والحضارة ونظم الحياة ، فلا بد من ان يلازم الاستعمار الانسانية سواء فى وضعه الحالى او فى أى وضع أسمى منه او أدنى . وهذا ما يوضحه ألدوس هكسلى فى مقاله عن «الوطنية» فيقول :

« ان الجماعة الانسانية تتطور على نمط واحد ، تكون فى بادىء امرها قبائل مفرقة متناحرة ، ثم تجمع كل طائفة منها رابطة القومية ، ثم تتطرف القومية فتصبح توسعا واستعماراً . أى ان القبيلة اصل الوطن ، والوطن منشأ الامبراطورية ، ثم يأتى الوقت الذى تتمزق فيه هذه الامبراطورية لأنها واجهت قوى أكبر منها لحطمتها ، او لأنه نشأ فيها من العوامل الفكرية او الخلقية ما أدى الى تفككها وانحلالها

« وهناك ما يدل على أن الشعوب الكبرى تخفف الآن من شهوة الاستعمار وتتجه وجهة التعاون والاتحاد . فهل يدل هذا على أن الأمن والهدوء سيسود العالم قريباً ؟ كلا . فان دلائل الأمر تبين أن الهند والصين وشعوب أفريقيا الحديثة بدأت تدخل فى هذا الطور من الوطنية العنيفة المتطرفة التى عرفتها أوربا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، والتى تؤدى حتما عند ما تتجمع قواها الى طور الاستعمار

« فعند ما يفتر الروح الوطنى بين شعوب أوربا وأمريكا يبلغ هذا الروح فى آسيا وأفريقيا أشده من العنف والقوة ، فيدفع شعوبهما الى الفتح والسيطرة كما دفع روما الى غزو بريطانيا وبريطانيا الى فتح أفريقيا . أى عند ما يبدأ الغرب ينظر الى الأمر نظرة دولية تؤثر السلم على الحرب ، يكون الشرق متجهاً الى الحرب متلهفاً على السيادة

« فلئن أدى تفاوت الشعوب فى الحضارة الى بعض الخير والفائدة ، إلا أنه يتقاضى الانسان ثمناً فادحاً »

تبرير الاستعمار

ماذا تجنى الانسانية من هذا الاستعمار الذى يلازمها فى جميع مراحلها ؟ أتجنى منه شراً يؤيد رأى من ينكرونه ويكافحونه ، أم خيراً يبرر خطة من يقرونه ويدافعون عنه ؟

لننظر اليه أولا النظرة المادية لنرى أهم نواحيه . فنجد أن العالم يزيد فى هذا العصر زيادة خطيرة تدفع بعض شعوبه الى السعى فى أرجاء الأرض . فى الدقيقة التى كتبت فيها الجملة السابقة زاد العالم عشرين فرداً بينما لم تزد ثروته بما يكفل مطالب الحياة لأكثر من خمسة أو ستة أفراد . فهل يجوز أن يترك على سطح الأرض من الآفاق وتحت رجامها من الكنوز ما يمكن أن يزود بعض الناس بشيء من ضرورات العيش أو كمالياته ، لأن الذين يهيمون فى هذه الآفاق ويضربون بأرجلهم فوق هذه الكنوز يجهلون طرائق استغلالها واستخراجها فيتركونها مهجورة أو مطمورة لا يفيدون منها شيئاً ؟ ؟ كلا ، وان هذا الأوربى أو الأمريكى الذى يرى « الخيرات » تذهب بدداً فى آفاق أمريكا وأفريقيا لأن زنوجها يجهلونها ، ليلام اذا هولم يمد اليها يداً تستثمرها فيأخذ من ثمرها نصيباً ويبقى لأهلها نصيباً

ظل العالم عصوراً يجهل أمريكا ، وظل أهلها طول هذه العصور يجهلون ثمارها وكنوزها ، فما أن نشأت العلاقة بينهما بفضل المغامرين والمهاجرين حتى فاضت ينابيعها بالخيرات تغمر العالم الجديد والقديم على السواء . وكذلك عاشت اليابان دهوراً طوالا مقطوعة السبل موصدة الأبواب فلما قامت الصلة بينها وبين العالم الخارجى أفادت وأفادت الدنيا خيراً عظيما . وما عمل المستعمر بوجه عام الا ايجاد الصلة بين ما فى العالم من المناطق المتحضرة والمناطق المجهولة ، وما يؤدى ذلك إلا لخير العالم جميعا ، على شرط أن تقوم هذه الصلة على دعامة طيبة نجدها حينا وان كنا نفتقدها فى أكثر الأحيان

والنتائج المادية التى أسفر عنها الاستعمار الحديث واضحة مشهودة . فقد ارتقى مستوى الحياة فى الدول المستعمرة رقيا كفل لأهلها أسباب الحضارة بما هيأه لهم من الثروة والرخاء ، ومكنها من أن ترقى بالجزء الغالب من أهلها الى الطبقة الوسطى بعد أن كانوا فى مستوى الطبقة الدنيا ، ويسر لها أن تحث سيرها فى طريق التقدم بما أتاحه لبعض أفرادها من وسائل الحياة الفكرية . فهذه الحضارة الانجليزية التى نعدها مثلا عاليا لما بلغته الحضارة الانسانية الى يومنا ، حين نجد من بين آثارها عاملا يستمتع بكثير مما يستمتع به الانسان الراقى من الحقوق والمزايا ، أو نجد أسرة يتوافر لأهلها من الرخاء والفراغ ما يشعرهم بلون من ألوان الحياة المنتجة البهيجة ، أو نجد عالما يلقى من المال والوقت ما يمكنه من أن يفرغ للبحث والكشف وإعلاء كمية الحضارة — هذه الحضارة الانجليزية ما كانت تتحقق — على الأرجح — فى هذه الصورة الجميلة الكاملة لو لم تكن الامبراطورية البريطانية التى تترامى فى قارات الدنيا وبحارها جميعا

ماذا تجني المستعمرة

أحسب الآن أن القارىء يمتتكر متسائلا : وهل ثمة من يجهل أن الدول المستعمرة تفيد

أعظم الفائدة من الاستعمار ، وانما الذى أريد أن أتبينه هو ما تجنيه المستعمرات ذاتها فما أحسبه إلا الشر والأذى ؟

ولكن اذا كانت الفكرة العامة فى الاستعمار سيطرة الشعوب القوية أو اشرافها على الشعوب الضعيفة ، فمن الطبيعي أن تحمل هذه الصلة فى طياتها شيئاً عظيما أو ضئيلا من الحضارة . وهذه هى النتيجة التى أدى اليها الاستعمار فى جميع عصور التاريخ ، فروما احتلت بريطانيا قبل الميلاد عند ما كان أهلها همجاً يذبحون الانسان قربانا للآلهة ويبقرون بطنه ليستدلوا على المستقبل من شكل أحشائه ووضعها ، فما أن استقر فيها الرومان حتى نفضت عن نفسها تراب الهمجية وتطلعت إلى أفق الحضارة فأخذت تدنو منه شيئاً فشيئاً حتى بلغته على مر الأجيال ، وكذلك احتلت بريطانيا فيافى أفريقيا الوسطى بعد ذلك بعشرين قرنا لأن أهلها لم يتعلموا من المسيحية سوى صلب الناس ورفعهم ضحايا للآلهة ، فأخذ ينفذ اليهم قبس خافت من المدنية قد يصير بعد أجيال وقرون ضوءاً يهديهم الطريق التى اتخذتها الشعوب الراقية . وكانت فكرة السيادة والاستقلال موجودة فى روما كما هى موجودة فى بريطانيا ولكن هذا لم يمنع المستعمرة الرومانية من أن ترقى كما لا يمنع المستعمرة البريطانية من أن تتحضر ، وان كان لملكات الشعوب وخصائصها ، ولظروف التاريخ وأحداثه ، آثارها فى تقدير ما بين الشعب والحضارة من الآماد

ان الاستعمار لم يقض على شرور الشعوب البدائية كل القضاء ، ولكنه حاربها وكافحها وأنقذ الانسان من كثير مما يعانى فى تلك الفيافى السحيقة . نعم ان احدى الدول المستعمرة — ونعنى أسبانيا حين استعمرت فى أمريكا — قارفت من الآثام المنكرة ما يشيب له الاطفال ، ولكن هذا الشعب الشاذ عن سائر الشعوب لا يصح أن يتخذ مقياساً فانه لم يألف الرحمة بين أبنائه فلا يرجى منه أن يعرفها مع الأعداء . ولا ننسى أن نذكر أن أكثر الدول سخرت أبناء المستعمرات الذين عاشوا مدى التاريخ فى خمود وبلادة فى أعمال مرهقة عنيفة ، وسلطوا عليهم ضروبا من القسوة ليس أقلها جلد السياط وقيد الحديد ، على أن هذه السورة التى كان مبعثها أطماع أصحاب الأموال قد خفت حدتها وكسرت شوكتها بفضل الحكومات المستعمرة ذاتها

وهذا يلفتنا الى نقطة أخرى تبرر الاستعمار فالفارق العظيم بين قوة الرجل المتحضر وقوة الرجل الهمجى الى درجة تماثل الفارق بين المدفع والعصا ، يمكن الأول من أن يقهر الثانى ويخضعه لسيادته ، ثم يسترقه رقا لا رحمة فيه ولا خلاص منه . وهذا ما حدث ، فقد مكنته الحضارة من أن يفتح كثيراً من الاقاليم ويسيطر على ما فيها من قبائل ويسخرها بقسوة يندى لها جبين الحضارة حقاً ، فكان حقاً على الدول أن ترد عادية هذا الغالب العاتى عن ذلك الهمجى المغلوب ، كان حقاً عليها أن تتولى أمر هذه البلاد لتنظم فيها العلاقة بين البيض الأقوياء والملونين الضعفاء . فهذه نيوزيلندة هاجرت اليها أفواج من الأوربيين المشردين فعودوا أهلها إدمان الخمر المعتقة

وأغرقوهم فى دنائها ، وأهدوهم بغير مقابل البنادق ليغير بعضهم على بعض تقتيلا وتدميراً ، فتخلو منهم الأرض ويملكها أولئك المهاجرون ، فكان لزاما على بريطانيا أن تسرع إلى انقاذ أهلها من عادية الدخيل . وهذه شركة الهند الشرقية أساءت الامر فى الهند بما أرهقت به الناس من المكوس والضرائب ، وبما كان يقارفه رجالها من قبول الرشى وهضم الحقوق ومجافاة القانون ، فلم يكن بد من أن تتدخل الحكومة البريطانية لتنظيم العلاقة بين الشركة والناس وكان هذا بدءاً لاستعمار الهند

سيئات الاستعمار

هذه المزايا التى يهيئها الاستعمار يقابلها كثير من السيئات التى يعانيها المستعمر والمستعمرة

أولى هذه السيئات ما يؤدى اليه الاستعمار من العداء والقتال ، فمنذ نشأت الوطنيات الحديثة وتبعتها حركات الاستعمار لم ينج العالم عهداً ما من حروب ومعارك تنشب إما بين القوميات الكبرى التى يناضل بعضها بعضاً عما تملك — أو عما تبغى — من الآفاق ، وإما بين الشعوب القوية والضعيفة التى صار النزاع بينها من مميزات التاريخ الحديث

والسيئة الثانية هو الثمن الفادح الذى يتقاضاه الاستعمار من الأجناد والأموال ، دع ما يبذله المستعمر من أبنائه وموارده فى سبيل الفتح والغزو والاستقرار . فهذا السياسى الأنجليزى جون برايت الذى دعا انجلترا طول حياته الى التخلى عن جميع أملاكها يقول فى خطاب له سنة ١٨٥٥ « إذا استثنينا أستراليا لم نجد مستعمرة انجليزية واحدة لا تعد عبئاً ثقيلا على هذا الشعب ، خسارة فادحة يتحملها هذا الاقليم ، إذا نحن قدرنا ما نبذله فى سبيل فتحها وحمايتها . أما فتح الأسواق وتعمير المجاهل فأعذار تافهة حمقاء تعيسة نبرر بها الحروب »

وثمة سيئة ثالثة لا يتبينها الناس إلا بعد أن يفوت وقت تلافيها وتدنو كارثتها . هى روح الترف الذى يغمر الشعوب المستعمرة نتيجة ما يتهيأ لها من الثراء والرخاء ومن الراحة والفراغ ومن النفوذ والسيادة

على أن أكبر سيئة يقارفها الاستعمار تأتى حين يلقى نفسه على شعب له حظ وافر من التاريخ والثقافة وله وجهة معينة الى الرقى والحضارة . انه يوقف حينئذ حركة دائرة ويخفت صوتا منبعثا ويعيد الى القيد يداً انطلقت من إسارها . انه يلقى ماء يطفىء الجذوة التى كاد أن يشب لهيبها ، ويهيل التراب على النبع الذى كاد أن يتدفق نهراً جاريا . وهذا هو الاستعمار الذى ليس ثمة ما يقره ويبرره ، والذى تجب حربه وكفاحه

قومية المستعمرة

أطلقنا ما ذكرنا من سيئات الاستعمار وحسناته على وجه الشمول دون أن نعرض لناحية

« قومية المستعمرة » ففيها يتخذ المستعمرون أوضاعا وأساليب شتى ، أهمها فيما نرى ما تتخذه فرنسا ، وما تفكر فيه ألمانيا ، وما تطبقه بريطانيا

فأما فرنسا فترى أن تنقل قوميتها الى ما يقع تحت يدها من الشعوب . فاللغة الفرنسية هي اللغة السائدة فى حكومة المستعمرة الدائمة على ألسنة المتعلمين والمتحضرين من أبنائها ، والثقافة الفرنسية تحل محل الثقافة القومية فيما يشبه الكره والعنوة وبما يفرض من القانون ، ونظم الحياة اليومية في فرنسا تسرى الى المستعمرة حتى يتغير وجهها فى سنين قلائل تغيراً يقضى على مظاهر قوميتها . ومرجع هذا الى جاليات فرنسا الكبيرة التي تنتقل الى أملاكها والتى يسهل على أفرادها — شأن أبناء البحر المتوسط جميعا — أن يألفوا ويعاشروا الأجنبي ، فلا تلبث أن تسرى منهم الى أبناء المستعمرة القومية الفرنسية بحسناتها وسيئاتها . وتسير ايطاليا على نهج فرنسا

وأما ألمانيا فلها أسلوب استعمارى وإن لم تكن لها مستعمرات . وطبقت هذا الأسلوب فيما كان لها من الاملاك فى الحرب الماضية وتتبينه مما كتبه الكاتب الالمانى فون جيرلاش فى معرض المقارنة بين نيجيريا المستعمرة الانجليزية والكمرون أيام كانت مستعمرة المانية فقال : « للتعصب الجنسى نتائج خطيرة فى المستعمرات الألمانية . ففى نيجيريا وجدت الاهالى على صلة تامة بالسلطات الانجليزية أما فى الكمرون فان البيض يسومون السود ، حتى المتعلمين منهم ، صنوف الذل والارهاق . وفى مجلس نيجيريا التشريعى لا فرق من الوجهة السياسية بين الابيض والاسود ، بينما جرد السود فى الكمرون من حق الاشتراك فى أى عمل ادارى . وفى مدينة لاجوس عاصمة نيجيريا أربعة عشر محاميا تلقوا العلم فى انجلترا . أما أهالى الكمرون فحرم عليهم السفر الى المانيا خشية ان يتعرفوا الى مبادىء الحرية والمساواة . وقد خول الزنجى فى نيجيريا حق الشهادة أمام المحكمة فى حين ان الالمان حرموه هذا الحق ، وفى لاجوس يعيش البيض والسود جنبا الى جنب ، أما فى دوالا فأملاك البيض فى جانب لأن الرجل الابيض لا يطيق رائحة الرجل الاسود . وينظر الى الجلد بالسياط فى مستعمرة الكمرون كوسيلة لاغنى عنها بينما حرمت فى نيجيريا جميع العقوبات البدنية » . وألمانيا الآن أكثر اسرافا فى هذا التعصب الجنسى منذ اذكى فيها هتلر روح الآرية حتى غدا الامر — بلا مبالغة — ضربا من الهوس والجنون . أما نظامها لاستعمار أوربا الجديدة اذا قدر عليها هذا القضاء ، فهو أن تختص المانيا بالصناعة وسائر أوربا بالزراعة ، وبذلك تعتد المانيا بالسلاح الذى ترهب به العزل فتستبد بأمرهم وتستأثر بخيرهم ، فكيف يكون شأنها اذاً لو استعمرت فى آسيا وافريقيا ؟ ،

وأما بريطانيا فقد مرت أمبراطوريتها بأطوار طويلة متباينة فتعلمت فى أثنائها من الدروس والتجارب ما كاد ان يتحول بها من الاستعمار الى الاتحاد ، فصارت فى صورتها العامة مجموعة من الدول مستقلة فى جميع شؤونها مجتمعة فى وحدة سياسية وحربية واقتصادية

فولتير وفريدريك الاكبر

(بقية المنشور على صفحة ٣٦٨)

الاراضي البلجيكية ، وقد دهش فولتير لما رأى الملك يرتدي بذلة عسكرية ، وينام على سرير من أسرة الميدان ، وسرعان ما علمت أوربا جميعها بعد ذلك ان مؤلف كتاب « ضد مكيافلي » قبل التتويج سيكون اكثر ملوك أوربا مكيافلية ، واشدهم رغبة في اثارة الحروب وسرعان ما عرف فولتير نفسه ان فردريك شخصية اجل خطرا واكثر تعقيدا وابعث على الحذر مما قدر

والتقى الصديقان بعد ذلك ثلاث مرات ، وكان يعقب كل لقاء فتور من ناحية فردريك فقد بدأ يتهم فولتير باطلاع الناس على رسائله الخاصة زاعما انه اوصاه بان لا يطلع عليها أحدا ، وعاب على فولتير بخله وحرصه . ولكن انتقاصه لاخلاق فولتير لم يقلل مع ذلك من اعجابه به ، وتقديره العالي لمواهبه ، وذلك لانه بعد تسنمه العرش اضطر الى هجر البحوث الفلسفية ، ولكن حبه للشعر لم يفتر ، وكان يعتقد ان فولتير سيد شعراء عصره ، وطالما ناجته نفسه باغراء فولتير بالاقامة في برلين ليكون حلية البلاط وزينة الحاشية ، وليصبح طوع يده ورهن اشارته ، فينقح له شعره ويصقله ويسرى عنه ببارع احاديثه ويمتعه

وفي خريف سنة ١٧٤٣ بدا ان رغبته الاكيدة قاربت ان تتحقق ، فقد حضر فولتير الى بلاط فردريك ، واحسن الملك لقاءه ، واكرم وفادته ، وبالغ في التحفي به ، وقدمه الى شقيقاته الاميرات ، وشنف اسماعه بالعزف على قيثارته الملكية . ولم تكن زيارة فولتير لفردريك في هذه المرة زيارة بريئة ، فقد كان البلاط الفرنسي يريد ان يجس نبض فردريك ، ويعرف مدى ما يستطيع تقديمه لفرنسا اذا ما اشتبكت في حرب مع النمسا من ناحية ومع انجلترا من ناحية أخرى ، ورأى رجال البلاط ان يعهدوا الى فولتير في القيام بهذه المهمة . وظن فولتير انه يستطيع ان يستغل صداقة فردريك ليصير سياسيا ورجل عمل ، ولكن فردريك كان بعيد الدهاء وشيطانا من الشياطين فلم يغب عن عقله النفاذ قصد فولتير ولم يقع في الشبكة. وقد اراد فولتير ان يبالغ في التكتم واخفاء الغرض السياسي لزيارته ، فادعى لفردريك انه هجا الاسقف ميربوا ، وان هذا الاسقف القوي النفوذ يطارده ، ويحاول التنكيل به ، وقد اضطره ذلك الى الابتعاد عن فرنسا ليأمن كيد الاسقف ويتقي شره . ولم يكن فردريك واقفا على تفصيلات المؤامرة ولكنه ادرك ان زيارة فولتير لبلاطه انما هي زيارة عين من عيون الحكومة الفرنسية ورأى ان الفرصة سانحة لنيل امنيته

واراد فردريك من ناحيته ان يكيد لفولتير ، فجمع الرسائل التي ارسلها اليه فولتير

وهاجم فيها الاب ميربوا وبعث بها الى ميربوا،وكان يرمى بهذه الخيانة الى غرضين ، فاما ان الاسقف يثور ويغضب ويشكو فولتير الى البلاط ويضطره الى التخلي عن فولتير فيرغم على البقاء في بروسيا ويظفر الملك حينذاك بمستشار عبقري يصلح له كتابته ، ويثقف لغته ، ويصقل شعره ، واما ان الاسقف لا يغضب ولا يشكو ويكون ذلك دليلا بينا على خيانة فولتير ، وتواطئه مع الاسقف . وكان الرأى الاخير هو الاصوب والارجح ، ولكن خطة فردريك فشلت ، فقد افضى ميربوا الى فولتير بما حدث ، فغضب فولتير غضبا شديدا ، فقد كان يعرف انه سيقيم فى برلين بمحض ارادته ، ولكنه علم ان مضيفه يحاول بالخيانة والدسيسة ان يرغمه على البقاء . وعاد فولتير الى فرنسا ناقما على فردريك ، ولكن فردريك كان راغبا فى مسالمته ومهادنته وكان لا يزال طامعا فى الاستحواذ عليه واستخلاصه لنفسه واخذ فى رسائله الى فولتير يكثر من استرضائه وتملقه

وفى سنة ١٧٤٩ تغير موقف فولتير ، فقد ماتت مدام دى شاتليه ، وتحرج مركزه فى فرساى ، ولم تنفعه صداقة مدام دى بومبادور . وانتهى ذلك الى مسامع فردريك فدعاه الى برلين ، ولبى فولتير الدعوة فى هذه المرة،وحاول جعلها صفقة رابحة واضطر فردريك الى ان يدفع له نفقات رحلته . ولما ورد برلين فى يوليو سنة ١٧٥٠ خصص له فردريك جناحا فى قصر برلين وجناحا آخر فى قصر بوتزدام وانعم عليه بنيشان الجدارة ، وجعل له مرتبا سنويا قدره ثمانمائة جنيه ، وفقد فردريك بعد ذلك البقية الباقية من احترامه لفولتير وصار يعتقد انه نذل خسيس ، وكان ينكر اخلاقه ويعجب بعبقريته ، ولكن كان فى حاجة الى من يهذب له شعره ومثل فولتير هو خير من يقوم بذلك وماذا يضيره سوء اخلاقه وضعة نفسه ؟ وكان يعتقد فضلا عن ذلك انه يستطيع ان يأمن شره ، ويلزمه حدود الادب ، ويهز له السوط بان يتكلف الفتور فى لقائه ويشير الى انقاص مرتبه ، وكان فردريك مخطئا فى حسبانه ، ففولتير لم يكن قردا يخوف بالسوط ، وانما كان شيطانا مريدا وربما كان ملكا فمن الصعب ان تجزم فى ذلك

وكان المنظور ان تنتهى زيارة برلين بضجة مدوية وثورة عنيفة ، فقد كانت عناصر الموقف لا تحتمل سوى هذه الخاتمة ، وهكذا الحال اذا التقى رجلان شديدا الأثرة مثل فردريك وفولتير ، فقد تبعثهما المصلحة فى بادىء الامر على التعاون ولكن سرعان ما تؤكد الطبيعة البشرية نفسها وتسير سيرتها المعهودة . وكان يزيد هذا الخلاف احتداما تفاوت الموقف ، فقد كان فولتير الخادم وفردريك السيد ، ويروى ان فردريك قال لبعض خاصته لما سأله الى متى تحتمل نزوات فولتير قال : « بعد عصر البرتقالة يرمى الانسان بالقشرة » وعلم فردريك كذلك ان فولتير قال بعد ان تلقى مقطوعات شعرية من نظم الملك ليهذبها : « اينتظر منى هذا الرجل ان اظل الى الابد اغسل له ملابسه القذرة ؟ »

وهكذا بعد حضور فولتير باسابيع معدودة بدأ يدب الخلاف بينهما وتتجمع السحب فى سماء صداقتهما ، وتوالت نوبات الغضب ، وكان فولتير يقول عنه لمدام دينس ـ وهى

احدى قريباته : « انه يفتح الرسائل الواردة لنا » ، وكان فردريك يقول عنه : « الفرد الذى يطلع اصدقاءه على رسائلى الخاصة »

وقد كان حب فولتير الشديد للمال هو سبب اثارة الخلاف ، فبعد ثلاثة اشهر من اقامته ببرلين اشترك مع احد اليهود فى مسألة مالية مريبة ، ثم تشاجرا واحتكما الى القضاء ، وتراميا بالتهم المستفظعة ، وخسر اليهودى القضية ، ولكن علقت بسمعة فولتير اشياء كشف عنها تحقيق القضية • واغضب ذلك فردريك حتى هم بعزله ، ولكنه لم يجد سبيلا الى الاستغناء عنه فعاد الى الصفح عنه ورعايته • وكان فولتير اثناء اقامته فى برلين محوطا بعناية الاميرات والاشراف ومحفوفا باعجاب الناس من مختلف الطبقات

ولكن فولتير لم يكن الفرنسى الوحيد المقيم عند فردريك ، فقد جمع فردريك حوله طائفة مختارة من الاشخاص اكثرهم من الاجانب ليتلقى عنهم ما ينقصه من المعرفة ويستعين بهم ، وقد اختار بعض هؤلاء الناس ليتملقه ويترضاه عندما تضيق اخلاقه ويتعكر مزاجه ويسليه عندما يعتريه الملل وينال منه الهم • وكان فردريك يقضى ساعات فراغه وراحته مع هذه الحاشية ، يبادلهم الافكار والنكات

وكان بين افراد هذه العصبة الشاذة رجل واحد جدير بالاحترام وهو « موبرتياس » الذى وضعه فردريك على رأس اكاديمية العلوم فى برلين منذ سنة ١٧٤٥ • وكان رجلا طموحا راغبا فى الشهرة ، وافر العلم جم النشاط امينا مخلصا ، وكان على جانب من الذكاء وحدة الخاطر ، وطالما تناول اضرابه ومنافسيه من العلماء بالتهكم المر والنكات اللاذعة ، فكان ذلك يزيد فردريك اعجابا به وتقديرا له ، وكان لا ينقطع عن حضور عشاء الملك ، وكان وجوده يقض مضجع فولتير ويضايقه ، وقد عرف كل منهما الآخر واعجب به ايما اعجاب ، ولكن صاحبنا الشاعر المزهو الشديد الحساسية المتشكك فى اخلاص الملك الشديد الغيرة من المنافسين كان يعتقد ان له فى البلاط اعداء خفيين يدبرون له الدسائس ويوغرون صدر الملك عليه وان موبرتياس منهم ، وكانت رؤية موبرتياس فى خلال العشاء مشرقا هادىء البال ناعما فى ظلال عطف فردريك تثير حقد فولتير ، فأخذ يجهد فكره ويتعب رويته فى مراقبة الرجل ويفحص اقواله واعماله علّه يقع على عيب او يعثر على نقيصة • ولم يحسن موبرتياس التصرف فبدلا من ان يسترضى فولتير عمل على توسيع شقة الخلاف بينهما ، وكان من الطبيعى ان يثور غضبه ويفقد توازنه ، فقد كان قبل مجىء فولتير الكوكب اللامع فى المدار الملكى ولكنه بعد مجىء فولتير فقد مركزه الممتاز ، فمن ذا الذى يعير حديثه التفاتا اذا تحدث فولتير ؟

ولاحت بعد ذلك الفرصة ليهاجمه فولتير وينال منه ، فقد كان هذا الرجل قد اذاع قانونا رياضيا ادعى انه اكتشفه ، وعارضه فى ذلك فريق من العلماء والباحثين وناقشوه واستندوا فى نقاشهم الى رسالة من رسائل الفيلسوف ليبنتز ، فبدلا من ان يجادلهم موبرتياس ويفند حججهم ادعى ان هذه الرسالة مزورة ، وايده فى هذا الرأى الملك فردريك

فاستغل فولتير الفرصة ، واحكم تدبير امره ، وجمع امواله فى برلين ونقلها سرا الى خارج بروسيا ، وفى ١٨ سبتمبر سنة ١٧٥٢ ظهرت فى الصحف مقالة قصيرة كان فيها تفنيد شديد لاذع لما ذهب اليه موبرتياس ، وعرف كاتبها لان مثل هذا المقال لم يكن ليصدر عن غير فولتير ، ونالت هذه المقالة من موبرتياس واغضبت الملك ، فلاذ فردريك بمكتبه وكتب رسالة غاضبة حشاها بالمبالغات فى الثناء على موبرتياس وملأها بالشتائم الموجهة الى فولتير

وعرف فولتير ان الملك قد دخل حومة المعركة فلم يثن ذلك عزمه ، وصمم على ان يحطم كل شيء قبل ان يبارح برلين ، وظل ذلك الخلاف خافيا عن الانظار حتى ظهرت مجموعة رسائل لموبرتياس ، فانقض عليه فولتير انقضاض الباشق ، وكتب رسالته المشهورة « الدكتور اكاكيا » وفيها احصى اخطاء موبرتياس واوهامه وسلط عليها سخريته اللاذعة ، ونقده الهادم ، وجعل الرجل سخرية الاجيال ، واضحوكة لا تنسى . ولم تكن رسالة فولتير مجرد سخرية وتجن ، وانما كانت حافلة بالملاحظات الصائبة ، والنقدات الصادقة ، ولكن يشوب ذلك التهكم القاسى المر ، واطلع فردريك على الاصل وضحك حتى دمعت عيناه وسالت عبراته على وجنتيه ، ولكنه أمر فولتير بعدم طبعها والا عرض نفسه للعقوبة . وتظاهر فولتير بالطاعة ، ولكن لم تلبث الرسالة انظهرت مطبوعة ، وذاع امرها واستفاضت شهرتها ، فاشتد غضب الملك وامر بجمع نسخها وابادتها ، وعنف فولتير تعنيفا شديدا ، ولم يمض على ذلك شهر حتى كانت المانيا مملوءة بنسخ من تلك الرسالة فقد طبعت آلاف النسخ فى هولندة وتسربت الى المانيا

ولا يسع الانسان فى هذا الموقف الا الاعجاب بهذا الرجل الذى تحدى ارادة رئيس حكومة قوية اعتمادا على ذكائه . وقال فردريك لفولتير بعد ان علم ان اوربا باجمعها كانت تضج بالسخرية من الرجل الذى اظله برعايته واختاره رئيسا لاكاديمية برلين : « ان قحتك تذهلنى » وامر بحرق ما تيسر جمعه من رسالة « الدكتور اكاكيا » فى شوارع برلين ، فغضب لذلك فولتير واعاد الى الملك الوسام ومفتاحه الذهبى ومرتبه ، وعز على الملك فراق فولتير فحاول ان يستبقيه وكتب اليه معتذرا . ولكن الشاعر لم يلن ، وعقد عزمه على الرحيل وفى ٢٦ مارس سنة ١٧٥٣ افترق الرجلان فراقا ابديا

على أدهم

العلم والعالم

الرجال والمال : اعصاب الحرب

الحرب الحديثة جهاز عصبي مؤلف من الرجال والمال . وكل عصب منها يمكن ان يقدر بالارقام التي تبين الى حد بعيد مجرى الحرب ومصيرها

فعندما يقول روزفلت ان عنده من الدلائل الوثيقة ما يطمئنه على ان بريطانيا ستقهر المانيا ، فانه لا يلقي هذا القول من قبيل توجيه الرأي العام الامريكي ولا على سبيل الدعاية لقضية الديموقراطية ، وانما هو يدلي بالرأي الذي دلته عليه الارقام التي لا تكذب ولا تخادع

فأما عن الرجال فلا يقصد بهم اولئك الذين يمارسون الحرب في ساحات الارض وآفاق البحر واطباق الهواء . بل اولئك الذين يقفون وراء الجنود في المصانع يمدونهم بالسلاح والذخيرة والطعام . وقد كان وراء كل جندي في سنة ١٩١٨ ثلاثة رجال يعملون في المصانع ، أما الآن فوراء كل جندي ستة او سبعة عمال .

وألمانيا لم تهزم في الحرب الماضية لان جيشها اندحر كما يريد قواد الحلفاء ان يقولوا ، ولا لان اليهود والشيوعيين ألبوا الشعب وفتنوه بالدعاية الكاذبة كما يريد النازي ان يقول ، بل لان الالمان قابلوا اعداء يفوقونهم عدداء وكان وراء كل جندي من الحلفاء عدد من العمال والصناع أكبر من العدد الذي يسند الجندي الالماني ، اي كان لكل جندي في جيوش الحلفاء من المدافع أوالقنابل أو الدبابات أو الطائرات اكثر مما للجندي الالماني

ومع ان ألمانيا تفوق بريطانيا في عدد السكان وذلك بعدما اجتاحته من الدول حتى غدا هتلر يسخر ١١٠ مليون نسمة ، الا ان بريطانيا تستطيع ان تخصص من ابنائها للاعمال الحربية ، أي للقتال في ساحاته المختلفة ولانتاج السلاح والذيرة، عددا أكبر من عدد الرجال الذين تستطيع ان تخصصهم ألمانيا . ذلك ان اعتماد هذه على ارضها ورجالها في انتاج الجزء الاكبر مما يلزمها من الطعام يضطرها الى ان تسخر في الزراعة وما اليها من وسائل انتاج مواد الغذاء عددا كبيرا من عمالها يبلغ زهاء عشرة ملايين نسمة بمعدل ١٤ ونصف رجل لاطعام كل مائة رجل . اما بريطانيا التي تستورد أكثر طعامها فلا يعمل في زراعتها اكثر من ثلاثة ملايين من الرجال بمعدل ٣/٢ ٦ رجل من الزراع مقابل كل مائة رجل من المستهلكين. وبذلك يكون عدد الرجال الباقين للعمل في الجيش أو في مصانع السلاح والذخيرة أكبر في بريطانيا منه في ألمانيا . وليست هذه الزيادة ضئيلة لا تؤثر في مجرى الحرب اذ هي بمعدل عشرة جنود في كل مائة نسمة

ومعنى هذا انه اذا كان عدد الالمان المجندين أكبر من عدد البريطانيين المجندين ، الا ان عدد الرجال الذين يساهمون في جميع نواحي القتال أي الجيش وما يمونه من المصانع ، أكبر في بريطانيا منه في ألمانيا ، وهذا هو الموقف الذي أدى في الحرب الماضية الى هزيمة الالمان رغم ضخامة جيشهم ونصر الحلفاء رغم قلة جيوشهم نسبيا

وأما العصب الآخر ــ المال ــ فتفوق بريطانيا فيه على المانيا لا يتطلب اكثر من سرد الارقام فالدخل الاهلي ــ الذي تقدر به ثروة الدولة ــ كان متقاربا في كل من الدولتين في سنة ١٩٣٧

حين كان الدخل البريطانى ٥٫٢٠٠ مليون من الجنيهات ، والدخل الالمانى ٧١٫٠٠٠ مليون من الريخمارك ، أى حوالى ٤٫٥٠٠ مليون من الجنيهات وفق اسخى التقديرات (ذلك ان من العسير تقدير قيمة الريخمارك ذهبا نظرا للاساليب الاقتصادية الجديدة التى تجرى عليها ألمانيا النازية) . وقد زاد الآن كل من المدخلين بنسبة ٥٠ ٪ تقريبا ، وذلك بما ضمته ألمانيا اليها من الدول المحتلة ، وبما يتدفق على بريطانيا من انحاء امبراطوريتها التى تجل تماسكها المالى بصورة اقوى وأجدى من تماسكها العسكرى ذاته

ولكن عدد سكان ألمانيا يزيد عن عدد سكان بريطانيا بعشرين مليون نسمة ، أى اذا أراد الالمانى ان يكون نصيبه من الدخل مثل نصيب البريطانى ، وجب ان تجرد ألمانيا عشرين مليونا من ابنائها من جميع اسباب الحياة بما فيها الاكل واللباس ذاتهما . وبمعنى آخر نقول ان فى بريطانيا عشرين مليون نسمة يمكن تخصيص دخلهم كله للاعمال الحربية اذا قبل البريطانى ان ينزل الى مستوى حياة الالمانى . فاذا عرفنا ان بريطانيا تأخذ الآن نفسها بكل ما تستطيع من وسائل الاقتصاد الذى يبلغ أحيانا درجة الحرمان لتجمع فى يد الحكومة اكبر كمية من المال تضمن لها ادارة الجهاز الحربى ادارة تؤدى الى الانتصار ، استطعنا ان نقدر مدى الثروة التى خصصتها بريطانيا للحرب القائمة

وهذه الثروة بالارقام تتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ مليون من الجنيهات فى كل عام ، تنفقها بريطانيا على الجيش وما وراءه من اسلحة وذخائر دون ان يؤدى ذلك الى التضييق على الشعب تضييقا يؤدى الى انقاص قوته الانتاجية أو التأثير فى قوته المعنوية ، ذلك ان باقى الدخل الاهلى المخصص للشعب يزيد عن ٣٠٠٠ مليون من الجنيهات ، ولا سبيل الآن الى تقدير ماتستطيع ان تنفقه ألمانيا على الاعمال الحربية من الاموال ، ولكن على اساس دخلها فى وقت السلم ، وعلى اسس خلو خزائنها من الذهب، يستطيع الباحث ان يعرف ان تخلف ألمانيا عن بريطانيا فى عدد الرجال القائمين بادارة عجلة الحرب لا يقاس الى جانب تخلفها فى كمية المال اللازمة لاطالة أمد الحرب الى الغاية التى يمكن ان تتراءى عنها صورة الانتصار

الشؤون الاجتماعية فى بريطانيا

يختمر التفكير الاجتماعى فى مصر الآن اختمارا لا بد ان يؤتى نتيجته فى القريب العاجل عندما تنجلى عن العالم غمرة الحرب القائمة التى وقفت وبلبلت الافكار . وبوادر هذا التفكير وزارة قائمة لدراسة الشئون الاجتماعية ومحاولة اصلاح المجتمع المصرى ، وجمعيات كثيرة يساهم فيها نفر كبير من رجال البلد وشبابه ، ومقالات ومحاضرات نقرأها ونسمعها كل يوم فنلمس فيها تهيؤ الفكر المصرى للتغير الاجتماعى القادم . ولكن من الواجب ان تقوم دراسة المجتمع المصرى واصلاحه على اسس علمية نهتدى فيها بآثار من سبقونا فى هذه الميادين

وتكاد تكون بريطانيا أول دول العالم فى هذا المضمار ، فهى تنفق على الشئون الاجتماعية هذا المبلغ العظيم : ٤٥٤٫٦٨٤٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٣٧ . ويتوزع هذا المبلغ على التعليم وعلى اعانة العمال العاطلين ، وعلى الارامل والايتام والمسنين ، وعلى المستشفيات ، والمساكن ، وعلى اعانة الفقراء . وقد خطت بريطانيا فى هذا الطريق بخطى فسيحة ، بدليل انها لم تكن تنفق فى بدء هذا القرن اكثر من ٣٦ مليونا من الجنيهات أكثرها على التعليم وبعضها على المستشفيات ولاعانة الفقراء

فمجموع الاجور التى يدفعها تلاميذ المدارس فى بريطانيا يبلغ ٩٫٣٠٠٫٠٠٠ جنيه ، أما ما ينفق على التعليم فيبلغ ١١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه . وايراد المستشفيات والمصحات العام ٣٫١٠٠٫٠٠٠

جنيه اما نفقاتها فهى ٢٧٫٢٠٠٫٠٠٠ جنيه . والحكومة ترى ان من واجبها تهيئة مساكن صحية لافراد الشعب ، وتبذل في ذلك من المال مثل ما تبذل فى سبيل التعليم والامن والجيش مثلا ، ولهذا فقد أقامت أحياء ومدنا لايواء العمال فى بيوت ينفذ اليها الضوء ويتجدد فيها الهواء ويحافظ فيها على الصحة والخلق معا ، وتبلغ نفقات هذه المساكن سنويا ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه اما حاصل ايجارها فلا يتجاوز ٢٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه

والخلاصة ان بريطانيا تنفق ٣٢ ٠/٠ من ميزانية الحكومة أو ١٠ ٠/٠ من مجموع الدخل الاهلى على الشئون الاجتماعية . وبهذا يستطيع نصف سكان بريطانيا — أى الطبقة الدنيا والجزء الغالب من الطبقة الوسطى — مما تنفقه الحكومة من المال ان يحيوا حياة مريحة منتجة . ونذكر على سبيل المثال ان كل طفل يولد فى انجلترا ويلز تزوره « زائرة صحية » من قبل المستشفيات العامة لترعى أمه وترشدها الى ما فيه سلامة وصحة وليدها . وفى بريطانيا ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ صبى وصبية بين الخامسة والخامسة عشرة يتعلمون فى المدارس مجانا ويعالجون علاجا صحيحا — لا صوريا — على نفقة مدارسهم . وجميع عمال بريطانيا مؤمن عليهم تأمينا اجتماعيا يكفل علاجهم اذا مرضوا أو اصيبوا بحادث ما ، والانفاق عليهم وعلى أسرهم اذا انقطعوا عن العمل ومنحهم معاشات بعد ان تتقدم بهم السن . ويبلغ هذا العدد فى الظروف العادية ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ عامل وهناك ١٫٠٠٠٫٠٠٠ ارملة تتقاضى معاشا و ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من المسنين يعيشون عيشة مريحة بما تدفعه لهم الحكومة من المعاشات

وبديهى ان الحكومة لا تستطيع ان تنفق هذه الملايين العديدة من الجنيهات الا لانها لا تتوانى عن فرض الضرائب المتعددة التى تمكنها من الحصول على هذه الاموال ، وهى تسرف احيانا فى هذه الضرائب ولكن الشعب لا يتذمر ولا يتهرب منها وذلك انها تفرض بنسب مختلفة تضع العبء الاكبر على الغنى وتعفى الفقير منها وان الاموال المجموعة لا تنفق عبثا بل فيما يعود بالخير الصحيح على اكبر عدد ممكن من الناس هذا الى ان روح التبرع تكاد تصير طبعا انجليزيا متأصلا فى اغنيائهم وفقرائهم على السواء ، واذ كان الناس يندهشون عندما يسمعون بانباء ملايين الجنيهات التى يسخو بها الاثرياء هناك ، فعلهم من باب اولى ان يعجبوا للفقراء الذين يجتزئون من قوتهم ما يجودون به لاعمال الخير العام

للشعب المصرى ان يطالب حكومته بأن تمثل الحكومة البريطانية الى حد ما فى أمر الشئون الاجتماعية ، ولكن عليه قبل ذلك ان يشعر كل فرد فيه — غنيا وفقيرا ومثقفا وجاهلا — ان واجب الاصلاح الاجتماعى مفروض اولا على الافراد انفسهم

قناطر محمد على

قامت القناطر الخيرية فى مدى سبعة وسبعين عاما بمهمتها خير قيام ، فكفت من عدوان النيل وكفلت لشمال الوادى الرى والخصب والاثمار فى كل عام . وهيأت ارضه للزروع الصيفية واخصها القطن الذى ما برح عمدة الثروة فى هذه البلاد . وكان بناء القناطر — كما يقول معالى وزير الاشغال — أول عمل صناعى على النيل من هذا الطراز ، كما كان فى الوقت نفسه من أكبر أعمال الرى الصناعى فى العالم كله مدة القرن التاسع عشر

ولكن الصعاب التى صادفت بناء هذه القناطر كان لها تأثيرها فى ضعف اساساتها ضعفا دعا الى استعمال الحذر فى تحميلها ضغط الماء ، والالتجاء الى قاعدة خاصة فى الحجز عليها من شأنها الاضطرار الى تصريف مقادير كبيرة من الماء خلفها بفرعى النهر تبلغ ملايين الامتار المكعبة

حيث تذهب هباء الى البحر فى وقت تكون فى اشد الحاجة فيه الى كل قطرة منها

ولما اكتملت اعمال الخزن فى السنين الاخيرة بتعلية خزان اسوان مرتين متتاليتين ، وبناء خزان جبل الاولياء ، وذلك لسد حاجة التوسع الزراعى بالقدر الذى يلائم الزيادة المستمرة فى عدد السكان وضرورة الفسح لهم فى المجال الزراعى ، كان لا بد من امداد اراضى الوجه البحرى بنصيبها من تلك الزيادة فى الموارد المائية بزيادة الحجز على القناطر الخيرية بقدر لم تكن لتحمله وهى بحالتها الراهنة . ولهذا رئى انشاء قناطر جديدة ، هى قناطر محمد على ، لتحل محل القناطر الخيرية فى أداء واجباتها المستقبلة بعد ان وثق كبار المهندسين من ان تقوية القناطر الحالية غير مأمونة العاقبة

وقد استغرق بناء قناطر محمد على ثلاث سنوات (من ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٣٦ الى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩) . وتفضل صاحب الجلالة الملك بافتتاحها فى حفل عظيم فى ديسمبر الماضى . وبلغت جملة نفقات انشائها ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه وعدد العمال الذين اشتغلوا فيها ١٣ر٦٠٠ عامل وقامت بانشائها « شركة مكدونالد وجبس وشركاهم » . وهذه القناطر مؤلفة من قنطرتين تتحمل كل منهما حجزا قدره ٣ر٨٠٠ مليون متر مكعب ، احداهما على فرع رشيد وتتكون من ٤٦ فتحة عرض الواحدة منها ثمانية امتار ومنسوب عتبها ١١ مترا . والاخرى على فرع دمياط وتتكون من ٣٤ فتحة عرض كل منها ثمانية امتار ومنسوب عتبها ١٢ مترا . ويضاف الى ذلك « هويس » طوله ٨٠ مترا وعرضه ١٢ مترا

ويلحق بهذه القناطر اعمال اضافية منها قنطرة جديدة على فم رياح البحيرة ومثلها على ترعة النجايل ، ومنها بعض الكبارى والجسور والطرق ، وكذلك معمل للابحاث المائية بالجهة الغربية بفرع دمياط

قرية تاريخية

تكشف آثارها فى القطب الشمالى

فى الآفاق الشمالية من الاسكا بأمريكا ، وعلى مدى مائة ميل من شمال الدائرة التى اصطلح الجغرافيون على ان يحددوا بها المنطقة القطبية ، كشفت أخيرا قرية مطمورة وسط اطباق الجليد ولكنها كانت منذ اكثر من ألفى سنة تموج بالحياة وبالناس

تدل الآثار الواضحة التى عثر عليها المكتشف ورئيس بعثة المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعى ــ وهو الدكتور راينى من اساتذة جامعة الاسكا ــ على ان هذه القرية كانت تشتمل على ٦٢٥ منزلا ، وان مساكنها كانت قائمة حوالى خمسة ميادين منظمة فسيحة . اى ان هذه الصحراء الجليدية المقفرة فى أقصى الارض كانت تعرف من فن العمارة فى أقدم العصور ما لا يقل عما عرفه الاغريق فى أزهى عصورهم

وكان الاسكيمو يتناقلون عن اسلافهم الاولين قصصا عن وجود أقوام يعيشون فى الآفاق الواقعة شمال مقاطعتهم ، وكانوا يتوجسون خيفة من هؤلاء الاقوام ويروون عنهم من الاساطير المفزعة ما هو مألوف فى جميع الشعوب البدائية . فلما ذهبت اليهم بعثة المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعى دلها احدهم واسمه موسى ــ وهذا الاسم يدل على ان الدين اليهودى قد بلغ هذه المناطق السحيقة ووجد وسط صحارى الجليد من يعتنقه ــ على آثار هذه القرية ، فقد تقدم الى الشمال ذات مرة فوجد نفسه وسط ركام من العظام البشرية المطمورة ومن الادوات التى تدل على وجود الانسان فى هذه البقاع

وقد استأجرت هذه البعثة أهل قرية بأسرها لكشف تلك الآثار ، واعطت كل من يكتشف قبرا يشتمل على شىء من العظام البشرية أجرا قدره ثلاثة دولارات . فقام اربعون شخصا ما بين رجل وامرأة وطفل بالتنقيب تحت طبقات الجليد

ومن الغريب ما كشف من هذه الآثار جمجمة انسان كاملة وفي محجريها عينان صناعيتان بلغتا من الدقة درجة كبيرة . فبياضهما لامع براق وفي وسطهما « بلميذان » اسودان . ووجدت جماجم أخرى فيها عيون من العاج ، وأنف عاجية تشبه منقار الطائر . ووجد طاقم الاسنان في احدى الجماجم مغطى بطبقة من العاج واذ كان العاج من سن الفيل الذي لا يعيش في تلك المناطق فان وجوده يدل على ان سكان هذه القرية النائية كانوا على اتصال وثيق وتجارة نامية بينهم وبين سكان امريكا

ويقول المكتشف ان الشعب الذي كان يقيم في هذه القرية لم يكن من الاسكيمو الامريكيين بل يرجح انه أتى من شمال الصين حيث بلغ هناك درجة عالية من الحضارة ، ذلك ان الادوات التي عثر عليها في آثاره لها اشباه فيما كشف من آثار الصين القديمة . ولم يستطع هذا الشعب ان يعيش وسط الجليد فانقرض وباد قبل ان يتصل بجيرانه وينقل اليهم حضارته

كلما كبرت أعمارنا

« السيكلوجيا الاجتماعية » اسم كتاب أصدره حديثا الباحث الامريكي « تشارلز بيرد » استاذ علم النفس بجامعة مينسوتا . وقد أفرد فيه فصلا عن الشيخوخة أجمل فيه تجاربه الممتعة وما أدت اليه من نتائج طريفة . فقال : « ان الرجال يموتون كما تموت الاشجار فرؤوسهم لا أبدانهم هي التي تذبل وتموت أولا » أي ان قوة الفكر تضعف وتذوى وتموت وما زال الجسم ناميا منتجا

درس هذا العالم تاريخ خمسمائة من ابرز رجال التاريخ فوجد انه في خلال العشرين عاما الاخيرة من حياتهم توقفت قواهم الفكرية عن الانتاج العبقري العظيم . وهو يستخلص هذه النتيجة مما تدل عليه أغلبية الحالات اما الشواذ فيتجاوز عنها لعدم اطرادها . ومن رأيه ان الانسان يبلغ ذروة الانتاج عندما تتعادل فيه قوة الحماسة وقوة التجربة . والاولى من خصائص الشباب والثانية من خصائص الشيخوخة . فهما لا يتعادلان الا بين هذا وذاك أي في سن الرجولة وهذا ما دلت عليه تجارب « بيرد » فأخصب عهد في الانتاج هو هذه السنين الثلاث ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ . وبعد ذلك تتضاءل الحماسة وتنمو التجربة فيقل الانتاج قلته في العهد الذي كانت فيه الحماسة اضعف من التجربة . صحيح ان بعض النوابغ انتجوا وهم بين العشرين والثلاثين منهم الفيلسوف ديكارت والقصصي ديكنز والوزير وليم بت ومن الموسيقيين من أبدع وما زال في سن العاشرة . وصحيح ان بعض المسنين انتجوا خير نتاجهم ومنهم جوتيه وهوجو في الشعر والحكمة ودزرائيلي وجفرسون في السياسة وجاليلو العالم وكانت الفيلسوف وميخائيل انجلو الفنان وهاندل وفردي الموسيقيان . ولكن كل هذا لا ينقض القاعدة العامة وهي ان أجدى وأخصب سني الحياة ما بين الثمانية والثلاثين والاربعين

يقول بيرد « ان ٧٥ ٠/٠ من عمل الدنيا قام به ناس ولم يبلغوا سن الخامسة والاربعين و ٨٠ ٠/٠ من هذا العمل أداه أناس لم يجاوزوا الخمسين من اعمارهم . وخير خمسة عشر عاما في تاريخ الانسان هي ما بين الثلاثين والخامسة والاربعين »

على ان الناس مختلفون في هذا الامر باختلاف أعمالهم . فالرياضيون يبلغون ذروة انتاجهم في سن الخامسة والثلاثين ، وعلماء الطبيعة فيما بين الثلاثين والرابعة والثلاثين ، والفلكيون فيما بين الاربعين والاربعة والاربعين ، ومخترعو أهم المخترعات قاموا بعملهم هذا وهم فوق الثلاثين ودون الخامسة والثلاثين . واحسن القصص الصغيرة انتجها ادباء سنهم بين الثلاثين والاربعة والثلاثين ، أما الاعمال الادبية الكبيرة الرفيعة فقد انشأها اصحابها وهم بين الاربعين والرابعة والاربعين

الحركة الفكرية

ويلز يفلسف السلم والحرب

لم يكن الكاتب الانجليزي الكبير ويلز من أولئك المفكرين الحالمين الذين خدعتهم فترة السلم عما تخفيه تحتها من النيران ، بل كان يتتبع مجرى السياسة والاقتصاد في العالم فيجزم بان الحرب لا بد ان تتقد في يوم قريب ، بل لقد تخيل في احدى قصصه منذ سنين ان الحرب ستبدأ اثر مشادة بين يهودي وألماني في مدينة دانزيج أو في الممر البولندي !

ولكن هذه الحرب التي كان يتوقعها صدمه نشوبها صدمة عنيفة ألهبت ذهنه واذكت شعوره فراح يخرج كتابا اثر كتاب ، ليفهم الناس الاسباب التي أقامت هذه الحروب الضروس ، والوسائل الى اطفاء هذه النار التي تكاد تأتي على العالم جميعا ، والطريق التي يجب ان تتخذها الانسانية لتتجنب في المستقبل مثل هذا الصراع والخراب

وآخر كتبه هو « الحرب والسلم : اما ثورة العالم واما استمرار الحرب » وهو رسالة وجيزة لا تبلغ مائة وعشرين صفحة ، ولكنها وضعت في اسلوب عنيف أخاذ يشب فيه لهيب الحماسة ونار الصراحة • فهو يعالج المشكلة الكبرى علاجا موضوعيا ، لا يتقيد بوجهة نظر قومية فتخشى منه التحزب أو التحامل ، بل يتحدث حديث المفكر الانساني الذي يعنيه العالم كله وتهمه الانسانية طرا • وهو لا يتقيد بشيء من اعتبارات التاريخ الماضي والعرف الفكري السائد بل ينطلق من هذه القيود فلا يبالي ان يأتي بأشد الافكار تطرفا واسرافا

وهذا الكتاب تكملة لكتابه السابق «حقوق الانسان» الذي لخصه الاستاذ محمد محمد توفيق في هلال مايو الماضي ، فقد اقتصر في كتابه الاول على بيان ما تبيحه الحياة الجديدة للانسان من حقوق أوسع نطاقا وأدق نظاما من تلك الحقوق التي قررتها له الثورة الفرنسية منذ أكثر من قرن ونصف قرن • اما هذا الكتاب فيتحدث عن الطريق التي يجب اتخاذها للانتقال بهذه الحقوق من نطاق التفكير الى دائرة التنفيذ ، أو الوسيلة التي تقرر للانسان الحديث ما يستأهله من حقوق ما زالت الطبقات الغالبة وما زالت التقاليد الموروثة تحرمه منها

بدأ الكتاب بفصل عنوانه «الرجال الراشدون ليسوا في حاجة الى زعماء» • ذلك انه لا يخرج هذه الكتب ليقف من الناس موقف الزعيم يتصدرهم ويقودهم ، ولا ليكسب لنفسه كسبا ما يرفعه ويعليه ، بل هو — ككل مفكر مخلص — يحمل هموم الناس كما يحمل المرء همومه الخاصة • ولكن الناس الراشدين وان لم يحتاجوا الى زعيم يقودهم او يسوقهم الا انهم في حاجة الى رجل خبير بمشاكل الحياة ليدلهم على الطريق السوي • فكما يستشير الرجل طبيبا او محاميا أو طاهيا دون ان يتخذه زعيما ، فكذلك عليه ان يقبل مشورة المفكر فيما يتعرض له من مشاكل السياسة دون أن يتخذ هذا المفكر زعيما

ثم يتحدث ويلز عما نشبت الحرب له ، أهي حرب على أحد المبدأين : الديموقراطية والديكتاتورية ؟ انه لا يعتقد وجود نظام نازي أو فاشي او بولشفي بل يعتقد ان الامر يقتصر على عصابات من الحكام تسيطر الآن على ألمانيا وايطاليا وروسيا • فالحرب القائمة ليست حربا معلنة على نظم ومبادىء بل على أفراد وأحزاب ، يجب ان يتخلص منهم العالم لتسوده العدالة ويحكمه النظام

فليس اذن ثمة ما يمنع الالماني الذي يريد

الحرية ويؤمن بالعدالة من ان يساهم مع الانجليزى الذى يشاركه هذه الارادة وهذا الايمان ، ليتغلبا سويا على هذه الحرب التى لم تشن على النظم والمبادىء وانما على الاشخاص والاحزاب . أى ان هذه الحرب لا تخمد نارها الا بثورة عالمية يحمل لواءها الاحرار والسلميون فى شتى ارجاء الدنيا . ثم يشرح المؤلف معنى هذه الثورة واسلوبها ، فيقول انها ثورة كبرى حاسمة الا انها لا تخيف ولا تروع . فهى مبرأة من المذابح والمقاصل ومن التمرد والفوضى . انها ثورة هادئة لا تريق دما ولا تفتح سجنا . بل فى وسع البرلمانات ان يوقدوا نارها ، اذ ان النظام الديموقراطى الصحيح يوجد معارضة فى وسعها ان تؤدى واجبها حقا

وقد أعاد المؤلف فى هذا الكتاب ذكر حقوق الانسان منقحة مجملة ، مطالبا المفكرين فى انحاء العالم ان يهبوا لاعلانها وتنفيذها ، انقاذا للانسانية من هذا الوبال الذى استشرى فى كل مكان

الأدب اليونانى الحديث

الثقافة الاغريقية القديمة من شعر وقصص وفلسفة وفنون هى المورد الاول للثروة الفكرية التى عرفها الانسان فى شتى أدوار التاريخ ، وهى المنبع الذى استقت منه الحضارة الحديثة أصول فلسفتها وآدابها وفنونها . فهل استنفدت هذه الثقافة العظيمة قوى العقل الاغريقى جميعها فغدا فى هذه الآونة عاجزا عن ان يساهم فى الانتاج الفكرى الثمين ؟ كلا ، فان من يعرض الادب اليونانى الحديث يتبين ان العقل اليونانى ما زال قادرا على الانتاج القيم الجميل ، قدرة الشعب اليونانى على النضال فى سبيل حريته كما كان يناضل آباؤه الاوائل

فاليونان الحديثة ليست مجرد متحف يضم آثار اليونان القدماء ، بل انها تساهم فى الحضارة الفكرية الحديثة بقسط غير ضئيل ، فان روح العبقرية الاغريقية ما تزال تنبض فى أدبائها المعاصرين ، الذين وفقوا الى انتاج أدب قومى واضح المميزات والخصائص

أولى هذه الخصائص « روح البحر » التى تسيطر على الادب اليونانى الحديث سيطرتها على مجرى الحياة اليونانية كلها . فاليونان أشبه بجزيرة يعبر ابناؤها البحر المنبسط حولها جيئة وذهابا بينها وبين ما يجاورها من الاقطار . وقلما تجد يونانيا أمضى حياته كلها فى وطنه دون أن يركب السفينة الى بلد دان أو قاص يتلمس فيه مصادر الحياة . ولهذا كان البحر — البحر الابيض — محورا يدور عليه أكثر القصص اليونانى الذى يمثل حياة رحبة الآفاق تشبه حياة اليونانى الذى يضرب فى آفاق الدنيا ساعيا كادحا مغامرا

تقرأ أية قصة من قصص الشعوب البلقانية فلا تراها تتعدى محيط قرية أو مدينة ، ذلك انها شعوب محصورة بسدود من الجبال والوديان . فهى تعيش منطوية على نفسها عازفة عن العالم الخارجى ، على نقيض الشعب اليونانى الذى تجد فردا من أفراده — على قول كرومر — كلما قلبت حجرا وسط الصحراء ، ولهذا كانت الصبغة الغالبة على قصصه صبغة الاسفار والرحلات ووصف شتى الاقطار والشعوب

تتبين روح البحر هذا واضحا فى رواية القصصى اليونانى « كوستى باستياس » المسماة « قرصان بحر ايجه » التى تمثل حياة يونانى هجر قريته وعمل بحارا وأخذ يجازف فى آفاق المياه ، فى خلال تلك الفترة العصيبة التى ساد فيها الترك اليونان وساموها العذاب ، ثم انتهت حياته — كما يحدث غالبا — فى دير يكفر فيه عن مغامراته الآثمة . وفى رواية « الحقل » للقصصى لوكيس أكريتاس تتبين ما طبع عليه اليونانى من حب الهجرة والمجازفة ، اذ ترى أسرة ريفية عادية ينشب بين الجيل القديم والجيل الحديث فيها من الخلاف فى الرأى والخلق والسيرة

ما يحمل أحد شبانها على مغادرة بلده وسفره الى استراليا ، حيث جمع ما شاء من الثروة . ثم عاد الى وطنه ليمضي فيه سائر حياته

ومن الواضح ان مثل هذا الادب يتميز بروح اليسر والبساطة التي تكاد تبلغ درجة السذاجة على ان ثمة ناحية أخرى يطرقها أكثر كتاب القصة في اليونان وهي حياة الطبقة المتوسطة من سكان المدن الذين يمارسون أعمال التدريس أو المحاماة أو الطب أو الصحافة أو التجارة . وأفراد هذه الطبقة التي تعد محور الحياة في اليونان متماثلون في نواحي تفكيرهم ومظاهر حياتهم ، فهم اذا انتهوا من أعمالهم اجتمعوا في المساء في مقاهي المدن حيث يتناقشون في سياسة الاحزاب والحكومات مناقشة عنيفة قد تنشب فيها المعارك ، وهم لهذا مصدر هذه الحياة القلقة التي كانت تعانيها اليونان في سياستها الى ان تولى أمرها متكساس الذي كان يطلب الى الناس بالحاح الا يتحدثوا في السياسة . ومن أحسن القصص التي تمثل هذه الطبقة رواية«جيورجوس تيوتوكاس وسماها «الى وايموتيو»و«بوريدس بتوزالس »

ومن الغريب ان الادب اليوناني الحديث أكثر تأثرا بالادب الاوربي المعاصر منه بالادب الاغريقي القديم . فأدباؤهم يتتلمذون ويتأثرون جوته أو تولستوى ، وقل منهم من يأخذ عن سوفوكل أو يوربيدس . ولهذا كانت حركة الترجمة في اليونان نشيطة منتجة ، ويساهم فيها جمع من كبار الادباء وأوساطهم

وعلى الجملة فالادب اليوناني يمثل حياة قومية فيها كثير من الطرافة والمغامرة ، وان كانت آثاره لا تعد من حيث تكوينها وخيالها وفكرتها بأكثر من القصص العادى الذى يغمر الآداب الانجليزية والفرنسية ، ويمكن ان يقال ان اليونان الآن في طور النمو والنضوج الذى يسبق طور انتاج الادب العظيم

الثورة

سلاح بريطانيا فى الحرب

ما سبيل بريطانيا الى قهر ألمانيا ؟ سؤال يخامر الساسة والقادة كما يخالج جمهرة الناس على السواء ، ويلقى كثيرا من الاجابات المختلفة وان كان لكل جواب منها ما يؤيده من المبادىء والوقائع . وممن أجاب عن هذا السؤال الكاتب الانجليزى « فرانسيس ويليامز » في مؤلفه الحديث « الحرب بالثورة » الذى أحدث تأثيرا قويا في الرأى العام الانجليزى . ذلك انه يرى ان أجدى وأيسر خطة تتبعها بريطانيا ليست أسطولها الجبار وطائراتها العاتية ، وليست مناورات السياسة من تحالف وتهادن ومساومة . وانما هي اقامة الثورة في شعوب أوربا التي فرضت عليها ألمانيا سيادتها . أما الوسائل التي تؤدى الى هذه الثورة فمتعددة يشرحها الكاتب في تفصيل ووضوح

أولى هذه الوسائل ان تضع الدول الديموقراطية — لا ألمانيا وحدها — نظاما يسير عليه العالم في حياته السياسية والاقتصادية أفضل من النظام الذى وضعته ألمانيا لاوربا الجديدة . فالنظام الهتلرى وان كان يرمى الى سيادة ألمانيا على أوربا من جميع الوجوه ، الا انه يحقق شيئا مما ترجوه الشعوب والافراد في أوربا من الاغراض فينبغى على الديمقراطية ان تضع نظاما يكفل لهذه الشعوب ولافرادها من المزايا ما يصرفهم عن نظام ألمانيا ويعطفهم على بريطانيا عطفا صادقا صريحا . أى يجب ان تؤمن الشعوب بأن الديموقراطية لا تخادع ولا تنافق حين تتحدث عن حق كل فرد في الحياة والحرية ، فتضع من النظم ما يضمن للافراد وللامم كل ممكن من الرخاء والسلام

والوسيلة الثانية هي « الدعاية » التي تستغل ما في شعوب أوربا من مشاكل وخلافات في سبيل تأليبها واثارتها . ومن الواجب على

الديموقراطية ان تتلافى على ألمانيا دروس الدعاية النافذة التى يوفق بها رجال النازى الى فرض الشبه على الشعب الالمانى وحطم كل قوة تناصبهم العداء . ولكن ينبغى ان تسرع الديموقراطية الى بث هذه الدعاية قبل ان تثبت اقدام النازى فى ارجاء أوربا ثباتا لا تجدى فيه المقاومة حين يستطيع جوبيلز الداعية ان يستأثر بأفكار الشعوب وعواطفها . وطريق الدعاية ممهد فى أوربا التى تضطرم بالخلاف بين شعوبها وطبقاتها وطوائفها خلافا يتناول شئون الاقتصاد والدين والجنس والنظام الاجتماعى . فلماذا لا تستغل الديموقراطية كل جفوة بين الحكام والمحكومين ، وكل خلاف بين العمال وأصحاب العمل والمال ، وكل نزاع بين الطوائف الدينية وبين الاجناس المختلفة ، فتحدث فى أوربا من الفتن والثورات ما يزعزع قواعد ألمانيا ويقوض ما تشيده عليها من البناء ؟

ومن هذه الوسائل ان تعد الحرب القائمة « حربا أهلية » . فهى ليست بين بريطانيا وألمانيا ، بل بين الديموقراطية والديكتاتورية ، فيجب ان يساهم فيها الالمانى الذى ينقم على الديكتاتورية ورذائلها وسيئاتها بكل ما يساهم به البريطانى ذاته من القوة والاخلاص ، ذلك انها ترمى الى تخليصهما معا من عدوهما المشترك وهو الديكتاتورية . أما ان كانت حربا بين شعبين فلن تجد ألمانيا يثور على هتلر مهما امتلأ قلبه غيظا منه وحقدا عليه ، لان الثورة اذا هى الخيانة الوطنية التى ان قبل الالمانى ان يقارفها فلن يقبل البريطانى ان يتخذه عونا وقرينا

والطبقة التى يجب ان تبدأ هذه الثورة الكبرى هى طبقة العمال التى لا يمكن مراقبتها واخضاعها فى جميع ارجاء أوربا ، فهذه الآلاف المؤلفة التى تمقت النظام الديكتاتورى تستطيع ان تقيم حركات الاضراب فى مئات المصانع والمنشئات دفعة واحدة وبذلك تعطل الجهاز الالمانى الحربى تعطيلا لن تستطيعه أسراب الطائرات البريطانية مهما ألقت من قنابل ونيران

ان الثورات الشعبية قلما تنجح فى هذه الايام التى صارت فيها الطائرات والمدافع الكبرى أهم وسائل القتال . ذلك ان هذه المعدات لا تتيسر للجماهير وانما هى فى قبضة الحكومات القائمة . ولكن الثورة التى تريد الديموقراطية ان تحدثها فى شعوب أوربا ليست ثورة شعبية يقوم بها الافراد والجماعات ، بل تؤيدها وتمونها بالمال والسلاح مصانع بريطانيا وامريكا . فيعتد الثوار بما يلقون به جيش الحكومة وبما يكفل لهم الغلبة عليه

ففى أوربا الآن آلاف مؤلفة من الافراد الذين ينقمون على النظام الديكتاتورى ويودون نصرة القضية الديموقراطية ، وهم على أهبة التمرد والثورة اذا وجدت قواهم ومدوا بما ينقصهم من العتاد والسلاح ، فيجب على الديموقراطية ان تستغل هذا الموقف سريعا ، فان الحلفاء كسبوا الحرب الكبرى الاولى عندما ثار الشعب الالمانى برغم صمود الجيش ، وان الديموقراطية ستكسب الحرب الكبرى الثانية عندما تثير شعوب أوربا . ولن يجدى هتلر حينذاك ان تنتصر جيوشه فى كل الميادين ، فالشعب أقوى من الجيش ، وثورة الجمهور أنكى من هزيمة الجنود

بسمات الحظ

للاديب المؤرخ ستيفان زفايج

« اذا أدى التاريخ عملا كاملا . اذا أنجب شخصية وافية ، لم يعد على الكاتب الا أن يروى قصة هذا العمل ، الا أن يسرد حياة هذه الشخصية دون داع الى التخيل أو التجميل » .

هذا رأى الاديب المؤرخ « ستيفان زفايج » أبداه فى مقدمة كتابه الحديث « بسمات الحظ » الذى روى فيه قصة اثنتى عشرة شخصية اختارها من شتى العهود والشعوب ، دون ان يكون بينها جامعة من مجرى حياتها أو مما خلفته من الآثار

وان كان ثمة تشابه بينهم فى انهم أدوا أهم أعمالهم فجأة فى فرصة هيأتها لهم ظروف الحياة . اى ان الكاتب اختار بعض « الساعات الخطيرة » وأدار الحديث حولها متخذا من أحد الرجال محورا يقص روايته فى بلاغة تسمو بآثار « زفايج » عن مستوى البحث التاريخي وتضعها فى مرتبة الادب الرفيع

أول هؤلاء الرجال هو « شيشرون » فى الفترة الاخيرة من حياته التى أمضاها عانيا مضطهدا حتى لقى الموت الفاجع الأليم ، دفاعا عن الحرية والكرامة ، حتى لتصح ان تكون مأساته سلوى لهؤلاء المفكرين الاحرار الذين يلقون الآن كل عنت وقسوة فى الدول التى ألفت الحرية وسخرت القلم تمجيدا لزعامتها ودعاية لسياستها . ولا شك ان « زفايج » أبدع فى رواية هذه الحياة ففى فقرات منها كان يتحدث عن نفسه ، ذلك انه أحد الادباء والمفكرين الذين نفوا من أرضهم وشردوا ، لا لامر الا ان الله أجرى فيه الدم السامى « الملوث » لا الدم «الآرى» المطهر

ويلى ذلك السلطان محمد الفاتح ، قاهر القسطنطينية ومحطم البيزنطية ، وأول من اتخذ المدفع فى فتح المدن الكبرى . وهذه القصة ان خلت من الجانب الانسانى الا ان فيها من روح المغامرة والابتكار ما يحبب فى قراءتها . ويقرب منها قصة الرجل الثالث « بالبوا » وهو زعيم من زعماء العصابات الامريكية له من صفات النبل والمروءة ما جعله يتخذ حياة المغامرة فى سبيل نجدة الضعيف ونصفة المهضوم ، وكان هذا الرجل أول « أبيض » رمى ببصره فى آفاق المحيط الهادى وفكر فى استغلالها والاقامة فيها

ثم عقد فصلا عن الموسيقى هاندل بعنوان « الله ينطق بكلمة » . ومن هذه العبارة تدرك الروح الذى رويت به قصة هذا الفنان الذى يتبين من يسمع قطعته عن « المسيح » ان القداسة ليست قصرا على من يلبسون مسوح القديسين بل قد تملأ قلوب من ينشئون الشعر ويؤلفون الموسيقى

أما « عبقرية ليلة » فهى قصة هذا الشاعر الفرنسي المجهول « روجيه دى ليل » الذى انشأ أروع واشهر نشيد شعبي وهو « المارسيليز » فى ليلة تهيأت له فيها عرائس الوحي والشعر ثم عاد بعد ذلك الى غمرته خاملا مجهولا . ولعل قراء « الهلال » يذكرون انهم قرأوا فيه هذه القصة الساحرة التى يتبينون منها فن زفايج فى ترجمة الحياة ورواية القصة وبلاغة العبارة

و « الساعة الحاسمة فى واترلو » هى قصة القائد الفرنسى « جروشى » الذى أدى طاعته التامة وتنفيذه الدقيق لاوامر نابليون الى اندحار الجيش الفرنسى وأفول نجم سيده . والكاتب يسوقها دليلا على ان القائد الانجليزى ولنجتون — كأكثر عظماء التاريخ — انتصر لان القدر وحده أراد له هذا الانتصار ، فهيأ له فرصته وأعد له اسبابه

يروى زفايج بعد ذلك قصة فيكتور هوجو حين خطرت له فكرة قصته العظيمة « البؤساء » وحين وضع هيكلها ثم كساها من بلاغته الباذخة الآسرة ، ثم قصة جوتيه حين جاوز سن السبعين وأخذ يكتب « مرثية مارينباد » التى ركز فيها حكمته وفلسفته واجمل فيه حياة الشباب والشيخوخة

ثم يعود زفايج الى قصص المغامرة فيروى حكاية « جون سوتر » المجازف السويسري الذى كشف مناجم الذهب فى كليفورنيا فغدا أغنى رجل فى الدنيا كلها ، ثم أمضى الثلاثين عاما الاخيرة من حياته فقيرا جائعا مخبولا حتى لقى حتفه فى الطريق ثم قصة « سيرس فيلد » أول من خطرت له فكرة اللاسلكي فحاول ان يرسل الكلمة الاولى عبر المحيط الاطلسى . وتليها قصة الرحالة الانجليزى سكوت فى آفاق القطب الجنوبى حيث راح يسابق امندسون سباقا رهيبا انتهى بحياته الى خاتمة فاجعة مجيدة ، حين لقى حتفه وسط الجلود بعد ان تهدمت آماله حين سبقه غريمه الى كشف هذه البقاع

وينتهى الكتاب بقصة رجلين من زعماء الشعوب

فى القرن العشرين ، هما لينين وكيف هرب من سويسرا الى روسيا عن طريق المانيا فى سنة ١٩١٧ ليقيم اعظم ثورة اجتماعية فى التاريخ وولسون هذا الرجل الذى حسب نفسه وحسبه الناس نبيا جديدا فاذا برسالته تتحطم على صخرة الاطماع والدسائس والاخطاء

هؤلاء هم الرجال الذين تحدث عنهم «زفايج» الذى ابتكر فنا « للترجمة » يمتاز ببلاغة تضفى على رجاله ، سواء منهم الزعيم والشاعر والمغامر ، ثوب البطولة التى لا تجعل منهم أصدقاء تصاحبهم وتجلهم كما هو الشأن فى رجال اميل لودفيج ، بل مثلا عليا تترسم خطوها وتتأثر حياتها

عدن

محاضرة فريا ستارك

ألقت الآنسة فريا ستارك ــ المستشرقة الرحالة الانجليزية ــ محاضرة عن « عدن » فى القاعة الشرقية بدار الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وهى احدى المحاضرات التى تنظمها معهد الدراسات الشرقية بالجامعة ليعرف الناطقين باللغة الانجليزية فى مصر بانحاء العالم العربى

عرضت المحاضرة تاريخ عدن منذ القدم حين كانت أغنى وأرقى اقطار الجزيرة العربية لموقعها على طريق التجارة الهندية ، ثم جاء الرومان فتركزت الحضارة والتجارة فى حوض البحر الابيض فأصاب عدن ما يصيب سائر الجزيرة من الفقر والشدة ، فلما قامت الدولة العربية عاد الرخاء الى هذا الركن القاصى وأخذت عدن تستأنف حضارتها التى ازدهرت عندما نشطت التجارة بين الشرق والغرب عن طريق البحر الاحمر ، الى ان سيطر الاتراك وقرصانهم على آفاق الشرق الاوسط وبحاره فاضطرت أوربا ان تسير سفنها فى طرق أخرى ، وكشفت طريق رأس الرجاء الصالح ، فعانت عدن ما عانت البلاد الاسلامية كلها من الكساد والضيق

ثم تحدثت فى العصر الحديث فأبانت أثر فتح قناة السويس فى اعادة الرخاء الى عدن ، وقالت ان السيارة والطيارة هما اللتان تحددان مستقبل هذا الاقليم ، وقد بدأتا تصلان نيافيها بالعالم الخارجى فتنقلان اليها اسباب الحضارة التى تنتفع لى أهلها الآن سريعا وتغير اسلوب حياتهم تغيرا واضحا عاجلا

وتكلمت عن علاقة عدن ببريطانيا فقالت انها تنحصر فى اتخاذها محطة لتموين السفن بالفحم . ففى بدء القرن التاسع عشر ارسلت الحكومة الهندية الكابتن « هينز » ليبحث فى ساحل الجزيرة العربية الجنوبى عن محطة ترسو اليها السفن لتزود منها بالوقود ، فوجد المكان الملائم فى عدن وأخذ يفاوض سلطانها على شرائها وماطل السلطان وراوغ الى ان وقع حادث اعتداء على سفينة بريطانية فاضطرت شركة الهند الشرقية ان تؤمن سفنها وتجارتها باحتلال عدن وكان هينز أول انجليزى يقيم هناك . وأخذت عدن منذ ذلك تزداد سكانا وثراء ، فكانت قرية عدد أهلها ٥٠٠ نسمة فغدت الآن تضم ٤٦٫٠٠٠ فرد ، ثم كان لكشف آبار البترول فيها أثر خطير فى زيادة ثروتها ، وصارت الآن تعد من حيث أهميتها فى مقدمة موانىء العالم الكبرى

ووضعت عهود بين بريطانيا وقبائل عدن الغيت بها تجارة الرقيق ، ومنعت بها أعمال القرصنة ، وبنيت المنائر . وظلت القبائل تهاجم الميناء وتخربها الى أن ظهرت الطائرات فجعلت حراسة هذه المنطقة ميسورة . وقد أخذت بعض الدول الاوربية ــ ايطاليا على الاخص ــ ترمق عدن بعين الطمع ، فبثت فيها دعاتها وعيونها وارسلت اليها والى اليمن نفرا من ابنائها ، ولكن الحرب الماضية والحرب القائمة اثبتت ان سكان عدن يدركون المزايا العظيمة التى تعود عليهم من الحماية البريطانية ، فهم يعيشون فى رخاء تحسدهم عليه اكثر الشعوب ، وهم يقبلون الآن على الحضارة

الاوربية اقبالا سريعا ، وبين أهلها ونزلائها الانجليز علائق وثيقة من العرف والمودة بفضل حاكمها سير برتا روزبلى الذى اقام فيها ٣٦ سنة حتى غدا أبا وزعيما لسكانها من العرب والهنود والاوربيين

الكتيب بدلا من الكتاب

تنشط سوق الكتيب كلما كسدت سوق الصحافة . فعندما كانت الجريدة قليلة التأثير فى الرأى العام لم يفكر الكتاب فى اتخاذها طريقا الى نشر آرائهم ، بل لجأوا الى « الكتيب » يضمنونه أقوالهم ويذيعونه بين الناس . ولم يكن « الكتاب » وسيلتهم الى اذاعة آرائهم بين الجمهرة والعامة ، لان كبر حجمه وغلو ثمنه يجعله مقصورا على الخاصة من المثقفين والميسورين . فظهر فى ذلك العهد عدد من الكتيبات تعد حتى الآن فى مقدمة الآثار الادبية الرفيعة . فأجمل ماخلف ملتون من النثر هو رسالته الصغيرة التى هاجم فيها البرلمان الانجليزى ، ولم يكن قصده من كتابتها ان يخلق أثرا أدبيا بل ان يذيع رأيا سياسيا معينا . وأحسن آثار الادب الفكه سويفت هى الرسائل الوجيزة التى نشرها تهكما على بعض الرجال والمنشئات فى أيامه . وهذا ينطبق على بوب ودرايدن وأديسون وهازلت وغيرهم من كبار الادباء الذين لم ينزلوا الى سوق الصحافة ولم يعنوا بأخراج الاسفار ، بل اكتفوا بالرسائل المجملة يدافعون بها عن آرائهم ويسفهون فيها خصومهم

فلما انتشرت الصحف وكبرت أحجامها وجد الكتاب فيها مجالا لبسط اقوالهم ووجدوا فيها خير وسيلة لاذاعتها بين القراء . ولكن الصحافة لم تقض على الكتاب فقد صار اخراجه واقتناؤه ميسورا بفضل انتشار المطابع ورخص الورق ومهارة الناشرين . وانما ركد سوق « الكتيب » حتى صار الكاتب يأنف من اصداره ، فأخذ يجمع كل طائفة من مقالاته أو قصصه فى مجموعة واحدة ليخرج منها كتابا ضخما بدلا من ان يخرجها فى رسائل عديدة

أما فى هذه الايام التى قصت فيها اجنحة الصحف فلم تعد تتسع لاكثر من سرد الانباء والتعليق الوجيز عليها فقد عادت سوق الكتيب الى الرواج . وزاد فى رواجه ان اصدار الكتاب غدا عسيرا ، لا لغلاء الورق فحسب ، بل لان كتابته واعداده واخراجه يستغرق من الوقت الطويل مما قد تتغير فى اثنائه أحداث هذه الايام الخطيرة تغيرا يجعل موضوع الكتاب غير ملائم لليوم الذى يصدر فيه . لقد نشرت احدى المجلات نكتة جميلة ، هى ان تلميذا ذهب ليشترى خريطة لاوربا فلما قدمها له البائع نظر فيها التلميذ وردها قائلا : « لا ، هذه خريطة اوربا فى الاسبوع الماضى وأنا اريد خريطتها فى هذا الاسبوع » وهذا مع المبالغة ينطبق على الكتب ، فما يكتبه المؤلف الآن قد يناقض الواقع كل المناقضة حين ينتهى من تأليفه واخراجه ، ولهذا أحجم أكثر الناشرين عن اصدار الكتب الكبيرة واكتفوا بالرسائل الوجيزة التى أخذت تغمر السوق

فكبار كتاب أوربا يذيعون الآن آراءهم فى رسائل وجيزة ، وقد أخذ ويلز وآنجل ونيكلسون وسواهم من النقاد السياسيين يركزون أقوالهم فى صفحات قلائل يبيعونها للجماهير بثمن زهيد . وجاراهم فى ذلك أساتذة الجامعات الكبرى وفى مقدمتهم جامعة أوكسفورد التى تصدر سلسلة متصلة عن « شئون العالم » تعالج سياسته واقتصاده وتاريخه فى اسلوب مركز واضح سهل التناول . وسيكون لهذه الحركة أثرها الخطير فى تثقيف الرأى العام بثقافة قيمة ممتازة . سوف تهيىء اذهان العامة للثورة الاجتماعية الخطيرة التى لا بد أن تحدثها جماهير أوربا كلها عقب ان تضع الحرب وزرها

الكتب الجديدة

الجيش المصرى البرى والبحرى

لصاحب السمو الامير عمر طوسون

صفحاته ٢٧٠ ـ طبع بمطبعة دار الكتب المصرية

الامير الجليل عمر طوسون باحث تاريخى محقق ، تخصص فى كتابة تاريخ مصر الحديث ، وتاريخ الجيش المصرى فى مصر والسودان بنوع خاص . وقد اصدر أخيرا هذا الكتاب الضخم الذى يتناول الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على باشا الكبير

وقد تحدث سموه فيه عن نشأة الجيش البرى وتكوينه ، وعن أهم رجاله ، وعن معاهد جنوده ونظم تدريبهم ، وعن مصانع السلاح والذخيرة ، وعن البعثات الحربية ، وعن كبار الضباط وأهم المعارك الحربية التى خاضها ، وعن عدد قوات الجيش وقدر نفقاته . ثم تناول الحديث عن الاسطول وكيف أنشىء وأعد ، وعن المعارك الموفقة التى خاضها فى حرب المورة وحرب الشام ، وعن دار الصناعة بالاسكندرية حيث كانت تبنى السفن الحربية

وقد جمع فى هذا الكتاب خلاصة ما قاله المؤرخون المصريون والغربيون عن ذلك كله ، فهو مرجع كبير قيم لتاريخ الجيش المصرى فى عهد مؤسسه العظيم . وقد جاء اصداره فى هذه الآونة التى تحققت فيها بعض أمانى مصر كما قال سموه فى مقدمة الكتاب ، فدبت الحياة فى جيشها وهى جادة فى استكماله واحلاله المكان اللائق به ، وظهر من اقبال المصريين على الجندية والرغبة فيها والاندماج فى سلكها ما لا مزيد عليه . وسينتشر هذا الروح الطيب فى هذه الامة الفتية الناهضة ، فيقضى على روح التذمر الذى كان متفشيا فيها فضاء مبرما ، ويحل محله الارتياح والابتهاج الى فداء الوطن

وقد تحدث سمو الامير عمر طوسون فى هذا الكتاب عن الاستعداد العسكرى عند المصريين فقال : « لعل المصريين من اكثر الناس صلاحا واستعدادا لان يصيروا جنودا ممتازين ، فهم على وجه العموم أشداء اقوياء البنية ، متصفون بالقناعة والجلادة على احتمال المشاق والخضوع والطاعة والخلود الى الصبر عند عثور الجد والاقدام على الخطر واقتحام النيران بلا خوف ولا وجل . وقد صدرت عنهم اثناء الحروب حوادث بارزة تعلى قدرهم وترفع شأنهم »

وقال عن البحرية المصرية : « وقد ادهشت هذه البحرية المصرية العجيبة بعد زمن يسير من انشائها كل مشاهير علماء البحرية فى العالم ، واعجبوا بكل ما بدا منها من دقيق الحركات وسديد المناورات ، وجمال الاشكال ودربة الرجال ، وحسن الهندام وكمال النظام . وبذلك ظهر المصريون وهم شعب جم الفضائل ، كثير المناقب ، كأنهم فطروا على مزاولة الملاحة ، وخلقوا على الاستعداد لها أكثر من غيرهم »

والكتاب مزين بالصور والرسوم العسكرية ومطبوع طبعا متقنا . وهو أحد ثلاثة مجلدات اعتزم سمو الامير اصدارها عن تاريخ الجيش المصرى اولها هذا الكتاب . اما الثانى فسيخصص وحده للجيش البرى والثالث سيكون تاريخا عاما للجيش فى عهود ولاة مصر منذ محمد على الى سنة ١٨٨٢ من عهد الخديو توفيق . ولاريب ان سمو الامير عمر طوسون يضيف بمؤلفاته القيمة ثروة نفيسة الى تاريخ مصر الحديث

تاريخ القوقاز

تأليف اللواء حسن عزت باشا
ترجمة عبد الحميد غالب بك

صفحاته ٢٥٦ ـ طبع بمطبعة الحلبي

القوقاز هو هذا الاقليم الشرقي الجميل الذى قيل انه مصدر الجنس الابيض وعرف بأنه مثوى الجمال البشرى الباهر ، والذى كان حلقة الاتصال بين آسيا واوربا تتبادلان فى رحابه حضارتهما وتجارتهما ، وقد ظل دهرا طويلا درعا للاسلام يرد عن معتليه تركيا وايران عادية روسيا وهجماتها

وقد قام المرحوم حسن عزت باشا الجركسى بتأليف كتاب عن تاريخ هذا الاقليم . وهو من قواد الجيش التركى الذين ابلوا احسن البلاء الى جانب أتاتورك فى حرب الاستقلال، ثم ترجمه الى العربية المرحوم عبد الحميد غالب بك باسلوب جزل يدل على تمكن من اللغة العربية

والكتاب يعرض عرضا وافيا تاريخ القوقاز قديما وحديثا ، ويتحدث حديثا جامعا عن أهم أحوالها السياسية والاجتماعية وعن تقاليدها القومية . وقد استقاه المؤلف من أوثق المصادر وأوفاها فى اللغات الروسية والانجليزية والفرنسية والتركية ، وتوخى فى دراسته تقرير الحقائق وتمحيص الوقائع والاستدلال بالاسانيد التاريخية واللغوية

وقد وفق المؤلف الى نتائج تاريخية حفل لها علماء الآثار والانساب فى أوربا ، فهو صاحب النظرية التاريخية القائلة بان الحيثيين القدماء هم أجداد الجراكسة ، بدليل ما أورده من الاسانيد الاثرية والانتروبولوجية

و « جمعية الاخاء الجركسية » التى نشرت هذا الكتاب القيم جديرة بالشكر ، فقد أتاحت لقراء العربية ان يدرسوا مدنية حافلة بالمفاخر وان يقفوا على مزايا الشعب الجركسى ، ومواهبه وتضحياته الوطنية فى سبيل الحرية والكرامة

والكتاب مطبوع طبعا رشيقا ومزين بالصور التى تمثل بعض ابطال القوقاز وبعض مظاهر حياتهم

علم الامراض الباطنة

أمراض جهاز الهضم
للدكتور حسنى سبح

صفحاته ١٠٤٤ ـ طبع بمطبعة الجامعة السورية

كانت المكتبة العربية الى عهد قريب مقصورة على الادباء دون العلماء ، فكان طلابنا يتلقون العلم من مصادره الاجنبية ويحرم من دراستها من لا يجيد لغة أو أكثر من لغات هذه المصادر . ولكن أخذ علماؤنا فى العهد الاخير يساهمون فى حركة التأليف بنصيب ـ ان يكن اليوم ضئيلا ـ الا انه قوام حركة علمية عربية يرجى نماؤها ونشاطها وانتاجها الوفير . وفى طليعة هؤلاء العلماء الاجلاء الدكتور حسنى سبح رئيس المعهد الطبى العربى ، فقد وضع موسوعة شاملة فى علم الامراض الباطنة تتألف من سبعة اسفار كبيرة ، أصدر منها أربعة تعالج على التوالى : أمراض المجموعة العصبية ، والامراض الانتانية والطفيلية ، وأمراض جهاز التنفس ، وأمراض جهاز الهضم

وهذه الحلقة الاخيرة التى تجاوز ألف صفحة تتناول أخطر ناحية فى الامراض الباطنة وهى الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى . وهى عديدة متشعبة تلتبس أعراضها وتشق معالجتها ، ولا سيما بعد ان أصبح المعول فى تشخيص امراض انبوب الهضم وتوابعه على الوسائل المخبرية المختلفة وصارت علاماتها السند الصحيح فيها وكان دونها ما يستطلعه الطبيب بالاستقصاء السريرى ، ولهذا عنى المؤلف الكبير بالفحص الشعاعى واكثر من اثبات الصور الشعاعية التى تيسر الشرح والايضاح

وتناول المؤلف فى سفره الضخم جميع أمراض جهاز الهضم تناولا كاملا أورد فيه كل ما انتهى

اليه الاطباء والعلماء من الحقائق والبحوث ، وضمنه ما اسفرت عنه الدراسات الحديثة من نتائج ما زال يخفى عنها معظم الاطباء ، وكذلك ما انتهت اليه بحوثه الخاصة فى بعض هذه الامراض . ثم لم يشأ المؤلف ان يقصر الفائدة من كتابه على الاطباء وطلاب الطب ، بل يسرها لكل قارىء بما أورده فى موضوع الغذاء الذى تنشأ منه أمراض الجهاز الهضمى أو تقوم عليه صحته وسلامته

ولغة المؤلف سهلة يسيرة ، وقد احسن كثيرا بايراد الالفاظ والمصطلحات الطبية فى فهرس فى ذيل الكتاب مبينا ما يقابلها فى المؤلفات الفرنسية منعا للبس والابهام الى ان يوفق علماؤنا فى مؤتمراتهم العلمية ومجامعهم اللغوية الى وضع ألفاظ ومصطلحات مقررة لا يختلفون فى فهمها وتفسيرها

الفيزيقيا الحديثة

للاستاذ احمد فهمى ابو الخير

صفحاته ١٧٢ — طبع بمطبعة المقتطف

خطى علم الطبيعة فى العهد الاخير خطى واسعة أثرت فى العالم المادى كل التأثير ، توجب أن يصور العالم تصويرا جديدا على اساس هذه الكشوف الحديثة

وهذا ما أراده المؤلف فى عشرين فصلا يتألف منها كتابه النافع الشائق . فتحدث فى صدره عن « حاضر الفيزيقيا » أى عن هذه « الدنيا الجديدة » التى اسفر عنها البحث العلمى الحديث فصور العالم بأرضه وهوائه ومائه وترابه صورة علمية ليس فيها تعقيد ولا غموض ، ولكنها وافية دقيقة ، بما أجمله وأوضحه عن ذرات الكهربائية والموجات الاثيرية ، والراديو ، واشعة اكس والضوء فوق البنفسجي ، والبلورات ، والطاقة ، والجاذبية والنسبية الخ

وتحدث فى جزئه الثانى عن « مستقبل الفيزيقيا » حديثا يريد به ان يفسر المادة والحياة والعقل تفسيرا علميا . وقد خرج من هذا الحديث الى ان الفيزيقيا والبيولوجيا والسيكلوجيا تلتقى كلها عند مسألة الحياة . ودرس كذلك مسألة الزمن على ضوء علمى الطبيعة والفلك مرتئيا ان العلم اذا نجح فى تفسير هذه المسألة وتطبيقها تطبيقا فيزيقيا خالصا أدى الى ظهور نوع جديد من العلم ، هو « العلم العام » الجامع الشامل

وقراء الهلال يعرفون الاستاذ المؤلف بما طالعوه من بحوثه فى عالم الارواح . ونعتقد انه فى هذا الكتاب وفى بوعده فى قوله : « أعد قرائى الا أزج بهم فى خضم النظريات وخصوصا الرياضى منها ، ولكنى سأطلعهم على الاعماق وهم وقوف على الشاطىء » . وقد احسنت زميلتنا مجلة « المقتطف » الى القراء باهداء قرائها هذا الكتاب النفيس

أبو العلاء المعرى

للمرحوم احمد تيمور باشا

كان المؤرخ الباحث واللغوى المحقق احمد تيمور باشا قد شرع فى تأليف سفر واف عن أبى العلاء المعرى يتناول حياته وأدبه وفلسفته ومعتقده وغير ذلك من نواحى هذه الشخصية الحافلة المركبة الكبرى . . ولكنه لم يتم من هذا السفر الا اجزاء نشرت فى هذا الكتاب الممتع الشائق الذى يتناول ثلاثة أمور :

نسبه ، وشعره ، وعقيدته

فتحدث فى الجزء الاول عن منبته واسرته ، وعن مولده ونشأته ، وعن تلاميذه ومؤلفاته ، وعن مبلغ علمه وذكائه ، وعما شاكل كل ذلك من الاخبار المتصلة بأبى العلاء . وتناول فى الجزء الثانى الجانب الشعرى فتحدث عن المكرر فى معانيه ، ثم عن سرقاته ، ثم عن مآخذ الشعراء من شعره ، ثم انتهى بمقارنة بعض معانيه بمعانى غيره . وخص الجزء الثالث بمعتقد ابى العلاء ، واختلاف الناس فى أمر عقيدته فى الله تعالى وفى رسله الكرام

ويمتاز هذا الكتاب بميزات،منها دقة ووضوح في التعبير مع الايجاز ، والمام بشتى نواحي الموضوع دون اطالة واستطراد ، ومنها اناة واتزان في الحكم مع ميل الى الانصاف والتقدير، حتى ليشعر القارىء ان المؤلف يريد ان يدافع عن المعري من غير ان يجاوز وجه الحقيقة . وخير ما في الكتاب هذا التبويب والتفصيل الذي يجعل منه مرجعا ثبتا سهل التناول

وهذا الكتاب ــ كسائر مؤلفات المغفور له تيمور باشا ــ يمتاز بدقة في البحث والتحقيق ، وشمول في العرض والدراسة ، ومراجعة دقيقة لكثير مما لا تتناوله الايدي من الاسانيد الخطية التي جهد المؤلف رحمه الله في جمعها من شتى الانحاء والاطراف ، فترك ذخيرة ثمينة يعتز بها ويعتمد عليها كل من يعنيه الادب العربي والتاريخ الاسلامي

ديوان ابن الساعاتي

حققه ونشره الاستاذ انيس المقدسي

صفحاته ٤١٢ ــ طبع بالمطبعة الامريكية ببيروت

تضم الجامعة الامريكية ببيروت نخبة من المؤرخين المحققين توفروا على دراسة الادب العربي والتاريخ الاسلامي دراسة جامعية مستمدة من الاسانيد والوثائق التي ينقبون عنها في المكاتب والمتاحف ، ويبذلون الجهد الناصب في تحقيقها ومراجعتها ونشرها على الناس

وفي مقدمة هؤلاء الباحثين المحققين الاستاذ انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت . وقد ساهم في اخراج هذه السلسلة بعدة اسفار منها جزآن كبيران يضمان ديوان ابن الساعاتي الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (١١٥٩ ــ ١٢٠٩ م) وهذا السفر الذي بين أيدينا هو الجزء الثاني من الديوان وهو يقع في نيف واربعمائة صفحة طبعت طبعا أنيقا دقيقا ، وقد قام الاستاذ بتشكيل كثير من حروف الكلمات ، كما شرح ما فيه من الالفاظ الغامضة شرحا موجزا وافيا

وهذا السفر مأخوذ عن نسخ خطية يرجع بعضها الى عهد الشاعر ، وأهم ما اعتمد عليه الاستاذ المحقق نسخة فريدة محفوظة في مكتبة جامعة بيروت . والذي يتأمل احدى صفحات هذه النسخة الخطية التي نشر رسمها في صدر الكتاب يدرك الجهد العظيم الذي بذل في تحقيق ألفاظ هذا الديوان الذي عفى عليه الدهر الطويل فابهمت بعض ألفاظه وتآكلت ألفاظ أخرى ، وصار الامر في حاجة الى مراجعة طويلة وتفكير كثير

وديوان ابن الساعاتي يمثل حقبة من تاريخ الشرق حافلة بلون من الحضارة والسياسة ينبغي لدارسها ان يرجع الى كتب الادب والشعر فهي خير مصور وأبلغ معبر ، كما يمثل لونا من الشعر فيه ضروب من الصناعة البيانية ونواح من طرق التفكير يلذ لدارس البلاغة ان يطالعها

أنا وهتلر

تأليف أوتو شتراسر

ترجمة الاستاذ عبد الحليم سليمان كساب

صفحاته ٢٣٢ ــ طبع بمطبعة المستقبل

اوتو شتراسر أحد أقطاب الحركة النازية الاوائل ، وأحد خصوم هتلر الالداء في الوقت الحاضر . لانه اشتراكي مخلص . أما هتلر فاتخذ الاشتراكية خديعة غرر بها الناس حتى أسلموه القياد ، ولانه أراد ان يسير بألمانيا وبالعالم سيرة السلام ، فأبى هتلر الا ان يتفق بشعبه وبالعالم كله في الحمم والنار

وفي هذا الكتاب يعرض شتراسر تاريخ علاقاته بهتلر عرضا قصصيا يميط اللثام عن أسرار الحركة النازية وخفاياها . ومهما يكن ارتياب المرء فيما أورده المؤلف من الوقائع الا انه سيخرج بصورة واضحة عن هتلر وأعوانه الذين تلوثت ايديهم بكثير من دماء الابرياء ، وسيتبين

من خلاله اخلاق هؤلاء النفر الذين يديمون لانسانية صنوف العناء والعذاب

وقد صدر المترجم كتابه بكلمة وجيزة عن المؤلف، وعرضه عرضا انيقا في لغة سهلة واضحة

مسند عمر بن الخطاب

للامام يعقوب بن شيبة

درسه ونشره الدكتور سامي حداد

صفحاته ٢٣٨ — طبع بالمطبعة الاميركانية بيروت

تحفة أثرية في الحديث الشريف يرجع عهدها الى القرن الرابع الهجري . كتبت في العراق وانتقلت الى الحجاز ومنه الى الشام ، ومرت على أيدي كبار الرواة والحفاظ ، الى ان عثر عليها العالم الباحث الدكتور سامي حداد استاذ الجراحة بجامعة بيروت الاميركية ، فاشتراها حرصا عليها من الضياع وحملها الى مصر فأخذت لها دار الكتب صورة فوتوستاتية، ثم رأى تعميما لفائدتها بين علماء الحديث وطلابه ان ينشرها بعد ان درسها وبوبها وفهرسها مستعينا بنخبة من علماء الغرب ومصر والشام

هذه التحفة هي الجزء الذي أبقى عليه الزمن من المسند النفيس الذي ألفه المحدث البغدادي ابو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت . وهو كتاب يعرف علماء الحديث قيمته الكبرى لان مؤلفه اتخذ — كما يقول الدكتور حداد في ترجمته المقيقة — « خطة خاصة في مسنده لم يسبقه اليها أحد من علماء الحديث ، فانه رتبه على الاسانيد والعلل والبلدان وأفاض في جرح الرجال وتعديلهم واستطرد لذكر ترجمة كل منهم واورد النوادر عنه وما انفرد به من الاحاديث وأورد الحديث الواحد بعدة متون »

وكما كان الامام ابن شيبة دقيقا في تأليف كتابه، كان الدكتور سامي حداد مخلصا في درسه ونشره ، بدليل هذه المقدمات الثمينة الوافية التي وصف في الاولى منها المخطوطة الاثرية وترجم في الثانية حياة المؤلف وخطة مسنده ، وترجم في الثالثة حياة المؤلف لمن روى الكتاب وأسلوب روايته . وشرح في الرابعة خطته في تحرير النسخة وهي خطة علمية سديدة لانه أبقى الاصل المخطوط على ما فيه من الاغلاط الاملائية والنحوية دون التعرض الى تصحيحها في الحاشية مع اثباتها مصححة في جدول خاص بها في آخر الكتاب

وأهم ما يشهد للدكتور حداد بالفضل الصادق هذه الفهارس الدقيقة التي ملأت مئة وعشرين صفحة ترجم فيها من ورد في الكتاب من الرجال والنساء ترجمة وجيزة وافية ، وشرح فيها الالفاظ الغريبة ، وأورد فيها اسماء الاماكن والبلدان ، وبين فيها الاخطاء النحوية والصرفية والاملائية الواردة في النسخة الخطية . ثم ذيلها بفهرس بالمراجع التي اعتمدها في تحرير الكتاب

ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب انه طبع طبعا انيقا على ورق صقيل . وقد قدمه صاحبا الفضيلة الشيخ محمد توفيق خالد مفتي لبنان والشيخ محمد أمين عز الدين قاضي البقاع . وانه لحري بطلاب الحديث الشريف وعلمائه ان يطالعوا ويقتنوا هذا الكتاب النفيس

تشرشل

للاستاذ فؤاد صروف

عدد صفحاته ١٤٤ — مطبعة دار المستقبل

اذا أدى التاريخ عملا عظيما ، اذا انجب شخصية كاملة ، لم يعد على الكاتب الا ان يروي القصة ويسرد الوقائع مجردة من التخيل والتجميل فيأتي مقاله أو كتابه وافيا ممتعا مؤثرا

وهذه هي الخطة التي سار عليها الاستاذ فؤاد صروف في ترجمة تشرشل . فقد وجد أمامه بطلا من أبطال التاريخ : رجلا هتف باسمه جيلان من الرجال جيل الحرب الكبرى الاولى وجيل الحرب الكبرى القائمة ، رجلا اجتمعت له موهبة الزعامة

والسياسة الى جانب تفوق الفكر وتدفق البيان، رجلا يتولى أمر أخطر قضية فى حربها وكفاحها أرهب قوى الشر والعدوان ، فلم يجد المؤلف ان عليه أكثر من ان يقص تاريخ هذا الرجل منذ نشأته الى يومنا هذا دون ان يتكلف شيئا من التصوير والتهويل ، فاذا بكتابه نابض بالروح فى كل سطر من سطوره ، حافل بالحياة فى كل عبارة من عباراته

فهذه قصة تشرشل الجندى الشاب الذى خاض اربع حروب قبل ان يبلغ السادسة والعشرين ، وهذه قصة تشرشل السياسى الذى لا يداور ولا يراوغ بل يحارب جهارا بالرأى الثاقب والحملة العنيفة فينتصر وينهزم ولكن وطنه الاعلى يكسب المركة دائما ، وهذه قصة تشرشل المؤلف الذى يصف الحروب والمعارك ويترجم القواد والساسة ويعالج مشاكل السياسة برأى يفيض صراحة وجرأة ، وهذه قصة تشرشل الاديب والخطيب الذى تعد عباراته البليغة من أروع آثار النثر فى الادب الانجليزى الحديث ، ثم هذه قصة تشرشل بطل بريطانيا ورجل الديموقراطية الذى يرى الاعداء أمامه يتقضون كالصواعق والحلفاء يتهاوون تحت المطارق فلا يساوره اليأس ابدا بل يقول : خطتى هى الحرب وهدفى هو النصر ، وليس عندى ما أقدمه اليوم الا الدم والعمل والعرق والدموع ...

ان كتاب الاستاذ صروف قصة فترة من أحفل فترات التاريخ ، محورها رجل مفرغ فى قالب الابطال ، فلتقرأ فيه قصة الزعامة الملهمة والشعوب المكافحة والجهد فى سبيل المبادىء والحريات

مكتوب على الجبين

للاستاذ محمود تيمور

صفحاته ٢٣٢ ـ طبع بمطبعة المعارف

أبرز ما يتميز به قصص الاستاذ محمود تيمور ويتضح على أوفاه فى هذه المجموعة الاخيرة ، ثلاث ميزات :

ان منطق الحياة يبدو فيما تسوقه من الوقائع وترسم من الاشخاص . فالقارىء لا يصطدم فى اثناء القصة بشىء غير مألوف ينبو عنه المنطق أو الذوق . ولا يتأتى هذا ـ اذا أراد الكاتب ان يرسم الصورة كاملة دقيقة ـ الا اذا كان بارعا فى تصوير نوازع النفس وضمائرها . فيتتبع خلجاتها وافكارها عن تكلف المواقف والابطال

وان القارىء يتهيأ له فى اثناء القصة وفى نهايتها مراد فسيح للتخيل والتفكير . فليست القصة مشروحة مكشوفة فلا تبقى أى داع لفطنة القارىء ، بل فيها كثير من الجوانب المتروكة لخيال القارىء يرتادها ويكتشفها ويستشعر من ذلك كثيرا من المتاع . ولهذا لا نظن ان قصص الاستاذ تيمور تلذ لاوساط القراء ممن لا يحبون من القصص ان يكلفهم ويرهقهم بشىء من التخيل والتفكير ، فضلا عن خلوها من العقد والمواقف المثيرة ، وانما يحب هذا اللون من القصص من كان على حظ من الثقافة يحب ان يستغله فى تكملة جوانب القصة وادراك ما ترمى اليه من معان ، لا يذكرها الكاتب صراحة بل يشير اليها تلميحا

والميزة الثالثة هى اسلوب الاستاذ تيمور ، فهو سهل واضح ، مشرق الديباجة انيق العبارة وهذا من خير ما يؤدى للغة العربية التى عزف عنها أكثر قصصيينا بدعوى انها لا تسعفهم ولا تريحهم ، فاذا خرج الاستاذ تيمور بهذه القصص الحافلة بألوان التحليل النفسى وألوان التصوير للظواهر وللسمات ، كان ذلك خير دفاع عن العربية

وهذه الميزات الثلاث بارزة فى مجموعته الاخيرة التى تضم اربع عشرة قصة طالع قراء « الهلال » بعضا منها . وقد صدر الكتاب بمحاضرة القاها المؤلف عن «فن كتابة القصة» شرح فيها الخطوط الرئيسية التى يجب ان يعرفها ويدرسها ويسير عليها من يريد كتابة القصة أو الرواية

بين الهلال وقرائه

يأجوج ومأجوج

(القاهرة) عزيز خانكى بك

هل يسمح لى الاستاذ الفاضل ان استفتيه فى أمر ذى القرنين وفى أمر يأجوج ومأجوج الوارد ذكرهم فى سورة الكهف ؟ ان الوصف الذى ورد فى سورة الكهف لا ينطبق ابدا على الاسكندر المقدونى . فمن هو اذن ذو القرنين ؟ وقد بحثت فى كتب التاريخ القديم فلم اعثر على قوم يأجوج ومأجوج ، فمن هم ؟ واين كانوا ؟ وما الاسم الحالى لبلادهم ؟

(الهلال) موضوع قوم يأجوج ومأجوج شغل الاذهان من قديم الزمان ، وكل ما بين الاسكندر المقدونى وذى القرنين الوارد ذكره فى سورة الكهف من التشابه هو ما روته الكتب التاريخية من ان الاسكندر لما فتح مصر اراد ان يتقرب الى المصريين وان ينهج نهج ملوكهم فى زعمهم الانحدار من اصلاب الآلهة أو اتخاذ مظاهر القدسية الربانية ، فوطد العزم على ان يستعين ببعض الكهنة فى انتسابه الى الاله امون رع — وكان له معبد كبير فى واحة سيوه لاتزال انقاضه باقية الى الآن . وسافر فعلا الى هذه الواحة مع طائفة من عسكره وقواده ، ودخل المعبد واستنطق سادنه ، فنطق السادن بان الاسكندر هو من نسل امون رع . ومن ثم اتخذ الابن شعار « ابيه » وهما القرنان الذهبيان

ويقف بحث المؤرخين عند هذا الحد . فما ثبت تاريخيا ان الاسكندر المقدونى قد بنى سورا ليحول به بين قوم يأجوج ومأجوج ، وتاريخه كما رواه معاصروه يكاد لا يترك كبيرة ولاصغيرة الا أوردها كأننا نقرأ حادثا وقع بالامس

ولعل الاستاذ يوافقنا على ان الابحاث التاريخية — وبخاصة القديمة منها — لم تستكمل بعد ، وكل ما توصل العلماء اليه حتى الآن لا يعدو بعض الحلقات التى جلتها الحفريات الاثرية ، ولا شك ان موالاة البحث ستجلو كثيرا من غوامض العصور القديمة . ولمؤسس الهلال المرحوم جرجى بك زيدان بحث فى هذا الموضوع تجده فى المجلد الثانى بصفحة ٦٨٨ وفى المجلد السابع بصفحة ٥٢١ من الهلال

ونعتقد نحن ان مثل هذا الموضوع يقتضينا اولا البحث عن آثار هذا السور العظيم . ثم تاريخ القوم الذين عاصروه ، وسير ملوكهم ان كان هذا مستطاعا بما بين ايدينا من وسائل محدودة

ونحب ان نشير هنا الى ان فريقا من علماء التاريخ القديم لا يقرون النظرية التى تقول بان المدنية المصرية هى اقدم المدنيات ، فقد اتجهت الحفريات اخيرا الى بلاد الشرق الادنى وبخاصة ما بين النهرين واثبتت وجود مدنيات هناك سابقة لمدنية قدماء المصريين . واذا صحت النظرية القائلة بان مهد الانسانية الاول كان فى غرب آسيا ، فلا يبعد ان بلادا كالصين كانت لها ايضا مدنيات عريقة فى القدم . ولا يبعد ابدا ان يكون سور الصين العظيم بشكله الراهن قد بنى على آثار سور اقدم منه هو الذى ورد ذكره فى سورة الكهف . ولعل فى قواميس اللغة الصينية أو غيرها من اللغات الاسيوية نبأ عن معنى كلمتى يأجوج ومأجوج ، او لعل علماء الاجناس البشرية يهتدون بابحاثهم الى جنسين من الاجناس الاسيوية عرفا بهذين الاسمين

معنى « افندى »

(القاهرة) يوسف حسنى

ما معنى كلمة « افندى » ؟ وهل هى عربية أم تركية ؟

(الهلال) « افندى » كلمة رومية الاصل دخلت فى اللغة التركية من عهد قديم . ومعناها المولى أو السيد أو الخوجه أو رب العلم والقلم . وقد شاع استعمالها مع لقب « اغا » فالاغا هو السيد وهو الرئيس ولا يشترط فيه أن يكون من العلماء او القارئين . أما « الافندى » فيشترط فيه العلم أو القراءة والكتابة . والمصدر المشتق من كلمة « افندى » وهو « افنديلك » فيه كل معانى اللطف والاحسان والكرم . وقد جاء وقت على السلطنة العثمانية كان ولى العهد فيه يحمل لقب « افندى »

(ومنه أيضا)

الدبابة : هل عرفها العرب ؟

هل حقيقة عرف العرب الدبابة فى حروبهم القديمة ؟

(الهلال) نعم عرف العرب فى حروبهم ما كانوا يسمونه « دبابة » وان تكن دبابتهم من نوع آخر طبعا . ولعل الفكرة فى اختراع الدبابة العربية القديمة هى التى املت اختراع الدبابة الحديثة . فالغرض من الدبابة حماية الجنود ليصلوا الى خطوط العدو دون التعرض للحصد من جانبهم . فكما اخترعت الدبابة الحديثة بحيث تحمى الجنود فيما يشبه القلاع من الحديد المصفح ، اخترع العرب غطاء كبيرا من الجلد السميك أو غيره من المواد الصلبة يضعونه فوق رؤوس الجنود عند مهاجمة اسوار الحصون تفاديا من سهام العدو او نيرانه التى يلقيها عليهم . وتحت هذا الغطاء « يدب » الجنود حتى يبلغوا جدار الحصن ويشرعوا فى هدمه أو محاولة تسلقه . ويجد القارئ انباء عن هذه « الدبابات » فى كتب السيرة ونخص بالذكر منها الجزء الثالث من السيرة الحلبية تأليف على بن برهان الدين الحلبى عند الكلام عن فتح الطائف . كما يجد نماذج للدبابة القديمة فى المتحف الحربى بالقاهرة

هل عادت بنا الحرب الى عهد الهمجية !

(القاهرة) م . س .

هل عادت الانسانية بهذه الحرب المدمرة الى عهد الهمجية الاولى ؟

(الهلال) نحن لا نميل الى كلمة « همجية » فالمسألة مسألة تنازع البقاء بين الشعوب وبقظة الغرائز التى يعبر عنها هربرت سبنسر بانها من مستلزمات الحياة . وبان الانسان لكى يحافظ على كيانه يجب ان يكون « حيوانا كامل صفات الحيوانية »

ولقد عادت بنا هذه الحرب الى العصور القديمة بتلك الظاهرة التى يعبرون عنها بالحرب الشاملة La guerre totale فالحروب فى عالم البداوة كانت شاملة بهذا المعنى الحديث . فكان جميع افراد القبيلة يشتركون فى القتال — حتى النساء والاطفال — وكان الانهزام معناه القتل العام أو الاستعباد وسبى النساء والاولاد . وكان كل فرد فى القبيلة يشعر دائما بانه مهدد . وقد انتفت هذه الظاهرة فى القرون الوسطى ومطالع العصر الحديث بالجيوش المرتزقة او النظامية التى عهد اليها فى الدفاع وظل سائر المدنيين فى مأمن من العدوان والتدمير وانحصرت الحروب فى خطوط القتال . فلما جاءت هذه الحرب لم تعد ثمة خطوط قتال بل اصبح العالم باسره ميدانا لها . والمدنيون اصيبوا بويلاتها كالمحاربين . وشعر كل فرد بانه مهدد فى منزله ، فى محل عمله ، فى حقله . وفى كل مكان . ومن ثم عدنا الى عهد البداوة الاولى بهذا المعنى الذى شرحناه . وجاءت آلات الحرب الميكانيكية ضغثا على ابالة ، وان تكن وسائل الدفاع مما يخفف من ويلاتها

لماذا غير هتلر رأيه ؟

(القاهرة . محمد حسن)

قرأت في عدد الهلال الخاص « الانجليز » مقالا عن رأى هتلر في الشعب الانجليزي وادهشني ان يقول فيهم ما قال ، وبخاصة رأيه في وجوب التقرب الى الانجليز والعمل على تجنب كل ما من شأنه الاصطدام بهم في مجالهم الحيوى فيما وراء البحار ، والتوسع في القارة الاوربية على حساب الروسيا . والشيء الذي حيرني هو : لماذا كتب هتلر رأيه هذا ثم عدل عنه في حربه الراهنة ؟ واذا كان عدل عن رأيه قبيل الحرب فلماذا لم يسجل عدوله هذا في الطبعات الاخيرة من كتابه « ماين كامف » ؟

(الهلال) الواقع ان رأى هتلر في الشعب البريطاني كان من اروع ما كتب عنه في العصر الحديث . وقد كتبه هتلر بكل صراحة فاثنى على مواهب الانجليز وامتدح اخلاقهم وبين نواحي القوة والضعف فيهم بقلم الدارس الخبير . وقد ترجمناه عن نسخة انجليزية ترجمت بدورها عن آخر طبعة المانية لكتاب « ماين كامف »

اما لماذا عدل هتلر عن رأيه في حربه مع الانجليز فهذا ما قد تسفرعنه الدراسات التاريخية بعد الحرب العالمية الراهنة . فقد يثبت عند ذلك ان هتلر تعمد ان يذكر ما ذكره بقصد التمويه وصرف انظار الانجليز عن استعداداته الحربية واتجاهات نشاطه الدبلوماسي والحربي . وقد يظهر انه كان يعتقد بصواب نظريته ولكن مجريات الحوادث غيرت من اتجاه افكاره ، أو ان هيئة اركان الحرب البروسية هي التي فرضت وجهة نظرها الحربية على حزب النازي واقنعته ان لاقيمة لاى نصر في القارة الاوربية ما لم يقهر العدو الاكبر ، وهو بريطانيا

ويجب الا ننسى ان هتلر أتم تأليف كتابه في سنة ١٩٢٤ — أى قبل وصوله الى الحكم في ألمانيا بحوالى عشر سنوات . فيجب ان نظر اليه ككتاب وضع قبل تجارب الحكم وفي ظروف خاصة لم تكن المانيا تحلم فيها بما بلغته من القوة بعد ذلك . ولم يثبت ان هتلر عدل اقواله في الطبعات التالية من « ماين كامف » لانه يعد كتابه بمثابة البرنامج السياسي والحربي الذي كافح من أجله وتربع على دست الحكم لتنفيذ ما يقدر على تنفيذه

طبقة الاغنياء

(أم درمان . السودان) عليش محمدعبدالماجد

١ — لماذا كانت طبقة الاغنياء القلة في كل العصور ازاء طبقة الفقراء ؟

٢ — هل تعرف قلوب الاسماك الحب كما يعرفه سائر الحيوانات ؟

(الهلال) عن السؤال الاول : يرجع الاقتصاديون هذه القلة الى اسباب متعددة اهمها نظام الرأسمالية بعيوبه الكثيرة وانانيته واستئثاره بعناصر الثروة الاساسية في مختلف العصور

والثروة — اذا بحثناها من ركن آخر غير الركن الاقتصادى — ليست الا علامة من علامات الامتياز والتفوق . لذلك كان الاغنياء قلة . كما ان العلماء والزعماء والمستكشفين ومن اليهم من النوابغ والافذاذ قلة ايضا

وعن السؤال الثاني : ما نظن ان الاسماك وسائر الحيوانات تعرف الحب بمعناه الانساني الذي يتخذ فيه الذوق الفني مكانا الى جوار العاطفة والشعور . أو لعل العاطفة ليست الا مزيجا مركبا من كل اولئك مع غريزة البقاء والتناسل . انما نرجح ان ما عند الحيوانات مما قد نسميه اصطلاحا بالحب ليس الا تلبية لغريزة البقاء فحسب . والمعروف عن معظم الحيوانات انها لا تأتلف الا في مواسم تلبية النداء الجنسى .

فاذا كان هذا شأن الحيوانات — وجلها تعرف اولادها وتربيها وتحدب عليها حتى تكبر وتشتد ، فكيف تكون حال الاسماك التى تضع بيضها ثم لا تعرف مصيره بعد

جوبلز

(اسيوط) م . ن .

ارجو ان تذكروا كلمة وجيزة عن داعية الالمان الدكتور جوبلز

(الهلال) الدكتور جوزيف جوبلز هو وزير الدعاية الالمانية ، المسيطر كل السيطرة على كل ما فى ألمانيا من وسائل النشر والدعاية ، وهى الصحافة والاذاعة والسينما والتمثيل الخ . وهو فى الخامسة والاربعين من عمره ، وقد بدأ حياته صحفيا أديبا ولكنه لم يوفق لا فى الادب ولا فى الصحافة ، رغم انه يحمل درجات علمية راقية نالها فى مطلع شبابه

ثم انضم الى هتلر فى بدء حركة النازى ، ولكن لم تسند له مهمة الدعاية الا بعد ان نضجت الحركة وذاع صيتها ، اما فى بدء الامر فقد اختص هتلر نفسه بالدعاية التى يعد أكبر اساتذتها حقا ، كما يتضح من الفصل الدقيق الذى كتبه عنها فى « كفاحى » وهو من غير شك أدق وأوفى فصول الكتاب

وقد أغدقت ألمانيا الاموال الجمة على الدعاية لانها ادركت أثرها الخطير فى الحرب الماضية حين حطمت دعاية الحلفاء روح الشعب والجيش على السواء . فتبلغ الآن ميزانية وزارة الدعاية الالمانية عشرين مليونا من الجنيهات ينفق اكثرها خارج ألمانيا حيث ينبث دعاتها فى شتى الاقاليم ، ولا سيما فى دول أوربا والشرق الادنى وامريكا الجنوبية والشمالية

ويرجع الى جوبلز فضل كبير فى نجاح النازية فى ألمانيا . فقد بذل مجهودا جبارا فى انتخابات سنة ١٩٣٣ التى اولت هتلر زمام الحكم . وهو يسيطر الآن على العقلية الالمانية الناشئة سيطرة مطلقة ويوجهها الى حيث يريد ببراعة غريبة وقد عرض تاريخه وجهوده ومهمته فى كتاب شائق اسمه « نصيبى فى كفاح ألمانيا » وفيه يقول تلخيصا لاسلوبه : « ان الدعاية لا تبحث الحق المطلق وانما عن الحق الذى تراه » ويرى كثير من الكتاب السياسيين انه الرأس المفكر وراء هتلر ، وانه اخطر رجل فى أوربا بما يبثه من دعايات مغرضة ومما يشنه من حروب الاعصاب

هواية التصوير الشمسى

(الاسكندرية — عبد المنعم العطار)

هل فى مصر جمعية لهواة التصوير الشمسى ، وما عنوانها ، وهل تقيم معرضا سنويا ؟

(الهلال) توجد جمعية لهواة التصوير الشمسى فى القاهرة ومركزها مبنى جمعية محبى الفنون الجميلة ٢٤ شارع الحوبانى (سراى البستان) بمتحف الفن الحديث . وهى تقيم معرضا سنويا للصور المنتقاة من تصوير اعضائها من هواة التصوير الشمسى . وقد عرضت معروضاتها بمتحف الفن الجميل فى أواخر يناير المنصرم فاتصلوا بها بعنوانها المذكور

خنافس مضيئة

(بيروت — جوزيف ابراهيم فياض)

عندنا فى لبنان خنافس صغيرة تدعى «الحباحب» تظهر من نيسان (ابريل) الى حزيران (يونية) وتضىء فى الليل . فما هو السبب الذى يجعلها تضىء ؟

(الهلال) هذا النوع من الخنافس كطائفة أخرى من الحشرات تضىء ليلا ، لان على حراشيف جلدها طبقة من الفسفور الذى يتألق فى الظلام فتبدو الحشرة فى الليل كأنها قبس من النار

لماذا كان البدوى شاعراً

(ومنه ايضا)

هذا البدوى الذى تفتحت عيناه للوجود لم ير سوى الرمال المحرقة والعيس تمد اعناقها من نشوة الحداء . . ما هذه القوة التى اوحت اليه ان يأتينا بتلك الاشعار الرقيقة الصافية ؟

(الهلال) ان هذا الذي وصفت هو سبب هذه الرقة ومصدر ذلك الصفاء . فالشعر من الشعور ، صفاء النفس يعبر عنه الانسان الشاعر بكلام موزون . ففي اذا ما انطبعت صورة جميلة أو لمحة خاطفة أو عاطفة من العواطف على مرآة النفس الصافية . وكلما كان المحيط صافيا حسن الشعر وصفا وسما الى درجة اعلى من الكلام العادي . والمعيشة الصحراوية كما تعلم تمتاز بالصفاء والبساطة ورفع الحجب بين الناس وجمال الطبيعة

الفصول المناخية والحيوانية والنباتية

(ومنه ايضا)

من الحيوانات ما يلد في اوقات معينة من السنة ومنها ما يلد في كل وقت . وكذلك الاشجار كل نوع منها يثمر في فصول من السنة لا يثمر في سواها . فبماذا تعللون ذلك ؟

(الهلال) الواقع ان دورة فصول السنة لا تقف عند حد الربيع والصيف والخريف والشتاء ، بل ان للمملكتين الحيوانية والنباتية فصولها ايضا . والمتأمل في حكمة خالق الاكوان ينبهر من تتابع هذه الفصول وارتباط بعضها ببعض فما يشذ منها فرع عن اصله وما تتأخر زهرة عن الانبثاق في موعدها يوما واحدا ولا ساعة ولا دقيقة ..

وحكمة توالد بعض الحيوانات في اوقات معينة هي فيما تهيئه لها الفصول المناخية والنباتية من مقومات الحياة ، كالدفء حتى لا يموت الحيوان أو يمرض ، وانبات الاعشاب لتتوافر في الاثداء الالبان ، الى غير ذلك مما يجعل التوالد في فصول معينة أمرا معقولا . اما الحيوانات التي لا تتقيد بفصل معين في التوالد فلا بد أن لديها مقومات الحياة في مختلف فصول السنة أو ان فيها مناعة طبيعية ضد البرد القارس أو القيظ الشديد

وفي المملكة النباتية تورق الاشجار وتثمر في اوقات تهيأ لاستطعام الدورة المناخية وتطورها من برد الى حر ومن جفاف الى رطوبة في اوقات معينة كذلك

القرمطة والشيء المقرمط

(بغداد ــ العراق) مشترك

ما معنى القرمطة في اللغة ؟

وماذا يقصد بقولهم « شيء مقرمط » ؟

(الهلال) رجعنا الى لسان العرب وتاج العروس وجمهرة اللغة لابن دريد فاذا القرمطة مداناة الخطو ومقاربته . ومنه قرمطة الكتاب . والقرمطة في الخط مقاربة السطور أو دقة حروف الكتابة . وقرمط الكاتب اذا قارب بين كتابته فاصبح من المتعذر قراءتها . ويقال مشي مقرمط وخط مقرمط . ومن ثم ظهر نوع من الخطوط العربية يسمى « الخط المقرمط » وهو خط متعدد الزوايا يميل الى الاشكال الرسمية الهندسية . وقد قيل لذلك انه مشتق من الخط الكوفي . وكان يستعمل في التحرير في عصر الامويين واوائل العصر العباسي . وانتقل الى المغرب والاندلس وكان له هناك طور جديد ازداد فيه الميل الى الزخرفة ظهورا . ولعل اسم القرامطة أو قبيلة قرمط أو قرية قرمط في العراق ظهر من صفة « القرمطة » التي لا يبعد اتصاف زعيم هذه الحركة بها ، فقد قرأنا ان مشيه كان «مقرمطا» أي متقارب الخطو ..

***

جاءنا من « قارئ » بدمشق ان حضرته لاحظ اغفالنا ذكر بعض اسماء الصحف والمجلات العربية في مقال « الصحافة العربية في مختلف الاقطار » الذي نشرناه في عدد الهلال الخاص « العالم العربي والحرب » . ونحن نشكر لحضرته اهتمامه ونذكر اننا في هذا المقال لم نقصد حصر جميع الصحف العربية وانما اتينا ببعض اسمائها على سبيل المثال

فهرس الهلال

الجزء الثالث من السنة التاسعة والاربعين